

التفسير المبين

للإمام

مكتبة الزعيم
حارة السليمانية - بغداد

السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

طه عبدالرؤف سعد

أجزء الثالث

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

٩ منبى الصناديق - الأزهر

طبعة جديدة

مضبوطة — متقنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة بني سليم بالكندر

قال ابن إسحاق: فلما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق بها (١) إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه، يريد بني سليم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة بيتاع بن مرقطة الغفاري، أو ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: فبلغ ماء من مياههم؛ يقال له: الكندر، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة، ولم يبق كدراً، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وأُقيمت له إقامة تلك الجُل الأسارى من قريش.

غزوة السويق (٢)

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المظلي، قال: ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة، فكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، ويزيد بن رومان، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة، ورجع قبله (٣) قريش من بدر، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنة (٤)، حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم، فخرج في متى راكب من قريش، ليبيعه، فسلك التجوية، حتى نزل بصدق قناة إلى جبل يقال له: ثيب، من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل، حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى سحج بن أخطب، فضرب عليه باب، فأتى أن يفتح له باب، وعانه، فانصرف عنه إلى سلاط بن ششم، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك، وصاحب كزهم. فاستأذن عليه، فأذن له، فقرأه وسقاء ويطن (٥)، له من خبر الناس، ثم خرج في عقبه حتى أتى أصحابه. فبعث رجلاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها، يقال لها: الرض حرقوا في أسوار (٦) من نخل بها، ووجدوا بها رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لها، فقتلوا، ثم انصرفوا راجعين.

(١) أي لما قدم من بدر لم يبق بالمدينة.

(٢) السويق: عبارة عن حفلة أو شعير محمص مطحون بمزج بصل وسمن.

(٣) الفل: المنهزمون. (٤) كان الفل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية.

(٥) يطن له أمر الناس: إعلنه بسرهم. (٦) الأصوار: جمع صور وهو جماعة الفضل.

وتقديرهم الناس . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر ، وهو أبو لبابة ، فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُنْدُز ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحَرث يتخفقون منها للتجاء ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أطلعنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن هشام : ولما سميت غزوة السويق ، فيما حدثني أبو عبيدة : أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه ، لما صنع به سلام بن مسكم :

ولاني تحيرك المدينة واحداً ليلتي فلم أهدم ولم ألق
سقاني فرواني شجيتاً مائة على تجلي من سلام بن مسكم^(١)
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن لأفريخه : أبشر بمصر وتمتم
عامل فإن القوم يتر ولهم صرخ لؤي لا شاطيط بجرم^(٢)
وما كان إلا بسن ليل راكب أني ساعيا من غير سطة معديم

غزوة ذي أحر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقبه ذي الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أحر ، واستعمل على المدينة عثمان ابن صفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بعد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً . فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلاً منه .

غزوة الفُرْع من بخران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد قرينا ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .
فما قال ابن هشام .

(١) المدينة : أراد من المدينة . — (٢) الكيت : اسم من أسماء الحمر .

(٣) السر والصرح : الخالص . والشاطيط : المختلطون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ نجران ، فبعونا بالحجاز من ناحية القُرمُع^(١) ، فأقام بها ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

أمر بني قَيْنُقَاع

قال : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني قَيْنُقَاع ، كان من حديث بني قَيْنُقَاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قَيْنُقَاع ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقيصة ، وأسلبوا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم قالوا : يا محمد ، إنك ترى أننا قومك ؟ لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : لحدثني مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذين كفروا سئبلون » وتُحْشَرُونَ إلى جهنم ويُرْسَلُ إليهم . قد كان لكم آية في فتين النخلة : أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش دفة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كفرة يرونها مثلهم وأبي العيين ، والله يؤيد بنصرهم من يشاء ، إن في ذلك ليعبرة لأولي الأبصار .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن بني قَيْنُقَاع كانوا أول يهود تقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المشور بن عَظْمَةَ ، عن أبي عَون ، قال : كان من أمر بني قَيْنُقَاع أن امرأة من العرب قدمت بـ ^(٢) ^{يَحْلِب} لها ، فباعته بسوق بني قَيْنُقَاع ، وجلست إلى صانع بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبى ، فعمد الصانع إلى طرف ثوبها فمقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصانع فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قَيْنُقَاع .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، حين أمكنه منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في قولك ، وكانوا حلفاء الخزرج : قال : فأبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛

(١) القُرمُع : قرية ناحية المدينة . (٢) الجلب : البضائع التي تحضر في الأسواق للبيع .

قَالَ : يا عبد أحسن في موالئ ، قال : فأعرض عنه . فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفضول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظلالاً^(١) ثم قال : ويحك ! أرسلني : قال : لا والله لأرسلك حتى تحسن في موالئ ، أربعائة حاسر^(٢) وثلاثمائة دارع^(٣) قد منعوني من الأحمر والأسود ، محمد بن قنادة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر : قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في محاصرته لإيام بشير ابن عبد المنذر ، وكانت محاصرته لإيام خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم . ومشي عباد بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف . لهم من يلقاه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي ، فظلمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ؛ بعضهم أولياء بعضي ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض أي لعبد الله بن أبي وقوله : إني أخشى الدوائر . يسارعون فهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فسمى الله أن يأتي بالفتن أو أمر من عنده ، فيصحبوا على ما أتروا في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله عهداً إليهم ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقومون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . وذكر لتولي عباد بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرأ من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

(١) الظل : جمع ظلة ، واستعاره هنا لتخير الوجه وتجهمه .

(٢) الحاسر : من لا درع له . (٣) الدارع : من عليه درع .

سرية زيد بن حارثة إلى القرّة

قال ابن إسحاق : وسرية زيد بن حارثة التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب عبد قريش ، وفيها أبو سفيان بن حرب ، على القرّة ، ما من مياء نجد . وكان من حديثها : أن قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة يندو ما كان ، فسلّكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار ، فيهم : أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهي معظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل ، يقال له : فرات بن حيان يعلم في ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فرات بن حيان ، من بني عجل ، حليف لبني تميم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقبهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال حسان بن ثابت بعد أحد في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لأخذهم تلك الطريق
 دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جَلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْفَخَّاضِ الْأَوَارِكِ (١)
 بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وَأَنْصَارِهِ حَقّاً وَأَيْدِي الْمَلَانِكِ
 إِذَا سَلَكْتَ الْقَوْرَ مِنْ بِلَدِنِ عَالِجٍ فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الْقَارِئُ هُنَاكَ (٢)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات حسان بن ثابت ، تقضي عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وستذكرها وتقيضتها إن شاء الله في موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق : وكان من حديث كعب بن الأشرف : أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية يشيرون ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه ، وقتل من قتل من المشركين ، كما حدثني عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الطائفي ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن حمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ، كل قد حدثني .

(١) الفلجيات : العيون الجارية . والفخاض : حوامل الإبل . والأوارك : التي ترمى شجر الأراك الذي تتخذ من أغصانه المساويك .

(٢) القور : ما انخفض من الأرض وبلن عالج : مكان .

بعض حديثه ، قالوا : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طي ، ثم أحد بني تيهان ، وكانت أمه من بني النضير ، حين بلغه الخبر : أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هؤلاء الرجال — يعني زيدا وعبد الله بن رواحة — هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصحاب هؤلاء القوم ، ليقن الأرض خير من ظهرها .

فلما يقن عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبي ذؤاعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي الليث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزله وأكرمه ، وجعل يمرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويذكر أصحاب القليب من قريش ، الذين أصيبوا بيدر ، فقال :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَلِكٍ أَمِيلِهِ	وَلِئَلِي بَدْرٍ تَسْتَلُ وَتَقْتُلُ
قُلْتُ سَرَاءُ النَّاسِ حَوْلَ حَبَائِهِمْ	لَا تَعْدُوا إِنْ لِلْمَلُوكِ مُصْرَعُ
كَمْ قَدْ أَصِيبَ بِهِ مِنْ أَيْضٍ مَا جِدَ	ذِي بَهْجَةٍ يَأْوِي إِلَيْهِ الضَّيِّقُ
طَلَّقِي الْبَدِينَ إِذَا الْكِرَاكِبُ أَخْلَفَتْ	خَالِي أَتْقَالِي يَسُودُ وَيَزْهِقُ (١)
وَيَقُولُ أَقْوَامٌ أَتَرُّ يَنْخَلِطُ	إِنْ ابْنُ الْأَشْرَفِ ظَلَّ كَمَا يَمْزُجُ
صَدَقُوا ظَلَّتِ الْأَرْضُ سَاعَةً تَلُوتُوا	ظَلَّتْ تَسُوحُ بِأَيْلِهَا وَتَصْدَعُ
صَارَ الَّذِي أَمَرَ الْحَدِيثَ بَطْنِي	أَوْ عَاشَ أَعْمَى مُرْعَا لَا يَسْمَعُ
ثُبَّتْ أَنْ بَنِي الْغَفِيرَةِ كُلُّهُمْ	خَشَعُوا لِقَتْلِ أَبِي الْحَكِيمِ وَجَدَّهِمَا (٢)
وَأَنَا رِبْعَةٌ عَتِدَةٌ وَمُنْتَقَةٌ	مَا نَالَ مِثْلَ الْمَلَكَيْنِ وَتُجْتَعُ
ثُبَّتْ أَنْ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ	فِي النَّاسِ بَيْنَ الصَّالِحَاتِ وَتَجْمَعُ
لِيُوزَرَ يَثْرَبَ بِالْجَوْرِعِ وَلَمَّا	يَحْمَى عَلَى الْحَسِبِ الْكَرِيمِ الْأَرْوَعُ (٣)

قال ابن هشام : قوله « تبع » ، « وأسر يستخلم » . عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري ، فقال :

-
- (١) ربع : أى يأخذ المرباع أى ربع التينة وهو من نصيب الرؤساء في الجمالية .
 (٢) التجديع : قطع الأنوف وهو هنا كناية عن الذل .
 (٣) الأروع : من يهرك حسنة

أبكي لكعب ثم ملّ بعبّية منه وعاش مجدداً لا يسمع^(١)
ولقد رأيت يطين يدي منهم قتل تسخ لها العيون وتدبّع
فأبكي فقد أبكيت عبداً وإخماً شبة الكليب إلى الكليّة يتبع
ولقد شقّ الرحمن منا سيّداً وأمان قوماً قاتلوه ومصرّعوا
ونجا وأنت منهم من قلبه شققت يظلّ لحوفه يصدع^(٢)
قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان . وقوله : أبكي لكعب . عن
غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت امرأة من المسلمين من بني مُرَيْدٍ ، بن من بُلّ ، كانوا حلفاء بني
أمية بن زيد : يقال لهم : الجُمَادِيَّةُ ، تهجّب كعباً — قال ابن إسحاق : اسمها ميمونة بنت
جد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها ، وينكر نقضتها لكعب
ابن الأشرف :

تحنّ هذا العبء كلّ تحنّ يبي على قتلى وليس بناصٍ
بكث عين من يبي لبدن وأمله ومعلت بثلثها لؤي بن غالب
فليت الذين مضّجوا بدمائهم يرى ما بهم من كان بين الأخاشب^(٣)
فيعلم حقاً من يقين ويصروا تجرّم فوق اللعي والحواجب
فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلوا عن التولي يأتي منه غير ممّارٍ
أنشئني أن كنت أبكي بصبوّ قوم أأتاني وُدّهم غير كاذبٍ
فإني لبالك ما بقيت وذاكراً ما أثر قوم مجذّم بالجباب^(٤)
لمرى لقد كانت مُرَيْدٌ يمزّلي عن الشرّ فاحتاك وجوه العالٍ

(١) العليل : الشرب بعد الشرب واستناره هنا لمدامته للبقاء .

(٢) الشققت : من قطع شفاف قلبه حزناً .

(٣) الأخاشب : يريد الأخشين ومما جيلان مكة وجميعها مع الحمال التي صعبت

(٤) الجباب : جبال مكة .

عَنْ مُزَيْدٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ
وَجِبْتِ نَصِيْبِي مِنْ مُزَيْدٍ بِلَيْسَ بِلَيْسَ وَفَاةً وَبَيْتِ اللَّهِ بْنِ الْأَخَاشِيْبِ

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشب بناء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن المغيرة بن أبي بزة من لي ببن الأشرف ؟ فقال له محمد بن عتبة : أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله ؛ قال فافعل إن قدرت على ذلك ^(١) . فرجع محمد بن قسلة فبكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه ، فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يا رسول الله ، قلت لك قولاً لا أدري هل أقيت لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك بالجهد ؛ فقال : يا رسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نقول : قال قولوا ما بدلكم ، فأتهم في جيل من ذلك . فاجتمع في قتله محمد بن قسلة ، وسيلكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاة ، وعبد بن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عتب بن جبر ، أحد بني حارثة ، ثم قدموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف ، قبل أن يأتوه ، سيلكان بن سلامة ، أبو نائلة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال : ويحك يا بن الأشرف ! إني قد جئتكم لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكم عني ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت هنا السبل حتى ضاع العيال ، وجهت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهدنا عيالنا ؛ فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ؛ فقال له سيلكان : إني قد أردت أن تبعنا طعاماً ونزقتك وتوثق لك ، ونحسن في ذلك ؛ فقال : أترهقني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحننا إن معي أصحابا لي على مثل رأي ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتديهم وتحسن في ذلك ، ونزحك من الحلقة ^(٢) ما فيه وفاة ، وأراد سيلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن في الحلقة وفاة ؛ قال : فرجع سيلكان إلى أصحابه

(١) فيه من الفتنة : وجوب قتل من سب النبي - صلى الله عليه وسلم - وإن كان ذا عهد ، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذي في مثل هذا ، ووقع في كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حلوا رأسه في غللة إلى المدينة ، فقيل : إنه أول رأس حل في الإسلام .
(٢) الحلقة : الفروع .

فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم يطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أترهنوني نساءكم ؟ قال : كيف ترهنك نساءنا ، وأنت أشبَّ أهل يثرب وأعظمهم . قال : أترهنوني أبنائكم ؟

قال ابن إسحاق : لحدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال :

مضى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الترقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنيهم ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو في ليلة مقمرة ، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديق عهد بحرس ، فوثب في ملأه فأخذت امرأته بناحيها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا يزلون في هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً لما أيقظني ، فقالت : والله إنني لأعرف في صومع الكثر ، قال : يقول لها كعب : لو يُدعى الفتي لعلنة لأجاب . فزول فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يا ابن الأشرف أن تتأخى إلى شعب العجوز^(١) ، فتحدثت به بقية ليلاً هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتأخسون ، ففقدوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام^(٢) يده في فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالكلبة طيباً أعطر قط ، ثم مضى ساعة ، ثم عاد لملأها حتى اطمان ، ثم مضى ساعة ، ثم عاد لملأها ، فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تكن شيئاً .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت يقول^(٣) في سبني ، حين رأيت أسيافاً لا تنغي شيئاً ، فأخذه وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار قال : فوجهته في كمين^(٤) ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتقه فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، فخرج في رأسه أوفى رجله ، أصابه بعض أسيافا . قال : فخرجنا حتى سلكتنا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بجمات حتى أسدنا^(٥) في حرّة^(٦) القريض^(٧) ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، وتوّه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أنانا يتبع آثارنا .

(١) مكان خارج المدينة . (٢) شام : أدخل .

(٣) للقول : حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلاتا .

(٤) التنة : ما بين السرة والعانة . (٥) أسدنا : ارضفنا .

(٦) المجرة : الأرض ذات الحجارة السود . (٧) العريض : وادي المدينة .

قال : فاحتلماهم لجننا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل ، وهو قائم يصلي ، فسلنا عليه
مخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتقل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا .
فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتا بـعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فَقَوِّدَ مِنْهُمْ كَعْبٌ حَرِيصًا فَذَلَتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ التَّضْيِيرُ
عَلَى الْكُفَّينِ ثُمَّ وَقَدْ عَلَنَهُ بِأَيْدِنَا مَشْتَرَةً دُكُورُ
بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ إِذْ دَسَّ لَيْلًا إِلَى كَعْبٍ أَخَا كَعْبٍ يَسِيرُ
فَاغْرَهُ فَأَنزَلَهُ بِمَكْرِ وَمُحَمَّدٍ أَخُو ثَقُوفِ جَسُورِ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بنى التضير ، سأذكرها إن شاء الله .
في حديث ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقاتل سلام بن
أبي الحقيق :

لَهُ دَرٌّ عَصَايَ لَا قِيَمُ يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ
يَتَرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِيفَ إِلَى كَعْبٍ مَرَسًا كَأَشَدِّ فِي حَرِينِ مُغْرَفِ (١)
حَتَّى أَنْوَكُمْ فِي تَحَلٍّ بِلَادِكُمْ فَتَقَوِّكُمْ حَقًّا بِلَيْضِ ذَنْفِ (٢)
مُسْتَعِيرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَعِيرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْجِفِ

قال ابن هشام : وسأذكر قتل سلام بن أبي الحقيق في موضعه إن شاء الله .

وقوله : وذنف ، عن غير ابن إسحاق .

أَمْرُ مُحَيِّصَةٍ وَحَوَّاصَةٍ

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرتم به من رجال يهود .
فأقتلوه ، فوثب مُحَيِّصَةٌ بن مسعود — قال ابن هشام محصة ويقال : محصة بن مسعود بن
كعب بن عامر بن عدي بن تَجْدَةَ بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن
الأوس — على ابن مُثَنَّة — قال ابن هشام : ويقال مُثَنَّة — رجل من تجار يهود ، كان

(١) المغر : اللثف العجر . (٢) البيض الذنف : السيوف سرية القتل .

يلابسهم ويأبهم قتله وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم، وكان أسن من محبة، فلما قتله جعل حويصة يضربه، ويقول : أى عدو الله، أقتله، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله . قال : محبة : قلت : . والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك : قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة قال : آوّه لو أمرك محمد بقتل لقتلتني ؟ قال : نعم والله لو أمرني بضرب عنقك لضربت بها ! قال : والله إن ديننا بلغ بك هذا لستبّ، فأسلم حويصة .

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث مول لى حارمة ، عن ابنة محبة ، عن أبيها محبة . قال محبة في ذلك :

ياوم ابنى أى لوأمرت بقتله	لعلبتك ذفراه بأبيض قاضيه ^(١)
حسام كلونى الملع أخلص صقله	منى ما أصوبه فليس بكاذب
ما سرنى أنى قتلتك طائما	وأن لنا ماين بصرى ومأرب

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو المدني ، قال : لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة أخذ منهم شحرا من أربعائة رجل من اليهود، وكانوا حلفاء الأوس على الخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضرب أعناقهم ، فجعلت الخرج تضرب أعناقهم ، ويسرم ذلك ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخرج ووجوههم مستبشرة ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحلف الذى بين الأوس وبين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة إلا اثنا عشر رجلا ، فدفعهم إلى الأوس ، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلا من بنى قريظة وقال : ليضرب فلان وليذنب فلان فكان من دفع إليهم كعب بن يهودا ، وكان عظيما في بنى قريظة ، فدفعه إلى محبة بن مسعود ، وإلى أبي بزة بن يثار — وأبو بزة الذى رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يذبح جذعا من المعز في الأضحية — وقال : ليضربه محبة وليذنب عليه أبو بزة ، فضربه ضربة لم تقطع ، وذبح أبو بزة فأجهز عليه . فقال حويصة ، وكان كافرا ، لأخيه محبة : أقتلت كعب بن يهودا ؟ قال ، نعم ، فقال حويصة : أما والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله ، إنك لثيم ياعبيصة ، فقال له محبة : لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك ، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبا . فذكروا أنه جعل ييقظ من الليل : فيعجب من قول أخيه محبة . حتى أصبح وهو يقول :

(١) طبقت : قطعت : والذفران : عظامان ناتختان خلف الأذنين ، والأبيض : يريد به السيف ، والقاضب : القاطع .

واقعه إن هذا لا يدعى . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم قاسم ، فقال بحجة في ذلك آياتاً قد كتبناها .

قال ابن إسحاق : وكانت إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قدومه من نجران ، جاد الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان ، وغزوه قريش غزوة أحد في شوال سنة ثلاث .

غزوة أحد

وكان من حديث أحد ، كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن جابر وعاصم ابن عمر بن قتادة والمختصين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ وغيرهم من طلائعنا ، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا ، أو من قال منهم .

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب ، ورجع فكلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره ، منى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ، ممن أصيب أبائهم وإخوانهم يوم بدر ، فسكروا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وترككم ، وقتل غيباركم ، فأعينونا بهذا المال على حرب ، فقلنا ندرك منه ثارنا بمن أصاب منا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففهم ، كما ذكر لي بعض أهل العلم ، أنزل الله تعالى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحرقون » .

اجتماع قريش للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب ، وأصحاب العير بأحاديثها (١) ، ومن أطاعها من قبائل كنانة ، وأهل تهامة . وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله ألتحق قد من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى فقال : إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فأمن على صلى الله عليه وسلم ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فخرج معنا ، فقال : إن محمداً قد من على تلاً أريد

(١) الأحاديث من انضموا إليهم وليسوا منهم .

أن أظاهر عليه ؛ قال : بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيبن ما أصابن من حسر ويسر ، فخرج أبو عزة في تهمة ، ويدعو بنى كنانة ويقول :

ليها بنى عبيد مائة الرزّام أنتم محمّاء وأبوكم حام (١)
لا تعيدوني نصركم بعد العام لأتسلوني لا يقيلاً إسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بنى مالك بن كنانة ، يهردهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا مالي ، مالي الحسب المقدّم أنشد ذا القرنى وذا التذم (٢)
من كان ذا رُحْمٍ ومن لم يرَحْمٍ الجلف وشطّ البلد المحرّم
عند حطيم الكعبة العظيم

ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً يقال له : وَحْشِيُّ ، يقذف بحرية له قدف الحبشة ، قلماً يخطى بها ، فقال له اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعنة بن عدى ، فأنت حقيق .

فخرجت قريش بمحمّدها وتجدها وحديدها وأحاديثها ، ومن تابعها من بنى كنانة ، وأهل تامة وخرجوا معهم بالظن (٣) ؟ التماس الحفيظة ، وألا يفروا . فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو قائد الناس ، يندبنة عتبة وخرج عكرمة بن أبي جهل بأُم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة ، بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببنزة بنت مسعود بن عمر بن تميم الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان بن أمية .

قال ابن هشام : ويقال : وقية .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص برميطة بنت منبّه بن الحجاج وهى أم عبد الله ابن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بشلالة بنت سعد بن شيد الأنصارية وهى أم بنى طلحة : مسافع والبلأس وكلاب ، قتلوا

(١) الرزّام : من يلبثون في مكانهم لا يرحلوه : يذكر أنهم ثابتون في الحرب .

(٢) يامال : أراد يامالك فرخه . وذا التذم : الذى له ذمام والذمام العهد

(٣) الظن : النساء في الموادج .

يوثمد م وأبوم ، وخرجت خُتاس بنت مالك بن المخزب إحدى نساء بني مالك بن جشل مع ابنها أبي عزيز بن عُمير ، وهي أم مصعب بن عمير ، وخرجت غزرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة . وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بروحني أو مر بها ، قالت : وبها (١) أبا دُثمة أشفي واستشف ، وكان وحشي يكنى بأبي دُثمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بَيْهَتَيْن ، يحمل يطن التَّيْتَةُ من قناة على شفير الوادي ، مقابل المدينة .

وفيما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاورته القوم : قال فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إني قد رأيت واثقه خيرا ، رأيت بقرأ ورأيت في ذباب سبق ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة .

.. قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقرأ لي تدعج ، قال : فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سبني ، فهو رجل من أهل بني يثقل .

قال ابن إسحاق : فلما رأيت أن تقيروا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا فالتفاهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه في ذلك ، وألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين عن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، من كان فاته بدر يا رسول الله ، أخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا يجئنا عنهم وضغفنا ؟ فقال عبد الله بن أبي ابن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلنا علينا إلا أصابنا منه ، فدعهم يا رسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجحوا ورجحوا غائبين كما جاموا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حبب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ، فليس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بني النجار فضلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك .

فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا رسول الله : استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليه عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي ليبي إذا لبس لأمته أن يضمها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه . قال ابن هشام : واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس .

الأنصار الثلاثة : قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالقرط بين المدينة وأحد ، اغتزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى هلام تقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس فرجع بن أبيه من قومه من أهل النفاق والزئيب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني تيملة ، يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تغفلوا قوتكم وتبيسكم عندما حضر من صومهم ؛ فقالوا : لو فعل أنكم تهافتون لما أسلناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال . قال : فلما استصخوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فبيعتني الله محكم فيه .

قال ابن هشام : وذكر غير زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزمري : أن الأنصار يوم أحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ألا نستعين عطفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا بهم .

قال زياد : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ملك في حرة بني حارثة ، فذبح فرس بذئبه ، فأصاب كلاب سيف^(١) فاستله .

قال ابن هشام : ويقال : كلاب سيف .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحب الثقال ولا يعتاق^(٢) . لأصحاب السيف : ثم سيفك^(٣) ، فإن أرى السيف مشل اليوم .

ما كان من خروج الأنفاق حين ملك المسلمون حائفه : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كعب : أي من قريظة ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو عبيدة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، ففذه به في حرة بني حارثة ، وبين أمراءهم ، حتى ملك في مال لمرح بن قتيبي ، وكان رجلا مانقا ضرير البصر ، فلما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، ظم يجرى في وجوههم التراب ،

(١) الكلاب : مسمار في قائم السيف . (٢) اعتاق : قطع .

(٣) ثم سيفك : أشده .

ويقول : إن كنت رسول الله فإني لأحل لك أن تدخل ما على . وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أني لأصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر . وقد بدر إليه سعد بن زيد ، أخو بني عبد الأشهل ، قبل نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فصره بالقوس في رأسه ، فشجه .

نزول الرسول بأحد : قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، في غداة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال . وقد ترحلت قريش الظهر والكراع (١) في زروع كانت بالصنفة (٢) ، من قحاة للسلبين : فقال رجل من الأنصار حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أترهى زروع بني قحاة (٣) ولما تضارب وتبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو في سبعائة رجل ، وأمر على الزما عبد الله بن جبير ، أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ يثاب يعض ، والزما خمسون رجلا ، فقال : انضح (٤) الحبل عنا بأثبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا تؤثث من قبلك . وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، أخى بني عبد الدار .

الرسول يجيز من هم في الخامسة عشرة : قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثمرة بن جندب الفزاري ، ورافع بن خديج ، أخا بني حارثة ، وهما أبناء خمس عشرة سنة ، وكان قد ردما ، فقبل له : يا رسول الله إنه رافعا رام ، فأجازه ؛ فلما أجاز رافعا قبل له : يا رسول الله ، فإن ثمرة يصترع رافعا ، فأجازه . وورد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، أحد بني مالك بن النجار ، والبراء بن عازب ، أحد بني حارثة ، وعمرو بن حزم ، أحد بني مالك بن النجار ، وأستيد بن ظنبر ، أحد بني حارثة ، ثم أجازهم يوم الحندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتميات قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فارس قد جئبوا (٥) ، لجعلوا على يمينه الحيل خالد بن الوليد ، وعلى يسارها عكرمة بن أبي جهل . أبو دجانة وشجعائه : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحمته ؟

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الحبل . (٢) الصنفة مكان قرب أحد .

(٣) قحاة : أم الأوس والخزرج وينسبون إليها . (٤) انضح : ادفع .

(٥) جئبوا : جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة .

نقام إليه رجال ، فأمسكه منهم ، حتى قام إليه أبو دُجَّانة يتهكم بن خرقشة ، أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تقرب به المسدود حتى ينشئ ، قال : أنا آخذنه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دُجَّانة رجلاً شجاعاً يخالع عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أُعْلِمَ بمصابة له حراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه يقاتل ؛ فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصاه به تلك ، ففقتب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفيين .

قال ابن إسحاق : حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دُجَّانة يتبختر إليها يثبته يفضها الله ، إلا في مثل هذا الموطن .

أبو عامر الفاسق : قال ابن إسحاق : حدثني حاصم بن حمر بن قتادة : أن أبا عامر ، عبد عمرو بن قحيش بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلاً ، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش ومُجْدِبان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق . وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية : الزاهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق — فلما سمع ردهم عليه قال أصاب قومي بعدي شر ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راحتهم ^(١) بالحجارة .

أبو سفيان وأمرأته يعرضان قريشاً : قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب القواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد ولّيتُم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، ولما يؤتى الناس من قبل رأياتهم إذا زالت زالوا ، فلما أن تكفروا لواءنا ، ولما أن تخلفوا بيتنا وبينه فتكفكفوه ؛ فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نعلم إليك لواءنا ، سنعلم عدداً إذا التقينا كيف نصنع ؟ وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت هبة في النسوة اللاتي معهن ، وأخذت الدلو فبخرن بها خلف الرجال ، ويحرضهم ، فقالت هند فيما تقول :

وتيناً بنى عبد الناز ونيناً حماة الاديان
ضرباً بكلّ بئاز

وتقول :

إن مهيلوا نفاق وتقرش الثمارق^(١)

أو تدبروا فارق فراق غيب وامق^(٢)

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أميت ، أمت ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فاقبل الناس حتى حيث الحرب ، وقاتل أبو دُجانة حتى أمعن في الناس .

قال ابن هشام : حدثني غير واحد ، من أهل العلم ، أن الزبير بن العوام قال وجدت في نفسي حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فنقشه وأعطاه أبا دُجانة ، وقلت : أنا ابن صفيه منه ، ومن قريش ، وقد قت إليه فسأله إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لا نظرن ما صنع ؛ فاتبته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فغصب بها رأسه ، قتالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عصابة للموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تمصب بها فخرج وهو يقول :

أنا الذي طامستني خليلي ونحن بالسفح لدى التخييل
ألا أقوم للدمر في الكيول أطرب بسيف الله والرسول^(٣)

قال ابن هشام : وروى في الكيول^(٤) .

قال ابن إسحاق : لجعل لا يلقى أحداً إلا قتل . وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جرحاً

(١) الثمارق : الرسائل الصغيرة وكل ما يجلس عليه . (٢) الوامق : الحب .

(٣) قال أبو عبيد : الكيول آخر الصفوف ، قال : ولم يسمع إلا في هذا الحديث ، وقال الهروي مثل ما قال أبو عبيد ، وزاد في الشرح ، وقال سمي بكيول الزند ، وهي سواد ودخان يخرج منه آخر ، بعد القدر إذا لم يور ناراً ، وذلك شيء لا غناء فيه ، ويقال منه كال الزند ، كيول ، فالكيول فيجول من هذا ، وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب ، ولا يوكها ، هذا معنى كلامه لا لفظه . وقال أبو حنيفة الدينوري نحواً من هذا إلا أنه قال : كال الزند يكر ، بآله لا غيره عن الروض الأتق .

(٤) الكيول : القيد .

إلا ذنبت عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه . فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختنفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجاجة ، فاقامه بقرقه ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دجاجة فقتله . ثم رأى أنه قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزبير فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دجاجة يماك بن خزيمة : رأيت إنسانا يعيش الناس تحمها شديداً ، فاستدت له ، فلما حلت عليه السيف وتول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

استشهد حمزة : وقال حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أزواة بن شريشيل بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد الثفر الذين يحملون اللواء ثم مر به يسباع بن عبد العزى الغنصاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلينا يا بن مقطعة البطور — وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي .
قال ابن هشام : شريق بن الأخنس بن شريق . وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قال وحشي ، غلام جبير بن مطعم : والله إنى لا نظر إلى حمزة بن عبد المطلب (١) الناس بسيفه ما يليق (٢) به شيئا ، مثل الجبل الأورق (٣) إذ تقدمت إلى يسباع بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلم إلينا يا بن مقطعة البطور ، فضربه ضربة ، فكان ما أخطأ رأسه ، وهزرت حرقى حتى إذا وضعت منها دفعتها عليه ، ف وقعت في ثمنته (٤) حتى خرجت من بين رجله ، فأقبل نحوى ، فثلب فوقع ، وأملته حتى إذا مات جئت فأخذت حرقى ، ثم تمحيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشئ بحاجة غيره .

قال ابن إسحاق : وحشي بن عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن سليمان ابن يسار بن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال : خرجت أنا وعبد الله بن عبد بن الجيار أخو بني نوفل بن عبد مناف ، في زمان معاوية بن أبي سفيان ، فأدركتنا مع الناس (٥) فلما قلنا مررتنا بمحص — وكان وحشي ، مولى جبير بن مطعم ، قد سكنها ، وأقام بها — فلما

(١) جند : يهلك . (٢) ما يليق : ما يليق .

(٣) الأورق : مفر اللون . (٤) التنة : ما بين أسفل البطن إلى العانة .

(٥) أدركنا : اجتازنا الدهر ب .

عندئذها ، قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في أن تأتي وخصيا فأسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نأله عنه بمحصن ، فقال لنا رجل ، ونحن نأله عنه : إنكما مستجداه بفناء داره ، ومورجل قد غلبت عليه الحمر ، فإن تجداه صاحبا تجداه رجلا عريا ، وتجداه عنده بعض ما تريدان ، وخصيا عنده ما شئتما من حديث تسأله عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشي حتى جشاه ، فاذا هو بفناء داره على عتقة (١) له ، فاذا شيخ كبير مثل البغاث .

قال ابن هشام : البغاث : ضرب من الطير إلى السواد .

فاذا هو صاحب لا بأس به ، قال : فلما اتينا إليه سلنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي ، فقال : ابن لندى بن الخياط أنت ؟ قال نعم ؛ قال : أما والله ما رأيتك منذ ماوتك أمك البعدية التي أرحمتك بذي طوى ، فإني ناولتكها وهي على جبرها ، فأخذتك بعرصتها (٢) فلبست لي قدماك حين رفضك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت علي ففرقتما . قال : جلسنا إليه ، قلنا له : جنتك لحدثنا عن قتلك حمزة ، كيف تنقذ ؟ فقال : أما لي سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألتني عن ذلك ، كنت غلاما لجبر بن مطعم ، وكان عمه طهمة بن عدي قد أصيب يوم بدر ؛ فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبر : إن قتلت حمزة أقم عند بني فأتيت فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة ، فلما أخطى بها شينا ؛ فلما اتقى الناس خرجت أقطر حمزة وأبصره ، حتى رأيته في معرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدأ ، ما يقوم له شيء ، فوالله إنني لأتبعها ، أريده وأستمر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العري ؛ فلما وآه حمزة قال له : هلم إلي يابن مقطعة البطور . قال : ففصر به ضربة كان ما أخطأ رأسه . قال : وهزئت حرق ، حتى إذا رضيت منها ، دنبتها عليه ، فوقعت في فمها ، حتى خرجت مز بين رجلي ، وذهب ليثوه (٣) نحوي ، فقلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيتها فأخذت حرق ، ثم رجعت إلى العكر ، فعددت فيه ، ولم يكن لي بغيره ساجة ، وإنما قتله لأعق . فلما قدمت مكة أعتقت ثم أقت حتى إذا انتزع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فكثرت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بعتقت على المذاهب ، فقلت : الحق بالناس ، أو بالهين ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنني لفي ذلك من ممي إذ قال لي رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحدا من الناس دخل في دينه ، وتشهد شهادته .

(١) الطغصة : كل ما يجلس عليه كالسياط والوسائد والحصير والثوب .

(٢) برصيك : مجانيك . (٣) ينوء : ينهض متعبا .

فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يؤخه إلا لي فأما على رأسه أشهد بشهادة الحق ؛ فلما رأي قال : أوحشني ؟ قلت : نعم يا رسول الله قال : أقعد لحديثي كيف قتلت حمزة ، قال : لحديثه كما حدثكما ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك ! فبين عني وجهك . فلا أرتبك . قال : فكنت أحتك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخذت حربي التي قتلت بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأييت مسيلة الكذاب قائما في يده السيف ، وما أهرقه ، فتبأت له ، وتبأت له رجل من الانصار من الناحية الاخرى ، كلانا يريدته ، فهزئت حربي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقع فيه ، وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف ، فربك أعلم أيما قتله فإن كنت قتلته : فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلت شر الناس .

٦ قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وكان قد شهد اليمامة ، قال : سمعت يومئذ صارخا يقول : قتله العبد الأسود . قال ابن هشام : فبأنني أن وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلج من الديوان ، فكان همر بن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليجمع قاتل حمزة .

استشهد ابن مصعب : قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتل ، وكان الذي قتله ابن قتيبة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً . فلما قُتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبي طالب ، وقاتل على بن أبي طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثني مشقة بن علقمة المازني ، قال : لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار ؛ وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : أن تقدم الراية . فتقدم علي ، فقال : أنا أبو القمص (١) ،

(١) أبو القمص أو أبو القمص بالقاف ، كما قال ابن هشام ، وهو أصح ، وإنما قال علي - عليه السلام أنا أبو القمص من يارزني ، فالقصم : جمع قصمة ، وهي المعصاة المملكة ، ويجوز أن يكون جمع القصمي ، أي الباطنية التي تقصم . والذواهي القصم على وزن الكب ، وهذا المعنى أصح ؛ لأنه لا يعرف قصمة ، ولكنه لما قال أبو مسعود سيأتي حديثه بعد قليل أنا قاصم ، قال علي : أنا أقصم منك ، بل أنا =

ويقال : أبو القصم ، فيما قال ابن هشام - فتاده أبو سعيد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء
المشركين : أن له كل يك يا أبا القصم في الراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرز بين الصفيين ،
فاختلعا ضربتين فضربه على نصرته ، ثم أنصرف عنه ولم يجر عليه : فقال له أصحابه : أفلا
أجبرت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بثورته ، فطفتني عنه الرحم (١) ، وعرفت أن الله
عن وجل قد قتله .

ويقال : إن أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفيين ، فنادى : أنا قاصم من يارز جازا ،
فلم يخرج إليه أحد . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم في الجنة ، وأن قتلانا في النار
كذبتم واللات ! لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بضعكم ، فخرج إليه علي بن أبي طالب ،
فاختلعا ضربتين ، فضربه على قتله .

غير عاصم بن ثابت : وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل متسافح بن طلحة وأخاه
الجلال بن طلحة ، كلاهما يشعره سهما (٢) ، فأتى أمه سلة ، فبضع رأسه في حجرهما فتقول :
يا بني ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا حين رماني وهو يقول : غدا وأنا ابن أبي الأفلح .
فتبورت لأنك منها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يشرب
مشركا أبدا ، ولا يشرب مشرك .

وقال عثمان بن أبي طلحة يرمي ، وهو يعمل لواء للمشركين :

إن علي أذل الرأى حقا أن يخضبوا الصعدة أو تنقلا (٣)
قتله حرة بن عبد اللطاب .

== أبو القصم ، أى أبو الحسنات القصم والدوامى العظم ، والقصم كسريينونة ، والقصم : كسر
غير بينونة ككسر الضبيب الرطب ونحوه ، وفي التنزيل ما وكفصنا من قرية ، وفيه . لا
انقسام لها .

(١) وذكر ابن إسحاق أيضا هذا في غير رواية ابن هشام ، وقول علي إنه اتفاني بعورته ،
فأذكرني الرحم أو فطفتني عليه الرحم ، وقد فعلها علي مرة أخرى يوم صفين ، حمل علي بشرينه
أرطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته ، فانصرف عنه . ويروى أيضا مثل ذلك عن
عمر بن العاص ، مع علي - رضي الله عنه - يوم صفين ، وفي ذلك يقول الحارث بن الصخر
السهمي ، رواه ابن الكلبي وغيره :

أنى كل يوم فارس غير متته وعورته وسط الحاجة ياديه
يكف لها عنه على سنة ويضحك منه في الخلا معاوية
(٢) يشعره سهما : أى يصيبه به .
(٣) الصعدة : القناة .

حظلة غسيل اللاتكة : والتي حظلة بن أبي عامر الفسيل وأوسفيان ، فلما استلوا حظلة بن أبي عامر رآه شداد بن الأسود ، وهو ابن شعوب ، قد علا بأسفيان ، فضربه شداد فقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني حظلة أنفسيه لللاتكة . فسألوا أهله ما شأنه ؟ فسلكت صاحبه عنه . فقالت خرج وهو جُنب سمع الهاتمة .

قال ابن هشام : ويقال : الهاتمة . وجاء في الحديث : « خير الناس رجل بمسك بينان فرسه ، كلما سمع تحية طار إليها » . قال الطرمصاح بن حكيم الطائي ، والطرمصاح : الطويل من الرجال : أنا ابن حماة الجزي من آل مالك إذا جملت حور الرجال جميعاً (١) والبيعة : الضيعة التي فيها الفروع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسله اللاتكة .

شعر الأسود وأبي سفيان في قتل حظلة : قال ابن إسحاق : وقال شداد بن الأسود في قتله حظلة :

لأحسين صالحي ونفسي بطعتي مثلي شماعي الصميم
وقال أبو سفيان بن حرب ، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب لإياه على حظلة :

ولم أحل النماء لابن شعوب (٢)	ولوشئت نهنى كحيت طيرة
لأن كدوة حتى دنت لغروب (٣)	وما زال مهنى مزجر الكلب منهم
وأدفعهم عن بؤكني صليب	أفانهم وأدعي يالغالب
ولانسأى من عترة ونجيب	فبكي ولا ترقى مقالة عاذلي
وحق لم من عترة نصيب	أباك وإخوانا له قد تابخوا
قلت من التجار كل نجيب	وشلى الذي قد كان في الفيس أنى

(١) الحود : مفردة أخور : الرجل الضعيف .

(٢) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٣) أى لم يجد عنهم : إلا بقتل الموضع الذي يجر إليه الكلب ، والضمير للمستتر في

دنت الفرس .

ومن هاشم قوماً كريماً ونصيباً
ولو أني لم أشتب نفسي منهم
فأبوا وقد أودى الجلايب منهم
أصابهم من لم يكن لدمائهم
حصان وأحدث يردان على أبي سفيان : فأجابهم بن ثابت ، فيما ذكر ابن هشام فقال :

ذكرت الثروم الضيفة من آل هاشم
أعجب أن أفصدت حمزة منهم
ألم يتشارعوا ولحبة وابته
نقداء دعا العاصي قلياً فرائه
ولست يلاويز قلته بمضيب
يحميا وقد سميت بهنجيب
وشيفة والحجاج وابن حبيب
بضربك مضيبه بلة بمضيب

قال ابن إسحاق : وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه ، فقال :

وَرَزَلْناهُم بِابْنِ حَرْبٍ وَمَشْدِي
وَلَوْلَا سَهْمِي الْمَهْرُ بِالْغَيْبِ قَرَقَرْتُ
لَأَلَيْمَتْ يَوْمَ النِّعْبِ ظُهُرُ مُجِيب^(١)
ضَبَاعُ عَلَيْهِ أَوْضَاءُ كَلِيب^(٢)

قال ابن هشام : قوله عليه أوضاء ، عن غير ابن إسحاق يقول أن الحارث بن هشام :

جزيتكم يوماً يندى كيله
لقد صحت يدي أو أفتك نوائحا
على صاحب ذي قبيصة وشيب^(٣)
هلك ولم تحفل بمصائب حبيب
وإنك لو طابت ما كان منهم
لأبت بقلبي ما بقيت نجيب^(٤)

قال ابن هشام : وهذا أسأله الحارث بن هشام أباسفيان لأنه ظن أنه عرض به في قوله :

وما زال يهري مزيج الكلب منهم

لقرار الحارث يوم بدر .

- (١) الماشي : جمع جلاب ، والجلاب في الأصل : الإزار الخشن ، وكان المشركون يسمون من أسلم الجلابيب ، والخطب : اللعن النافذ .
- (٢) النعب : أسفل الجبل .
- (٣) قرقرت : أي أسرعت لتهشه .
- (٤) الساج : القرس السريع . والبيعة : الحقبة ، والشيب : أن يرفع القرس يده جميعاً في الجري .
- (٥) النعيب : الجبان .

الزبير يدكر سبب الهزيمة : قال ابن اسحاق . ثم أنزل الله نصره على المسلمين ومثقم وعده ، فحشروهم بالسيف (١) حتى كشفهم عن المعسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .

قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيته أظفر إلى خدّم حنّ حنّة وصواحبها مُشمّرات هوارب ، مادون أخذ من قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى المعسكر ، حين كشفنا القوم عنه وتخلّوا ظهورنا الخيل ، فأثينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ أربّ العقبة ، يعني الشيطان .

حدثنا يذكر شجاعة صواب : قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن اللواء لم يزل صريحا حتى أخذه عمرة بنت عقبة الحارثية ، فرفعه لقريش ، فلا ترواه (٢) . وكان اللواء مع صواب ، فسلم لبي أبي طلحة ، حبشي وكان آخر من أخذه منهم ، فقال له حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدرة وعقته حتى قتل عليه ، وهو يقول : اللهم لا . أخرت — يقول : أخرت (٣) — فقال حسان بن ثابت في ذلك :

تشرتم باللواء وشر علي	لواء حين رُد إلى صواب
جسلكم شتركم فيه يهيج	والأم من يظا تشر التراب
ملكتم ، والسبي قد تدارن	وما إن ذاك من أمي الصواب
بأن جسدنا يوما القينا	بمحك بينكم مهر الجياب (٤)
أقر الذين أن محصيت يدها	وما إن تُصبان على غضاب

قال ابن هشام : أخرها يظا يروى لأبي غرashed المذل ، وأنشدني له شبيب الأحمري :

أقر الذين أن محصيت يدها وما إن تُصبان على غضاب

في أبيات له ، يعني امرأة ، في غير حديث أحد تروى الآيات أيضا لقنن بن خويلد المذل .

حدثنا في شجاعة عمرة الحارثية : قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت في شأن عمرة بنت عقبة الحارثية ورفها اللواء :

(١) حشروهم : تكلمهم .

(٢) لا ترواه : اجتمعوا عليا . (٣) كان يدها لكنه قلب المثل إلى التراب .

(٤) الرابطة ما وضع فيه الناس من الجاهل .

إذا عَصَلٌ سَبَقَتْ إِلَيْنَا كَأَنهَا
جَدَائِدُ شَرِكٍ مُعَلَّاتٍ الْحَوَاجِبِ (١)
أَقْبَا لَمْ طَعْنَا مُبِيرًا مُتَكَلِّيًا
وَحَزَنًا مٌ بِالضَرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَلَوْلَا لَوَاهُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا
يُبَايِعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلَائِبِ (٢)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات له .

ما أصاب الرسول يوم أحد : قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتهميش ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خَلَصَ العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فَدُتْ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لَهْقَهُ (٣) ، فَأَصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَكَلَبَتْ شَفَتُهُ ، وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عَنِيَّةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ .

قال ابن إسحاق : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الطَّوِيلِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ :

كسرت رِبَاعِيَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَشَجَّ فِي وَجْهِهِ ، لَجُمِلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَهْلُ يَمْسَحُ الدَّمَ وَمَوْقُولٌ : كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ خَضِعُوا وَجْهَهُ نَبِيَّهُمْ ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى رَجْعِهِمْ ؟ فَأَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ : لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ

قال ابن هشام : وذكر أبو عبيد الرحمن بن أبي سعيد الغندري عن أبيه ، عن أبي سعيد الغندري : أن عَنِيَّةَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَمَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ ، فَكَسَرَتْ رِبَاعِيَّةَ الْيَمَنِ السَّفْلَى ، وَجَرَحَتْ شَفَتَهُ السَّفْلَى ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ شَجَّهُ فِي جَبْهَتِهِ ، وَأَنَّ ابْنَ قَيْثَةَ تَجَرَّحَ وَجْهَهُ فَدَخَلَتْ حَقَّتَانِ مِنْ حَقِّ الْفَقْرِ (٤) فِي وَجْهِهِ ، وَوَقَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَفْرَةٍ مِنَ الْحَفَرَاتِ عَلَى أَبِي عَامِرٍ لَقِيَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ؛ فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَفَعَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا ، وَمَعَ طَالِكُ بْنُ سَيْتَانَ ، أَبُو أَبِي سَعِيدٍ الْغَنْدَرِيُّ . الدَّمُ : عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَزْدَرَدَهُ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَسْ دَمِي دَمَهُ لَمْ تَحْبِبْهُ النَّارُ .

قال ابن هشام : وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمُوتُ عَلَى وَجْهِهِ الْأَرْضَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ .

-
- (١) عَصَلٌ : اسم قبيلة . والجداية : الصغير من ولد الطلي . وشرك : موضع .
(٢) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق لبيع فيها . (٣) الشق : الجانب .
(٤) الفخر : خلق يحمل على الرأس يتق به ضرب السلاح في الحرب .

وذكر ، يعني عبد العزيز الدراودي ، عن إسحاق بن يحيى بن شبيب ، عن حماد بن عمار ، عن عائشة ، عن أبي بكر الصديق : أن أبا حبيدة بن الجراح نزع إحدى الخفين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت يمينه ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت يمينه الأخرى ، فسكان ساقط الخفين .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت لعنبة بن أبي وقاص :

إذا الله جازى معشراً بفعلهم	وحرم الرحمن ربّ المشركي
فأنشأك ربّي يا حبيب بن مالك	وثألك قبل الموت إحدى الصواعي
سقط يميناً - لثقي تمسداً	فأدعى كاه - قطعت بالبورقي (١)
فهلأ ذكرت الله والمنزل الذي	صير إليه عند إحدى البواقي

قال ابن هشام تركا منها يمين أقنعه فيها .

من شجاعة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين غشيه القوم : من رجل يشري لنا نفسه ؟ كما حدثني الحسين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد بن الشنن في نفر خمسة من الأنصار - وبعض الناس يقول : إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن - فقالوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجلا ثم وجلا ، يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقال حتى أثبتت الجراحة ، ثم قامت فئة من المسلمين ، فأجهضوم (٢) . عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه مني ، فأدنوه مني فوسده قدمه ، فأت وسده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وقامت أم عمارة ، تسليته بنت كعب المازنية يوم أحد .

فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري : أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي يقاء فيه ماء ، فأتيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في أصحابه والدولة والريح (٣) للسليلين . فلما انهزم المسلمون ، انخرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) البوارق : السيوف .

(٢) أجهضوم : أزالهم .

(٣) تزيث بالريح : إقبال المصير .

قمت أباشر القتال : وأذبت عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خَلَصَت الجراح إلى قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له عَور ، فقلت : من أصابك هذا ؟ قالت : ابن قُنة أَقَاهُ (١) الله ! لما ولي الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا تجرت إن نجما ، فاعترضت له أنا ومُصَيب بن عير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَانة نفسه ، يهجم التَّيْل في ظهره ، وهو منحن عليه ، حتى كَثُرَ فيه التَّيْل . وروى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يناولني التَّيْل وهو يقول : ارم ، فذاك أبي وأمي ، حتى إنه يناولني السهم ماله نصل ، فيقول : ازِم به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَمِيَ عن قوسه حتى اندقت سَيْبُهَا (٢) ، فأخذها قَتَادَةُ بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وَجْته .

قال ابن إسحاق : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردما يده ، فكانت أحسن عييه وأحدهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني قَيْسِ بْنِ التَّجَار ، قال : أتته أنس بن التَّضَر ، هم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد اتَّقُوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قَتِيلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فقتلوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل : وبه سمى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : لحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن التَّضَر يومئذ سبعين ضربة ، فأعرفه إلا أخته ، عرفته ببناته .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فَوْهُ يومئذ خُمُ (٣) ، وجرَّحَ حشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله ففَرَّجَ .

(١) أَقَاهُ الله : أَذَلَّهُ الله .

(٢) سَيْبُهَا : كسرت نتيجته .

(٣) خُمُ : طرفه .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، وقول الناس : قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما ذكر لي ابن شهاب الزهري - كعب بن مالك ، قال : عرف عيينة تزهران^(١) من تحت الغنجر ، فنادت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأشار لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتبعه .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب ، وطلحة بن أبي طالب ، وطلحة بن محمد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن القسمة ، ورهط من المسلمين .

مقتل أبي بن خلف : قال : فلما أَسَد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لا تَهْوَتْ إِنْ تَهْوَتْ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ؛ فلما دنا ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر من الحارث بن القسمة ؛ يقول بعض القوم ، فيما ذكر لي : فلما أخذ ما رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها ، تطاير الشعراء من ظهر البعير إذا انتفض بها - قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لَدَغٌ - ثم استقبله فطمع في حقه طمعة تَدَادُ منها

قال ابن هشام : تَدَادُ ، يقول : تَتَلَبَّ عن فرسه فجعل يتدحرج .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندي العوذ ، فرسا أعطينه كل يوم قرصاً^(٢) من ذرة ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في حقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلتني والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس : قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فو الله لو هبط على لقتلني . فأتى عدو الله يسيرف^(٣) وهم قافلون به إلى مكة .

(١) تزهران : قضبان .

(٢) القرص : مكيا ل يسع اثني عشر رطلا .

(٣) سرف : مكان على ستة أميال من مكة .

قال ابن إسحاق : قتال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد وُثِرَتِ السَّلَاقَةُ عَنْ أَيْمِهِ أُنِيَ يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أُتِمَّتْ إِلَيْهِ تَحْيِيلُ رِمِّ ظَهْمِهِ وَتَوَعَّدَهُ وَأَنْتَ بِهِ يَهْوِلُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو الْحَارِ مِنْكُمْ أُمِيَّةً إِذْ يُقَوِّتُ : يَا عَقِيلُ
وَسَبَّ ابْنَا رِيعةً إِذْ أَطَاعَا أَبَا جَهْلٍ . لِأَمَّتِيهَا الْمَهْجُولُ (١)
وَأَنْتَ نَارُثٌ لِمَا شَغَلْنَا بِأَسْرِ الْقَوْمِ ، أَسْرَهُ طِيلُ (٢)

قال ابن هشام : أسره : قيله .

وقال حسان بن ثابت أيضا في ذلك :

أَلَا مَنْ يُبْلِغُ حَتَّى أَيْتَا لَقَدْ أَقْبَيْتَ فِي مُسْحَقِ السَّعِيرِ
نَحْنِي بِالضَّلَاقَةِ مِنْ بَعِيدٍ وَتَحْسِبُ أَنْ قَدَرْتَ مَعَ التُّنُورِ
تَمَيِّكَ الْإِمَانِي مِنْ بَعِيدٍ وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
قَدَّمَ لَأَهْلِكَ طَلْعَهُ ذِي يَحْفَظُ كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي الْجُورِ (٣)
هُ نَزَلَ عَلَى الْأَسْيَاءِ طَرًّا إِذَا تَابَتْ مَلَأَتْ الْأُمُورِ

التهجد الرسول إلى الشعب : قال : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج إلى بن أبي طالب ، حتى ملا ذرقته ماء من المهراس (١) ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم . فوصف حتى وأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دنى وجهه نبيه .

عنه ابن أبي عمير وقاص يعرض على قتل نجية : قال ابن إسحاق : لحدثني صالح بن كيسان عن حدثي عن محمد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حرمت على قتل رجل قط كعرضي قتل نجية بن أبي وقاص ، وإن كان ما علمت لسيء الخلق ميقنا في قومه ، ولقد كفاني منه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من دنى وجهه رسوله .

عن محمد بن سعد إلى قريش الجبل : قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب أتته أولئك الأنفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل .

قال ابن هشام : كان على تلك النخيل خالد بن الوليد .

- (١) المهجول : المتهزبون .
(٢) الطيل : المهراس : ماء بأس .
(٣) الحفاظ : الغضب .

قال ابن إسحاق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينفي لهم أن يملؤنا
مقاتل عمر بن الخطاب ورعط معه من المهاجرين حتى أبطوهم من الجبل .

معاونة طلحة للرسول : قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
صخرة من الجبل ليملؤها ، وقد كان يذن (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين يديهم ،
فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به ،
حتى استوى عليهما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن
الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوماً يقول : (أوجب) (٢) طلحة حين صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغني عن يكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يلجأ الدرجة المبينة في الشعب .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى حفصة : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد
تأخداً من الجراح التي أصابته ، وصلى للمسلمون خلفه فموءاً .

مقتل الإيمان وابن وقش وابن حاطب : قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى التقي ، دون الأعرص .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع حُصَيل بن جابر ، وهو اليَمان أبو حذيفة بن اليَمان ،
وثابت بن وقش في الأظلام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران :
ما أأنا لك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا يبقى لواحد منا من عمره إلا ظمؤ (٣) يمار ، إنما نحن قامة (٤)
اليوم أو غداً ، أفلا فأخذ أسيفنا ، ثم نلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا
شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذنا أسيفهما ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ،
ولم يعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُصَيل بن جابر ، فاختلقت عليه

(١) بدن : ضحك . (٢) أوجب : وجبت له الجنة .

(٣) يضرب لقب الأجل ، فالظمه ما بين الشريتين والحار لا يصبر على العطش .

(٤) الهامة . كما تزعم العرب . طائر يخرج من رأس القنبل يصبح اسقوني اسقوني لايسكت
حتى يؤخذ بثأره .

أسياق المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : آي ، فقالوا : واقة إن عرفناه . قال ، حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني حاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأُتي به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : فأبشر يا بن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخاً قد عتتا في الجاهلية ، فنجّم يومئذ نفاقه ، فقال : بأي شيء تبشرونه ؟ الجنة من حرمل (١) : غرّتم والله هذا الغلام من نفيه .

مقتل قرمان منافقا : قال ابن إسحاق : وحدثني حاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أُرِيَ (٢) لا يدري من هو ، يقال له : قرمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذكر له : إنه من أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً . فقتل وحده ثمانية . أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأنبته الجراحة . فاحتل إلى دار بني ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قرمان ، فأبشر ، قال : بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولو لا ذلك ما قاتلت . قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من ركائنه ، فقتل به نفسه .

قتل عيريق : قال ابن إسحاق : وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق ؛ وكان أحد بني ثعلبة بن النضير ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليه السلام الحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لا سبت لكم . فأخذ سيفه ومجده ، وقال : إن أصبت فإلى محمد يصنع فيه ماشاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما بلغنا - مخيريق خير يهود .

الحارث بن هويد : قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سُوَيْد بن صامت منافقا ، نخرج يوم أحد مع المسلمين ، فلما اتى الناس هذا على الجذري بن زياد البليوي ، وقيس بن زيد ، أحد بني حنيفة ، وقتلها ، ثم لحق بمكة بقريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكر -

(١) قال السهيلي : من حرمل ، يريد الأرض التي دفن فيها ، وكانت تلبس الحرمل ، أي ليس له جنة إلا ذاك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ١٧٧ .

(٢) آي : غريب .

قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاه ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجلاء ابن مؤيد يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني ، عن ابن عباس : « كيف يبدي الله قوما ككروا بعد إيمانهم ، ويشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ، والله لا يبدي القوم الظالمين ، إلى آخر القصة » .

قال ابن هشام : حدثني من أتى به من أهل العلم : أن الحارث بن مؤيد قتل الجند بن زياد ولم يقتل قيس بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره في قتل أحد ، وإنما قتل الجند ، لأن الجند بن زياد كان قتل أبيه سويدا في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حواط المدينة ، وعليه ثوبان مضرجان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن عفان ، فصرب عنقه ، ويقال : بعض الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سويد بن معاذ بن عفره غيلة ، في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم يعات .

أمر أصهريم : قال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحد ، عن أبي هريرة قال : كان يقول : حدثني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أصهريم بن عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأصهريم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في حرم الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . وقال : فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا بهم ، فقالوا : والله إن هذا للأصهريم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمتكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ؟ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحبب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلت ، ثم أخذت سيفي ، ففدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات . في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

عمرو بن الجموح ومقتله : قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن ريار ، عن أشياخ من بني سلة : أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد الترج ، وكان له ثوب أربعة مثل

الأُسَدُ ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل : قد عذرك ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن يوتي يريدون أن يجهدوني عن هذا الوجه ، والخروج مَعَك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بقرحتى هذه فى الجنة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمتنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد (١) .

هَند وتمثيلها بجمرة : قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة ، كما حدثنى صالح بن كيسان ، والنسوة اللاتي معاً ، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجهدن (٢) الأذان والآقت ، حتى أخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً (٣) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائد ما وقَّرتُها وخشياً ، غلام مجير بن مطعم ، وقرت عن كيد حمزة ، فلاكتها فلم تستطع أن تبيها : فلنظمتها ، ثم طلت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جويانكم يوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات شعير
ما كان عن عتبة لى من صير	ولا أخى وعنه ويكرى
شقيت نفسى وقضيت ندرى	شقيت وحشئ غليل صدرى
فكُفِّر وحشئ على عمرى	حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابها هند بنت أُمَامَةَ بن عَبَّاد بن المطلب . فقالت :

تجريت فى بدر وبعد بدر	يا بنت وقاع عظيم الكفْرِ (٤)
صبحك الله غداة النجر	يلهاشمين الطوال الزُهر (٥)

(١) وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال: اللهم لا تردنى ، فاستشهد لجملة بنوه على بعير ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجوهه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله : اللهم لا تردنى إليها ، فدفنوه فى مصرعه ، انظر الروض ج٣ ص ١٧٧ .

(٢) يمدن : يقطعن . (٣) الخضم : الخلائيل .

(٤) الوقاع : كبير الوقوع فى الدنيا . (٥) ملهاشمين : أرادت من الهاشميين ، والامر : البيض .

بكل قطاع نحاس يفرى نحره ليلى وعلى عقرى
إذ رام شيب وأبوك غدرى تلحسبامته ضواحي النحر (١)

وتنزيك السوء فترنلر

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة آيات أقذعت فيها .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت حبة أينا :

شقيقت من حمزة نفسى بأخذ حتى بقرت بطنه عن الكبذ
أذقتنى ذاك ما كنت أجد بن لدعوى الحزن الشديد المجدد
والحرب تلوكم بشؤوب برذ تقدم إقداما عليكم كالأسد (٢)

قال ابن إسحاق : لحدثني صالح بن كيسان أنه حدث : أن عربن الخطاب قال لحسان ابن ثابت : يا ابن الأرمية - قال ابن هشام : الأرمية بنت خالد بن خنيس : ابن حارثة بن قوذان ابن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو تيممت ما تقول هند ، ورايت أشرما قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ؟ قال له حسان : والله لاني لا نظر إلى الحرب تهوى وأنا على رأس فارع - يعني أطلعة - قلت : والله إن هذه لسلح ما هي بسلح العرب ، كأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدري ، لكن أسمعني بعض قولها أكفيكموها : قال : فأئفده عربن الخطاب بعض ما قالت ، فقال حسان بن ثابت :

أثيرت لكراع وكان طائها لوما إذا أثيرت مع الكفرة (٣)

قال ابن هشام : وهذا البيت في آيات له تركناها ، وأيانا أيضا له على الدال : وأيانا آخر على الدال ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقد كان الخليل بن دؤبان ، أخو بنو الحارث بن عبد تناء ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قد مر بأبي سفيان ، وهو يضرب في شندق حمزة بن عبد المطلب بزع الرضع ويقول ذق : فحق : فقال الخليل : يا بني كنانة ، هذا سيد قریش يصنع بآب عمه ماترون لما (٤) ؟ فقال : ويحك ! اكتمها حتى ، فإنها كانت زلة .

(١) شيب : أرادت شعبة فرحمته بخبر نداء وهو قليل لضرورة الشعر . ضواحي النحر :

ما ظهر من أعلى الصدر (٢) الشؤوب : الدفعة الشديدة من المطر .

(٣) لكراع جعله اسما لما في غير النداء ، وذلك جائز ، وإن كان في النداء أكثر نحو يا غدار .

ويافساق ، وكذلك لكع ، قد استعمل في غير النداء . (٤) أي ميتا لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

أبوسفيان يسمت بالمسلمين : ثم إن أباسفيان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال أنفتت فقال^(١) ، وإن الحرب سجال يوم يوم ، أغلّ قبل ، أى أظهر دينك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فأجبه ، فقل الله أعلى وأجل ، لا ستواء^(٢) ، قتلاتنا في الجنة ، وقتلاك في النار . فلما أجاب عمر أباسفيان ، قال له أبوسفيان : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انتبه فانظر ما شأنه ، فجاء ، فقال له أبوسفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق هندی من ابن قنّة وأتر ؛ لقول ابن قنّة لهم : إني قد قتل محمداً .

قال ابن هشام : واسم ابن قنّة عبادة .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبوسفيان : إنه قد كان في قتلك مثل ؛ واقه ما رضيت ، وما شيعت ، وما تبيت ، وما أمرت .

ولما انصرف أبوسفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيتنا وبينكم موعد .

على يهجر في آثار قريش : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، : أخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل^(٣) . وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وسافروا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لن أراهم ولا سيرن إليهم فيها ، ثم لأنا جزمهم . قال على : فخرجت في آثارهم فانظر ماذا يصنعون ؛ فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .

بعد بن الربيع : وفرغ الناس لقتلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني ، أخو بني النجار : من رجل ينظر في ما فعل

(١) أى بالناس في فعلنا .

(٢) أى لأنهم سواء ولا يجوز دخول لأعلى اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار نحو لا زيد قائم ، ولا عمرو خارج ، ولكنه جاز في هذا الموضع ، لأن القصد فيه إلى نفي الفعل ، أى لا يستوى كما جاز لأنوك ، أى : لا ينبغي لك .

(٣) جنبوا الخيل : قادروا إلى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة .

سعد بن الربيع ؟ في الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار (١) : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد ، فظفر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق . قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر ، أي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ قال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عن السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن تخلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عین تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ؛ قال : لحث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو بكر الزبيري : أن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق ، وبنت السعد بن الربيع حارية صغيرة على صدره يرشها ويقبها ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير مني ، سعد بن الربيع ، وكان من الثقباء يوم العقبة ، وشهد بدرأ ، واستشهد يوم أحد . الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالنائلة : قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، يلتبس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده يطن الوادي قد تفرطته من كبده ، ومثل به ، فليدع الله وأذناه .

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى : لو لأن تحزن صفية ، ويكون ثمة من بعدى لتركه ، حتى يكون في بطون السباع ، وهو أصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمتن بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى للسلون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغظه حل من فعل بعنه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظهرنا الله بهم يوماً من الدهر لثقل بهم ثقل لم يثقل أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال لن أصاب مثلك أبداً ! ما وقتت موقفاً قط أغبط إلى من هذا ! ثم قال : جاني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

(١) الرجل : هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدي ، وذكر أنه نادى في القتلى : يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، قال يا سعد إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرسلني أنظر ما صنعت ، فأجابه حيث د بصوت ضعيف ، وذكر الحديث ، وهذا خلاف ما ذكره أبو هريرة في كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده أن الرجل الذي القى سعداً في القتلى هو : أي بن كعب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة أرضعهم مولاة لأن لحب^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن سفيان بن فروة الأسدي، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني من لا أنهم، عن ابن عباس: أن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول أصحابه: «إن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به»، ولئن صبرتم لمو خير للصابرين. واصبروا صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تأكل في ضيقكم مما همكروا، ففارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبر ونهى عن المثلة.

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن الحسن، عن ثمرة بن جندب، قال: ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، ويتأنا عن المثلة^(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أنهم عن يقسم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمرة فسجى^(٣) يثردة ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتل فيوضعون إلى حرة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة^(٤).

(١) هي ثوبية.

(٢) والراوى هو حميد بن ثرويه، ويقال: ابن ثري يكي أبا حميدة مولى طلحة الطلحات، وهو حديث صحيح في التهي عن المثلة. فإن قيل: فقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمرئين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، وتركهم بالحره.

قلنا: في ذلك جوابان: أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم وسملوا أعينهم، روى ذلك في حديث أنس، وقيل: إن ذلك قبل تحريم المثلة. فإن قيل: فقد تركهم يستسقون فلا يسقون، حتى ماتوا عطشاً، قلنا عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم: تلك القليلة، روى في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما أتى وأهله تلك الليلة. بل ابن، قال: اللهم عطش من عطش أهل بيت نبيك. وقع هذا في شرح ابن بطال، وقد أخرجه النسوى.

(٣) سجى: غطى.

(٤) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجوب: أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث، فإن ابن إسحاق قال: حدثني من لا أنهم، يعني: الحسن بن عماره — فيما جد.

قال ابن إسحاق : وقد أقبلت فيما يلتقى ، صفة بنت عبد المطلب لتظن إليه ، وكان أخاها -
 لبيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزهراء بن العوام : ألقها فأريحها ،
 لا ترى ما بأخبا ، فقال لها : يا أُمّهُ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى ،
 قالت : ولم ؟ وقد يلتقى أن قد مثل بأخى ، وذلك فى الله ، فإأرضانا بما كان من ذلك ؟
 لأحسن ولاصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزهراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره
 بذلك ، قال : خلّ سبيلها ، فأنته ، فظنرت إليه ، فصلت عليه ، واسترجعت ^(١) ، واستغفرت له ،
 ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

وفى الشهادة : قال : فرغم لى آل حميد الله بن جحش — وكان لامية بنت عبد المطلب ،
 مرة غالة ، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة ، إلا أنه لم يقر عن كبده — أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم دفنه مع حمزة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

==ذكروا== — ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عماره عند أهل الحديث ، وأكثرهم لا يروته شيئاً .
 وإن كان الذى قال ابن إسحاق : حدثنى من لآتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والجمل يوثقه .
 والوجه الثانى : أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله — صلى الله عليه
 وسلم — أنه صلى على شيد فى شيء من مغايرته إلا هذه الرواية فى غزوة أحد ، وكذلك فى
 مدة الخلفتين إلا أن يكون الشهيد مرتناً من المعركة وأما ترك غسله ، فقد أجمعوا عليه ، وإن
 اختلفوا فى الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين ، والمعنى فى ذلك — والله أعلم —
 تحقيق حياة الشهداء وتهديق قوله سبحانه . ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ،
 الآية — مع أن فى ترك غسله معنى آخر ، وهو أن دمه أثر عبادة ، وهو يحيى يوم القيامة وجرحه
 يشعبدماً وريحه ريح المسك ، فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة ، ومن هذا الأصل انزع
 بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء ، وهو قول الزهري ، قال الزهري : يلتقى
 أنه يوزن ، ومن هذا الأصل انزع كراهية السواك بالمشى للصائم لئلا يذهب خلوف فم ،
 وهو أثر عبادة ؛ وجه فيه ما جاء فى دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ريح المسك ، ويروى
 أطيب يوم القيامة من ريح المسك . رواه مسلم بالغطين جميعاً ، والمعنى واحد ، وجهات
 الكراهية للسواك بالمشى للصائم عن على وأبى هريرة ، ذكر ذلك الدارقطنى . .

(١) استرجعت : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فهو فعل منحوت من الجلة ؟ مثل :
 حوقل وبسمل واستعاذ إلى آخر هذه الأفعال المنحوتة .

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلام إلى المدينة ، فدفنهم بها ، ثم سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : أدفنهم حيث صُرعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُتَيْرِ المَدَنِيِّ ، حليف بني زهرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على القتلى يوم أحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه ما من جريح يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدي جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك ، أظفروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن ؛ فاجملوه أمام أصحابه في القبر — وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

قال : وحدثني حمى موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدي ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ ، حين أمر بدفن القتلى : أظفروا إلى عمرو بن أطلوح ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجملوهما في قبر واحد .

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فأتته خثمة بنت جحش ، كما ذكر لي ، فلما لقيت أناس شئى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مُصَـبِّ بن مُخَيْر ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوج المرأة منها لمكان ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال ابن إسحاق : ومرو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وقَلْقَرٍ ، فسمع البكاء والنوائح على قتلام ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكن حمزة لا يواكى له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمراندهم أن يتحزن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم عن قُبَادِ بن حُصَيْن ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : أرجعن برحمتي الله ، فقد آتيتن ^(١) بأنفيكن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن التَّوَحُّع .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاهن ، قال : رحم الله الأنصار ! فإن المراساة منهم ما علمت لقديمة ، مروهن فليصرفن .

المرأة الديارية : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نواها ، قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كاتحين ، قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلال : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو هائلا من القليل . قال : امرؤ القيس في الجلال القليل :

لقتل بني أسيد ربهم ألا كل شيء سواه جلل

قال ابن هشام أى صغير قليل : قال ابن هشام : والجلال أيضاً العظيم : قال الشاعر ، وهو الحارث بن وضاءة الجزى :

ولئن صفوت لأعفون جللاً ولئن سطوت لأوفين عظمى

غسل السيوف : قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله تناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلى عن هذا دمه يابئة ، فوالله لقد صدقت اليوم ، وناولها على بن أبى طالب سيفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلى عنه دمه ، فوالله لقد صدقت اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سيل بن خنيفة وأبو دجاجة . قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن ابن أبي نجيع قال : نادى مناد يوم أحد : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا على

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب : لا يصيب المشركون مثلاً حتى يفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم الأحد يوم السبت لثلاثين من شوال .

غزوة حراء الأسد

قال : فلما كان الله من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، فأذن مؤذنه أن لا يخرج من أحد إلا أحد حضر يومئذ بالأمس . فسلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ؛ فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفي على أخوات لي سبع ، وقال : يا بني ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلف على أخواتك ؛ فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه . ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا العدو ، ولييلعهم أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم من عدوهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بني عبد الأشهل كان شهد أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي أو قال لي : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابة تركها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحا ، فكان إذا غلب حملته كُفِّت ، ومشي عقبة ، حتى أتيتنا إلى ما انتهى إليه المسالون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام : قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال : وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عقيد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشركم عتية نصح (١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بهتامة ، صفقتهم (٢) معه ، لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوردنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء .

(١) صفقتهم : اتفلقهم .

(٢) عتية نصح الرجل : مكن سره .

الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقالوا: أصبنا جد أصحابه وأشرافهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم، لننكرن على بقيتهم، فلنفرغن منهم. فلما رأى أبو سفيان مقبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تطلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحق عليكم شيء. لم أر مثله قط؛ قال: ويحك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن تحمل حتى أرى نواصي الخيل؛ قال: فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم، لنستأصل بقيتهم، قال فإني أنهلك عن ذلك؛ قال: والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أياً نأ من شر؛ قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تُهدُّ من الأصوات راحتي	إذا سالك الأرض بالجرود الأبايلي ^(١)
تردى بأشد كرام لا تسابلي	عند اللقاء ولا يبسل معازيلي ^(٢)
فقلتُ عدوا أظن الأرض مائلة	لما تنموا رئيسي ضمير مخدول
قلت: ويل ابن حرب من لئائكم	إذا تغططت البطحاء بالجليل ^(٣)
إني نذير لأهل البئيل ضاحية	لكل ذي إذ يتو منهم ومعتول ^(٤)
من جيشي أحمد لا تخشي تابة	وليس يوصف ما أنذرت بالقبيل ^(٥)

حتى ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومر به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولم؟ قالوا: نريد المدينة؛ قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحتل لكم هذه غداً وزيها بعاظ إذا وافيتوما؟ قالوا نعم؛ قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فوالركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجره الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان؛ فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) الجرد: العتاق من الخيل والابايل: الجماعات.

(٢) تردى: تسرع. والتابله: القصار. والميل: الذين لارماح معهم. والمعازيل: العزل من السلاح.

(٣) تغططت: أمترت. والجليل: الصنف من الناس.

(٤) أهل البيل: قريش. والضاحية: الظاهرة للشمس. والإربة: العقل.

(٥) الوحش: رذلة الناس.

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد ، أراد الرجوع إلى المدينة ، ليستأمل بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان بن أمية بن خلف : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حاربوا (١) ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا ، فرجعوا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يحمره الأسد ، حين بلغه أنهم صووا بالرجعة : والذي نفسي بيده ، لقد سوّمت (٢) لهم حجارة ، لو صُبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن النخعة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا حزة الجحفي ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره بدر ، ثم منّ عليه : فقال : يا رسول الله ، أفلني : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تسمح عارضتك بمكة بعدما وهول : خدعت عمداً مرتين ، اضرب عقه يازبير . فضرب عقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين . اضرب عقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عقه .

قال ابن هشام : ويقال : إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلوا معاوية بن النخعة بعد حمره الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، حل أنه وجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى فقبضهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فرجدها فقتلاه .

شأن عبد الله بن أبي قحافة بعد غزوة أحد : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول ، كما حدثني ابن شهاب الزهري ، له مقام يقومه كل جمعة لا يتكرر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فاضمروه وقرّروه ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون يشابهه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي صدو الله ، لست لذلك بأهل . وقد صممت ما صممت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكانما قلت لجحراً (٣) أن قت أشد أمره . فلقبه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلاك ؟ قال : قت .

(١) حاربوا : غضبوا . (٢) سوّمت : علمت . (٣) الجحر : الأمر العظيم .

أشد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبتني ويعنفوني ، لكأنما قلت لجُحراً أن قت أشد أمره ؛ قال : ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله ما أبتى أن يستغفر لي .

تمحيص المؤمنين يوم أحد : قال ابن إسحاق : كان يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المنافقين ، فمن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه ، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال : فكان ما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاناة من عاتب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لئن لم يكن الله عليه وسلم : « ولذا قدوت من أهيك تبوء المؤمنين مقاعد القتلى ، والله صميعٌ عليهم » .

قال ابن هشام : تبوء المؤمنون : اتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكشي بن زيد : ليتنى كنت قبلة . قد تبوأ مقاعد .

وهذا البيت في آيات له .

أي صميع بما قولون ، طيم بما تخفون .

« ولذا صحت طائفتان منكم أن يفقلا » : أي تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سلمة بن جيش بن الحارث ، وبنو سارته بن الكيث من الأوس ، وهما الجناحان يقول الله تعالى : « واقفوا لهما » ؛ أي المدايع ضهما مامتا به من فضلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووقن أصابهما غير شك في دينهما ، فتولى دفع ذلك ضهما برحمته وعاملته ، حتى سلما من وهنهما وضعفهما ، ولحقا بهنهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثني رجل من الأسد بن أذل العلم ، قال : قالت الطائفتان : ما نحب . ألقا لم نهم بما همينا به ، لنولي الله إيانا في ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » : أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على ، وليستن به ، أعنه على أمره ، وأدافع عنه ، حتى أبلغ عنه ، وأقويه على نيته . « ولقد نصركم الله يدي وأتم أذلة ، فاقهوا الله لعلكم تشكرون » : أى فاقوه ، فإنه شكر نعمتي . « ولقد نصركم الله يدي » وأتم أقل عدداً وأضعف قوة « إذ تقول للذين آمنوا أن يكفيتكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بل إن تصبروا وتيقنوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومةين » : أى إن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وجههم هذا ، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن هشام : مسومين : معلمين . بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنه قال : أعلوا حل أذنان خيلهم ونواصيا بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيام يوم بدر عمام بيضاء . وقد ذكرت ذلك في حديث بدر . والبياء : العلامة . وفي كتاب الله عز وجل : « سيام في وجوههم من أثر السجود » : أى علامتهم . و « حجارة من يجيل منضود مسومة » يقول : معلمة . بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال روية بن العجاج :

فَالآنَ تُبْلَى بِي الْجَيَادُ الشُّمَمُ وَلَا تُجَارِفِي إِذَا مَا سَوَّوْا (١)

وَشَخَّصَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَجْدَمُوا (٢)

. وهذه الآيات في أرجوزة له . والمسومة أيضاً : المرجية ، وفي كتاب الله تعالى : « والحيل المسومة » و « شجر فيه تسيمون » . تقول العرب : سوم خيله وإبله ، وأسامها : إذا راعها . قال الكحيت بن زيد :

رَاعِبَا كَانَ مُسِجِحَا ففقدنا : هُ وَفَقَدَ الْمُسِيرُ هُلَاكَ السَّوَامِ

قال ابن هشام : مسجحاً : سلس السياسة محسن إلى النعم . وهذا البيت في قصيدة له .

« وما جعله الله إلا ليشتري لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، وما نصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » : أى ما سميت لكم من سميت من جنود ملائكتي إلا بشري لكم ، ولتطمئن قلوبكم ، لما أعرف من ضعفكم ، وما نصر إلا من عندى ، لسلطاني وقدرتي ، وذلك أن العزيز

(١) الجياد : الخيل العتاق . والشمم : العابسة .

(٢) أجدموا : أسرعوا .

والحكم إلى، لا إلى أحد من خلقى. ثم قال: «ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكتبهم فيقتلوا خائين»، أى ليقطع طرفاً من المشركين يقتل يقتلهم به منهم، أو يردم خائنين: أى ويرجع من بقى منهم فلا خائنين، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون.

قال ابن هشام: يكتبهم: يغممهم أشد الغم، ويغمهم ما أرادوا. قال ذو الرمة:

ما أنس من شجني لأنس موقفاً في حيرة بين سرور ومكروب

ويكتبهم أيضاً: يصرهم لوجوههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس لك من الأمر شيء، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم فإنهم ظالمون»: أى ليس لك من الحكم شيء في عبادى، إلا ما أمرتك به فيهم، أو أتوب عليهم برحمتى، فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فبحق. «فإنهم ظالمون». أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم لى «والله غفور رحيم»: أى يغفر اللذنب ويرحم العباد، على ما فيهم (١).

ثم قال: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة»، أى لا تأكلوا فى الإسلام، إذ هذا كمال الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره، بما لا يحل لكم فى دينكم «واقبوا الله لعلكم تفلحون» أى فأطيعوا الله لعلكم تتجرون بما حذركم الله من عذابه، وتذكرون ما رغبكم الله فيه من ثوابه، «واقبوا النار التى أئدت للكافرين»، أى التى جعلت داراً لمن كفر به.

(١) وفى الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاصى، حتى أنزل الله تعالى: «ليس لك من الأمر شيء، أو يتوب عليهم»، قال: فتأبوا وأسلموا، وحسن إسلامهم، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه وفى موته شهيداً بالشام، وأما عمرو بن العاصى، فقد قال فيه النبى عليه السلام: «أسلم الناس وآمن عمرو»، وقال فى حديث جرى، ما كانت هجرى للمال، وإنما كانت لله ورسوله، فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح، فسيما: رجلاً صالحاً والحديث الذى جرى: أنه كان قال له لى أريد أن أبعتك وجهاً يسلك الله فيه، ويضعك، وأزعب لك زعبة من المال.

ثم قال : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » معاتبه للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره . ثم قال : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنتي عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين » : أى داراً لمن أطاعوا وأطاع رسول الله . « الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الفيتة ، والمعينين عن الناس ، والله يحب المحسنين » : أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ، « والذين إذا فعلوا فاحشةً أرذلوا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يَغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظللوا أنفسهم بمصيبة ذكروا نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وما حرم عليهم ، فاستغفروا لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى لم يقيموا على مصيبتى كفعل من أشرك في فيما غلوا به في كفرهم ، وهم يعلمون ما حرم عليهم من عبادة غيري . « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها ، ونعم أجر العاملين » : أى ثواب المتطيعين .

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قد خلقت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فأنظروا كيف كان عاقبة المكذبين » : أى قد مضت مني وقائع تقم في أهل التكذيب لرسلي والشرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فأروا تبشلات قد مضت مني فيهم ، ولن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني ، فإنى لأمايت لهم : أى لئلا يظنوا أن قمتى انقطعت عن عدوك وعدوى ، للدولة التي أدلتهم بها عليكم ، ليتبينكم بذلك ، ليعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى : « وهذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » : أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ، وهدى وموعظة ، أى نور وأدب ، للمتقين ، أى لمن أطاعني وعرف أمرى . « ولا يهنأ ولا تحزنوا » : أى لا تضعفوا ولا تنجسوا على ما أصابكم ، « وأتمموا الصلوة » : أى لكم تكون العاقبة والظهور ، إن كنتم مؤمنين » : أى إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به صلى الله عليه وسلم . « إن يمشيكم قرح فقد مئس القوم قرح مثله » : أى جراح مثله ، « وتلك الأيام ندأوها بين الناس » : أى نصرها بين الناس للبلاء والتمحيص ، ولعلم الله الذين آمنوا ، ويشهدكم شهادة ، والله لا يحب الظالمين » : أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين نبيي وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة فوالله لا يحب الظالمين » : أى المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرة على المصيبة . « وليخص الله الذين آمنوا » : أى يختار الذين آمنوا حتى يخاصهم بالبلاء الذي نزل بهم ، وكيف صبرهم وقيمتهم ، ويحق الكافرين » : أى يعطى من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به .

ثم قال تعالى : « أم حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ » : أى حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ ، فَتَصِيرُوا مِنْ ثَوَابِ الْكِرَامَةِ ، وَلَمْ أُخْتَبَرْكَمُ بِالْعُسَةِ ، وَأَبْلَيْتُمْ بِالْمَكَارِهِ ، حَتَّى أَعْلَمُ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْكُمْ بِالْإِيمَانِ بِي ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِيَّ ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمُنُّونَ الشَّهَادَةَ عَلَى الَّذِينَ أَمْتُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ ، يَعْنِي الَّذِينَ اسْتَهْزَؤُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا خَرُجَ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ ، لِمَا فَاتَهُمْ مِنْ حُضُورِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ يَدِيرُ ، وَرَغْبَةً فِي الشَّهَادَةِ الَّتِي فَاتَتْهُمْ بِهَا ، فَقَالَ : « وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمُنُّونَ لِلْمَوْتِ مِنْ قَبْلِي أَنْ تَلْقَوْهُ » يَقُولُ : « فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » أى الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ فِي أَيْدِي الرِّجَالِ قَدْ خَلَى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ صَدَمَ عَنْكُمْ . « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ » ، فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَتَلَبَّثْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَتَلَبَّثْ عَلَى حَقِيَّتِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا . وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ : أى لِقَوْلِ النَّاسِ : قُتِلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْهَزَمَ مِنْهُمْ حَتَّى ذَلِكَ ، وَانْصَرَفَ عَنْ عَدُوِّهِمْ . فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ، وَجَعَلْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كُفْرًا كَمَا كُنْتُمْ ، وَتَرَكْتُمْ جِهَادَ عَدُوِّكُمْ ، وَكُتِبَ اللَّهُ . وَمَا خَلَفَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ دِينِهِ مَعَكُمْ وَحَدِّكُمْ ، وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِ أَنَّهُ مَيِّتٌ وَمَفَارِقُكُمْ ، « وَمَنْ يَتَلَبَّثْ عَلَى حَقِيَّتِهِ » : أى يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ . « فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا » : أى لَيْسَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا مَلِكُهُ وَلَا سُلْطَانُهُ وَلَا قُدْرَتُهُ ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ : أى مَنْ أَطَاعَهُ وَعَمِلَ بِأَمْرِهِ (١) .

ثم قال : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا » : أى أَنْ لِحَمْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَلًا هُوَ بِاللَّهِ ، فَإِذَا أُذِنَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ كَانَ . « وَمَنْ يُزِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا قُوَّةً مِنْهَا وَمَنْ يُزِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ قُوَّةً مِنْهَا ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » : أى مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْآخِرَةِ ، قُوَّتُهُ مِنْهَا مَا قَسَمَ لَهُ مِنْ رِزْقٍ ، وَلَا يَعْلَمُ فِيهَا ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حِظٍّ . « وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ قُوَّةً مِنْهَا ، مَا وَعَدَ بِهِ ، مَعَ مَا يَجْزِي عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَذَلِكَ جِزَاءُ الشَّاكِرِينَ ، أى الْمُتَّقِينَ .

(١) ظَهَرَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ حِينَ أَهْلُ الرَّدَةِ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، فَلَمْ يَضُرَّ ذَلِكَ دِينَ اللَّهِ ، وَلَا أُمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُسَمَّى : أَمِيرَ الشَّاكِرِينَ لِذَلِكَ ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ حَلَالَتِهِ ، لِأَنَّهُ الَّذِي قَاتَلَ الْمُتَقِلِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ حِينَ رَدَّهُمْ إِلَى الدِّينِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ ، وَكَانَ فِي قَوْلِهِ مَسْجَانَةٌ : « وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ سَيُظْفَرُونَ بَيْنَ ارْتِدَائِهِمْ وَتَكْمُلِ طَعْمِ النِّعْمَةِ ، فَيَشْكُرُونَ ، فَتَحْرِيصُهُمْ لِإِيْمَانِهِمْ عَلَى الشُّكْرِ — وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى نِعْمَةٍ — دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بِلَاءَ الرَّدَةِ لَا يَطُولُ ، وَأَنَّ الظُّفْرَ بِهِمْ سَرِيعٌ ، كَمَا كَانَ .

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتقتلوا عشرين » : أى
 عن عدوكم ، فذهب دنياكم وأخرتكم « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » ، فإن كان ما تقولون
 يالستكم صدقا في قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستصروا غيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين
 عن دينه . « سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب » : أى الذى به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا ؟
 بى ما لم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمت
 بى ، وانبعث أمرى ، للمصيبة التى أصابكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى
 للمصيبة ، وعصيت بها التى صلى الله عليه وسلم . « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسبونهم ياذبه ،
 حتى إذا أنشبتهم وتنازعتم فى الأمر ، وتحصيتهم من بعد ما أراكم مالمحبون ، منكم من يريد الدنيا ،
 ومنكم من يريد الآخرة ^(١) » ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين .
 أى وقد قويت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحصنهم بالسيف ، أى القتل ،
 بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام : الحش الاستئصال : يقال : حشست الشيء : أى استأصلته بالسيف وغيره
 قال جرير :

تَحْشَمُ السَّيْفُ كَمَا تَسَاقِي حَرِيْقُ النَّارِ فِي الْأَجَمِ الْحَصِيدِ ^(٢)

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

إِذَا شَكُونَا سَنَةً حَسَوْنَا

فَأَكُلُ بَعْدَ الْأَخْضِرِ الْيَبَسَا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : « حتى إذا قُتِلْتُمْ » : أى تخاذلتم وتنازعتم فى الأمر ، أى اختلفتم فى

(١) وقوله « ومنكم من يريد الآخرة » قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان
 أميرا على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فبقيت معه طائفة ،
 فاستشهدوا ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ،
 ففكر عليهم العدو ، وكانت للمصيبة ، انظر الروض الأقب بتحقيقنا ج ٣ ص ١٩٤

(٢) تساقى : ارتفع . والاجم : جمع أجمة . الشجر الكثير للثف .

أمرى ، أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة « وخصيتم من بعد ما أراكم ماتمحين » أى التفتيح ، لاشك فيه ، ومزية القوم عن نسايتهم وأموالهم ، « منكم من يريد الدنيا » : أى الذين أرادوا التهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة « ومنكم من يريد الآخرة » : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لمرض من الدنيا ، رغبة فيها ، وجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة : أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لمرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك يبعث ذنوبكم ، ولتد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لا يهلككم بما أنيتم من معصية نبيكم ، ولكنى عدت بفضل طيكم ، وكذلك من الله على المؤمنين ، أن عاقب بعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدا وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل ما فيه من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما فهم من الإيمان .

ثم أنهم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يذعنون لا يبطفون عليه لدعائه إياهم ، فقال : « إذ تضرعون ولا تلوون على أحد : والرسول يدعوكم فى أخراكم ، فأتاكم غما بغيره ، لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم » : أى كريا بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ، وعلو صدركم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما يتابع عليكم غما بغيره : لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ، من ظهوركم على صدركم ، بعد أن رأيتوه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم ، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم « والله خير مما تعملون » . وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ، أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم ، مان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم ، والمصيبة التى أصابهم فى إخوانهم ، حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم . « ثم أنزل عليكم من بعد الغم ، أمنة مما ينقى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر لله فويل ، يخفون فى أنفسهم ما لا يدون لك » يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما فقتلنا ما هنا ، قل لو كنتم فى ميوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلي الله ما فى صدوركم ، وليحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور ، « فأنزل الله التماس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل الإنان قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبه ، فذكر الله عز وجل تلامذتهم وحمولتهم على ما أصابهم » ثم قال الله سبحانه وتعالى صلى

الله عليه وسلم : « قل لو كنتم في بيوتكم ، لم تحضروا هذا الوطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم ولتزلزل الأرض » لاخرج الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجيعهم ، إلى موطن غيره فيقتربون فيه ، حتى يبتلى به مافي صدورهم ، وليتقص مافي قلوبكم ، والله علم بذات الصدور : أي لا يخفى عليه مافي صدورهم عما استخفوا به منكم .

ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى ، لو كانوا عندنا ما ماتوا وقاتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ، والله يحبي ويحبب ويحبب الله ما تعلمون بصير : أي لا تكونوا كاللناقين الذين يهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله ، والضرب في الأرض في طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وقاتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ، لقلة اليقين برهم ، والله يحبي ويحبب : أي يجعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من أجلهم بقدرته . قال تعالى : « ولئن قُتلتم في سبيل الله أو قُتلتم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » : أي إن الموت لكائن لا بد منه ، قوت في سبيل الله ، أو قتل ، خير لو طلوا وأبقوا مما يجمعون من الدنيا التي لما يتأخرون عن الجهاد ، تحرق الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ، ولئن قُتلتم أو قُتلتم ما في ذلك كان لإلّا الله تحشرون : أي إن إلى الله المرجع ، فلا تفرنكم الدنيا ، ولا تموتوا بها ، وليكن الجهاد ومارغبكم الله فيه من ثوابه آتياً عندكم منها .

ثم قال تبارك وتعالى : « فما رحمة من الله إئت لهم ، ولو كنت قفلاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » : أي لتتركوك « فاعف عنهم » : أي فتجاوز عنهم « واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر » ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ، فذكر لئله صلى الله عليه وسلم لئله لهم ، وصبره عليهم ، لضعفهم ، وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم في كل ما خالفوا عنه . مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : « فاعف عنهم » : أي تجاوز عنهم ، « واستغفر لهم » ذنوبهم ، من قارف^(١) من أهل الإيمان منهم « وشاورهم في الأمر » : أي ليريه أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنيا عنهم ، تألفا لهم بذلك على دينهم « فإذا عزمت » : أي على أمر جامعك مني وأمر من دينك في جهاد طوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرت به ، على خلاف من خالفك ، وموافقة من وافقك ،

«وتوكل على الله»، أى ارض به من العباد، «إن الله يحب المتوكلين»، «إن ينصركم الله فلا غالب لكم»، وإن يخذلكم فخذلكم الذى ينصركم من بعده، «أى لئلا تترككم أمري للناس»، وارضض أمر الناس إلى أمري، وعمل الله لعل الناس، فليتوكل المؤمنون.

ثم قال : « وما كان لبي أن يفلح ، ومن يفلح يأت بما غلّ يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » : أى ما كان لبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رغبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه : غير مظلوم ولا معتمد عليه ، « أفن اتبع رضوان الله ، على ما أحب الناس أو سخطوا » كن بأه بسخط من الله ، لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفن كان على طاعتي فتواه الجنة ورضوان من الله كن بأه بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان « ماواه جهنم وبئس المصير » أسوأ المنازل ! أعارفوا . « هم درجات عند الله » والله بصير بما يعملون ، لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل مصيبته .

ثم قال : ولقد مثل الله جل المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين : أي لقد مثل الله جل عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أهدتكم ، وفيما علمتم فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتصلوا به والشر فتبتعدوا ، ويخبركم برضاء حكمكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، ولتتخلصوا بذلك من أقمته ، وتتركوا بذلك ثوابه من جهته وإن كنتم من قبل لفي ضلال مبين : أي لفي ضلال من الجاهلية ، أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة صم عن الخير ، بكم عن الحق ، غمى عن الهدى .

ثم ذكر المصيبة التي أصابهم ، فقال : « أَوَلَمْ أَصَابَكُم مَّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَهَا قُلْتُمْ : أِنِّى هَذَا ؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ، إِنْ لَأَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » : أى إن تلك أصابكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثلها قبل من عدوكم ، في اليوم الذي كان قبله يدر ، قتلا وأسرا ونسيتم مصيبتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحلتم ذلك بأنفسكم . « إِنْ لَأَنْتُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » : أى إن الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير . وما أصابكم يوم التقي الجحمان فيأفئ الله ويلعب المؤمنين : أى ما أصابكم حين التقيتم وأنتم وعدوكم فيأفئ ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتكم وعدى ، ليعين بين المؤمنين والمنافقين « وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَوْا مِنْكُمْ : أَىٰ يَظْهَرُ مَا فِيهِمْ » ، وقيل لهم تعالوا فأنظروا في سبيل الله أولئك هؤلاء .

يعنى عبد الله بن أرق وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد ، وقولهم : لو تعلم أنك تقاتلون لسننا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكنا لا نظن أنه يكون قتال . فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم . يقول الله عز وجل : **وَمِنَ الْكُفَرِ يَوْمَئِذٍ أَكْثَرُ مِنْهُمْ الْإِيمَانُ** ، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، أى يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم ، والله أعلم بما يكتمون : أى ما يخفونه الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا معكم من عشائركم وقومهم : **« لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فاذتروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين »** : أى أنه لا بد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم إنما فاقفوا وتركوا الجهاد في سبيل الله ، حرصا على البقاء في الدنيا . وفراراً من الموت .

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : **يرغب المؤمنين في الجهاد ، ويهون عليهم القتل : « ولا تحتجئ الذين قاتلوا في سبيل الله أموالاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فحينئذ بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** ، أى لا تظن الذين قاتلوا في سبيل الله أموالاً : أى قد أحييتهم ، فهم عندى يرزقون في روح الجنة ونضلاً ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم : أى ويمتدحون بلحق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب عنهم الخوف والحزن . يقول الله تعالى : **يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** ، لما طابوا من وفاء الموحدة ، وعظيم الثواب .

مصير قتلى أحد : قال ابن إسحاق : وحديث إسماعيل بن أمية ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« لما أصيب لإخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن تقييلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزعجوا في الجهاد ، ولا يتكلموا عن الحرب »** ، فقال الله تعالى : **فَأَنزَلْنَا بِهِمْ حُكْمًا ، فَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ : « وَلَا تَحْزَنُوا »** .

قال ابن إسحاق : وحديث الحارث بن الفضيل ، عن محمد بن يزيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« الشهداء على نارٍ نهر يباب الجنة ، في قبعة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وحشيا »** .

قال ابن إسحاق : وحديث من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » فقال : أما إننا قد سألتنا عنها فقيل لنا إنه لما أصيب لإخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد في أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى فناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلالة فيقول : يا عبادي ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربنا لا نفوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلالة ، فيقول : يا عبادي ، ما تشتهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا نفوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلالة ، فيقول : يا عبادي ، ما تشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لا نفوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم ترد إلى الدنيا ، فنقتال فيك ، حتى تقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن حنبل ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشركم يا جابر ؟ قال قلت : بلى يا نبي الله ، قال : إن أبأك حيث أصيب بأحد أحياء الله عز وجل ، ثم قال له : ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أي رب ، أحب أن تردني إلى الدنيا فأقتال فيك ، فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن حميد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا ، فيقتال في سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » أي الجراح ، وهم للزمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح : « الذين أحسنوا منهم واتخذوا أجرًا عظيمًا » الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، « والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، الفر من عبد القيس » الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ؟ قالوا إن أبنا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عز وجل : « فاقبلوا ببيعة من الله وفضل لم يمسهم سوء » ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ، « لا صرف الله عنهم من لقاء عدوهم » ، إنما ذلكم الشيطان ، أي لا أولئك الرعد وما ألقي الشيطان على أفواههم . يخوف أوليائه : أي يرهيبكم بأوليائه ، « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » ولا يخونك الذين يسارعون في الكفر : أي المنافقون « منهم من يضروا الله شيئاً » يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ، ولهم عذاب عظيم . إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ولهم عذاب أليم ، ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم عهداً

لأنفسهم ، إنما نل لهم ليزدادوا إنما ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليكثر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب : أي للناقين ، وما كان الله ليطلقكم على النيب : أي فيا يريد أن يتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ، ولكن الله يجتبي من ربه من يشاء أي يجعله ذلك ، فآمنوا بالله ورسوله ، وإن تؤمنوا وتقرأوا : أي ترجموا وتوبوا ، فلكم اجر عظيم .

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، ثم من بني هاشم بن عبد مناف : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، ورضي الله عنه ، قتله وحشي ، غلام نجيد بن قلمع .

ومن بني أمية بن عبد شمس : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بني أسد بن خزيمه .
ومن بني عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير ، قتله ابن قنعة الليثي .
ومن بني عزم بن قنقلة : شماس بن عثمان ، أربعة نفر .

ذكر من استشهد بأحد من الأنصار : ومن الأنصار ، ثم من بني عبد الأشيل : عمرو بن حماد بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، ومحارة بن زياد بن السكن .

قال ابن هشام : السكن : ابن رافع بن امرئ القيس ، ويقال : التكنن .

قال ابن إسحاق : وسلة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجلا .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي عاصم بن عمرو بن قتادة : أن أباما ثابتاً قتل يومئذ ، ورفاعة ابن وقش . وحصيل بن جابر ، أبو حذيفة وهو النيمان ، أصابه السيلون في المعركة ولا يدرون ، فتصدق حذيفة بدية على من أصابه ، وعثيق بن قتيلى . وسجاب بن قتيلى . وعبد بن سهل ، والحارث بن أوس بن حماد . اثنا عشر رجلاً .

ومن أهل رائج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلى بن زهراء بن جهم .
ابن عبد الأشيل ، وعبد بن النيمان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن النيمان .

وحبيب بن يزيد بن تميم . ثلاثة نفر .

ومن بني ظفر : يزيد بن خاطب بن أمية بن رافع . رجل .

ومن بني عمرو بن عوف ، ثم من بني ضمرة بن ليد : أبو خنيفة بن الحارث بن قيس .

ابن زيد، وسخلة بن أبي عامر بن صبيح بن نعمان بن مالك بن أمية، وهو غسيل الملاكمه قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمية بن ضبيعة .

قال ابن إسحاق : ومن بني حيد بن زيد : أقيس بن قتادة . رجل .

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حنيفة ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حنيفة : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرواة . رجلان .

ومن بني السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خيثمة أبو سعد بن خيثمة . رجل .

ومن خلفائهم من بني التجلان : عبد الله بن سلة . رجل .

ومن بني معاوية بن مالك : مسيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيثمة . رجل .

قال ابن هشام : ويقال : سويق بن الحارث بن حاطب بن هيثمة .

قال ابن إسحاق : ومن بني النجار : ثم من بني سواد بن مالك بن غنم : عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن غنم . أربعة نفر .

ومن بني مبدول : أبو هيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن تقيف بن مالك بن مبدول، وعمرو بن مكرزف بن علقمة بن عمرو . رجلان .

ومن بني عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المنذر . رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : ومن بني عدي بن النجار . أنس بن النضر بن ضئيم بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار . رجل .

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، هم أنس بن مالك : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بني مازن بن النجار : قيس بن غنم ، وكيسان ، عبد لهم . رجلان .

ومن بني دينار بن النجار : سليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو رجلان .

ومن بني الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن الربيع بن عمرو

ابن أبي زهير ، ذناب بن قير واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب ، ثلاثة نفر .

ومن بني الأبر، وم بنو خثرة : مالك بن سنان بن حيد بن ثعلبة بن حيد بن الأبر
وهو أبو أبي سعيد الخدري .

قال ابن هشام : اسم أبي سعيد الخدري : سنان ؛ ويقال سعد .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن مسويد بن قيس بن طامر بن عباد بن الأبر ؛ وعنه بن ربيع ،
ابن رافع ؛ بن معاوية ، بن حيد ، بن ثعلبة ، بن حيد ، بن الأبر . ثلاثة نفر .

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة
ابن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ؛ وثقف بن فروة بن البليث . رجلان .

ومن بني طريف ، رهط سعد بن مجادة : عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش
ابن ثعلبة بن طريف ؛ وضرة ، حليف لهم من بني لحيثة . رجلان .

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم ، ثم من بني مالك بن العجلان بن زيد بن
غنم بن سالم : قنول بن عبد الله ؛ وعباس بن مجادة بن قنلة بن مالك بن العجلان ؛ وتعمان بن
مالك بن ثعلبة بن بغير بن غنم بن سالم ؛ والمجدل بن زياد ، حليف لهم من بني ؛ ومجادة بن الحشاش .
وهن الثعمان بن مالك ، والمجدل ، وعباد في قبر واحد . خمسة نفر .

ومن بني الحليل : رفاعة بن عمرو . رجل .

ومن بني سلة ، ثم من بني حرام : عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ؛ وعمرو
ابن الجحجح بن زيد بن حرام ، دفنا في قبر واحد ؛ وتخلد بن عمرو بن الجحجح بن زيد بن حرام ،
وأبو أيمن ، مولى عمرو بن الجحجح . أربعة نفر .

ومن بني سواد بن قنم : سليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه خثرة ، وسهل بن قيس بن
أبي كعب بن القين . ثلاثة نفر .

ومن بني زريق بن طامر : ذكوان بن عبد قيس ، وحيد بن الحلي بن لؤذان . رجلان .

قال ابن هشام : حيد بن الحلي ، من بني حبيب .

قال ابن إسحاق : لجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المهاجرين والأنصار . خمسة وستون رجلا .

قال ابن هشام : وعن يذكركم ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ،
ثم من بني معاوية بن مالك : مالك بن نجمة ، حليف لهم من مخزومة .

ومن بنى خُطمة - واسم خُطمة : عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خُطمة .

ومن الحُزرج ، ثم من بنى سواد بن مالك : مالك بن إياس .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار : إياس بن عدي .

ومن بنى سالم بن حوف : عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصي من أصحاب الفراء : طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة : عبد الله بن عبد المزي بن عثمان بن عبد الدار ، قتله علي بن أبي طالب ، وأبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص . قال ابن هشام : ويقال : قتله علي بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وسامع بن طلحة ، والجللاس بن طلحة ، قتلها عاصم بن ثابت بن أبي الأثبع . وكلاب بن طلحة . والحارث بن طلحة ، قتلها قُزَمان ، حليف لبني ظُفَر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلاباً عبد الرحمن بن حوف .

قال ابن إسحاق : وأزطاة بن عبد شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة ابن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عبيد بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزَمان : وعُثُوب غلام له جنى قتله قُزَمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علي بن أبي طالب ، ويقال : سعد بن أبي وقاص ويقال أبو دُجَانة .

قال ابن إسحاق : والقاسم بن شُرَيْح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزَمان أحد عشر رجلاً .

ومن بنى أسد بن عبد المزي بن قصي : عبد الله بن حيد بن زهير بن الحارث بن أسد . قتله علي بن أبي طالب رجل .

ومن بني زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف لهم ، قتل على بن أبي طالب ، وشتاب بن عبد العزى - واسم عبد العزى : عمرو بن قنقلة بن غبشان بن شائم بن ملبكان بن أقيص - حليف لهم من خزاعة ، قتل حمزة بن عبد المطلب . ورجلان .

ومن بني مخزوم بن يقظة ، هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتل قُزَمان : والوليد بن العاص . ابن هشام بن المغيرة ، قتل قُزَمان : وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتل على بن أبي طالب ، وعالمه بن الأعم ، حليف لهم ، قتل قُزَمان . أربعة نفر .

ومن بني بَجْع بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن محمد بن وهب بن حذافة بن بَجْع ، وهو أبو عزة ، قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن بَجْع ، قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . رجلان .

ومن بني عامر بن لؤي : حُثَيْدَة بن جابر : وشَيْبَة بن مالك بن المضرب ، قتلها قُزَمان . ورجلان .

قال ابن هشام : و يقال : قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود .

قال ابن إسحاق : بجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين ، اثنان وعشرون رجلاً .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحاق : وكان ما قيل من الشعر في يوم أحد ، قول هُتَيْرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد نصران بن مخزوم - قال ابن هشام : طائفة : ابن عريان بن مخزوم .

ما بال هم عيني بات يفرقني	بالرؤد من ههنا إذ صعدوا ردينا ^(١)
بات تماثلي منسداً وتعلاني	والحرب قد شعلت هني مؤالها
ملا فلا تمذلني إن من شلاني	ما قد طميت وما إن لست أخفيها
مساعداً لبني كعب بما كفوا	حال عبي وأقالي أعانها
وقد حلت سلاحي فوق مشيرفي	سأط سبوح إذا تجرى ياربا ^(٢)

(١) العميد : شديد الحزن . والموادى : الشواغل .

(٢) مشيرف : ينتح الزاء اسم مفعول . أي فرس تنظر الناس إليه لحسه .

كأنه إذ جرى عسيرٌ بفدقٍ
من آلٍ أخرجَ يرتاحُ التديُّ له
أعدته ورزاقُ الحدِّ مُتَحَلَا
هذا وبضاة مثل النشوي لحكمة
سقنا كنانة من أطرافِ ذى يمن
فالت كنانة : أنتى تذهبون بنا ؟
نحن القوارسُ يوم الجزِّ من أحمدي
هابوا يضربا وتلعنا صادقا تحذما
نُمت رحنا كأننا عارضٌ برِّد
كان هاقمهم ضد الوقى فلق
أوحظل دذعته الرغى في عُصِي
قد تبدل المالُ سحاً لأحساب له

تَكْدَمُ لَاحِقُ بِالْمَوْنِ يَحْمِيَا (١)
كيجدع شتراة مُستعلي مرقابها (٢)
ومارنا بالخطوب قد ألقابها (٣)
نيطت على فإ تبدو مساويرها (٤)
عرض البلاد على ما كان يرجعها (٥)
قلنا : التخيّل ، فأقوها ومن فيها (٦)
هابت معدة فقلنا نحن نأتمها (٧)
تأترزون وقد ضُمت بقواصها (٨)
وقام هام بنى التجار يتيكها (٩)
من قبض رُبد فقتة عن أدايحها (١٠)
بالى تعاوَزُهُ منها سوافها (١١)
وتلعنُ الخيلَ شُزراً في مآقيها (١٢)

(١) يشبه حصانه بجمار وحشى وهو العير . والتدفدة : الصحراء والمكسم : المضوض والمون : القطيع من حمر الوحش .

(٢) الأعوج اسم فرس مشهور في العرب ومنه الأعرجيات أى الخيل الجيدة . والتدي المجلس من القوم والشعراء : نخلة كثيرة الأغصان .

(٣) رفاق الحد : السيوف والمتحل : المتخير : والمارن هنا : الرمح اللين .

(٤) البضاة : الدرع ، والنهى : التقدير . ونيطت علفت .

(٥) عرض البلاد : سعتها . ويرجعها : يسوقها .

(٦) يريد بالتخيّل : المدينة المنورة .

(٧) الجر : أصل الجبل .

(٨) الخنم : المذل .

(٩) العارض : السحاب ، والهام جمع هامة وهى ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من ر

القتيل يصبح اسقوفى حتى يؤخذ بنار القتل .

(١٠) الفلق : القطيع . والقبض : قشر البيض والرضى : النعام . والأداحى : أماكن تبيض فيها النعام .

(١١) تعاوَره : تداوله . السوافى الرياح التى تحمل التراب والرمل .

(١٢) تبدل المال سحاً : نجمود كثيراً . والشزر : العطن عن يمين وشمال

وليلتي يهطل بالقرن جازوها
وليلتي من مجتدي ذات أنديو
لا يلبح الكلب فيها غير واحد
أودت فيها لذي الغراء جاحة
أورنتي ذاكم عسرو ووالله
كانوا يمارون أنواء النجوم فا
يختص بالقرن الميرين داعها (١)
مجزيا مجايد قديت أسرها (٢)
من القرين ولا تسمى أفتها (٣)
كالبرقي ذاكبة الأركان أحيا (٤)
من قبله كان بالمشي يغالها (٥)
دنت عن السورة العليا مساعها (٦)

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سُفِّمَ كنانة جهلا من سفامتك
أوردتموها حياض الموت ضاحية
جسمتموها أحابشا بلا حسب
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قلت
كم من أسير فككتاه بلا فني
وَجَزَّ ناصيق كما توالها
إلى الرسول لجند الله غزها
فأثار موعدها ، وأثقل لاقها
أئمة الكفر غرتكم طواغيسها
أهل القليب ومن ألقبه فيها

قال ابن هشام : أنشدتها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

قال ابن هشام : وبنت هيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه :

وليلتي يهطل بالقرن جازوها
يروي لجنوب ، أخت عمرو ذي الكلب الهذلي ، في أبيات لها في غير يوم أحد .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هيرة بن أبي وهب أيضا :

الأهل أتى غسان عنا ودوتهم
صحار وأعلام كأن قناتهما
من الأرض تحرق سيرة متنع (٧)
من البعيد تنق حابدة متقطع (٨)

(١) النقي : دعوة قوم دون قوم وعندما الجفيل قال الشاعر :

نحن في المشتاة ندعو الجفيل
لأرى الأدب فينا يفتقر

(٢) أندية : جمع ندى وهو المجلس . ومجريا : شديدة البرودة ومجادية نسبة إلى حماد وقد
سمى بهذا الاسم إذ صادف مجيئه وقت تجمد المياه .

(٣) القرين : البرد مع الصقيع (٤) الجاحة : الملائكة .

(٥) المني : المرة بعد الأخرى . (٦) دنت : قصرت . السورة : المنزل .

(٧) الخرق : القلاء . والمتنع : المضطرب .

(٨) الأعلام : الجبال . والقنم : ما أسود من الأشياء . والنقع : النيار .

تظل به الزلُّ العراميسُ زُرْحًا
 به يَجْتَفُ الحسرى يلوح صليها
 به العينُ والآرامُ يشين خلفه
 مجالدا عن ديننا كلُّ شمع
 وكلُّ صموتٍ في الصوانِ كأنها
 ولكن يدين سائلوا من لقيتم
 ولنا بأرض الخوف لو كان أهلها
 إذا جاء منا راكبٌ كان قوله
 فهما يهيمُ الناسُ بما يكيدنا
 فلو غيرنا كانت جميعا تكيدنا
 نحمدا لا تبقي علينا قبيلة
 ولما ابتستوا بالمرضِ قال سرائنا
 وفيما رسولُ الله تتبّع أمره
 قدل عليه الروحُ من عذره
 نشاوره فيما نريد وقصرنا
 وقال رسولُ الله لما بدوا لنا
 وكونوا كمن يشرى الحياة قريبا
 ولكن خذوا أسياقم ونوكاوا

- (١) الزل: الإبل القوية . العراميس : الشديدة . ويرمح : يخصب .
 (٢) الصليب هنا : دسم الشحم واللحم . والموضع : المحلى بالنقوش .
 (٣) العين : بقرة الوحش . والآرام : بيض البطون سم الطيور . وخلفه : جماعة وراء
 جماعة . والقيض : قعر البيض . ويتقلع : يشقق .
 (٤) الفخمة : الكتيبة المتخمة . القوانس : رموس بيض السلاح .
 (٥) الصموت : الدرع التي أحكم صنعها . والصوان : ما يهان فيه الشيء . والنهى : التذير .
 (٦) أفتشعوا : فروا .
 (٧) يزجى : يسوق .
 (٨) توزعوا : تفرقوا .
 (٩) ابتوا : ضربوا أبنيتهم . والعرض : قري المدينة .
 (١٠) لا تظلع : لا تمل .
 (١١) قصرنا : غايتنا .

ضربنا إليهم بحجرة في رحالهم
 بملومة فيها السثور والفتا
 لجنا إلى موج من البحر وسقاه
 ثلاثة آلاف ونحن نصبة
 نفاورهم تصورى النية يتنا
 تهادى قبيئ التبس فينا وفيهم
 ومنجوة جزمية صاعدة
 تصوب بأبدان الرجال ونارة
 ونخل تراها بالقضاء كأنها
 فلما تلاقينا ودارت بنا الرضى
 ضربناهم حتى تركنا سرايرهم
 لأن غدوة حتى استفتنا حشية
 وراحوا سراعا موبطين كأنهم
 ورحنا وأخرنا طاة كأننا
 فينا . وقال التوم منا وربما
 ودارت رحانا واستدارت رحاها
 ونحن أفس لا نرى القتل مربة
 يجلد على ريب الحوادث لا نرى

مختيا علينا النض لا تنضخ
 إذا ضربوا أقدانها لا توثع (١)
 أحابش منهم حاسر ومثقع
 ثلاث مئة إن كثرنا وأربع (٢)
 نضارهم حوض النابا وتشرع (٣)
 وما هو إلا البزق للقطع (٤)
 يذر عليها التسم ساعة تصنع (٥)
 بحر بأعراض البصار تفتح (٦)
 بتراد صبا في قرق يترفع (٧)
 وليس لأمر حه الله تدفع
 كأنهم جالقات خضب مخرج
 كان ذكانا عرث نال تفتح (٨)
 جهاهم هراقت ماء الريح مقلع (٩)
 أسود على اللحم ييشة ظلع (١٠)
 فعلنا ولكن ما لقي الله أوسع
 وقد جعلوا كل من الترش يفتح
 على كل من يحين الذبان ويمنع
 على مالك فينا لنا الدهر تفتح

- (١) لللومة : الكنية المجتمعة ، والسثور : السلاح
 (٢) النصبة : خيار القوم .
 (٣) نفاورهم : نفاورهم . نضارهم : نضارهم .
 (٤) التبس : شجر تنجذ منه القسي . والبزق : الأوتار .
 (٥) للدهوقة : السهام . والحرمية : نسبة إلى الحرم . والصاعدة : منسوبة إلى صاعد . وهو
 رجل مشهور بعنفا .
 (٦) البصار : حجارة . تفتح : تصوت .
 (٧) القرة : البرد . والتربع : المحي . والذباب : (٨) ذكانا : النابا . تفتح : يصيب
 حرما من قرب منها .
 (٩) الجهاهم : سحاب رقيق ليس فيه ماء . (١٠) ييشة : مكان تنسب إليه . الأسود : ظلع :
 أى امتلأت بنا الأرض لكثرتنا .

هو الحرب لا نيبا بشي. قوله
 هو الحرب إن نظفنا فلسنا بفحش
 وكما يهابا يتقى الناس حسره
 غرت على ابن الزبير وقد سرى
 فسل ذلك في محلبا معي وغيرها
 ومن هو لم ترك له الحرب مفقرا
 شددنا بحول الله والنصر كده
 نكر القتا فيكم كأن فروغها
 عهدنا إلى أهل الهراء ومن يخلو
 نطافوا وقد أعطوا يدا وتخاذلوا

ولا نحن ما جرّت الحرب مجزع
 ولا نحن من أظفارها تتوجع
 ويخرج عنه من يابه وآشفع^(١)
 لكم طلب من أخي الليث متبع
 من الناس من أخرى مقاما وأشنع
 ومن خذّه يوم الكربة أضرع^(٢)
 عليكم وأطراف الاسنئ مشرع
 عزال تزايد ماؤها بتهرع^(٣)
 بذكر الهراء فهو في الحيو أسرع
 أتي الله إلا أمره وهو أصنع

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

بجالدنا عن يحدينا كل لحمة^(٤)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيا صلح أن تقول : بجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب :
 نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن : فقال كعب : بجالدنا عن ديننا
 قال ابن إسحاق وقال عبد الله بن الزبير في يوم أحد :

يا غراب البين أستمعت قتل
 إن للغير والشر مسدى
 والتقطيات خسان بينهم
 كل عيش ونعيم زائل
 أبلغ حسن عن آية
 كم ترى بالجر من مجتمعة
 ومرايل حسان سريت

إنما تطلق شينا قد قتل
 وكلا ذلك وجه وقيل^(٥)
 وسواء قبر مني وميتل
 وبنات الدهر يابن بكل
 فترى الشعر يشفي ذا الفيل
 وأكتف قد أترت ورجل^(٦)
 عن كفاة أهل كوا في المنزل^(٧)

(١) يسفع : يهرق . (٢) الأضرع : الدليل .

(٣) الفروغ : جمع فرغ : الطعنة الواسعة التي يسيل دماها . والعزالي : جمع عزلاء . وهي فم
 المروادة . ويتهرع : يسرع في سيلانه . (٤) جذمها : أصلها .

(٥) القتل : ما يستعمل الإنسان من الأيام . (٦) الجر : أصل الجبل . أترت : قطعت

(٧) السرايل : الفروع . سريت : جردت والمنزل : موضع النزول .

كم قتلنا من كريم سيد
صادق التجدة قسرم بارع
قتل المبراس من ساكه؟
ليت أشاخي يدير شهدوا
حين حكمت ببناء بزكها
ثم خفوا عند ذاكم زفصا
قتلنا الضعف من أشرافهم
لا ألوم النفس إلا أنسا
بسيوف المنيد تلو ماتهم

ماجد الجلائن مشدام جلق
غير ثلثات لذي وقع الأسل (١)
بين أتحاف ومام كالحصن (٢)
جزع الخرج من وقع الأسل (٣)
واستتر القتل في عبد الأسل (٤)
زفص الحفان يملو في الجبل (٥)
وعذلنا ميل بدر فاعتدل
لو كزنا لفلنا للفتل
عللا تعلم بعد تمل (٦)

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه ، قال :

ذهبت بآن الزبى وقعة
ولقد ينتم وينسا منكم
نضع الاسياق في أكتافكم
نخرج الاصبع من أستاذكم
إذ يؤلون على أعقابكم
إذ شدنا شدة صادقة
بخطايل كأمذاق المتلا

كان منا الفضل فيها لو عدل
وكذاك الحرب أحيانا كدول
حيث نهوى عللا بعد تمل
كسلح الثيب يأكل العقل (١)
قربا في الضعف أشباه الرسل (٢)
فأجأناكم إلى سفح الجبل (٣)
من يلاقوه من الناس ميل (٤)

- (١) القرم : الفعل . الملتاث : الضعيف . وقع الأسل : وقع الرماح .
(٢) الأتحاف : جمع تحف ، ما انفصل من الجمجمة . المام : الروس . الجبل : طائر أحر
المقار والرجلين .
(٣) الأسل : الرماح .
(٤) البرك : الصدر . عبد الأسل يريد بن عبد الأشول . حذف الماء لإقامة الوزن .
(٥) الرقص : ضرب من اللقى السريع . الحفان : التمام الصغير .
(٦) اللال : الشراب الثاني والتل الشراب الأول ، يريد معاودة الشراب .
(٧) الثيب : الثوق للسنة . والعسل : نبات تأكله الإبل فيخرج أحر مع فضلاتها .
(٨) الرسل : الإبل للرسله .
(٩) أجأناكم الجأناكم .
(١٠) الخطايل : الجناحات . والأمذاق : أغلاط الناس . والملا : ما اتسع من الأرض .
وميل : ينزع ويرتاع .

خاق هنا الشعب إذ يهزمه
برجاله لستم أنالهم
وطولنا يوم يدي بالتقى
وقلنا كل رأس منهم
وتركنا في قريش عورة
ورسول الله حثا شادته
في قريش من جوع يجمعوا
نحن لا أنالكم ولقد اثبتنا

ولمنا القرمطه والرجل^(١)
أبدوا جبريل نصرأفزل^(٢)
طاعة الله وتصدق الرسل
وقلنا كل شخصاح رقتل^(٣)
يوم يدي وأحاديث للثل
يوم يدي والتنايل المغفل^(٤)
مثل ما يجمع في الجص المثل^(٥)
نحضر البأس إذا البأس نزل

قال ابن هشام: وأشدني أبو زيد الأنصاري: « وأحاديث للثل » واليت الذي قبله .
وقوله: « في قريش من جوع جمعوا » من غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يكي حمزة بن عبد المطلب وقتل أحد من المسلمين:

نفشت ومل لك من تنشع
تذكر قوم أتاني لهم
قلبك من ذكركم عانق
وقلام في جناني النعم
بما صبروا تحت ظل القواء
غداة أجابت بأسيانها
وأشباع أحمد إذ شاعروا

وكنت متى تذكر تلجج^(١)
أحاديث في الزمير الأعوج
من الشوق والحرز المنجج
كرام المداخل والمخرج
لواء الرسول بذي الأضويج^(٢)
جيمع بنو الأوس والخزرج
على الحق ذي الثور والمنهج^(٣)

- (١) يمزج: تقطع عرضاً . القرمط: الأرض العالية . والرجل: ما اطمأن من الأرض .
(٢) أبدوا جبريل: أي أبدوا بجبريل حذف حرف الجار وحذف الفعل .
(٣) الجص: السيد العظيم . والرفل: من يجر ثوبه خيلاء .
(٤) التنايل: القمار . الهبل: ضخم الأجسام .
(٥) الهبل: الإبل المهلة المتروكة بلا راع .
(٦) تلجج: تهادى .
(٧) الأضويج: اسم مكان . (٨) المنهج: الواضح .

فأبْرَحُوا يَضْرِبُونَ الْكَافَّةَ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكٌ
فَسَكَّرَهُمْ مَاتَ مُخْرَجَ الْبَلَاءِ
كَهَمَزَةٍ لِمَا وَفَى صَادَقَا
فَلَقَاهُ عَبْدُ بَنِي تَوَافِلٍ
فَأَوْجَرَهُ حَرْبَةً كَالْكَسَابِ
وَنَعْمَانُ أَرْفَى بِمِشَاكِهِ
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ زَوْجُهُ
أُولَئِكَ لَا مِنْ قَوَى مُتَكَمِّرٍ

فأجابه حرار بن الخطاب الفهري ، فقال :

أَبْرَحَ كَمَبَ لَأَشْيَاغِهِ
عَجَجَ الْمَذَكِّي رَأَى إِلَهَهُ
قَرَّاحَ الزَّوَايَا وَغَادَرَنَهُ
فَقُولَا لَكُمْ بِئْسَ الْبُكَاءُ
لَمَصْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي تَمَكَّرِهِ
فِيَالْتِ تَحْمَرَا وَأَشْيَاغِهِ

ويكي من الزمن الأهرج
تَرَوْحَ فِي صَادِرِ مَحْجَجِ (٨)
يَعْبِجُ قَنَرَا وَلَمْ يُحْلَجِ (٩)
وَالْوَيَّ مِنْ لِيهِ يُنْجَجِ
مِنَ الْحَبْلِ ذِي قَنْطَلِ الزَّوْجِ (١٠)
وَحُبَّةٌ فِي جَمِينَا التَّوْرَجِ (١١)

- (١) القسطل : القنار . المرعج : العالي في الجور .
- (٢) النوحه : الشجرة العظيمة المتسعة : المولج : المدخل .
- (٣) بذى هبة : أى بسيف ذى هبة . والية : الوقوع في العظم . ساجج : مرطب .
- (٤) عبد بنى توافل . هو وحشى . يبربر : يصيح والادعج : الأسود .
- (٥) أوجره : طعنه في صدره .
- (٦) لم ينجج : لم يعل عن وجهه .
- (٧) الزبرج : الزينة من الوشئ أو الجوهر .
- (٨) العجيج : الصياح . ويريد بالمذكى هنا : المسن من الإبل : الصادر : الراجع عن الماء :
- عنجج : مصروف عن وجهه .
- (٩) لم يحدج : لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النعام .
- (١٠) القسطل : القنار . المرعج : المرتفع (١١) السورج : المتمد .

فَيَقْتُلُوا الْفُؤَسَ بَأْوَارِهَا قَتْلَى أَصِيبَتْ مِنَ الْخُزُرِجِ
وَقَتْلَى مِنَ الْأَوَيْسِ فِي مَتَرَكِ أَصِيبُوا جَمِيعاً بِبَنَى الْأَضُوجِ
وَمَقْتَلِ حِمَاةٍ تَحْتَ الْوَرَاءِ بِخَطَرِيٍّ، مَارِيٍّ، مُخَلِّجِ (١)
وَحَيْثُ اتَّقَى مُصْعَبٌ ثَاوِيَا حَضَرِيَّةً ذِي قَتَبِيٍّ تَلَجَجِ
بِأَخِيٍّ وَأَسِيَّاْنَا فِيمِ تَلَبَّ كَالْهَيْبِ الْمَوْجِ
غِلَاةً لَقِينَاكُمْ فِي الْحَدِيدِ كَأَشَدِّ الْبَرَاكِ فَلَمْ تُنْجِجِ (٢)
بِكَلِّ مُخَلِّجَةٍ كَالْمَقَابِ وَأَجْرَةٍ ذِي تَمِيقَةٍ مُمْتَرِجِ (٣)
فَضَنَانُكُمْ قَدْ سَقَى أَتَقْنَا سَوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُخْرِجِ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يكرها لضرار . وقول كعب :
« ذِي الثَّوَرِ وَالْمَهْجِ » عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ فِي يَوْمِ أَحَدَ ، بِكَيْ الْقَتْلِ :

أَلَا ذُوْقُكَ مِنْ مُقْتَلِكَ دَمُوحٌ وَقَدْ بَانَ مِنْ حِيلِ الشَّابِ قُطُوعٌ
وَكُحْطُ بَيْنِ تَهْوَى الْمَزَاوِ وَفَرَقَتْ تَوَى الْمُنَى دَارُ بِالْهَيْبِ مُجْبُوعٌ
وَلَيْسَ لَهَا وَلَّى عَلَى ذِي حِرَاةٍ وَإِنْ طَالَ تَبْرَأْتُ الدَّمُوحِ رُجُوعٌ
فَلَرُذَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أَمَّ مَالِكٍ أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ يُبِيعُ
وَمُتَجَنِّبًا جُرُودًا إِلَى أَمَلٍ يَرْبِ ضَائِجِيٍّ مِنْهَا مُسْتَلَكَةٌ وَنُزِيعٌ (١)
قَضِيَّةٍ سَرْنَا فِي مُلَامٍ يَقُودُنَا تَمَرُودُ الْأَعَادِي الصَّدِيقِ قُفُوعٌ
نَعْدُ دَلِيلَنَا كُلَّ زَهْفٍ كَأَنَّا غَدِيرٌ جَنُوجُ الْوَادِيَيْنِ قُفُوعٌ (٢)
فَلَمَّا رَأَوْنَا عَالَمَتَهُمْ مَهَابَةً وَعَايِنَهُمْ أَمْرَهُ مِنْكَ فَطِيعٌ
وَوَدُّوا لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ يَنْفَقُ ظُهُرُهَا بِهِمْ وَصِيْرُ الْقَوْمِ قَدْ تَجَرَّعُ
وَقَدْ حُمِرَتْ يَصْنُ كَانَ وَمِيقَهَا حَرِيْقُ تَرْقَى فِي الْأَبَاوِ سَرِيعٌ (٣)

(١) المبرد : الذي يهتز ، والمراد به هنا الرج . المارن : اللين .

(٢) مُنْجِجٌ : تَكْفٌ (٣) المجلحة : المتقدمة ويريد بها فرسا . والأجرد الفرس العتيق .
والجعة : النشاط .

(٤) جُنَيْبًا : سوقنا للخيول . المناجيج : الحسان . التلذذ : ما ولد عندك . والنزيع : الغريب .

(٥) الرُغْفُ : الدروع البنية . والضوج : بجانب الوادي . والتقيع : للعلوم بالساء .

(٦) الأباه : الأجمة المشبهة الإبهال .

بأيامنا نملؤ بها كلَّ هامية
فغادرن قتل الأوس غاصبة بهم
وجمع بنى التجار في كلِّ تلمعة
ولولا حلُّ الشعب غادرن أحدا
كما غادرت في الكثر حزة ثاويا
ونعمان قد غادرن تحت لوائه
بأخيد وأرماع السكاة يُردنهم
فاجابه حسان بن ثابت، فقال :

أشأقتك من أم الوليد ذُوعُ
صفائن صئقُ الرياح وداكفُ
بلم يبق إلا موقفُ النار حوله
فدع ذكره داري بحدث بين أهلها
وقتل إن يكن يوم بأخيد يندؤه
نقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم
وحاشى بنو التجار فيه وصاروا
أمام رسول الله لا يحذونه
وقموا إذ كفرتم يا تبغيين برؤكم
بأيديهم بعض إذا تحش الوقي
كما غادرت في القمع حبة ثاويا

تلاقع ما من أهلن جميع
من الذلور جاف السحاب موع^(١)
رواكذ أمثال التمام كُوع^(٢)
نوى ليتينات الحبال قطوع
سفة فإن الحق سوف يشيع
وكان لم يذكر منك رفيع
وما كان منهم في القاء نزوع
لم تاصر من ربهم وشفيح
ولا يستوى عبد وفى وتضيح^(٣)
فلا بد أن يردى لمن صريع
وتعدأ صرعاو الوشيح شُوع^(٤)

- (١) ذريع : من يقتل سريعا .
(٢) جميع : دم .
(٣) السحاب : الطريق في الجبل . السموى : الرماح . شروخ ميثبة الطعن .
(٤) الشاة : الحد . وقيع : عبيد .
(٥) يظعن : يظلمن ما في جوفه .
(٦) غال : أهلك . الأشطان : الحبال . والنزوع : جذب الدلو من البئر .
(٧) الواكف : المطر النهمر . والدلو : برج في السماء معروف : درجاف : مضبوط .
(٨) كُوع : لاصقة بالأرض .
(٩) يأسخين : أراد يأسخينه وهو لقب لقرش لا كانوا إياها وهي طعام يصنع بن الحقيق .
(١٠) الوشيح : الرماح .

وقد غادرت تحت العجاجة مُسنداً
يكفّ رسول الله حيث تمّبت
أولئك قومٌ سادةٌ من فروعكم
بن ثعلبة الله حتى يُصيّزنا
فلا تذكروا قتل دحمة فيهم
فإن جنّان الخليل منزلة له
وقتلهم في النار أفضل رزقهم
أيتاً وقد بل القميص نجح^(١)
على القوم بما قد يُثرون قنوع
وفي كلّ قوم سادة وفروع
وإن كان أمر ياستخين فظيع
قتيل نوى لله وفوق مطيع
وأمر الذي يقضى الأمور سريع
حديث معاً في جوفها وصريع^(٢)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يشكرهما لحسان وابن الزبير ، وقوله : د ماضى
الشبابة ، وطير يحفن ، عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق وقال عمرو بن الماضى في يوم أحد :

خرجنا من القينا عليهم كأننا
تمت بشو التجار جهلاً لقائنا
فأراحهم بالشر إلا لجأه
أرادوا لئلا يستيحيوا قباينا
وكانت قبايا أومت قبل مآرى
كان دعوس الخزرجيين غدوة
مع المصبح من رضوى الحليك المنطق^(٣)
لدى جحّاب تلح والامانيّ قطن^(٤)
كراديس خيل في الأزقة تمرق
ودون القبايا اليوم ضربت لحرق
إذ رامها قوم أبحوا وأحتقوا
وأيمانهم بالشرقية بروق^(٥)

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبلغنا غيراً على تأتي ديارها
بأنا غداة السفيح من بطن يثرب
صبرنا لحم والصبر منا تيمية
على عادة يلكم تجرنا بصيرنا
لنا حزمة لا نستطاع بقودها
وعندهم من علينا اليوم تصدق
صبرنا ورايات الخيشو تحفيق
إذا طارت الأبرام نسو وترثق^(٦)
وقدما لدى القبايات نجرى ففسق
نبي آى بالحق حقت مصدق

(١) العجاجة : الغبرة . النجيع : الدم . (٢) الضريح : ما يطرحه البحر من الثبات .

(٣) رضوى : اسم جبل . الحليك : ما فيه طرائق . المنطق : المحزم .

(٤) تلح : اسم جبل خارج المدينة . (٥) بروق : نوع من الثبات له رؤوس شبه البعل .

(٦) الأبرام : الثمام . فرق : سد وتصلح .

أَلَا هَلْ أَتَى أَهْلَهُ بِمِثْرٍ مِّمَّا يَكْتُمُونَ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ :

إِذَا جَاءَكَ الْحَيْلُ بَيْنَ الْجُرُجِ وَالنَّاعِ (١)
أَصَوْتُ هَامٍ تَرَأَى أَمْرًا شَاعِي (٢)
أَفْلَاقُ هَامِي كَقَرَوِي الرَّاغِي (٣)
بِجَارِمٍ مِثْلِي لَوْ أَنَّ لِللَّحْلِ قَطَاعَ (٤)
نَحْوِ الصَّرِيحِ إِذَا مَا قَوَّبَ الدَّاعِي (٥)
وَلَا لِلنَّامِ غَفَاةَ الْبَاسِ أَوْزَاعَ (٦)
ثُمَّ الْمَرَانِيَّةَ هَذِهِ الْمَرَّتِ لَذَاعَ (٧)
يَسْتَوْنَ لِلرَّيِّ سَعْيَا غَيْرَ تَغْنِاعَ (٨)

إِنِّي وَجَدْتُكَ لَوْلَا مُقْتَدِرِي فَرَسِي
مَازَالَ مِنْكُمْ بِحَسْبِ الْجُرُجِ مِنْ أَحْيِي
وَقَارَسَ قَدْ أَحَابَ السَّيْفُ تَغْرِيقَهُ
إِنِّي وَجَدْتُكَ لَا أَفْكَ مُتَحَيِّقَتَا
عَلَى رِحَالَةٍ يَمْلُوحُ مُتَابِرُهُ
وَمَا أَتَيْتُ إِلَّا خَوْفٍ وَلَا كُفَيْفِ
بَلْ حَارِبِينَ حَيْكَةِ الْبَيْضِ إِذْ لَجُّوا
ثُمَّ بِهَالِيلٍ مُسْتَرِخٍ حَالَتُهُمْ

وَقَالَ ضَرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ أَيْضًا :

لَمَّا أَتَى مِنْ بَنِي كَعْبٍ مُزَيَّنَةٌ
وَجَرَّدُوا مَشْرِيبَاتٍ مَهْشَقَةٌ
فَقُلْتُ يَوْمَ بَأْيَلِيمَ وَمَعْرَكَةٍ
قَدْ مَهَّوَدُوا كُلَّ يَوْمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ
غَيْرَتُ نَفْسِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلِي

وَالْخُزْجِيَّةَ فِيهَا الْبَيْضُ تَأْتِلُ
وَرَايَةً كَتَنَاحِ النَّسْرِ تَحْتَلِقُ
نَفْسِي لَمَّا خَلَفَهَا مَا هُوَ الْوَرَقُ (١)
رَجْعُ الْقِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ لَقُوا
مِنْهَا وَأَبْقَتْ أَنْ أَمَجَّةَ مُسْتَقِي

(١) الأتقاء : التخطئ . والحام : الرموس .

(٢) الجرج : ما انعطف من الوادي . القاع : ما انخفض من الأرض .

(٣) الحام : جمع هامة وهي ما يزعم العرب أن طائرا يخرج من رأس القليل يصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره . تراقى : تصيح : شاعى : أراد شائع .

(٤) المتعلق : المحتزم .

(٥) الرحالة : السرج . الملوأح : الفرس القوية : ثوب : كثر الدعاء .

(٦) كشف : من لا أوداع لهم في الحرب . الأوراع : الجبناء .

(٧) الحيك : الطرائق . (٨) البهاليل : السادة . الدصاع : الضعيف .

(٩) هزموه : حرك .

أكرهت مري حتى تخاض غمرتهم
ظلل^(١) مري ويروى إلى جسيدها
أيقنت أني مقيم في ديارهم
لا تخرجوا يا بني محروم إن لكم
صبأ يلقى لكم أمي وما ولدت

وبله من نعيم عانك عاني^(٢)
نفخ العروق رشاش الطين والورق^(٣)
حتى يفارق ما في جوفه الحشق
مثل المغيرة فيكم ما به زهق^(٤)
تساوروا الضرب حتى يبدر الشفق

وقال عمرو بن العاص:

لما رأيك الحرب يذ
وتأزلت شهباء ظ
أيقنت أن الموت حق
حكمت أني في علي
نيلس إذا تكنت في الي
وإذا تزل مأوه من
زيل كغفور الصرب
شجع نساء حابط
فندى لمي أمي غدا
سيراً إلى كيش الكتي

ذو شرم بالرحف زوا^(٥)
حوالت بالضرأ تلوا^(٦)
والحياء تكون لغوا
عند يذ الخيل زهوا^(٧)
ماء بطل العلف علوا
صطفه يرداد زهوا^(٨)
حق راجه الرامون دحوا^(٩)
التيلى إرخاء وعدوا^(١٠)
ة الروع إذ يحون قتلوا^(١١)
بؤ إذ جك الشمس جلوا

- (١) غمرتهم: جماعتهم. التجميع. الدم. عانك: أحر. طلق: اسم من أسماء الدم.
(٢) جسيدها: صبيها. نفخ العروق: ما ترى به من الدم. الورق: ما انقطع من الدم.
(٣) الزمق: السيب.
(٤) الرحف: الحجارة المحماة.
(٥) شهباء: يقصد الكتيبة الكثيرة السلاح. تلحو: تصنف.
(٦) العتد: الفرس الشديد والرهو: الساكن.
(٧) مأوه: عرقه.
(٨) الربذ: السريع. البفور: ولد الظبية. والصريجة الرمال المنقطعة. الدحو: الانبساط.
(٩) شجع: متجبر. والنساء: حرق يمتد من الورك إلى الكعب ولا يقال حرق النساء لأن
النساء لا يضاف إلى أنفسهن. صابط بمسك. (١٠) القتل: ضرب من المشى فيه خيلاء.

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يشكرهما لعمرو .

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أبلغ فريثا وخمير القول^(١) أصدقهُ والصديق عند ذوى الأبواب مقبولُ
أن قد قتلنا بقتلانا سرائكُم أصل البراء ففينا يكثر القبول
ويوم يدي لقيناكم لنا مددُ فيه مع النصر يكالُ وجبريل
إن قتلونا فدين الحق يطرئنا والقتل في الحق عند الله تفضل
وإن تروا أمرنا في رأيكم تنها فرأى من عالت الإسلام تنليل
فلا تغزوا لقناح الحرب واقتيدوا إن أعا الحرب أصدى اللون مشغول
إن لكم عندنا ضربا ترواح له عزم الضباع له تحذم رعايل^(٢)
لنا بشو الحرب تمرها ونشجها وعقدنا للوى الأضغان تكيل^(٣)
إن ينبج منها أن حرب يعلما بلغت منه التراق وأمر الله مفعول^(٤)
فقد أهدت له حلما وموعظة لمن يكون له لب ومقول
ولو مطم يطن السيل كالحكم ضربت بشاكلة البطحاء ترعيل^(٥)
تلقاكم عصب حول النجى لم عما يُسدون لتيجا سرايل
من جلد غسان مسترخ حائلهم لاجنباء ولا يميل معازيل^(٦)
يمشون تحت غمايات القتال كما تمشى المصاعبة الأدم المراسيل^(٧)
أو مثل مشى أسود الطلأ ألقها يوم رذاذ من الجوزاء مشمول
في كل سابق كالنبي محكة قياها قلع كالسيف بهلول^(٨)
تؤد حد رقام التلي غاسنة ويرجع السيف عنها وهو مفلول
ولو قدنتم يتلع عن ظهوركم وللحياة ودفع الموت تأجيل^(٩)

(١) تراح : تمز . خزم : قطع اللحم . الرعايل : المتقطعة .

(٢) تمرها : فستمرها (٣) التراق : عظام الصدر .

(٤) شاكلة : طرف . الترعيل : الضرب السريع .

(٥) الجندم : الأصل . الميل : الذين لا تروس لهم . والمعازيل . الذين لا رماح لهم .

(٦) الغمايات : الظلمات . المصاعبة : لحول الإبل .

(٧) سابقة : درع كاملة : انتهى : غدير الماء . البهلول : الأبيض .

(٨) بيلع : اسم جبل .

ما زال في القوم قفرة منكم أبداً تغفو السلام عليه وغو مظلون^(١)
عبد وحر كريم موقق قصاً شطر المدينة مأسور ومقتول^(٢)
كذا 'نؤمل' أخراكم فأجلكم منا فوارس لاغرل ولا ميل
إذا جنى فيهم الجاني فقد علوا حقاً بأن الذي قد تجرَّ محول
ما نحن لانحن من إثم مجاهرة ولا تملوم ولا في المتمر عذول
وقال حسان بن ثابت ، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد :

- قال ابن هشام : هذه أحسن ما قيل -

منع النور باليشاء الموم وخيال إذا تشور العجور
من حبيب أصاب قلبك منه سقم فهو داخل مكرم^(٣)
يا لقوى هل يقتل المرة مثل واهن البطش والعظام ستوم
لو يذب الحول من ولي السدر عليها لأندبها الكلام^(٤)
شأها الطر والفرش ويملو ما لجين ولؤلؤ مظلوم
لم تقها شمس البار يسي غيرة أن الشاب ليس يدوم
إن خال خطيب جاية الجوز لأن عند العمان حين يقوم^(٥)
وأنا الصقر عند باب ابن سنان يوم ثمان في الكبول سقيم
وأني وواقف ألقا لي يوم راحا وكبلهم محطوم^(٦)
ورفت البدن عنهم جميعا كل كفت جزء لها مقسوم
وسطت نسبي الذواب منهم كل داب فيها أب لي عظيم^(٧)
وأني في تبيحة النائل لنا ضل يوم التقت عليه النجوم^(٨)
تلك أنمانا وفعل الزبى خامل في صديقه مذموم

(١) السلام : الحجارة . مظلون : غير مأخوذ بأمره .

(٢) القص : الصيد (٣) أضاف : زار .

(٤) الحول : الصغير . أندبها : أرت فيها . الكلام : الجروح .

(٥) الجاية : الحوض . والجولان : موضع بسوريا

(٦) محطوم : مكسور .

(٧) السطة : الوسط ويكون الوسط غاية المدح إذا ذكر في الأنساب . الذواب : الأعداء .

(٨) أب : ثابت بن الخضر وسيمية بئر في المدينة احتكم إليه فيها الأوس والخزرج .

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدُوٌّ لِلنَّاسِ
لَا تَسْتَبْقَى فَلَسْتُ بِبَيْبِ
مَا أَبَالُ أَنْتَبَ بِالْحَزَنِ تِلْكَ
وَلَى الْيَأْسُ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ
نَسْعَةً تَحْمِلُ الْوَاءَ وَطَارَتْ
وَأَقَامُوا حَتَّى أَتَوْا جَمِيعًا
بِدَمٍ حَانِكٍ وَكَانَ يَحْفَظُ
وَأَقَامُوا حَتَّى أَزِيرُوا شَعْبًا
وَقَرِشٌ تَفَرُّ مِنَّا لَوْ أَدَا
لَمْ تَهْلِكْ حِلْمُهُ الْعَوَاقِقُ مِنْهُمْ

لَنْ وَجْهِي غَطَى عَلَيْهِ الشَّيْءُ
إِنْ يَسْتَيْ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
أَمْ لِحَسَانِي بَطْنِي غَيْبٌ لَيْسَ
أُسْرَةٌ مِنْ بَنِي قُصَّةٍ صَمِيمِ
فِي رِعَاجٍ مِنَ الْقَتَا مَحْزُومِ
فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومِ
أَنْ يَقِيمُوا إِنْ الْكَرِيمِ كَرِيمٌ (١)
وَالْقَتَا فِي تَحْوِيرِهِمْ مَحْطُومِ (٢)
أَنْ يَقِيمُوا وَخَفَّتْ مِنْهَا الْحُلُومِ (٣)
لِنَمَّا يَحْمِلُ الْوَاءَ النُّجُومِ (٤)

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع النوم بالمشاء المغموم

ليلاً ، فدعا قومه ، فقال لهم : خشيت أن يدركني أجل قبل أن أصبح ، فلا ترووها عني .
قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة للحجاج بن علاط التميمي يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب ، ويذكر قتله طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار ، صاحب
لواء المشركين يوم أحد :

لَوْ أَيْ مَدَّيْ عَنْ حُرْمَتِي
سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهْ بِعَاجِلٍ طَعْنَةٍ
وَشَدَّدَتْ شِدَّةً بَاسِلِي فَسَكَنَتُمْ
أَعْنَى ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُتَمِّمِ الْخَوَلَا (١)
تَرَكْتَ طَلِيحَةَ الْجَبِينِ مُجَدَّلًا
بِالْجُرِّ إِذْ يَهُوُونَ أَشْتَرُوا خَوَلَا (٢)

(١) حانك : أحمر . (٢) الشعوب : اسم من أسماء الموت .

(٣) لوذا : مستترين .

(٤) العواق : جمع عاتق ، ما بين المنكب والneck ، والنجوم : مشاهير الناس .

(٥) المذهب : الحامي . الحرمه : ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه . ابن فاطمة : هو
الإمام علي كرم الله وجهه وفاطمة بنت أسد بن هاشم . وهي أمه رضى الله عنه . والمعم الخول :
كريم الأعمام والأخوال .

(٦) الجر : أصل الجبل . أخول أخولا : واحداً بعد واحد .

قال ابن إسحاق : وقال حصان بن ثابت يكي حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

يا تمى .. قومي فأنذرن	بشجرة شجرة التوانخ
كالخامسات الوفز بال	تخل الملتحات الدراج ^(١)
المعولات	يت وجوة خرايت صائح ^(٢)
وكان سيل دمويها اله	أنصاب تحضب بالذباح
يتقطن أشعاراً لمن	هناك بادية المسامخ ^(٣)
وكانها أذنان خبي	لي بالفضي شمس روامح ^(٤)
من بين مشؤوب وعج	زوي يذعزعج البوارح ^(٥)
يكن شجراً متلباً	ت كدحهن الكوواح
ولقد أصاب قلبها	تجل له لجلب قوارح ^(٦)
إذ أقمت الجيدان من	كما ترجى إذ نفاخ ^(٧)
أصحاب أخد ظلم	دهز ألم له جوارح
من كان فارتنا وحا	مينا إذا بعت للمتاح ^(٨)
يا حمز ، لا واقو لا	أنساك ماضر القناخ ^(٩)
لناخ أيتام وأضيا	في وأرملة تلامح ^(١٠)

(١) الملتحات : الثابتات . الدواخ : التي تحمل ثقلاً .

(٢) النامشات : النامشات .

(٣) المسامخ : ذوائب الشعر .

(٤) الشمس : النافرة (٥) يذعزعع : يفرق . البوارح : الرياح الشديدة .

(٦) الجمل : الجرح . جلب : قشور الجروح . القوارح : المولدة .

(٧) أقصد : أصاب . نفاخ : نفخ .

(٨) المسامخ : من يحملون السلاح .

(٩) صر : ربط . القناخ : التوق التي لها لين .

(١٠) المناخ : مكان النزول . تلامح : تظرس بها .

ولما يوثق الدم في خرب لحرب وهي لا تفتح^(١)
يا فارساً يا يثراً يا فارساً^(٢)
عنا شديداً الخطو إذا يوثق لمن قاذ
ذكرني أمة الرسو ل ، وذلك يثراً المتافع
عنا وكان يثد إذ تعد الشريفون الجحاجح^(٣)
يسلو القايمة جرة سبط الدين أغر واضح^(٤)
لا طائنت زعن ولا ذو عقر بالحل آخ^(٥)
بحر فليس يثد بها رأ منه سيب أو متادح^(٦)
أوتى شبات أول الحفا نظ والقبول للراجع^(٧)
للطيمون إذا المنا في ما يصفق تاضع^(٨)
نظم الجلاذ وفوقه من شحيه شطب قرايح^(٩)
ليدافوا عن جاريم مارام ذو الصغين الكاشيح
لحقى لسانو رزنام كأنهم المصاح
ثم ، طارقة ، غطا رفق ، تحصارمة ، مسامح^(١٠)
المشرون الحدة بال أموال إن الحدة رايح

(١) لاقح : رائد شرما .

(٢) المدة : المدافع . المصاح : شديد الدفع .

(٣) الجحاجح : السادة . (٤) القايمة : السادة .

(٥) آخ : قبيل في مشبه .

(٦) السيب : العطاء . المتادح : جمع متدح ، وهي السمة .

(٧) المراجع : ذوو الحلم .

(٨) يصفق : يحلبن . التاضع : من شرب دون أن يرتوى .

(٩) الشطب : طرايق السيف .

(١٠) الشم : الاعزاء والطارقة في الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين ، ويقصد بها

هنا الرؤساء مطلقاً . والطارقة : السادة . والحصارمة : من يكتنون العطاء .

والجامزون بلعجيم يوما إذا ما صاح صاح^(١)
 من كان يرى بالتوا يرمن زمان غير صالح
 ما إن يزال ركابه يرمن في غير صحاصح^(٢)
 راحت تبارى وهو في ركب صدورهم رواشح^(٣)
 حتى تنوب له العا إلى ليس من قور السفائح^(٤)
 يا حمز قد أودعت كالعود شذبه الكوافح^(٥)
 أشكو إليك وفوقك الر ب للكور والصفائح
 من جندلي يقيه فو قك إذ أجاد الفرح خارج^(٦)
 في واسع يحطونه بالثرب سوءه المتاسح
 فعراؤنا أنا قور ل وقلنا برح بوارح^(٧)
 من كان أسمى وهو عما أوقع الخلدان جانح
 فليأتنا قلبك عيبناه ملكنا التوافح^(٨)
 القائلين الفاعلين ذوى السباحة والمناح
 من لا يزال إلى تقي يدي له يطوال الدهر مانح^(٩)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان ، وبه : « الطيمون إذا الشاق »
 وبه : « الجامزون بالعيم » ، وبه : « من كان يرى بالتوا » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يكي حمزة بن عبد المطلب :

(١) الجامزون : الوائمون .

(٢) يرمن : من الرسم ، وهو نوع من السير . الصحاصح : الأرض المستوية .

(٣) رواشح : ترشح العرق . (٤) السفائح : الجواني .

(٥) الكوافح : القاطعون للعود .

(٦) الفرح : القبر . (٧) البرح : الشاق .

(٨) التوافح : من يطون للمعروف .

(٩) المانح : من ينزل إلى البئر ليستقي بالملء .

أعرف الهارَ عفا رَسْمها بَتَكَ صَوْبُ السَّيْلِ المَاطِلِ (١)
 بَتْنُ السَّراذِجِ فأَدْمَانُو فَنَدَمُ الرُّوحاءِ في حَالِ (٢)
 سَامِلُها عن ذاك فَاسْتَجَمْتُ لم تَمَيَّ ما مَرَجُوهُ السَّائِلِ (٣)
 دَعِ حَتَكَ داراً قد عفا رَسْمها وابكِ على حَزَّةٍ ذِي نَقالِ (٤)
 اللَّابِؤُ الشَّيْزِي إِذا أَصَفَتْ غِبْرًا في ذِي الشَّيْمِ المَاطِلِ (٥)
 والتَّارِكِ القَرْنَ لَتَى لِيَدُو بَتْرُ في ذِي الحُرْصِ النَّابِلِ (٦)
 واللَّابِئِ الحِلَّ إِذْ أَجَمْتُ كَالَيْثٍ في غَايَةِ البَاسِلِ (٧)
 أَيْضُ في الدَّرْوِزِ من مائِمْ لم يَمِرْ دُونَ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ (٨)
 مالٌ شَيْدًا بَيْنَ أَسْيائِكُمْ ثَلْتُ بِها وَخَوْتُ من قَالِ (٩)
 أَيْ أَمْرِي "غَادِرٌ في أَلِي" مَطْرُوزَةٌ مَارِقَةٌ العَامِلِ (١٠)
 أَظَلَّتِ الأَرْضُ لِقَضائِهِ وَاشْتَدَّ نَوْرُ التَّمْرِ النَّابِلِ (١١)
 حَلَّ عَلَيْهِ اللهُ في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مُكْرَمَةٍ المَاحِلِ (١٢)
 كما نَرى حَزَّةً جِرْزاً لَنا في كُلِّ أَمْرٍ نَابِئاً نَازِلِ (١٣)
 وَكانَ في الإِسْلامِ "ذا نَقَرًا" يَكْفِيكَ قَدَّ القَاطِلِ الخَاضِلِ (١٤)

(١) الصوب: المطر. والسيل: السائل.

(٢) السراذج: الرديان. وأدمانة: مكان. وللندع: حيث انتفاع الماء. والروحاء: بلد وحائل: وادي.

(٣) المرجوة: الرد.

(٤) الشيزي: جفان من خشب الأبنوس. القبراء: الريح. والشيم في الأصل الماء الجاريد. ويقصد بها هنا أيام الزمهرير. (٥) ذو الحُرص: ذو الشأن وهو الريح. النابيل: الرقيق.

(٦) أجمت: أحجمت. (٧) لم يمر: لم يبادل.

(٨) الإلة: الحرمة. مطروزة: معدة. مارقة: لينة. العامل: أعلى الريح.

(٩) الناصل: الخارج من بين الحجاب.

(١٠) ذا نقر: أي صاحب منافعة ومنفعة.

لا تفرح يا هند واستبجلي دما وألوى عتبة الساكلي
وابكي على عتبة إذ صلت بالسيف تحت الرمح الجائل^(١)
إذ تحرق في مشيخو منكم من كل عام قلبه جامل
أرداهم حمرة في أشرق يمشون تحت الخلق الفاضل
غداة جبريل وزيره فيهم وزير القاريس الحاملي
وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب

طرفت هونك فالقاذ مسهد
ودعت فؤادك الهوى ضغينة^(٢)
خدع التماذي في التوازي تسادرا
ولقد أتى لك أن تنافى طائعا
ولقد مهدت لفتد حمزة هدم^(٣)
ولو انه لمحت حراء بعثله
يقرم تمكن في ذؤابة هائم
والعاقز الكرم الجلاذ إذا غدت
والنارك الزنم الكمي مجذلا^(٤)
وتراه يرفل في الحديد كأنه
عمم التقي عمي وصفه
وأى اللية تمعدا في أشرة
وتجرت أن يبلغ الشاب الأغبى
فهواك قورى وصحك منجد^(٥)
قد كنت في طلب الغواية فتد
أو تستفيق إذا نهك الرشيد
ظك بنات الجوف منها رقد^(٦)
لأيت راسي حنجرها يتدد
حيث الثروة والثنى والسؤدد
روح يكاد الماء منها يجمد^(٧)
يرم الكريمة والفا يتقصد
ذو ليدو شئن البرائن أريد^(٨)
قزة الحام فطاب ذاك اللورد
نصروا التقي ومنهم الكشفي

- (١) قط: قطع. الرمح: النياز. الجائل: المتحرك.
(٢) ضغينة: غسوة إلى قيلة ضغرة. (٣) بنات الجوف: القلب وما اتصل به من الأجزاء.
(٤) الكرم: عظمة السنام من الإبل.
(٥) ذو ليدو: الأسد. والثنى: التليظ. البرائن: الأريد. الأغبى: الأصغر.

وقد إخال بذلك هنداً مبشرت
ما صَبَّحْنَا بِالْمَقْتَلِ قوتها
وميزرٍ بمر إذ يرُدُّ وجسوتهم
حق رأيك لدى النوح سرائهم
فأظلم بالتلويح للطنن منهم
وإن للثيرة قد ضربنا ضربة
وأمية التلويح قسوم ميلة
فأناك فتل للشركين كأنهم
كشأن من هو في تهمهم ثاروا

وقال كعب أيضاً يكي حمزة :

صفيه قومي ولا تمجري
ولا تسمى أن تحلي البكا
قد كان يروا لايتاينا
يريد بذلك رضا أحد

وقال كعب أيضاً في أحد :

إنك سمخر أيبك الكريم
فإن تسأل ثم لا تسألني
سم أن تسأل حنك من محمدنا^(١)
بغيرك من قد سألت اليقينا

-
- (١) المقتل : كتيب الرمل . (٢) للطنن : مبرك الإبل .
(٣) تفنهم : تطردم . (٤) البزة : السلاح .
(٥) محمدنا : يطلب معروفنا .

بِأَنَّا لِيَالٍ ذَاتِ الْعِظَا م كَانِمَا لَا يَنْ يَحْتَرِينَا^(١)
 تَوَدُّ الْجُودُ بِأَذْرَاتِنَا مِنْ الضَّرَفِ أَرْمَاتِ السَّيْفِ^(٢)
 يَهْدِي ضُلُولِي أَوَّلِي وَجْهِنَا وَبِالصَّبْرِ وَالْبَذْلِ فِي الْمَعِينَا
 وَأَبْقَتْ لَنَا جِلْمَاتُ الْحَرِّ بِ مِنْ نَوَازِي لَكُنْ أَنْ يُرِينَا^(٣)
 مَعَاظِنُ تَهْوِي إِلَيْهَا الْحَقَرُ قُ يُحْتَبِهَا مِنْ رَأَاهَا الْقَتِينَا^(٤)
 تَحْيُسُ فِيهَا عَتَائِقُ الْإِخَا لِي نُخْضَا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُودَنَا^(٥)
 وَدُقَاقُ رَجُلِي كَزُجِ الْفُرَا يَتَقَدَّمُ جَاوَاهُ جُولَا طَحُونَا^(٦)
 نَرَى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النَّجْوِ وَجِرَاجَةٌ تُبْرِقُ النَّاطِرِينَا
 فَإِنْ كُنْتَ مِنْ شَأْنِنَا جَاهِلًا فَلَنْ تَعْلَمَ مَاذَا الْعِلْمُ مِنْ يَلِينَا
 بِنَا كَيْفَ نَفْعُلْ إِنْ قَلَصْتَ قَرَانَا قَرُوسًا قَضُوحًا حُجُونَا^(٧)
 أَلَسْنَا نَقُذُّ عَلَيْهَا الْيَمَا بَ حَتَّى تَقْدِرَ وَحَى ثَلِينَا
 وَمِنْ لَ وَنَمِجَ دَائِمٌ شَدِيدُ التَّهَوُّلِ حَامِي الْأَرِينَا^(٨)

(١) ذات العظام : يقصد هنا ذات الجوع الشديد حتى إن العظام يعاد طينها ..
 والبال : الفياث . (٢) الجود : جماعات الناس . الأذراء : الأكاف .

(٣) جلمات : جمع جلمة وهو القطع . برينا : خلقنا .

(٤) للمعاطن في الأصل : أما كن برك الإبل ، ويريد بها هنا الإبل بعينها . والفئين : الأرض .
 بها الحجارة السوداء .

(٥) تحيوس : تذلل . الصحم : السود . دواجن : مقيمة . الجون : يريد بها هنا البيض .

(٦) الدقاع : ما يندفع من السيل . وجل : رجال . الجأواه كنية سوداء لكثرة ما عليها
 من السلاح . الجول : الكنية العظيمة . والطحون : التي تطحن ما تمر به أي تهلكه لغوتها .

(٧) قلصت : ارتفعت . أيارقمت نيران الحرب . العوان : الحرب المستمرة . والضروس :
 القوية . الضروس : كثيرة العن . الحجون : التي لا يعرف لها نهاية .

(٨) الآوين : جمع أوة : وهي مستوقد النار .

طويل شديد أواري القنا
تقال السكة بأعراجه
تعاوّر أيامهم بينهم
شيدنا فكنا أول بأيه
بحرس الحسيس حسان رواد
فما يتفان وما يتعين
كبري الخريف بأيدي السكة
وطنا الضرب آباؤنا
جلالة السكة وبذل التلا
إذا مر قرن كفى نسمة
نصيب وتبلك آباؤنا
سألت بك ابن الزمري فلم
غيثا طيف بك للسيدات
تجشنته تهرج رسول لليل
قول اتلنا ثم ترى هـ

ل تنق قواحره المقرينا^(١)
ثملاً على لنق مؤفنا^(٢)
كترس المنايا بحدة الطينا
وتحت الصاية والمطينا
ومضربية قد أجنق الجفونا^(٣)
وما يتبين إذا ما تينا
فينجق بالظل ماما سكونا^(٤)
وسوف نعلم أينا تينا
د، من بجل أحسانا ما تينا
وأورنه بمده آخرنا
وتينا زري تينا قينا
أنباك في القوم إلا مينا
مقيا على القوم حينا قينا
يك فالك الله جلنا لينا
هـ تينا التياب قينا أينا

قال ابن هشام : أنشدني بيته : « بنا كيف فعل ، ، واليت الذي يليه ، واليت الثالث منه ،
وصدر الرابع منه ، وقوله « نسب وتهلك آباؤنا » واليت الذي يليه ، واليت الثالث منه ،
أبو زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضا ، في يوم أحد :
سائل قريشا غداة السخ من أحد ماذا لقينا وما لاقوا من الحرب
كنا الأسود وكانوا الثمر إذ زحفوا ما إن نراقب من آلي ولا نسب

-
- (١) القواحر : المتقون . المقرفون . جمع مقرف . التذل الذي .
(٢) أعراجه : جوانبه . للزف : من ذهب الحرب له .
(٣) غرس الحسيس : السيوف الصامته . أجن : ملان . الجفون : أغمار السيوف .
(٤) الظل : ظلال السيوف . المأم : الرعوس . السكون : الساكن .

فكم تركا بها من سيد بطلي
فينا الرسول شهاب ثم يتبعه
الحق منطقته والملك سيره
نجد للقدس ، ماضي الهم ، معزيم
يمضي ويذمرنا عن غير مصية
بدا لنا فانبناه ههنا
جالوا ورجلنا لما قاموا وما زججوا
لينا سواء وشق بين امرهما

قال ابن هشام : أئدني من قوله : ويمضي ويذمرنا ، إلى آخرها ، أبو زيد الأنصاري .
قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رواحة يسكي حوة بن عبد المطلب : قال ابن هشام
أئدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

بكت عني وشق لما بكما	وما يغيى البكاء ولا العويل
حل أسد الإله غداة قالوا	أحره ذاكم الرجل القليل
أصيب للسلون به جيما	هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يصل لك الأركان مددت	وأنت للماجد التز الرصول
عليك سلام ربك في جنان	مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا حاتم الأخبار صبرا	فكل فعالكم حسن جميل
رسول أفو مصطبر كريم	بلمر أفو يطق إذ يقول
ألا من ينجح عني لؤيا	فبعد اليوم دائلة تقول (١)
وقبل اليوم ما عرفوا وذافوا	وقامنا بها يمشي القليل
تسيم ضربنا بقلب بدر	غداة أتاكم الموت العجيل
غداة نوى أبو جهل صريما	طيه الطير حائمة تهول
ومحبة وابنه نرا جيما	وشية صنه السيف الصليل
ومتزكنا أمية نجيبا	وفي جزويه لذن نيل (٢)

(١) الدائلة : يقصد بها الحرب .

(٢) جليبا : متدجا على الأرض . الحوزوم : يسهل الصدر . اللذن التيل : الرمح العظيم

وهام بن ربيعة سائلوا ففى أساننا منها فقول
 ألا يا هند فأبكي لا تملى فأنت الوالدة التى المتبول^(١)
 ألا يا هند لا تملدى شيئا بحمرة إن حركم ذليل
 قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

البلغ قريشا على تأيها أنفتر منا بما لم قيل
 لغزوم بقتل أصابتهم فواضل من يتم القتل
 ظلوا جنانا وأبقوا لكم أسودا تحاي عن الأثيل
 قتال من دينها ، وشعلها نبي عن الحق لم ينكل
 رمته تمع بحور الكلام وتلي الدواة لا تأتلى^(٢)

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : ولم تلى ، وقوله : « من نعم الفضل ، أبو زيد الأنصارى
 قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد :

ما بال حيك قد أزدى بما الشهد كأنما جال فى أجفائها الرمد
 أين فراقى حبيب كنت تألفه قد حال من دوى الاعداء والجد
 أم ذاك من شعب قوم لا يجداهم إذا الحروب ظلفت نازعا تجد
 ما يقتلون من القمى الذى ركبوا وما لهم من لوعا ويحهم قشد
 وقد نصدناهم باقى قاطبة فآ تردم الأرحام والثقد^(٣)
 حتى إذا ما أبوا إلا محاربة واستحدثت بيتا الانغان والجد
 سرنا إليهم بجيش فى جوانبه قوائى البيض والمحبوك الشرد^(٤)
 والجود ترقل بالاجلال شازية كأنها جمل فى سورها مؤرد^(٥)
 جيش يقودهم صخر ورأسه كأنه ليث غاب عاصر سجد^(٦)

- (١) المبول : الفاقدة .
 (٢) لا تأتلى : لا تقصر .
 (٣) الشد : الإيمان .
 (٤) القوائس ما علا بفض السلاح . المحبوك : جيدة الضم .
 (٥) الجرد : حلق الخيل . شازية : عامرة .
 (٦) عاصر : كاسر . حرد : غاضب .
 والسرد : النسخ ، ويريد بها هنا الدروع .

فأبرز الحسين قوماً من منازلهم فكان منّا ومنهم مثنى أحد
 فغردت منهم قلى سجدة كالمز أصرته بالفرّج الرد (١)
 قلى كرام بنو التجار وسطيهم ومضت من قانا حوله قصد (٢)
 وحزّ القرم مصروع طيف به مكلى وقد حرمته الاثف والكيد (٣)
 كأنه حين يكو في تجديته تمت التجاج وفيه ثعلب جسد (٤)
 محراق ناب وقد ولّى صحابته كما تولى العالم المارّب الشرد (٥)
 متجسّمين ولا يكون قد ملأوا رجا ، فحجّتهم الوعاء والكؤد (٦)
 بكى عليهم نساء لا يؤلّ لها من كلّ ساليّة أوابها قد (٧)
 وقد تركناهم السبي ملحمة والصباع إلى أجسادهم فقد

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار :

قال ابن إسحاق : وقال أبو زفنة بن عبد الله بن عمرو بن هبة ، أخو بني مجتم بن الحزرج .
 يوم أحد :

أنا أبو زهنة يمدو في المزم لم تجع الحزاة إلا بالأم (٨)
 يحسى النمار خورجتي من مجتم

وقال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب — قال ابن هشام : فأما رجل من السابيين يوم
 أحد غير علي ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعل :

(١) أصرده يرده . الصريح : للكان الصلب . (٢) قصد : قطع .

(٣) القرم : السيد .

(٤) الجدبة : الدم السائل . الثعلب : الجوز الداخل من الرمح في السنان . جسد : الدم الجامد .

(٥) الحوار : ولد الناقة . الثاب : اللسنة من الإبل .

(٦) مجلحين : مصمين . الوعاء : القبة الشديدة الصلبة . الكؤد جمع كؤود : عقبة صعبة للمرتقى .
 أو صعبة للصعد .

(٧) السالية : اللابسة للساب وهو لباس الحزن . قد : قطع .

(٨) المزم : اسم فارس .

لَا تَقُمْ إِنْ الْحَارِثَ بْنَ الْقُصَّةِ كَانَ وَفَا وَفَا ذَا دُمَّةٍ
أَقِيلَ فِي مَتَابِعِهِ مَهْمَةً كَلِيلُهُ ظِلْمَةٌ مُمْدَلِمَةٌ (١)
بَيْنَ سِيُوفِي وَرِمَاحِي بَحْشَةٍ يَفْنَى رَسُولُ اللَّهِ فِينَا نَهْمٌ

قال ابن هشام : قوله : « كَلِيلُهُ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال يَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ فِي يَوْمِ أُحُدٍ :

كَلَّمُهُمْ يَرْجُسُهُ أَرْحَبُ هَلَا وَلَنْ يَرَوْهُ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْتَلًا (٢)
يَحْمِلُ رُحَاهُ وَرَيْسًا يَحْشَلَا

وقال الأحمشي بن زُرَّارَةَ بْنِ النَّبَاشِ التَّيْمِيُّ - قال ابن هشام : ثم أحد بن أسد بن عمرو بن تميم - يَكِي قَتْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أُحُدٍ :

مُحَيِّىٌّ مِنْ حَقٍّ عَلَى نَأْيِهِمْ بَنُو أَبِي طَلْحَةَ لَا تُصَرِّفُ (٣)
يَمْسِرُ سَاقِيَهُمْ طَلِيمٌ بِهَا وَكُلُّ سَاقِيٍّ لَمْ يُمْرِفْ
لَا جَاؤُهُمْ بِشَكْوَى وَلَا ضَيْفُهُمْ مِنْ دَعْوَةٍ بَابٌ لَمْ يَصْرِفْ
وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ يَوْمَ أُحُدٍ :

قَتَلْنَا ابْنَ جَحْشٍ فَأَغْبَطْنَا بِقَتْلِهِ وَحِمْرَةٌ فِي فِرْسَانِهِ وَابْنُ قَوْقَلٍ
وَأَقْلَنَّا مِنْهُمْ رَجَالًا فَأَسْرَعُوا فَلَيْتَهُمْ هَاجِسُوا وَلَمْ تَسْجَلِ
أَقَامُوا لَنَا حَقَّ تَقَضٍّ سِيُوفَنَا سَرَاتِمُهُمْ وَكَلْنَا غَيْرَ عُرْلٍ
وَحَقٌّ يَكُونُ الْقَتْلُ فِينَا وَفِيهِمْ وَيَلْقَوْنَ أَصْبُوحًا شَرُّهُ غَيْرُ مَنْجِلٍ

قال ابن هشام : وقوله : « وَكَلْنَا » وقوله : « وَيَلْقَوْنَ أَصْبُوحًا » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تَبْكِي أَخَاهَا حِمْرَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

أَسْأَلُ أَصْحَابَ أُحُدٍ عَنَّا بَنَاتُ أَبِي مَنْ أَصْغَمَ وَخَيْرُ
هَذَا الْخَيْرِ إِنْ حِمْرَةَ قَدْ تَوَيَّ وَزِيرُ رَسُولِ اللَّهِ خَيْرُ وَزِيرِ
دَعَاهُ إِلَهُ الْحَقِّ ذُو الْعَرْشِ دَعْوَةً إِلَى جَنَّةٍ يَحْيَا بِهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكُ مَا كُنَّا نَرْجُو وَنَرْجِي لِحِمْرَةَ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرُ مَصِيرِ

(٢) أَرْحَبُ هَلَا : كَلِمَةٌ تَزَجُّرُ بِهَا النَّبِيلُ .

(٣) اللَّهْمَةُ : التَّقَارُّرُ .

(٤) لَا تُصَرِّفُ : لَا تَرُدُّ .

فواق لا أنساك ما هبت الصبا
على أسيده الذي كان يندرها
فيا ليت يملأني عند ذلك وأعظمي
أقول وقد أعلى السبح عشرين
قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها بكاء وحزنا محسرى ومسورى

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى شماسا ، وقد أصيب يوم أحد :

يا عين جودي بفيض غير لإباس
صعب البسمة ميمون قبيضة
أقول لما أتى الناصي له جرحا
وقلت لما خلت منه مجالسه
على كرمي من الفتيان إباسي^(١)
حمالي ألوية ركاب أفراس
أودى الجواد وأودى المظلم الكاسي
لا يُبعد الله عنا قرب شماس

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يمزىها ، فقال :
لأق حياتك في ستر وفي كرم
لا تحتل النفس إذ حانت منيته
قد كان حمرة ليت الله فاصطبرى
فإنما كان شماس من الناس
في طاعة الله يوم الروع والباس
فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة ، حين أنصرف المشركون عن أحد :

رجعت وفي نفسي بلايل^(٢) جمعة
من أصحاب بدر من قرش وغيرهم
ولكنني قد يلك شيتا ولم يكن
وقد فاتني بعض الذي كان معطي^(٣)
بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب
كما كنت أرجو في مسيري ومركي

قال ابن هشام : وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر قولها :

وقد فاتني بعض الذي كان معطي

وبعضهم يتكرها لهند ، وواق أعلم .

- (١) للندرة : من يدافع عن القوم . (٢) الشلو : بقية الفريسة .
(٣) الإباس في الأصل : مسح درع الناقة والقول لما بس بس ليدر ، فالإباس فيه تكلف .
وغير الإباس : أي غير تكلف . والإباس : الشديد .
(٤) البلايل : الأحران .

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث

مقتل حبيب وأصحابه : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال : حدثنا حاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رطل من عسل والقارة .

قال ابن هشام : عسل والقارة ، من المستون بن خزيمة بن مذكرة .

قال ابن هشام : ويقال : المستون ، بضم الميم .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابث معنا نفرا من أصحابك يفتوتنا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويعلّمونا شرائع الإسلام . فبث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستة ^(١) من أصحابه ، وهم ترقم بن أبي مرثد الغنوي ، حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير البلي ، حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : وخبيب بن عدي ، أخو بني جهم بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وذيد بن الأثينة بن معاوية أخو بني تيمية بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن خبيب بن جهم بن الخزرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم ترقم بن أبي مرثد الغنوي يخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لمذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهداة ^(٢) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذّلا ، فلم يرجع القوم ، وهم في رحالهم ، إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد عثوهم ؛ فأخذوا أسياهم ليقاتلوه فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عبد الله وميثاقه أن لا يقتلكم .

فأما مرثد بن أبي مرثد . وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا قبل من مشرك عبد ولا عقدا أبدا ؛ فقال عاصم بن ثابت :

(١) ذكر البخاري أنهم كانوا عشرة . . . ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار .

(٢) الهداة : موضع بين عسفان ومكة ، كما ذكر البخاري في صحيحه .

ما يلي وأنا تجلّد نابل والقوس فيها وتره نابل^(١)
 نزّل عن صفحتها المائل الموت حقّ والحياة باطل^(٢)
 وكلّ ما همّ إليه نازل بالمرء والمرء إليه آت^(٣)

إن لم أقتلكم فأنى مابل

قال ابن هشام : مابل : ناكل .

وقال طاصم بن ثابت أيضا :

أبو سليمان وريش المقيّد وضاعة مثل المجيم الموقّد^(٤)
 إذا التواجي أفرشت لم أزد وحنّاً من جلد تور أجرد^(٥)
 ومؤمن بما على محمد

وقال طاصم بن ثابت أيضا :

أبو سليمان ومثلي رامي وكان قومي تغفراً كراما

وكان طاصم بن ثابت يكنى : أبا سليمان . ثم قاتل القوم حتى قُتل وقتل صاحبه .

فلما قتل عاصم أرادت مُذيل أخذ رأسه ، ليبيعه من سُلالة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد كثرت حين أصاب ابنها يوم أحد : لأن قدرت على رأس عاصم لتشرين في قفحه الحرق .
 فيه الخبر (٦) ، فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دعوه يبيع فتذهب عنه ، فأخذه . فبعث الله الرادى ، فاحتمل عاصما ، فذهب به . وقد كان طاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يبعه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا ، تجسأ : فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن القتيّر منته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يبعه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا في حياته . فنه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .^(٧)

(١) النابل : صاحب النبل . والنابل الشديد .

(٢) المائل : الاتصال المرضة . (٣) آت : صائر .

(٤) المقعد : رجل يريش النبل . الضاعة : يريد بها القوس . وهى فى الأمل شجرة تصنع

سها التبي . (٥) التواجي : الإبل السريعة . أفرشت : همرت . المجأ : الترس لا حديد فيه (٦) الخبر : الزناير .

وأما زيد بن الدثينة وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق ، فلأنوا وروا ورغوا في الحياة فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليعصم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران (١) ، انزع عبد الله بن طارق يده من القرآن (٢) ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره ، رحمه الله ، بالظهران ؛ وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثينة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيبا مسجيرا بن أبي إمام القيمي ، حليف بني نوفل ، لعنته بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إمام أبا الحارث بن عامر لأمه قتله بأبيه .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبي إمام ، وأبو إمام ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ؛ ويقال : أحد بني مقدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بني تميم .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثينة فابتاعه صفوان بن أمية لقتله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعت به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له نسطاس ، إلى التميم (٣) ، وأخرجوه من الحرم لقتلوه واجتمع ربهط من قريش ، فهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أئندك الله يا زيد ، أئحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك تضرب عنقه ، وأنت في أهلِكَ ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه يصيبه شوكة تؤذي ، وأني جالس في أهلك . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ؛ ثم قتله نسطاس ، بوجهه الله .

وأما خبيب بن عدى ، لحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أنه حدث عن جارية ، مولاة مسجير ابن أبي إمام ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب عندي ، حبس في بيتي ، فلقد أظلمت عليه يوماً ، وإن في يده لقطعا من عتب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عتبا يؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح جميعا أنها قالت : قال لي حين حضرته القتل : ابني إلى بحديدة أظهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاما من بني

(٢) القرآن : الحبل الذي يربط به الأسير .

(١) الظهران : واد قريب من مكة .

(٣) موضع خارج مكة في الحبل .

الموسى : فقلت : أدخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فوافقه ما هو إلا أن وثق الغلام بها ، إليه : فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل فأره قتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجلهم فلما ناوله الحديد أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ما خافت أملك عدوى حين بعثك هذه الحديد إلى ، ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : وقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا عجيب ، حتى إذا جاسوا به إلى التميم لصلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين ؟ تمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت تجزعا من القتل لاستكرت من الصلاة . قال : فكان خبيب بن عدي أول من سق هاتين الركعتين عند اقتل المسلمين ^(١) . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه النداء ما مضى بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدءاً ^(٢) . ولا تقادروا منهم أحداً . ثم قتلوه سرحه الله .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يلتقي إلى الأرض قرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه ، ناضطجع جنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عتبة بن الحارث ، قال : سمعت يقول : ما أنا والله قتل خبيبا ، لاني كنت أصفر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة ، أخا بني عبد الدار ، أخذ الحريرة لجلها في يدي ثم أخذ يدي وبالحريرة ، ثم طمته بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستعمل سعيد بن عامر بن جذيم التيمي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشبية ، وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمة قديما عليه ، فقال : يا سعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما مني بأفس . ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوافقه ما خطرت على قلبي وإنما في مجلس قط إلا غشي على ، فزادته عند عمر خيرا .

(١) وقد سار فعل خبيب هتنة وإن كانت السنة إنما هي أقوال أو أفعال من النبي صلى الله عليه وسلم . وهي أيضا إقرار وقد حدثت في حياته فلم ينكر فالصلاة هي خير ما ينظم بها العبد حياته .

(٢) بدءا : منفردين .

قال ابن هشام : أقام سُبيح في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .
ما نزل في سرية الرجيع من القرآن : قال ابن إسحاق : وكان ما نزل من القرآن في تلك السرية ، كما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أبو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجال من المنافقين : يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لأم قطعوا في أهلهم ، ولا م أدوا رسالة صاحبهم ! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك الفجر من الخير بالذي أصابهم . فقال سبحانه ، ومن الناس من يُسْجِكُ قولهُ في الحياة الدنيا : أي لما يظهر من الإسلام بلسانه ، ويُشْهِدُ الله على ما في قلبه ، وهو يخالف لما يقول بلسانه ، وهو ألدُّ الخصام ، أي ذو جدال إذا كلمك وراجلك .

قال ابن هشام : الألد : الذي يشغب ، فتشبهت خصومته ، وجمعه : لُدٌّ ، وفي كتاب الله عز وجل : وتُنذِرْ به قوما كُذِّبُوا . وقال الملهل بن ربيعة التغلبي ، واسمه امرؤ القيس ، ويقال : عدى (١) ابن ربيعة :

إن تحت الأحجار حِداً وليناً وخسباً ألدُّ ذا يغسلاقي
ويروى : ذا يغلاق ، فيما قال ابن هشام . وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الألد .
قال الطرماح بن حكيم الطائي يصف الحرياء :
يُوفِي على رَجُلٍم الجندول كأنهُ خَضَمٌ أترَّ على الحسوم أَلْتَدُّ
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : وإذا تولَّى ، أي خرج من عندك وسمي في الأرض ليُفِيدَ فيها ، ومهلك الحرث والنسل ، والله لا يصب الفساد ، أي لا يحب عمله ولا يرضاه . وإذا قيل له اتق الله أخذه العزة بالإثم لحسبه جهنم وبئس المهاد . ومن الناس من يشتري

(١) هو عدى حنيفة ، فقد صرح مهلهل باسمه في القصيدة فقال :

صربت صدرها إلى وقالت : يا عدوياً لقد وقتك الأوفى

(٢) يوفى : يشرف . الجندم : القطعة . الجندول : الأصول

نفته إنيئة ترميات الله، والله رموف بالمباد: أي قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله والقيام بحقه، حتى هلكوا على ذلك، يعني تلك الشرقة.

قال ابن هشام: يشرى نفسه: يبيع نفسه؛ وشروا: باعوا. قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحنظلي:

وشريت برداً ليتني من بعد جزف كنت هامة
برد: غلام له باع. وهذا البيت في قصيدة له. وشري أيضاً: اشترى.

قال الشاعر:

قلك لما لا تجري أم مالك على إنيك إن عبد ليتم شراما
قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في ذلك من الشعر، قول خبيب بن عدى، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا عليه.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

لقد جمع الأحراب حول وألبوا
وكلهم يبيد السادة جاهداً
وقد جمعوا أبنائهم ونساءهم
إلى الله أشكو غريق ثم كرق
فذا العرش، صبرني على ما يرادني
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
وقد خيروني الكفر والموت دونه
وما في جناز الموت، إني لميت
أفراقه ما أرجو إذا كنت مسلماً
فلست بمبيد للمعدن تخشعا

وقال حسان بن ثابت يكي خبيبا:

ما بال عينك لا ترقا. فنامها
سحاً على الصدر مثل اللؤلؤ الثاني^(١)

(٢) الشلو: بقية النوء.

(٤) القلق: المتحرك.

(١) ياس: يأس.

(٣) الملقع: المشتعل.

هل تحبب في الفتيان قد علوا
فأذهب خبيب جراك الله طيبة
ماذا تقولون إن قال النبي لكم
فيم قتلتم شيعة الله في رجل
قال ابن هشام : ويروى : الطرق . وتركنا ما بقي منها ، لأنه أقدح فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يكي تحببا :

يا عير جودي بدمع منك مفسك
صقرا تومط في الأنصار متعبه
قد هاج عيني على علايت قترتها
يا أيها الراكب القادي ليطيبه
بن كريمة إن الحرب قد لقيت
فيها أسود بني التجار تقدمهم
وابكى تحببا مع الفتيان لم يؤيب
سمح السجية عصا غير مؤثيب^(١)
إذ قيل ثقل إلى جذع من الخشب^(٢)
أبلغ لديك وعيدا ليس بالكذب^(٣)
علوها الصاب إذ تمرى لمحب^(٤)
شهب الأسنة في معصوب ليح^(٥)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التي قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر يشكرها لحسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خبيب لما ذكرت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

(١) الرفق : جمع رفيق
(٢) أودع : أفسد . (٣) المحض : الخالص . وغير
مؤثيب : غير مختلط . (٤) نص : رفع . (٥) الطبة : ما تنطوى عليه البية .
(٦) جعل كهيئة كأنه اسم علم لأهم ، وهذا كما يقال : بني ضوطرى وبني الغبراء وبني درزة
قال الشاعر :

أولاد درزة أسلوبك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يسب ، وعبرة عن السفلة من الناس ، وكهيئة من الكمية وهي العبرة ،
وهذا كما قالوا : بني الغبراء ، وأكثر أشعار حسان في هذه القمة ، قال فيها : من هذيل ،
لأنهم إخوة القارة ، والمشاركون لهم في القدر بخبيب وأصحابه ، وهذيل وخزاعة أبناء مدركة
ابن إلياس وعضل والقارة من بني خزاعة . عن الروض .

ولقحت : زاد شرها . الصاب : الملقم . تمرى : تمسح .

(٧) المعصوب : الجيش الكبير .

لو كان في الدار قترم ما جد بطل
أولى من القوم صقر خاله أنس^(١)
إذن وجدت تخيلا تحيلا قيسا
ولم تفتك لل التعمير رقيقة^(٢)
دوك غدرا وم فيها أولو تخلف
وأنت صميم لها في الدار تحجب^(٣)

قال ابن هشام: أنس: الأصم السلي: خال مطيع بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وقوله:
من نفت عدس ، يعني حبيب بن أبي إهاب : ويقال الأعشى بن زرارة بن النباش الأسدي
وكان حليفا لبني نوفل بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على عييب في قتله حين قُتل من قريش : عكرمة بن
أبي جهل ، وسعيد بن عدي ، بن أبي قيس بن عدي ، والأخضر بن شريق الثقفي ، حليف بن
زُهرة ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي ، حليف بن أمية بن عدي شمس ،
وأمية بن أبي عتبة ، وهو الحضري .

وقال حسان أيضا وهو هذا فنيا صنعوا بحبيب بن عدي : هـ

أبلغ بن عمرو بأن أخام
شراء زهير بن الأغر وجامع
شراء عمرو قد كان للغدر لازما^(١)
وكانا جميعا يركبان الحارما
أبترتم فلما أن أبترتم غدركم
وكنتم بأكتاف الجميع لما ذما^(٢)
فليت تخيلا لم تحته أمانة
وليت خبيلا كان بالقوم علما
قال ابن هشام : زهير بن الأغر وجامع : الهذليان اللذان باعا خبيلا .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

إن سرك الغدر صرنا لا مزاج له
فأت الرجيع فسل عن دار تخيان
قوم تواصوا بأكل الجاري بينهم
فالكلب والقرود والإنسان يئلان
لو ينطق اللئس يوما قام يخطبهم
وكان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن هشام : وأنشد أبو زيد الأنصاري قوله :

لو ينطق اللئس يوما قال يخطبهم
وكان ذا شرف فيهم وذا شان

(١) أولى : شديد الخصومة .

(٢) الرخصة : الذين ليسوا خلاصا في القبائل بل المتعين إليها وعدس : اسم قبيلة

(٣) دوك : غروك . (٤) شراء : باعا . (٥) الهاذم : السيوف القاطعة .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيل :

سالت هذيل رسول الله فاحشة
سألو رسولهم ما ليس مصلحتهم
ولن ترى لهذيل داعيا أبدا
لقد أرادوا خلال الفحش ومعهم

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيل :

لغفري لقد شانت هذيل بن مدركي
أحاديث ثقيان صلوأ بقيقها
أناس هم من قومهم في صميمهم
هم ظدروا يوم الرجيع وأسلت
رسول رسول الله ذدرأ ولم تكن
فسوف يزون الصر يوما عليهم
أبايل دبر شمس دون تخمي
لعل هذيل أن يزوا بخصاه
ونوقع فيهم وقعة ذات صولق
بأمر رسول الله إن رسوله
فكيته ليس الوفاء بينهم
إذا الناس حلوا بالقضاء رأيهم
علمهم دار التوار ورأيهم
وقال حسان بن ثابت يهجو هذيل :

لحي الله ثقيانا فليسته دماؤهم لنا من - قتل غدرة برفاء

(١) سألت : لغة في سألت .

(٢) صلوأ بقيقها : أصابهم شرها . جرامون : كسابون .

(٣) الزمعان . جمع رمة : شعرة مدلاة في مؤخر رجل الشاة أو غيرها . والدبر : الخلف .

(٤) يريد عاصم بن الأفلح فقد حته الزناهر .

(٥) يريد : لائتم . (٦) المختارم : مبالغة .

هُمُو قُتِلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حَرِيقِ
 فَلَوْ قُتِلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرِمِ
 فَتَبِيلُ حَتَّى الدَّبْرِ بَيْنَ يَوْمِهِمِ
 فَقَدْ قُتِلَ لَحْيَانُ أَكْرَمَ مِنْهُمْ
 فَافَتْ لِلْحَبَانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 فَتَبِيلُهُ بِالْقَوْمِ وَالنَدْرِ تَغْتَرَى
 فَلَوْ قُتِلُوا لَمْ تَوَفَّ مِنْ دَمَائِهِمْ
 فَالَا أَمْتُ أَذَقَرَّ مَهْدِيلاً بَخَارُو
 بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْأَمْرِ أَمْرُهُ
 يُصْبِحُ قَوْمًا بِالرَّجِيعِ كَأَنَّهُمْ
 أَخَا قَتْلِهِ فِي يَوْمِهِ وَصَفَا
 بِذِي الدَّبْرِ مَا كَانُوا لَهُ يَكْفَاهُ (١)
 لَدَى أَهْلِ كَفْرِ ظَاهِرٍ وَتَجْفَاهُ
 وَبَاوَا خُبْيَا وَيْلَهُمْ يَلْقَاهُ (٢)
 عَلَى ذِكْرِهِمْ فِي الذِّكْرِ كُلِّ عَفَا (٣)
 فَلَمْ تُسَبِّحْ يَنْقُضْ لَوْثُهَا بَعْضَاهُ (٤)
 بَلْ إِنْ قُتِلَ الْقَاتِلُ شَفَا
 كَفَاؤُ الْبَهَامِ الْمُتَدَرِّجِ بِإِفَاهُ (٥)
 بَيْتِ الْخَبَانِ الْخَنَاءُ يَنْفَاهُ
 جِدَاهُ وَشَتَائِنَ غَيْرَ دِكَا (٦)

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيل :

فَلَا وَاقَهُ ، مَا تَعْدَى هَذِيلُ
 وَلَا لَهْمُ إِذَا اضْمَرُوا وَحَجُوا
 وَلَكِنْ الرَّجِيعُ لَمْ تَحُلْ
 كَأَنَّهُمْ لَدَى الْكَنَانِ أَصْلًا
 هُمُ تَحْمَرُوا بِدَمَتِهِمْ خُبْيَا
 أَصَابِي مَاءَ زَمَرَمِ أَمْ تَشُوبُ
 مِنَ الْخَبَرِ وَالسَّقَى نَصِيبُ
 فِي الْقَوْمِ الْبَيْنِ وَالشُّوبُ
 تَبُوشُ بِالْحِجَازِ لَهَا نَيْبُ (٧)
 فَبَلَسَ الْمَهْدُ عَهْدَهُمُ الْكَذُوبُ

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يسكي خبيبا وأصحابه :

صَلِّ الْإِلَٰهَ عَلَى الَّذِينَ تَابُوا
 وَأَمْسُ الشَّرِيقِ مَرْتَدٌ وَأَمْسُومُ
 يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأُتِيُوا
 وَابْنُ الْبَكْرِ لِمَاتِهِمْ وَنَجِيبُ

(١) ذوالدبر : هو عاصم بن الأظحل .

(٢) اللقاء : الذي بالحفير . (٣) العفاء : التخيير .

(٤) تغترى : يخترى بعضها بعضا .

(٥) الكفادى : المبكر . البهائم : السحاب الخليل . والإفاه : الضميمة .

(٦) جداه : جمع جدى . (٧) الكنان : جمع كنة . الأصل : جمع أصيل .

ومر العشى : النوبة : الصوب .

وابن الطارق وابن ذئمة منهم
والعاصم المقتول عند رجيم
منع القادة أن ينالوا ظهره
قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدل إنه لنجيب .
قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشكرها لحسان .

حديث بئر معونة

في صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية غسستال وذا القعدة وذا الحجة
— وولى تلك الحجة للمشركون والحرم — ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر
معونة في صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

وكان من حديثهم ، كما حدثني أبي : إسحاق بن يسار عن المنيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم
أبو براء عامر بن مالك بن جعفر لملاعب الآسنة^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة ،
فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ،
وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعهم إلى أمرك ، رجوت أن
يستجيروا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء :
أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة ، المتيق ليثوب^(٢)

(١) وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صحصمة ، سمي لملاعب الآسنة في
يوم سوبان ، وهو يوم كانت فيه وقعة في أيام جيلة ، وهي أيام حرب كانت بين قيس وتميم ،
وجيلة اسم لهيبة عالية . وكان سبب تسميته في يوم سوبان لملاعب الآسنة أن أخاه الذي يقال
له فارس قرزل ، وهو طفيل بن مالك ، كان أسله في ذلك اليوم ، وفر فقال عمر :

فررت وأسلت ابن أمك عامراً يلعب أطراف الوشيج المزعرج

(٢) اتفق لقبه لأنه أسرع إلى الموت .

في أربعين رجلاً^(١) من أصحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصقعة ، وحرام بن
يلمان أخو بني حدي بن التجار ، وعروة بن أسماء بن الأسات الأثلي ، ونافع بن بديل بن
ورقاء الخزاعي ؛ وعامر بن قهيرة مولى أبي بكر الصديق ، في رجال مُشَقِّين من خيار المسلمين .
فأساروا حتى نزلوا بيئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني تميم ، كلا البلدين منها قريب ،
وهي إلى حرّة بني تميم أقرب .

فلما نزلوها بشوا حرام بن يلمان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر
ابن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ،
فأبوا أن يجيبوه إلى مادمهم إليه ، وقالوا : لن نخبر^(٢) أبائنا ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ،
فاستصرخ عليهم قبائل من بني تميم من مُصَيِّبة ورغل وكذوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا
حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلهم حتى قتلوا
من هند آخرهم ، برحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بني دينار بن التجار ، فلينهم تركوه وبه
رمق ، فارتدت^(٣) من بين القتل ، فمأش حتى قتل يوم الحندق شهيداً ، رحمه الله .

وكان في ترحل القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار ، أحد بني عمرو
ابن عوف .

قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أختينة بن الجلاح .

قال ابن إسحاق : فلم ينبتهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تصوم على الصكر ، فقالا : والله إن
لهذه الطير لساناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دماثهم ، وإذا الخيل التي أصابهم واقفة . فقال
الأنصاري لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن
عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل ؛ وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ،
فلما أخبرهم أنه من مضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها
كانت على أمه .

(١) الصحيح أنهم كانوا سبعين كما وقع في البخاري ومسلم .

(٢) الإخبار : نقض العهد .

(٣) أي رفع من بين القتل ونحوه رمق .

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة (١) ، أنبل رجلاً من بني عامر .

قال ابن هشام : ثم من بني كلاب ، وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بني سليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزل معه في ظل هو فيه . وكان مع العامرين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألها حين نزل ، عن أتيا ؟ فقالا : من بني عامر ، فأماهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلها ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما نؤزة من بني عامر ، فبأصاها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين ، لأديتهما !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا حمل أبي تراء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا تراء ، فشق عليه إخبار عامر بإياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة .

قال ابن إسحاق : لحديث هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم لما قُتل رأيته رفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة (٢) .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جبار بن سلتى بن مالك بن جعفر ، قال — وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم — قال فكان يقول : إن ما دعاني إلى الإسلام أتى طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرح بين كنفه ، فظفرت إلى سنن الرح حين خرج من صدره ، فسمعت يقول : فزت والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ! ألسنت قد قتلت الرجل ؟ قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، فقلت : فاز لعمرو الله .

(١) مكان قريب من المدينة .

(٢) هذه رواية البكر بن عبد الله بن بكر عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال لثني عليه السلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع لي السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة ، وروى عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن فهيرة التمس في القتل ، ففقد ، فهربون أن الملائكة رفعه أم دفعه .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يعرض بى براء على عامر بن الطفيل :
 بنى أمّ البنين ألم ترعكم رأتم من ذوائب أمل نجدي^(١)
 تكلم عامر بأبى براء لينقذه وما خطأ كتميد
 ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى فما أحدثت في الحدان بعدى
 أبوك أبو الحروب أبو براء وغالك ماجد تحكم بن سعيد
 قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القتين بن بشار ، وأم البنين : بنت عمرو بن ربيعة بن
 عامر بن صعصعة ، وهى أم أبى براء .
 قال ابن إسحاق : لحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل ؛ فطمع بالرحم ، فوقع

(١) أم البنين : هى لى بنت عامر التى يذكرها ليد فى قوله :

نحن بى أم البنين الأربعة

ولم يكونوا أربعة بل كانوا إخوة خمسة : طفيل فارس قرزل ، وعمار ملاعب الأسنة ،
 وربيعة القترين وهو والد ليد ، وعبيدة الرضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذى يقول :
 إذا سقط السماء بأرض قوم رعيان وإن كانوا غضابا
 وفى هذا الشعر يقول :

يعوذ مثلها الحكماء بئدى إذا ما الأمر فى الحدان نأيا

وهذا البيت سمي معوذ الحكماء .

وابنهم عنى ليد حين قال بين يدى النعمان بن الحذر :

نحن بنى أم البنين الأربعة المطعمون الجفنة المددعه
 والصاربون الهام تحت الخيضة يارب هبنا هـ خير من دعه

ولما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن أباهم ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض
 النحويين أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافي ، فيقال له : لا يجوز للشاعر
 أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ، وأجيب من هذا أنه استشهد
 به على تأويل قاسد تأوله فى قوله سبحانه : ولئن خاف مقام ربه جنتان . وقال : أراد جنة
 واحدة ، وجاه بانظ الثانية ، ليتفق زمون الأبي .

في فخذيه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبي براء ، إن أمت فدى لعمري ، فلا يتبع به ، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتى لئلا .

وقال أنس بن عباس السكلي ، وكان خال طليمة بن عدي بن نوفل ، وقتل يومئذ نافع بن بذييل بن ورقاء الخزاعي :

تركت ابن ورقاء الخزاعي ثاويًا بمرتك تَسْنِي عليه الأعراسُ
ذكرت أبا الريان لما رأيته وأجنت أني عند ذلك نازئُ
وأبو الريان : طليمة بن عدي . *

وقال عبدالله بن ربيعة يكي نافع بن بذييل بن ورقاء :

وحم الله نافع بن بذييل رحمة المبتغي ثواب الجهاد
صارت صادق وفي إذا ما أكثر القوم قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يكي قتلى بر معونة ، ويخص المنذر بن عمرو :

على أقتل معونة فاستبلي بدمع العين ستحا شيد تزير
على خيل الرسول غداة لا هوا منايام ولا قتهم بقدر
أصاهم الفتاة يتقيد قوم تحوون عقد حليم بطير
فيا لمني المنذر إذ تولي وأعتق في قتيته بهير (١)
وكان قد أصيب غداة ذاكم من أبيض ماجد من يبر عمرو (٢)

قال ابن هشام : أفتدني آخرها بيتا أبو زيد الأنصاري .

وأفتدني لكعب بن مالك في يوم بر معونة ، يعير بني جعفر بن كلاب :

تركم جازكم ليني مسانين عفاة حريمهم عجزاً وهوناً

(١) أعتق : أصرح .

(٢) السمر : الكلب .

فلو تجلا تناول من حُقيلي . « يلد بجيها جلا متينا »
أو القُرطاء بما إن أسلوه نوقدما ما وفوا إذ لا تفونا

قال ابن هشام : القرطاء : قبيلة من هوازن ، و يروى « من نُقيل » مكان « من عقيل » ،
وهو الصحيح : لأن القرطاء من نقيل قريب .

أمر إجله بنى النصير

في سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النصير يستعينهم في دية
ذنيك القتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، كما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بنى النصير وبين بنى عامر
عقد وحلف . فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذنيك القتيلين ، قالوا
نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا
إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار
من بيوتهم قاعد — فنزل رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيرميها منه ؟ فانتدب
لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فهم أبو بكر وعمر وعلي ، وضوان
الله عليهم .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النصير من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعا
إلى المدينة . فلما استلبت النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا
من المدينة ، فسألوه عنه : فقال : رأيته داخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من القدر
به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتيقظ لحربهم ، والنهي إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك في شهر ربيع الأول ، فحاصروهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر .

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد دكت تهي عن الفساد ، وتميه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها (١) ؟

وقد كان رمط من بني عوف بن الخزرج ، منهم عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول ووديعه ومالك بن أبي قرقل ، وسويد ودأص ، قد بشروا إلى بني النضير : أن ابثوا وتمتعوا ، فإننا لن نسلحكم ، إن قتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فترجسوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم ويكف عن دماهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (٢) ، ففعل . فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (٣) بابه ، فيضمه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

فكان إشرافهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، ونجاش بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أنهم استقلوا بالنساء والأموال ، معهم الدقوف والمزامير ، والقيان يمزقن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العباسي ، التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غفار (٤) ، برهاة وغفرا مؤرق مثله من حرق من الناس في زمانهم .

(١) قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أرسل الله تعالى : « ما قطعتم من لينة ، أو تركتموها قائمة على أصولها . والينة ألوان البر ما عدا المعجور والبرني في هذه الآية أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يحرق من نخلم إلا ما ليس بفروب للناس وكانوا يقتاتون المعجوة

(٢) الحلقة : السلاح .

(٣) الإيجاف : حبة الباب العليا .

(٤) لم يذكر اسمها في رواية البكائي عنه ، وذكره في غيرها ، وهي سلمى قال الأصمعي =

وتَحْلُوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، بعضها حيث يشاء ، فقسما رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين فَوْن الأَنْصار . إلا أن سهل بن حَنْفٍ وأبا ذُبْيَانَةَ يَتَمَاكَ بن حَرْشَةَ ذَكَرَا فُقِرَا ، فَأَعْطَاهُمَا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يَسْلَمْ من بَنِي النَضِير إلا رَجُلَان : يَامِينَ بن تَحْمِيذٍ ، أَبُو كَعْبٍ بن عَمْرِو بن جَعْلَاش ، وَأَبُو سَعْدٍ بن وَهَبٍ ، أَسْلَمَا عَلَى أُمُوَاهُمَا فَأَحْرَزَاهَا .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ - وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ يَامِينَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِيَامِينَ : أَلَمْ تَرَ مَا لَقِيتَ مِنْ ابْنِ عَمِكَ ، وَمَا هُمْ بِهِ مِنْ شَأْنٍ ؟ فَيَجْعَلُ يَامِينَ بنَ عَمِيرٍ لِرَجُلٍ مُجْتَلًا عَلَى أَنْ يَقْتُلَ لَهُ عَمْرُو بنَ جَعْلَاشٍ ، فَقَتَلَهُ فِيمَا يَرْعَوْنَ .

هَاتِلٌ فِي بَنِي النَضِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ : وَنَزَلَ فِي بَنِي النَضِيرِ سُورَةُ الْحَشْرِ بِأَسْرِهِا ، يَذْكُرُ فِيهَا مَا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ قَتْمَةٍ . وَمَا سَلَطَ عَلَيْهِمْ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا عَمِلَ بِهِ فِيهِمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : « هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ » (١) مَاظَنَّتُمْ أَنْ يُخْرِجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يُلَاقَتْهُمْ حَصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ،

سَمِعَهَا . لَيْلَ بَيْتِ شَعْوَاءَ ، وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ : هُمُ السُّلَى أُمُّ وَهْبٍ امْرَأَةٌ مِنْ كِنَانَةَ ، كَانَتْ نَاكِحَةً فِي مَوْبِثَةٍ ، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ عَمْرُو بنُ الْوَرْدِ ، فَسَبَاهَا ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَقَوْلُ أَبِي الْفَرَجِ إِنَّهَا مِنْ كِنَانَةَ لَا يَدْفَعُ قَوْلَ ابْنِ إِسْحَاقٍ إِنَّهَا مِنْ غِفَارٍ ، لِأَنَّ غِفَارَ مِنْ كِنَانَةَ . غِفَارُ بنُ حَلِيلٍ بنُ ضَمْرَةَ بنِ لَيْثٍ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَنَاةَ بنِ كِنَانَةَ .

(١) رَوَى مُوسَى بنُ عَقِبَةَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ : إِلَى أَيْنَ نَخْرُجُ يَا مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : إِلَى الْحَشْرِ ، يَعْنِي : أَرْضَ الْحَشْرِ ، وَهِيَ الشَّامُ ، وَقِيلَ : لَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ بَسْطٍ لَمْ يَصْبِهِمْ جَلَاءٌ قَبْلَهَا ، فَلِذَلِكَ قَالَ : لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، وَالْحَشْرِ : الْجَلَاءُ ، وَقِيلَ إِنَّ الْحَشْرَ الثَّانِي ، هُوَ حَشْرُ النَّارِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ ، فَتَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى الْمَوْقِفِ ، نَبِيتَ مَعَهُمْ ، حَيْثُ بَاتُوا ، وَتَقْبِلُ مَعَهُمْ جَيْتٌ قَالُوا ، وَتَأْكُلُ مِنْ تَحْتِهِ ، وَالْآيَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِهَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا ، وَلِذَا نَدَّ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ قَوْلَهُ : لِأَوَّلِ الْحَشْرِ يُرِيدُ أَنْ تَمَّ حَشْرُ آخَرٍ ، فَكَانَ هَذَا الْحَشْرُ وَالْجَلَاءُ إِلَى خَيْبَرٍ ، ثُمَّ أَجْلَاهُمْ عَمْرُو مِنْ خَيْبَرٍ إِلَى تَيْمَاءَ وَأَرْحَا ، وَذَلِكَ حِينَ بَلَغَهُ الثَّبَاتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَتَّقِينَ دِيْنَانِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ .

وقذف في قلوبهم الرعب ، يُغربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . ، وذلك لحديثهم بيوتهم
عن نُجُب أبوانهم إذا احتملوا . « فاعتبروا يا أولي الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم
الجلالة ، وكان لهم من الله نعمة ، « لذهب في الدنيا : أي بالسيف ، ولهم في الآخرة عذاب
النار » مع ذلك . « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها . « واللين : ما خالفه
السجوة من النخل « فياذن الله : أي فأمر الله قطعت ، لم يكن قسداً ، ولكن كان قسمة من
الله « وليخزي الفاسقين . »

قال ابن هشام : اللينة : من الألوان ، وهي ما لم تكن بزيئة ولا هجوة من النخل ، فيها
حدثا أبو صيدة . قال ذو الرمة :

كَانَ قُتْرِدَى فَوْقَهَا حُشٌّ طَائِرٌ عَلَى لَيْتَةٍ سَوَاقَهُ تَهْوُو جُنُوبَهَا (١)
وهذا البيت في قصيدة له .

« وما أفاء الله على رسوله منهم » - قال ابن إسحاق : يعني من بني النضير - « فذا أوجفتم
عليه من تحيل ولا ركاب ، ولكن الله يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاء ، والله على كل شيء قدير » :
أي له خاصة .

قال ابن هشام : أوجفتم : حرركم وأتبعتم في السير . قال تميم بن أبي بن مقبل أحد بني عامر
ابن صعصعة :

مَلَاوِيْدُ الْبَيْضِ الْحَدِيثِ مَقَالُهَا عَنْ الرِّكْبِ أَيْحَانًا إِنْ الرِّكْبَ أَوْجَفُوا (٢)
وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الوجيف . وقال أبو زيد الطائي ، واسمها حرمة
ابن المنذر :

مُسْتَفَاتٌ كَأَنَّهُنَّ قَنَا هَذِهِ بِدِ الطَّوْلِ الْوَجِيفِ جَذَبَ الْمُرُودُ (٣)
وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن هشام : الستاف : البطان . والوجيف : وجيف التلب والكيد ، وهو الثريان .

(١) القترود : الرجل مع أدواته . السواق : عظيمة الساق . الجنوب : التواحي .

(٢) الملاويد : المفاوضون عن قومهم . والبيض : السيوف .

(٣) مستفات : مغفوقات بالأحزمة . والمرود : الموضع الذي يطلب فيه الرعي .

قال قيس بن الخطيم الطُّقِرِيّ ..

إنا وإن قدّموا التي - طيلوا - أكبادنا من ورائهم تيف

وهذا البيت في قصيدة له .

د ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول . - قال ابن إسحاق : ما يوجب عليه المسلمون بالخيال والركاب ، وفُتِحَ بالحرب غنوة فله وللرسول - ودلّى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا . يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « ألم تر إلى الذين ناقضوا » يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب : يعنى بنى النضير ، إلى قوله « كتلي الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ، ولهم عذاب أليم » : يعنى بنى قيناع . ثم القصة . إلى قوله : « كتلي الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إني برىء منك ، إني أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين . »

ما قيل فى بنى النضير من الشعر : وكان بما قيل فى بنى النضير من الشعر قول ان لقيم الميمى ، ويقال : قاله قيس بن بجر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بجر الأشجى - فقال :

أهل ضاء لا يرمي غير هالك - أهل اليهود بالحصى المزمن^(١)

(١) يريد : أحلهم بأرض غربة ، وفى غير عشائهم ، والزمن : الرجل يكون فى القوم ، وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحصى ، أى المبعد الطريد ، وإنما جعل الطريد الدليل حسياً لأنه عرضة للأكل ، والحصى والحسو ما يحصى من الطعام حسواً ، أى أنه لا يتسع على آكل ، ويجهوز أن يريد بالحصى معنى الغنى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف الذى لا يستطيع الرعى ، يقول : بدلو بالمال الدثر والإيل الكوم ، وذال المال وغذاء النعم ، والمزمن منه ، فهذا وجه يحتمل ، وقد أكرت البحث عن الحصى فى مقامه من اللغة فلم أجده نعتاً شافياً أكثر من قوله أبى على : =

يَقُولُونَ فِي جِوْرِ الْقَضَاةِ وَيُذَلُّوا أَتَيْتُ بِغُودَى بِالْوَيْدِيِّ الْمَكْمِ (١)
فَإِنْ يَكْ ظَنَى صَادِقًا بِمَحِيدٍ تَرَوْا خِيَلَهُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَتَوَضُّعِهِ
يَوْمَ بِهَا عَمَزُونَ مَهَيَّةً لِنَهْمٍ عَدُوٌّ وَمَا حَقٌّ صَدِيقٌ كَجِهْمٍ
عَلَيْهِمْ أَجْلَاءُ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعْمَةِ يَهْدُونَ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الْمَقْرَمِ (٢)
وَكُلُّ رَفِيقٍ الْفُغْرَيْنِ مُنْهَدٍ تَوَوُّدَيْنَ مِنْ أَرْزَامَيْنِ عَاوِزٍ وَمُجْرَمٍ
فَنْ يُبْلِغُ حَتَّى قَرِيشًا رِسَالَةً فَلَ يَجْذِمُ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكْرِمٍ
بِأَنْ أَعَاكُمُ فَاعْلَمَنَّ عَمْدًا تَلِيكَ التَّدَى يَبْنَوُ الْجُيُونَ وَزَمْرَمِ (٣)
فَدِينُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسَّمُ أُمُورُكُمْ وَتَسْعَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مُعْظَمٍ
نَبِيٌّ تَلَاكِهِ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُزْجَمِ (٤)
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرِ لَتَرَى رَجْرَةً لَكُمْ يَا قَرِيشًا وَالْقَلْبِ الْمَلَمِ
غَدَاةً أَوْ فِي التَّرَرِجَةِ حَايِدًا إِلَيْكُمْ مُعْطِيَا الْعَظِيمِ الْمَكْرَمِ
مُعْتَقًا بِرُوحِ الْقُدْسِ يَتَّبِكِي حَقُّهُ رَسُولًا مِنَ الرَّحْمَنِ يَنْلُوكَ كِتَابَهُ
أَرَى أَمْرَهُ يَرْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَلَا أُنَازَ الْحَقُّ لَمْ يَنْطَمِ
أَرَى أَمْرَهُ يَرْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ عُلُوقًا لِأَمْرِ تَحْتَهُ اللَّهُ مُحْكَمِ (٥)
قَالَ ابْنُ مَشَامٍ : عَمَزُونَ مَهَيَّةٌ ، مِنْ فُطْفَانٍ . وَقَوْلُهُ « بِالْحَسَى الْمَرْمِ » ، عَنْ غَيْرِ
ابْنِ إِسْحَاقٍ .

= الحسية ، والحسى ما يحسى من الطعام ، وإذا قد وجدنا الغذى واحد غذاء الغنم ، فالحسى في
معناه غير متمتع أن يقال ، والله أعلم . والمزمن أيضاً : صغار الإبل - عن الروض الأنف .
(١) النضاة : الشجر . الأبيضب : المكان المرتفع . غودى : اسم مكان . الردى المكمن :
صغار النخل الذى خرج طلمه .
(٢) الوشيج : الرياح . (٣) الحجون : موضع في مكة .
(٤) المرجم : غير المتيقن . (٥) العلم : الموضع المال .
(٦) حمه : قدره .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب : يذكر إجلاله في التصدير ، وقتل كعب ابن الأشرف .

قال ابن هشام : قلما وجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعل :

عَرَفْتُ وَمَنْ يَسْتَدْنُ يَعْرِفُ وَابْتَدَأَ حَقًّا وَلَمْ أُصِيفِ^(١)
عَنِ السَّكَمِ الْحَكَمِ الْآبِي مِنْ لَقِيَ أَفْوً ذِي الرَّاقَةِ الْأَرَايِ
وَسَائِلُ مُعَرِّفٍ فِي الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ أَصْطَلَى أَحَدِ الْمَصْطَلَى
فَأَمِيجَ أَحَدٌ فَبِنَا عَوْرًا حَزِيرَ الْقَتَاوِ وَالْمَوْقِ
فَبَايَا الْمُوْعِدُوهُ سَقَامًا وَلَمْ يَأْتِ تَجَوْرًا وَلَمْ يَكُفْ
الْسُّمُ تَخَافُونَ أَذَى الْمَذَابِ وَمَا آمَنُ أَفْوً كَالْأَخَوِ
وَأَنْ تُصْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ كَصَرَجٍ كَعْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
غَدَاةً رَأَى اللَّهُ طَفْيَاكِهِ وَأَعْرَضَ كَالْجَلِي الْأَجْنَفِ^(٢)
فَأَنزَلَ جَبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ بَرَّخِي إِلَى عِيْدِهِ مُلْطَفِ
فَدَسَّ الرُّسُولُ رَسُولًا لَهُ بِأَيْضِ ذِي تَهْبِيَةِ مُرْقَفِ^(٣)
فَبَاتَ حَيَوْنٌ لَهُ مُعْوَلَاتٍ مَنِ مَنَعَ كَعْبُهَا تَقْدِرِ
وَقُلْنَ لِأَحَدَةٍ ذَرْنَا قَلِيلًا فَإِنَّا مِنَ التَّوَجِّهِ لَمْ نَفْتَفِ
نَلْظَمُ ثُمَّ قَالَ انْظُرُوا دُحُورًا عَلَى رَغَمِ الْآثِفِ^(٤)
وَأَجَلِي التَّضْمِيَةِ إِلَى غَرْفِ وَكَانُوا بِدَارِ ذَوِي زَغْرِفِ
إِلَى أَذْيَعَاتِي زَدَاتِي وَمِ عَلَى كُلِّ ذِي دَبَرٍ أَجْفِ^(٥)

(١) أصدف : أعرض . (٢) الأجنف : المائل إلى جهة .

(٣) الأبيض : السيف . والمبة : الاعتزاز .

(٤) رغم الآف : أي رغم أنفسكم ، أي على موان ومذلة .

(٥) يريد على جل جريح عزيل .

عَاجِبُهُ تَمَّاكَ الْهَوْدَى ، قَالَ :

إِنْ تَضَرُّوا فَهَذَا غُرُ لَكُمْ بِقَتْلِ كَمْبَرِ ابْنِ الْأَشْرَفِ
غَدَاةً غَدَوْتُمْ عَلَى خَدِّهِ وَلَمْ يَأْتِ غَدْرًا وَلَمْ يُطِيفْ
فَلِإِلَالِ وَصَفَتِ الْهَوْدَى يُدِينُ مِنَ الْعَادِلِ الْمُتَصِفِ (١)
بِقَتْلِ التَّضْيِيرِ وَأَحْلَاهَا وَعَقَرِ التَّخْلِيلِ وَلَمْ يُحْطَفْ
فَإِنْ لَا أَمْتُ فَأَيْكُمْ بِالْقَتْلِ وَكَلَّ حَسَامٌ مَعَ مُرْقَفِ
بَكْفٍ كَرِيٍّ يَحْضِي مَنْ يَلْقَى قِرْمًا لَهُ يَنْتَفِ
مَعَ الْقَوْمِ صَخْرًا وَأَشْيَاقَهُ إِذَا غَاوَزَ الْقَوْمَ لَمْ يَحْشَفْ
كَلْبِي يَنْتَفِ حَتَّى رَغِيلَهُ أَيْمَى قَائِدٌ مَا يَصِرُ الْجَوْفُ (٢)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَالَ كَمْبَرُ بْنُ مَالِكٍ يَذْكُرُ إِجْلَاءَ ابْنِ التَّضْيِيرِ وَقَتْلَ كَمْبَرِ بْنِ الْأَشْرَفِ :

لَقَدْ خَرَيْتُ بِقَدَرَتِهَا الْحَبُورُ كَذَلِكَ الدُّرُودُ صَرَفِي دُورُ (٣)
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ هَزَبُوا أَمْرَهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أَوْتَرُوا مَعَهَا وَعَلَا وَجَاهَهُ مِنْ أَفْرِ التَّضْيِيرِ
تَذِيرُ صَادِقٌ أَتَى كَلَامًا وَأَيَاتُ مُتَيْنَةٍ تُشِيرُ
قَالُوا مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صَدِيقِي وَأَنْتَ بِفُنُكِي مَنَا جَدِيرُ
عَالَ بَلَى لَقَدْ أَدَيْتَ حَقًّا يُصَدِّقُ بِهِ الْقَهْمُ الْحَبِيرُ
فَنَ يَتَبَنَّهُ مُبْتَدِئًا لِكُلِّ رَشِيدٍ وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ يُجَزُّ الْكَفُورُ

(١) يريد بالعدل المتصف بمبدأ صلى الله عليه وسلم وقد أراد الملعون التهم عليه صلى الله عليه وسلم أو يكون كما قال أبو ذر في شرح النبوة أن يكون اللفظ المدح والمعنى للتم كما قال سبحانه وتعالى « ذق إنك أنت العزيز الكريم » .

(٢) ترج : جبل بالحجاز . وغيلة : جمع غيلة وهي أجمة الأسد . والأجوف : عظيم الجوف .

(٣) الحبور : العلاء .

وحاد بهم عن الحق القنوت
وكان الله يحكم لا يجوز
وكان نصيره نعم النصير
فذلك بعد مصرعه النصير
بأيدنا مشهدة ذكور^(١)
إلى كعب أبا كعب يسير
ومحمد أخو نفعهم تجسور
أبازهم بما اجتمعوا إليه^(٢)
رسول الله ومنقهم بهم^(٣)
على الأعداء وقولهم وزير
وحالف أمرهم كذب وزور^(٤)
لكل ثلاثه منهم يعير
وعزده منهم نقل ودود

فما أمرهم غدا وكثرا
أرى الله التي برأي صدق
فأيد وسلطه عليهم
فغرد منهم كعب صريحا
على الكفبن ثم وقد عله
بأمر محمد إذ تم ليلا
فأعزوه فأنزله بكم
فذلك بنو النصير بدار سوء
غداة أفاهم في الوحى زقوا
وعسان العلماء موازروه
فقال السلام ويحكم قدورا
فذاقوا غيب أمروهم وبالأ
وأجلوا طادين لقيتاج

فأجاب تلك اليهودى ، فقال :

بليل قصيره ليل قصير^(٥)
وكلهم له علم خبير
به التوراة تطلق والزبور
وقدما كان يأمن من يجير
ومحمد سريره العجور
يسل على مداريه غير^(٦)
أصيت إذ أصيت به النصير
بكعب حوكم طهر تدور

أرقه وضائق هم كبير
أرى الأجازة تكثره جيرا
وكانوا الدارسين لكل علم
فتتم سيد الأجاز كعبا
تدل نحر محمد أخيه
فغادره كان دما نجما
فقد وأيكه وأى جيرا
فإن نسلم لكم نرك رحالا

(١) مشهدة : مسلوقة . ذكور : قوية .

(٢) أبازهم : أهلكهم .

(٣) الرمو : اللقي في قودة .

(٤) حالف : صاحب .

(٥) ضائق : نزول .

(٦) الم التبعج : الطرى . المدارح : ملابس من صوف .

والصير : الأخلاط من الطيب .

كَأَنَّهُمْ حَتَّارُ يَوْمَ عِيدٍ تَذَبُّجٌ وَلَمْ يَلَيْسْ لَهَا نَكِيرٌ (١)
بِيَدَيْهِ لَا تَلْبِثُ لَنْ عَظَمًا صَوَّافِي الْحَدِّ أَكْثَرُهَا ذُكُورٌ (٢)
كَأَنَّ لَا قِيَمَ مِنْ بَاسٍ صَخْرٍ بِأَخْبِ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرٌ (٣)

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمدح رجلاً بنى النصير :

لَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا رَأَيْتَ يَخْلَلُ الدَّارَ مَلْهَى وَمَلْعَبًا
ظَنَّاكَ عَصْرِي عَلَى أَرْيَاكَ ظَلَمَاتًا سَلَكْنِي عَلَى رَكْنِي الشَّطَاءَ قَتِيًّا (٤)
عَلَيْهِمْ عَيْنٌ مِنْ طَبَائِرِ قَبَائِلِهِ أَوَانُوسٌ يُصْبِنُ الْحَائِمَ الْمَجْرِبَا (٥)
إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَ مُجَانَّةً لَهُ بَوُجُودٌ كَالدَّانِيَةِ مَرْحَبَا
وَأَمَّا فَلَا مَنُوعَ خَيْرٍ طَلَعَتْ وَلَا أَنْتَ تَمُتُّنِي عِنْدَنَا أَنْ تُوْتِبَا
فَلَا تَحْسَبْنِي كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ يَشْكُرٍ تَلَامٌ وَلَا مَوْلَى مَتَّحٍ بِنِ أَخْطَبَا

فأجابته خواتم بن مجتير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال :

تُبْنِي عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَدْ تَرَى مِنْ الشَّجْوِ لَوْ بَكَى أَحَبُّ وَأَفْرَا
فَهَلَّا عَلَى قَتْلَى يَسْعِيَنَّ أَرْيَتِي بِكَيْتٍ وَلَمْ تُعُولْ مِنَ الشَّجْوِ مُشْبِيَا (٦)
إِذَا السَّلَامُ دَارَتْ فِي صَدِيقٍ رَدَدَتْهَا وَفِي الدِّينِ صَدَادًا وَفِي الْحَرْبِ مُعَلِّبَا
عَدَدَتْ إِلَى قَدِيرٍ لِقَوْمِكَ تَبْنِي لَمْ شَبَّهَا كَيْمَا تَعِزُّ وَتَقْلِبَا
فَأَنَّكَ لَأَنْ كَلَيْتَ تَمْدَحَا لَمْ كَانَ عَيْنِيَا قَدَمُهُ وَتَكْلِبَا
رَحَلَتْ بِأَمْرِ كَتَّ أَهْلًا لَيْلِي وَلَمْ تُقْلِبْ فِيهِمْ قَالِلًا لَكَ مَرْحَبَا
فَهَلَّا إِلَى قَوْمٍ مَلُوكٍ مَدَحْتَهُمْ تَمْنُوْنَا مِنْ الْعَزِّ الْمُؤْتَلِّ مُنْصَبَا (٧)
إِلَى مَشْرِيقٍ صَارُوا مَلُوكًا وَكُثُرُوا وَلَمْ يُقْلِبْ فِيهِمْ طَالِبُ الْعَرَفِ مُجِيدَا

(١) العتار : الذباح . (٢) لا تلبث : لا تبق ولا تذر .

(٣) صخر : يقصد به أبا سفيان بن حرب .

(٤) الظلمات : النساء في الموائد . الشطاء وتيا ب : موضعان .

(٥) العين : واسمات الأعين . قبالة : موضع باليمن يشتهر بالظباء . وصبين : يذهب للمقل .

(٦) للسبب : المتخبط الوجه . (٧) للؤل : القديم .

أولئك أخرى من يهود يمدح
فأجابه عباس بن مرداس السلمي ، قال :
هجوت صريح الكاهنين وفيكم
أولئك أخرى لو بكيت عليهم
من الشكر إن الشكر خير متغير
فكنت كمن أمسى يقطع رأسه
فبكت بني هارون واذكر فعالهم
أخوات أذني الدمع بالدمع وابيكم
فإنك لو لاقيتهم في ديارهم
يراع إلى العليا كرام لدى الوقي

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام ، قال :
لغري لقد حكمت زحزح الحرب بعدما
بقية آل الكاهنين وضما
فطاح سلام وابن تنقية فتوة
واجلبت يغي العز والذل يبغي
كأرك سبيل الأرض والحزن يمة
وناس وعز الـ وقد قيل بها
وعرف بن تلتى وابن عوف كلاهما
فعددا وشحقا للتضير ومثلها

قال ابن هشام : قال أبو عمرو الداني : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النضير
بن المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحاق فيه .

(١) الترتيب : الثالث .

(٢) الكاهنان : قريظة والتضير ، وفي الحديث : مخرج في الكاهنين وجل يدرس القرآن
درسا لم يدرسه أحد قبله ، ولا يدرسه أحد بعده ، فكانوا يروونه محمدا بن كعب القرظي وهو
محمد بن كعب بن عطية ، والكاهن في اللغة بمعنى الكامل ، وهو الذي يقوم بحاجة أهله ، إذ
خلف عليهم ، قال : وهو كاهن أي به وكامله ، قاله المروى ، فيحتمل أن يكون معنى الكاهنان بهذا .

(٤) تكب : أبعد .

(٢) الغبة : العاقبة .

(٥) الحزن : الأرض العالية . الأكدي : الذي لم يبلغ حاجته . (٦) حان : ملك .

غزوة ذات الرقاع

في سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرين ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا مجدأ يريد بني عارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى نزل قحلا (١) ، وهي غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لما غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها رايانهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع (٢) .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد عاف الناس بعضهم بعضا ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف : قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد الثوري - وكان يكنى : أبا محينة - قال : حدثنا يونس بن محميد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن جابر بن عبد الله في صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلائمة ركعتين ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو قال : لما وانفصل بهم ركعتين آخرين ، ثم سلم .

(١) نخل : موضع بجند.

(٢) وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقمة برباق مختلفة ، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة ، وأصبح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري : قال : « خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزاة ، ونحن ستة نفر يبتنا بغير نعته ، فقتب أقدامنا ، وفتبت قدمائنا ، وسقطت أظفارنا ، فكنا نلق على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نصب من الخرق على أرجلنا ، لحدث أبر موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره : كأنه كره أن يكون شيئا من عمله أنشأه .

قال ابن هشام : وحدنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم . ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ؛ فلما رفعوا رموسهم سجد الآخرون بأنفسهم . فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد الثوري ، قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام ويقوم معه طائفة ، وطائفة على عدوم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون على العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن حنبل ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بني محارب ، يقال له : غسورث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أتبل لكم محمدا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أترك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وصيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر لي سيفك هذا ؟ قال : نعم — وكان علي بفضة ، فبأ قال ابن هشام — قال : فأخذته فاستله ، ثم جعل يهزه ، ويهمهم فيكيت الله ؟ ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أعاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يعني الله منك ، ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرده عليه . قال : فأمر الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ قمتم أن تبسطوا إليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ، وأهوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان : أنها إنما أنزلت في عمرو بن الجموح ، أخى بني النضير وما قم به ، فأنه أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثنى وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من ثقل ، على جبل لي ضعيف ؛ فلما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال جملت الرقاع تمضي ، وجملت أعطيت ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، أأطأ في جبل هذا ، قال : نعم . قال : فأنتحي ؛ وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أعطيت هذه الصلابة

عن يدك، أو أقطع لي عصا من شجرة، قال: ففعلت. قال: فأخذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخذه بها نخعات، ثم قال: اركب، فركبت، فخرج، والذي بعث بالحق، يوافق^(١) ناقته مواهقة.

قال: وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: أتدري جلك هذا يا جابر؟ قال: قلت: يا رسول الله، بل أمه لك، قال: لا، ولكن بنيه، قال: قلت: فستدري يا رسول الله، قال: قد أخذته بدرهم؛ قال: قلت: لا، إذن، تدري يا رسول الله؟ قال: فبدرهمين؛ قال: قلت: لا. قال: فليرى ليرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمنه حتى يبلغ الأوقية. قال: فقلت: أفقدت رجيت يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قلت: فبوك؛ قال: قد أخذته؛ قال: ثم قال: يا جابر، هل تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: ألقينا أم بكر؟ قال: قلت: لا، بل ثيبا، قال: أفلا جارية تلاحقها وتلاعبك؟ قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنت له سبعا، فنكحت امرأة جامعة، فجمع رموسن، وتقوم عليهن؛ قال: أصبت إن شاء الله، أما إننا لقد جئنا صرارا^(٢) أمرنا نجزو فنحرت، وأقنا عليها يومنا ذلك، وسميت بنا، فنفضت نمارقها^(٣). قال: قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق؛ قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل علائكيسا. قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزو فنحرت، وأقنا عليها ذلك اليوم؛ فلما ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا؛ قال: لحدث المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قالت: فدوتك، فسمع وطاعة. قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنحنه على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال: ثم جلست في المسجد قريبا منه؛ قال: وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى الجمل؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر؛ قال: فأين جابر؟ قال: فدعيت له؛ قال: فقال: يابن أخى خذ برأس جلك، فبوك، ودعا بلالا، فقال له: اذهب بجابر، فأعطه أوقية. قال: فنذبت معه فأعطاني أوقية، وزادني شيئا يسيرا. قال: فوافقه ما زال ينبي عندي، ويؤمرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعني يوم الخثرة^(٤).

(١) يوافق: يسابق.

(٢) صرار: موضع قريب من المدينة. (٣) النمارق كل ما يجلس عليه من الخشايب وغيرها.

(٤) وقعة الخثرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المروى الذي يصعب أهل المدينة مسرف بن عقبة، وكان سبيلها أن أهل المدينة تخلصوا يزيد بن معاوية.

قال ابن إسحاق : وحدقني عني: صدقة^(١) بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من تَحْل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ؛ فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لا ينهي حتى يُهريق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رجل يكفونا ليلتنا هذه ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، قتالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكفونا بقم الشعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي ، وعاصم بن يسار وتجاد بن بشر فنيا قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى قم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيك : أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفي أوله ، قال : فاضطجع المهاجري فنام ،

= وأخرجوا مروان بن الحكم وبن أمية ، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة النسيلى الذى غسلك أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم ، روى البخارى أن عبد الله بن عمر لما أُرِجف أهل المدينة يزيد دما بينه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على يمة الله وبيعة رسوله ، وإياه والله لا يفلن عن أحد منكم أنه خلق يدا من طاعة إلا كانت الفيصل بيني وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخدرى بيته ، فدخل عليه في تلك الأيام التي انتهت المدينة فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدرى صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا له : ممعنا خبرك ، ولنعم ما فعلت حين كفت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذته الذين دخلوا قبلكم على ، وما عدى شيء ، فقالوا كذبت وتغوا لحية ، وأخذوا ما وجدوا حق صوف القرش ، وسحق أخذوا زوجين من حمام كان صياده يلعبون بهما . وأما جابر بن عبد الله الذى كنا بمساق حديثه فخرج في ذلك اليوم بطوف في أزقة المدينة والبيوت تفتب ، وهو أعرج ، وهو يعثر في القتل ، ويقول تنس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له قاتل : ومن أخاف رسول الله فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخاف للدينة^(٢) ، فقد أخاف ما بين جنبي . فدخلوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسيمائة ، وقتل من أخلط الناس عشرة آلاف .

(١) ليس عنه : وإنما هو لقب لقيه به احتراماً له .

وقام الانصارى صلى ، قال : وآتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه زينة^(١) القوم . قال : قرى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فزعه ووضعه ، فثبت قائماً ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت^(٢) ، قال : فومب فلما رآهم الرجل عرف أن قد نلوا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجرى ما بالانصارى من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أميتني أول ما رماك ؟ قال : كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدما^(٣) ، فلما تابع على الرمي ركعت فأذنتك ، وإيم الله ، لولا أن أضيع ثغري أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدما .

قال ابن هشام : ويقال : أثبتما .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية مجادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا .

غزوة بدر الآخرة

في شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج في شعبان إلى بدر ، لمعاد أبي سفيان ، حتى نزل . قال ابن هشام واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الانصارى . قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أباسفيان ، وخرج أبوسفيان في أهل مكة حتى نزل بجنته ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ حُضُفان ، ثم بدله في الرجوع ، فقال : يامشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن حاكم هذا عام تدب ، وإنى راجع ، فارجعوا ، فرجع الناس . فسلم أهل مكة جيش لسويق ، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أباسفيان لمعاد ، فأناه عتيق بن عمرو القُشَيرى ، وهو الذى كان وادعه على بنى خُزَيمَة في غزوة تَدان ، فقال : يا عمد ، أجهت لقاء .

(١) الزينة : من يحرس القوم . (٢) أثبت : جرحته جراحة بالغة .

(٣) أنفدما : أتم قراعتها .

تقرئ على هذا الماء ، قال : نعم ، يا أخا بني خثمة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدها حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أباسفيان فرببه تعبد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاته تهوى به (١) :

قد فترت من رقتي محمد وعجوتي من يرب كالتنجد (٢)
تهوى على دين أبيها الأنجل قد جمعت ماء قدي موعدي (٣)
وماه متجانن لما ضعى النذر (٤)

وقال عبد الله بن ربيعة في ذلك — قال ابن مشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب ابن مالك :

وعدنا أباسفيان درأ فلم نجد لمعايه صدقا وما كان وانبا
فأقسم لو وانبتنا فاقبتنا لأبت ذمبا وافقدت اللوايا
تركنا به أوصال عنة وائه وعمرأ أباجمل تركاه ثاويا
عصيم رسول الله أف لديكم وأمركم الثقي الذي كان غاويا
فاني وإن حششوني لقاتل فيكي لرسول الله أهل وماليا
أطعناه لم تعيله فينا بغيره شهابا لنا في ظلة الليل هاديا
وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دعوا فلتجات الشام قد حال دورها جلاذ كأفواه الخناص الأوارك (٥)

(١) تهوى به : تسرع به . (٢) التنجد : الزبيب .

(٣) الدين هنا : العادة ، الأنجل : القديم . ماء قدي : ماء قريب من مكة .

(٤) متجانن : مكان قريب من مكة .

(٥) فلتجات : جمع فلتج ، وهذا الماء الجاري ، سمي فلتجا ؛ لأنه قد حذ في الأرض ، وقرئ بين جانبه مأخوذ من فلتج الأسنان ، أو من الفلتج وهو القسم ، والفالج سكيال يقسم به ، والفلج والفيلج بعير ذو سنمين ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة الدينوري بالحاء وقال : الفلجة الزرعة . والخناص : الإبل الحوامل . والأوارك : التي ترى الأراك وهو شجر تؤخذ منه المسلوبك .

بأيدي رجال ماجروا تحزّوهم
إذا سلكت لنفور من بطن عالج
أقنا على الرسّ الذروع ثمانيا
بكلّ كسبيّ تجوّزه نصفه خالفة
تري الرقّع العاريّ تدرى أصوّه
فإن نلق في تطواننا والقياسنا
وإن تلقّ قيس بن امرئ القيس بعده
فأبلغ أبا مغيان عن رسالة

وأصاير حقا وأيدي اللاليل
فقولا لخاليس الطريق مثالك^(١)
بأرعن تجار عريض المبرك^(٢)
وقد طوي المشرفات الحوارك^(٣)
مناسم أخفاف الملقّ الروايك^(٤)
فراث بن حيان يكنّ رهن مالك
يُردّ في سواد لونه لون حالك
فإنك من غرة الرجال الصمالك

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . قال :

أحسان إنا يا بن آكلة النقا
خرجنا وما تنجو اليعافير بيتنا
إذا ما ابتعنا من مناخر حبيته
أقت على الرسّ الذروع تريدا
على الأربع تمتلئ خيلنا وركابنا

وتجلك نغزال الحروق كذلك^(٥)
ولو وألّت منا بشة مدارك^(٦)
مُدمن أهل الموسم للتمارك^(٧)
وتركنا في التخل عند الدارك^(٨)
فا وطئت أفضقه بالهكوك^(٩)

- (١) النور : ما انخفض من الأرض . وعالج : مكان كثير الرمل .
- (٢) الرس : البئر : الذروع : سهلة الماء . الأرعن : الجيش الجرار .
- (٣) الكبيت القرس : لونها بين الأحمر والأسود يطلق على للذكر والأنثى . وحوزة : وسطه : قب : جمع أقب وهو الضامر . والحوارك أعالي القرس من ناحية الكتفين .
- (٤) العريض : نبات . والعاري : الذي بلغ العام : المناسم أخفاف البعير : الرواكن : السرعة .
- (٥) النقا : القير : نغزال : تقطع : الحروق : الصحراوات الواسعة .
- (٦) اليعافير : أولاد الظباء . وألّت : اعتمدت . شد الدارك : الجرى للمتاعب : والمعنى أنهم مشوا للسبل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير .
- (٧) للمدمن : ما تركه الركب وتركوا فيه آثارهم . والموسم : المكان الذي يجتمع فيه العرب : التمارك : الذي يزدحم فيه القوم .
- (٨) الرس الذروع : البئر السهلة الماء . الدارك : الأماكن القرية .
- (٩) الهكوك : الرمال اللينة .

أَنَا فُلَانٌ بَيْنَ سُلَيْمٍ وَفَارِجٍ
 حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ هَذَا قَبَائِمِ
 فَلَا تَبْعُ الْحَيْلَ الْجِيَادَ وَقُلْ لَهَا
 سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَمَلًا
 لَكُمْ لَا فِي هِجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتُمَا
 مُحَمَّدُ الْجِيَادُ وَالْعَلَى الرُّوَاتِكُ (١)
 كَأَخَذَكُمْ بِالْعَيْنِ أَرْطَالَ أَنْكَ (٢)
 عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُصَنِّعِ الْمُتَمَسِّكِ (٣)
 فَوَارِسُ مَنْ أَيْدٍ فَيْرِ بْنِ مَالِكٍ
 وَلَا حُرْمَاتِ الدِّينِ أَنْتَ بَنِيكَ
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : بَقِيَتْ مِنْهَا آيَاتٌ تَرْكَاهُمَا ، فَتَجِبُ اخْتِلَافُ قَوَائِمِهَا . وَاتَّقِدْنِي أَبُو رَيْدٍ
 الْأَنْصَارِيُّ هَذَا الْبَيْتُ :

خَرَجْنَا وَمَا تَجَرَّ الْعِصَابُ بَيْنَنَا

وَالْبَيْتُ الَّذِي بَعْدَهُ لِحَسَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي قَوْلِهِ :

دَعُوا قُلُوبَ الْجَاهِلِ الثَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا

وَأَتَقِدْنِي لَهَا فِيهَا بَيْتُهُ وَفَالِخُ أَبُو سَفْيَانَ .

غزوة دومة الجندل (٤)

فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَقَامَ مِنْ مَقْدَمِ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا أَشْهُرًا حَتَّى مَضَى ذُو الْحِجَّةِ وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ وَهِيَ
 سَنَةُ أَرْبَعٍ ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ يَسْبَاعُ بْنُ عُزْظَةَ الْيَمَنِيُّ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدَاءً ،
 فَأَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ سَنَةٍ .

(١) سُلَيْمٌ وَفَارِجٌ : جَبَلَانِ . الرُّوَاتِكُ : الْمَرْعَى .

(٢) الْعَيْنُ : الْبَصَرُ . الْأَنْكَ : الْقَزْدِيرُ . (٣) الْمُصَنِّعُ : الْمُتَمَسِّكُ .

(٤) دُومَةُ الْجَنْدَلِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَسَمِيَتْ مَدِينَةَ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 لِأَنَّهُ نَزَلَهَا .

غزوة الخندق ^(١)

في شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

اليهود تحزب الأحزاب : لخدمتي يزيد بن زوتان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن لا أنهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث من الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام بن أبي الحقيق النضري ^(٢) ، وشحي بن أعطب النضري ، وكثافة بن أبي الحقيق النضري ، وهؤذة بن قيس الوائلي ، وأبو عامر الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إننا نكون معكم عليه ، حتى ننتأله - فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبنا مختلف فيه نحن ومحمد ، أفدينا خير أم دينه ؟ قالوا : بل ديتكم خير من دينه ، وأتم أول بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ** من الكتاب يؤمنون بالجنيت والطاغوت ^(٣) ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ،

(١) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكاييد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسي ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري منو شهر ابن أبرج بن أفريدون وقد قيل في أفريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرهم يقول فيه : هو ابن أقيان ، وهو أول من اتخذ آلة الرمي ، وإلى رأس ستين من ملكه بعث موسى عليه السلام ، والكاكائي في الحروب ، أول من عملها بمختصر في قول الطبري .

(٢) ونسب ابن أبي الحقيق وما بعده إلى بني النضير فقال فيهم النضري ، وقياسه : النضري إلا أن يكون من باب قولهم تقي وقرشي ، وهو خارج عن القياس ، ولا يقال : عمل في النسب إلى قبيلة .

(٣) الجبت : الصنم المعبود ، الطاغوت : الساحر . الكاهن . الشيطان . أو كل ما عبد من دون الله .

أولئك الذين لعنهم الله، ومن لعن الله فلن يجهده نصيراً، ... إلى قوله تعالى : وأما يخشون الناس على ما آتاهم الله من فضله : أي النبوة ، فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مبلغاً عظيماً ، فهم من آمن به ، ومنهم من صدّ عنه ، وكفى بجهنم سعيراً .

قال : فلما قالوا ذلك لقرين ، سرهم وتسلطوا لما دعواهم إليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريباً قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب : قال ابن إسحاق : خرجت قرين ، وقائداً أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان ، وقائداً عتيبة بن حصن بن حذيفة بن بدر^(١) ، في بني فزارة : والحارث بن عوف بن حارثة المري ، في بني فزرة ؛ ويشعر بن زخلة بن ثؤيرة بن طريف بن شعبة ابن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع .

خبر الحندق : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الحندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأجلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في علمهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يؤرون بالضعيف من العمل ويشلون إلى أهلهم بخير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا ثابته النابذة ، من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه في الحقوق بحاجته ، فيأذن له ، فلما قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير ، واحتساباً له .

ما نزل من القرآن في حق العاملين في الحندق : فأول الله تعالى في أولئك من المؤمنين : وإنا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى

(١) واسم عتيبة حذيفة ، وسمى : عتيبة لشر كان بينه وهو الذي قال فيه عليه السلام لاحق . للمعاط ، لأنه كان من الجرارين ، تبعة عشرة آلاف قتاة ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره ، وفي رواية أخرى : أنه قال : إن أداريه ، لأنني أخشى أن يفسد على خلقاً كثيراً ، وفي هذا بيان معنى الشر الذي أتى منه ، وكان دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بنبر إذن فلما قال له : أن الإذن ؟ قال : ما استأذنت على مضري فملك .

يستأذنه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذونك لبعضهم
شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم ، فنزلت هذه الآية فيمن
كان من المسلمين من أهل الحسنة والرغبة في الخير ، والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بنذر إذن من النبي
صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا دعاة الرسول ينسبكم كدعاء بعضكم بعضا ، قد يعلم الله الذين
يتسللون منكم لوأذا ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » .
قال ابن هشام : الرواذ : الاستار بالشئ عند الهرب ، قال حسان بن ثابت :

ورقريش تفر من الرواذ أن يقيموا وتحف منها الخلو

وهذا البيت في قصيدة له ، قد ذكرتها في أشعار يوم أحد .

« ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أتم عليه » .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

« ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، والله بكل شئ عليم » .

المسلمون يرتجزون وهم يعملون : قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أسكوه ،
وارتجزوا فيه رجل من المسلمين ، يقال له مجتيل ، ساء رسول الله صلى الله عليه وسلم :
جبراً ، فقالوا :

سماء من بعيد مجتيل حرأ وكان اللابس يوما ظهراً

فإذا مروا به حرأ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حرأ ، وإذا مروا به ظهرأ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهرأ (١) .

معجزات ظهرت في حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان في حفر الخندق أحاديث بلغت
فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عين
ذلك المسنون .

فكان فيما بلغني أن جابر بن عبد الله يحدث : أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كذبة ،
فخسبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء ، ففعل فيه ، ثم دعا بما شاء الله
أن يدعوه ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكذبة ؛ فيقول من حضرها : فوالذي بكت بالحق نيا ،
لأنهالك حتى عادت كالكتيب لا ترد فأما ولا مشحاة .

(١) أي يقول منهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط فإنه صلى الله عليه وسلم لم يقل شعراً
مطلقاً وإن كان يسميه ويستجده يقول الله تعالى « وما علينا الشعر وما ينبغي له » .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا أنه حدث : أن ابنة بشير بن سعد ، أخت النعمان ابن بشير ، قالت : ذهني أوى عثرة بنت ربيعة ، لأعنتني حقة من تمر في ثوبي ، ثم قالت : أوى بنية ، أذهني إلى أبيك وعمالك عبد الله بن ربيعة بنداها ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنمى أوى وخالي فقال : تعالي يا مينة ، ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يا رسول الله ، هذا تمر ، بشتي به أوى إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن ربيعة بنداها ، قال : ما به ؟ قالت : فصبته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاملاهما ، ثم أمر بئوب قبسط له ثم دحا بالتمر عليه ، فبند فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى الغداة . فاجتمع الخندق عليه ، فجللوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، ولأنه ليسقط من أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال : علمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ، فكانت عندي شؤبة ، غير جد ميمية . قال قلت : والله لو صنعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : فأمرت امرأتى ، فطلعت ثا شيتا من شعير ، فصنعت ثا منه خبزا ، وذهبت تلك الشاة ، فثوبينا ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمسينا نوأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق — قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فأيذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا — قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شؤبة كانت عندنا ، وصنعتا معها شيتا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تصرف معي إلى منزلي ، وإنما أريد أن يصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال : فلما أن قلت له ذلك : قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله : قال : قلت : لانا لله وإننا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه : قال جلس وأخرجنا إلى . قال : فبرك وسمى الله ، ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء فاس ، حتى صدر أهل الخندق منها .

قال ابن إسحاق : وحدثني عن سلمان الفارسي ، أنه قال : حُرب في ناحية من الخندق ، فخطت على صخرة : ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ؛ فلما رأي أن أضرب ورأى شدة للسكان على ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمحت تحت المعول برقة : قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلعلت تحت برقة أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلعلت تحت برقة أخرى . قال : قلت : باني أنت وأمي يا رسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أترقت رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال : قلت نعم ؛ قال : أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن ؛ وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحديثي من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول - حين فتحت هذه
الأمصار في زمان عمرو زمان عثان وما بعده - افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة
بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى
الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحندق ، أقبلت قريش حتى
تولت مجتمع الأسياال من دومة ، بين الجوف وزغبة^(١) في عشرة آلاف من أحابشهم ، ومن
تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بدقيب
نقمسى ، إلى جانب أحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم
إلى سلم^(٢) ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فحضر هناك عسكره ، والحندق بينه وبين القوم .

قال : ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالدراري والنساء لجعلوا في الآطام^(٣) .

حيى بن أخطب يعرض كعب بن أمية : قال وخرج عدو الله يحيى بن أخطب الضمري ،
حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة وعدهم ، وكان قد وادع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده : فلما سمع كعب يحيى بن أخطب أطلق
دونه باب حسنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه يحيى : ويحك يا كعب افتح لي : قال :
ويحك يا يحيى ، إنك امرؤ مششوم ، وإني قد عاهدت محمداً ، فليست بناقض ما بيني وبينه ، ولم
أؤمرته إلا وفاءً وحققاً : قال ويحك افتح لي أكلمك : قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن

(١) زغبة اسم موضع بالعين المنقوطة والزاي المفتوحة ، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد
أن قدم القول بأنه زغبة بضم الزاي والعين المهملة ، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث
بين الجوف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغبة لا تعرف قال : السبيل في الروض الآنف
رواها لعرف عندي في هذه الرواية . رواه يمين قال : زغبة بالعين المنقوطة ، لأن في الحديث المستدعة
عليه السلام ، قال في ناقة أهداها إليه أعراي ، فكأنها بست بكرات ، فله مرض ، فقال عليه السلام :
ألا تعجبون لهذا الأعراي أهدى إل ناقة أعرفها ببيئها ، كما أعرف بعض أهل ذمته من
يوم زغبة ، وقد كأنها بست فسخط . الحديث .

(٢) سلم : جبل بالمدينة . (٣) الآطام : الحصون .

أغلقت دوني إلا عن جثثيتك (١) أن أكل معك منها ؛ فأخبط (٢) الرجل ، ففتح له ؛ فقال :
ويحك يا كعب ، جثثيتك بمز الدهر وبشر طام ، جثثيتك بقرش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم
بمجمع الأسياك من دومة ، وبظلفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذئب قمصى
إلى جانب أحد ، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نلتأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له
كعب : جثثي والله بذل الدهر ، وجهام (٣) قد هراق مائه ، فهو يرعد ويرق ، ليس فيه
شيء ، ويحك يا أخي : قد عني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حتى
بكعب يمتزله في الدروة والغارب (٤) حتى سمح له ، على أن أعطاه عبداً من الله وميثاقا :
لئن رجعت قرش وغطفان ، ولم يصيروا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني
ما أصابك . ففرض كعب بن أسد عهده ، ويرى عما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما اتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن قباد بن ذكيم ، أحد بني
ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن وقاحة ، أخو بني
الحارث بن الخزرج ، ونحوه بن جثيم ، أشو بني عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى
تظفروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فكان حقا فالحنا إلى لحنا أعوفه ، ولا تفتروا
في أعضاء الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجبروا به الناس . قال : فخرجوا حتى
أنزمو ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فبنا قالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقالوا : نحن رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عهد . فضاقتهم سعد بن معاذ وشاتموه ،
وكان رجلا فيه حدة ؛ فقال له سعد بن عباد : دع عنك مشاتمهم ، فما بيننا وبينهم أوقى من

(١) الجشيشة : طعام يصنع من البر المطحون خشنا .

(٢) أخبط : انخضب . (٣) الجمام : السحاب لأماء فيه .

(٤) هذا مثل ، وأصله في البعير ، يستصعب على ساقته فيأخذ القراد من ذواته وغارب سنامه ،
ويقتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضرِب هذا الكلام مثلاً في المروعة والمخافة ؛
قال الخطيب :

لمعرك ما قراد بني بغيض إذا نزع القراد بمسطلاع
يريد : أنهم لا يخذعون ولا يُستذلون .

الشارعة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معها ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كعند عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، فخطب وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

قال وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم اتفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعْتَب بن قُصَيْر ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقبصر ، وأحدثنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

لم يكن مُعْتَب منافقا : قال ابن هشام : وأخبرني من أثق به من أهل العلم : أن مُعْتَب بن قُصَيْر لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحق قال أوس بن قَيْطَى ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن يوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملا من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ، لم تكن بينهم حرب إلا الزمينا بالبل والحصار .

قال ابن هشام ويقال الزمينا .

محاولة الصلح مع غطفان : فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أنهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ، وهما قائدَا غطفان ، فأعطاهما ذلك ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معها عنه وعن أصحابه ، لجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المرافعة في ذلك . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر لهما ، واستشارهما فيه ؛ فقالا له : يا رسول الله ، أمرأ تحبه فنصنه ، أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا نصنه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكألوكم ^(١) من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ؛ فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا

تحمي ومؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لانيد الله ولا نعرفه، وهم لا يعلمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قترى أو يمسأ، ألحين أكرمنا الله بالإسلام وعدانا له وأعزنا بك وبه، تعطيم أمواتنا والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا تعطيم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذلك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فحما ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجتدوا علينا.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وعدوم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبدود بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لؤي.

— قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيس —

قال ابن إسحاق: وهكرمة بن أبي جهل، ومثيرة بن أبي وهب المخزوميان. ويزتران الخطاب الشاعر ابن يزداس، أخو بني محارب بن زهر، تلبثوا القتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بتنازل بني كنانة، فقالوا: تبنوا يا بني كنانة للحرب، فستعلون من الفرسان اليوم. ثم أقبلوا فقتلوا^(١) بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رآه قالوا: والله إن هذه لمكينة ما كانت العرب تكيد بها.

سلمان يشير إلى حفر الخندق: قال ابن هشام: يقال: إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحدثني بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منا؛ وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت.

على يقتل عمرو بن عبدود: قال ابن إسحاق: ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق، فضربوا خيلهم فاقطعت منه، لجالت بهم في البئحة بين الخندق وطلع، وخرج على بن أبي طالب عليه السلام في نفره من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تمنق ظهروهم، وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلما^(٢) ليؤري مكانه. فلما وقف هو وخيله، قال: من ياروق؟ فبرز له على بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عامدت الله ألا يدهوك رجل من

(٢) معلما: له علامة يعرف بها.

(١) تمتق: تسرع.

فريش إلى إحدى خلتين إلا أخفيتها منه ، قال له : أجل ! قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، ولكم الإسلام : قال : لا حاجة لي بذلك : قال فإني أدعوك إلى التوكل : فقال له : لم يأن أخى : فوافقه ما أحب أن أقولك ، قال له علي : لكني والله أحب أن أقولك : تخيبي عمرو عند ذلك ، فاقفتم من فرسه ، فمقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتأزلا وتجاوزا ، فقتله على رضى الله عنه وخرجت خيلهم منزومة ، حتى اقتضت من الخنق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نصرت الحجارة من سفاهة رأيي	ونصرت رب محمد بهواني ^(١)
فصدت حين تركته متجذلاً	كالجذع بين دكاك ورواني ^(٢)
وعقفت عن أنوائه ولو اتى	كنت للمطر بزة في أنوائى ^(٣)
لا تحب أن الله خاذل دينه	ونيت به معتر الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالفرسك فيما لم يلى بن أبي طالب .

هجاء حسان لعكرمة : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رعه يومئذ وهو منهم عن عمرو : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فرأى وألقى لنا رعه	لعلك يحكم لم تفصل
ووليت تعدو كعدو الظلم	ما إن تجور عن القيل ^(١)
ولم تلق ظهرك مستأنساً	كان قفاك قفا فرعل

قال ابن هشام : الفرعل : صغير الغناب ، وهذه الأبيات له .

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة : هم لا ينصرون .

استشهاد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن ابن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معاً في الحصن : فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فرسعد وعليه درع له مقاصة ^(٢) ، قد

(١) الحجارة : الأنصاب التي كانت تعبد ما فريش . (٢) الدكاك : الرمال اللينة .

(٣) المطر : الذي وقع على ظهره وهو جنبه . ويزنى : سلبى .

(٤) الظلم : ولد للنعام . (٥) مقاصة : قصبة قد ارتفعت عن حدها .

خرجت منها ذراعها كلها ، وفي يده حربة يرغل بها ويقول :

لَبِثْتُ قَلِيلًا يَشْتَدُّ الْمِجَا بَجَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ (١)

قال فقال له أمه : اثنى : أى أبى ، فقد والله أعثرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لو دبت أن دوح سعد كانت أسبح بما همى ؛ قالت : ونفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فترى سعد بن معاذ يسهم ، فقطع منه الأكحل (٢) ، رماه كما حدثني عاصم بن عمر ابن قتادة ، حبان بن قيس بن المسرة ، أحد بني عامر بن لؤى ، فلما أصابه ، قال : خذها مني وأنا ابن القرية ؛ فقال له سعد : عرق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأجني لما ، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تفرغني من بني قريظة .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أمامة الجعفي ، حليف بني مخزوم .

وقد قال أبو أمامة في ذلك شعراً للمكرمة بن أبي جهل :

أَعْيَرْتُمْ مَلَأْتُ لِي إِذْ قَوْلِي	فَإِنَّكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَائِلِي (٣)
الْبُتْ الَّذِي أَلَمْتُ سَعْدًا مَرَّةً	لَهَا بَيْنَ أَهْلَاءِ الْمُرَافِقِ عَائِلِي (٤)
أَفْضَى نَجَبٍ مِمَّا مُتَبِّدٌ فَأَعُولُ	عَلَيْهِ الشُّعْطُ وَالْمَذَارِي التَّوَاهِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدَّعَا	عُيْدُهُ جَمَاعًا مِنْهُمْ إِذْ يَكَايِدُ
عَلَى حِينٍ مَاتَهُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ	وَأَخْرَجُوهُ مَرْغُوبٌ عَنِ الْقَصْدِ قَاصِدُ

قال ابن هشام : ويقال : إن الذي روى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

حديث حسان في وقعة الخندق : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت حفية بنت عبد المطلب في فارع ، حين حسان بن ثابت

(١) حل : اسم رجل . (٢) الأكحل : عرق في وسط الذراع .

(٣) الأطام : الحصون .

(٤) مرشة : يريد طمة مرشة : أى فحرت منه رشاش الدم . والمائد : العرق الذي

لا يقطع دمه .

قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان . قالت صفية : فربنا رجل من يهود ، لجليل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوم ، لا يستطيعون أن يصرفوا عنهم إلينا إن آتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقطعه ! قال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجرت^(١) ثم أخذت عمودا ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربت به بالعمود حتى قتله . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، أنزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمتني من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب^(٢) .

خبرنا عنهم لثلاثين : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظلمر عدوم عليهم ، ولما بينهم إيام من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أثيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث ابن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد أسلمت ، وإنى قوى لم يعلوا بإسلامي ، فعزى بما شئت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استسلمت ، فإن الحرب شديدة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودى إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بكم . فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنا ، والله بل لكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسألكم ، لا تتهربون على أن تهربوا منه إلى غيره ، وإن قريشا

(١) احتجرت : شدت وسطيا .

(٢) محل هذا الحديث عند الناس على أن حسانا كان جباناً شديد الجبن ، وقد دفع هذا بعض العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، ولو صح هذا لنعى به حسانه فإنه كان يهاجى الشعراء كعسراء وابن الزبيري ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما غيره أخذ منهم بعين ، ولا وجه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق . وإن صح فربما كان حسان معتلا في ذلك اليوم بقلعة منته من شهود القتال ، وهذا أول ما تأول .

وغطفان قد جعلوا الحرب محمداً وأصحابه ، وقد ظاهرتموه عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسائهم
بغيره ، فليسوا كائتم ، فإن رأوا نهضة^(١) أصحابه ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وغلبوا
بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن سلبكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا
منهم رهناً من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تاجزوه ،
فقالوا : لقد أشرت بالرأي .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لآبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد
عرفتم مدى لكم وفراق محمداً ، وإنه قد بلغني أمر قد رأيته على حق أن أبلغكموه ، نصحا لكم
فاكتموا عني ، فقالوا : نعم . قال : تعلموا أن مشركي يهود قد ندموا على ما صنعوا فبنا بينهم
وبين محمداً ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن تأخذ لك من القليلين
من قريش وغطفان رجلاً من أشرافهم فنطيقهم ، فنضرب أعناقهم ثم نكون مملكة على من
بق منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتصقون منكم رهناً
من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً .

ثم خرج حتى أتى قطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلي وعشيري . وأحب الناس
إلي ، ولا أراكم تهتموني ؟ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بهم . قال : فاكتموا عني ، قالوا :
نعم ، فما أمرك ؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

ما أنزل الله بالمشركين : فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من ضجع الله
لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب وروعس غطفان إلى بني قريظة عكرمة
ابن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخلف
والخافر^(٢) ، فاغذوا للقتال حتى تاجز محمداً ، وفرغ ما بيننا وبينه : فأرسلوا إليهم : إن اليوم
يوم السبت ، وهو يوم لا فضل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً ، فأصابه ما لم يخف
عليكم ، وأسنا مع ذلك بالذين قاتل معكم محمداً حتى تطولوا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا
ثقة لنا حتى تاجز محمداً ، فإننا نخشى أن حترستكم^(٣) الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تفسروا^(٤)
إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما
قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود تلقى ، فأرسلوا

(١) النهضة : الفرصة .

(٢) الخلف : الإبل . والخافر : الخيل .

(٣) حترستكم : نالت منكم .

(٤) تفسرون : ترجعون .

إلى بنو قريظة: إنا والله لاندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود الحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم . وتخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وخطفان : إنا والله لاقابل معكم محمداً حتى نعطوكمنا رهناً فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح في ليل شامية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

استنهبوا ما حل بالمشركين : قال فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال ابن إسحاق : لحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته؟ قال : نعم ، يا بن أخي ؛ قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ؛ قال : فقال : والله لو أدركناه ما تركناه بمعنى على الأرض ولحلناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم متروكاً^(١) من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — بشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيق في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ؛ فلما لم يبق أحد ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني ؛ فقال يا حذيفة : اذهب فادخل مع القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تتحدثن شيئاً حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقدر لهم قدراً ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان . فقال : يا معشر قريش : لينظر امرؤ من جلسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادي بالرجل : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد ملك الكراع والخف^(٢) ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما نرؤن ، ما نطمئن لنا بقدر ، ولا نقوم لنا نارا ، ولا يستمسك لنا بناء .

(١) هوى من الليل : جزأ منه . (٢) الكراع : الخيل الخف : الإبل .

فارتحلوا فإني مرتحل ! ثم قام إلى جملته وهو معقول ، جلس عليه ، ثم ضربه ، فوشب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني ، ثم شئت ، لقتله بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في يثرب^(١) لبعض نساءه ، تراجل .

قال ابن هشام : التراجل : ضرب من وقى العين .

فلما رأى أن أدخني إلى رجليه ، وطرح على طَرْفِ الْيُثْرِبِ ، ثم ركع وسجد ، وإني لفية فلما سلم أخبره الخبر ، وممعت قطعان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

الرجوع من الخندق : قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح ..

عزوة بني قريظة في سنة خمس

جبريل يأتي بحرب بني قريظة : فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزهري ، معتبرا^(٢) بهامة من إستبرق^(٣) ، على بغلة عليها رتالة^(٤) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ! فقال جبريل : فإني وضعت للسلاح عهد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة ، فإني تأمدهم إليهم فلولهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، فأذن في الناس ، من كان سامعا مطيعا ، فلا يضلن النصر إلا ببنى قريظة .

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام

(١) المرط : الكساء . (٢) الاجتار : التميم على الرأس فقط دون جوانب الوجه أو اللحية . (٣) الإستبرق : الديباج التليظ الصفيق الحسن . (٤) الرتالة : السرج .

على يبلغ الرسول ماسمعه من ابني قريظة : قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب برأيه إلى بني قريظة ، وابتدعها الناس . فسار على بن أبي طالب ، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لاعليك أن لا تمدنوا من هؤلاء الأنخاب ؛ قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم . قال : يا إخوان الفريضة ، هل أخراكم الله وأنزل بكم قممته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت تجهولا .

جبريل في صورة دحية الكلبي : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجر من أصحابه بالصوتين^(١) قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على خلة بيضاء عليها رسالة ، عليها قטיפعة ديباج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قريظة يرسل إليهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة : نزل على بر من آبارها من ناحية أمواهم ، يقال لها بر آثا .

قال ابن هشام : قد أنى .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة ، فشنهم طام يكن منه بُد في حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بني قريظة . فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فاعلمهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنفهم به^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

(١) الصورين : موقع قريب من المدينة .

(٢) وفي هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبي — صلى الله عليه وسلم — إخراج الصلاة =

الحصار : قال : وحاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم نحسا وعشرين ليلة ، حتى يجتهدم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان شي بن أخطل دخل مع بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وعطفان ولاء لكمب بن أسد بما كان عاهده عليه .

كتب بن أسد ينصح قومه : فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا مشركو يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، ولاني عارض عليكم خلا لا خلافا ، غفوا أيها شتم ؛ قالوا : وما هي ؟ قال : تابع هذا الرجل

عن وقتها ، وإنما أراد الحق والإجمال فاهتفأ أحد من الفريقين ، وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب ، وفي حكم دأود وسليمان في الحوت أصل لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : « فهمتها سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً » ولا يستعمل أن يكون الشيء سواء في حق إنسان وخاطئ في حق غيره ، فيكون من اجتهد في مسألة فأداه اجتاده إلى التحليل مصيباً في استحلالة ؛ وآخر اجتهد فأداه اجتاده ونظره إلى تحرهما ، مصيباً في تحرهما ، وإنما الحال أن يحكم في النازلة بمحكمين متضادين في حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فألهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاحتجوا عندهم أن يكون النص يأتي بحظر ، وإباحة معاً إلا على وجه التسخين . وأما المعتزلة ، فإنهم علقوا الأحكام بتبحيح العقل وتحميته ؛ فصار حسن الفعل عندهم أوقبه صفة عين ، فاحتجوا عندهم أن يتصف فعل بالحسن في حق زيد والتبجح في حق عمرو ، كما يستحيل ذلك في الألوآن والأكران وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أبواب الحقائق ، فليس الحظر والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هي صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر في النازلة على من أداه نظره واجتاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والتبجح والإيجاب والكرهية ، كلها صفات أحكام . فكل مجتهد وافق اجتاده وجهاً من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يرفع به عن حضيض التقليد إلى مضية النظر ، فهو مصيب في اجتاده مصيب في الحكم الذي تعبد به ، وإن تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به ؛ فلا يمد في ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل به المولى من أوضح الطرائق عن السهيل من كتابه الروض الآنف .

ونصده فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي نحمدوه في كتابكم ، فنامنون على دمائكم وأموالكم وأبائكم ونسائكم ؛ قالوا : لا تفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال : فإذا أبيتم على هذه ، ففلم قتلتم أبائنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُثقلين السيوف ، لم نترك وراءنا قتلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن سهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن ظفرت فلمصرى لتجدن النساء والأبناء ؛ قالوا : تقتل هؤلاء المساكين ؟ فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمثرونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غيرة ؛ قالوا : نفس سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد حلت ، فأصابه ما لم يحض عليك من المسخ ؛ قال : ما بات رجل منكم منذ ولده أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

قصة أبي لبابة : قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابهت إلينا أبا لبابة^(١) بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لاستشيرته في أمركنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجش إلى النساء والصبيان يكون في وجهه ، فترق لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدمي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من حديد ، وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يثوب الله على عما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بنى قريظة أبدا ، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل

(١) هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل : اسمه مبشر ، وتاب وورط نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحل إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه : أنزل الله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا ، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كانه ، فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بن قريظة ، وقال آخرون : كان من المخلفين الذين ظفروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

ابن أبي خالده، عن عبد الله بن أبي قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تخفوا الله والرسول وتخفوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فأنا بالذي أطلقته من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر ، وهو في بيت أم سلمة . فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك . قالت : قلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله منك ؟ قال : تريب على أبي لبابة ؛ قالت : قلت : أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال : بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطفئوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطفى يده ؛ فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقته .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتباً بالجذع ست ليال ، تأميه امرأته في كل وقت صلاة ، فنهض للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فبما حدثني بعض أهل العلم ، والآية التي نزلت في توبته قول الله عز وجل : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا حلالاً وحلالاً وآخر سبوا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » .

إسلام بعض بني هاتل : قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سبيبة ، وأسيب بن سبيعة ، وأشد ابن هبيرة ، وهم نفر من بني هاتل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم البقوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قصة عمرو بن سعد : وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعد القرطبي ، فربح بمرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن قسيلة تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعد . وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً . فقال محمد بن قسيلة حين عرفه : اللهم لا تخشعوا لآفة عرات الكرام ، ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكره

رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه : فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق رزمة^(١) فيمن أوثق من بني قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رزمة ثقلاء ، ولا يدري أين ذهب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك اللقاء ، والله أعلم أي ذلك كان .

لحكمهم سعد في أمر بني قريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم مواليئنا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأس ما قد علمت — وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول ، فرهبهم له — فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها زُفيدة^(٢) ، في مسجده ، كانت تدأوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به خيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالحنق : اجلسوه في خيمة زُفيدة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاه قومه لخم على حمار قد وثقوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما جيلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكرموا عليه قال : لقد آتني سعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فتمى لهم رجال بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم — فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصرار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون : قد صم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك

(١) الرمة : الحبل البالي .

(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم .

أمر مواليك لتحكم فيهم : فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من ماننا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم : قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقتل الأموال ، وتسبي الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق : حدثني حاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (١) .

قال ابن هشام : حدثني بعض من أتى به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصروا بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والذين هموا ، وقال : والله لأذوقن ماذاق حرة أو لأقتلن حصنهم : فقالوا : يا محمد ، نزل على حكم سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ثم استأذنوا ، لحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الجارح (٢) ، امرأة من بني النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، التي هي سوقها اليوم ، فشدق بها خنابق ، ثم بعث إليهم ، فعزب أعناقهم في تلك الخنادق ، فخرج بهم إليه أرسالا (٣) ، وفيهم عدو الله يحيى بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم سبائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين السبعمائة والقسمة . وقد قالوا لكعب ابن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لا تمقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتى يحيى بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له فقأحية (٤) - قال ابن هشام : فقأحية .

(١) الأرقعة : السموات .

(٢) واسمها : كيسة بنت الجارح بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كرز .

(٣) أرسالا : طائفة وراء أخرى .

(٤) فقأحية : تعزب إلى لون الحرة .

منرب من الوشي : قد شقيا عليه من كل ناحية قدر أئمة لئلا يسلمها ، بمروعة يده إلى حقه
بجبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما كنت نفسى فى عداوتك ،
ولكنه من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ،
كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

نقال جبل بن جوال الثعلبي :

لتمرك ما لأم ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل .
لجاجة حتى أبلغ النفس عذرها وقتل يبنى العز كل مقليل .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة
أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعدى تحدثت
معى ، وتضحك ظهراً وعلناً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق ، إذ هي
ماقت باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك مالك ؟ قالت : أقتل ؛
قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق بها ، فضربت عنقها ؛ فكانت عائشة تقول
فوالله ما أنسى عجا منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها قتل .

قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرجا على خلاد بن سويد ، فقتله .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكرلى
ابن شهاب الزهري ، أتى الزبير^(١) بن باطا القرظي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزبير
قد من على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية ذكرلى بعض ولد الزبير أنه كان من عليه يوم
بمات ، أخذه لجز ناصيته ، ثم خلى سبيله — لجاجة ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا
عبد الرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يجمل مثلى منك ؟ قال : إني قد أردت أن أجزيك يدك
عندى : قال : إن الكريم يجزى الكريم ؛ ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قتل : تمرك .

(٢) هو الزبير بفتح الزاى وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى
كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم
جده وقيل الزبير ، وهو قول البخارى فى التاريخ .

فقال : يا رسول الله إنه قد كانت لزيد على يمتة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ؛ فأثاء فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دملك ، فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أمل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأني ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده ؛ قال : هم لك . قال : فأثاء فقال : قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمك وولده ، فهب لك ؛ قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأني ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ماله ؛ قال : هو لك . فأثاء ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ، فهو لك ؛ قال : أي ثابت ، ما فعل الذي كان وجهه امرأة يمنية يترأى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتِل ؛ قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى يحيى بن أخضب ؟ قال : قُتِل ؛ قال : فما فعل مُقَدَّمَتَا إِذَا شِدَدْنَا ، وحاميتنا إِذَا فَرَرْنَا ، قُرَّال بن سُمُوَال ؟ قال : قُتِل ؛ قال : فما فعل الجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة ؛ قال : ذهبوا قُتِلُوا ؛ قال : فإني أسألك يا ثابت يدي عندك إلا ألحقنني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله قُتِلَ دُلُو ناضح " حتى أتى الأجابة . فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فما بلغ أبابكر الصديق قوله "أتى الأجابة" . قال : يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها عذراً قال ابن هشام : قُتِلَ دُلُو ناضح . قال زهير بن أبى سلمى في " قبلة " :
وقابل يتفنن كلما قد رزت على التراقى يدها قائما دَفَقَا
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : ويروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول .

عطية القرظى ورفاعة بن سُمُوَال : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عُهمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يُقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاما ، فوجدوني لم أنبت ، غلظوا سبيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعبية أخو بني هدى ابن النجار ، أن سلمى بنت دقيس أم للنزراخت سليط بن قيس وكانت

(١) القاضح : الحبل . والمضى : مقدار ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها في الخوض .

إحدى حالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء - سأله رفاعة بن سموال القرظي ، وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت يا نبي الله ، بأني أنت وأمي ، هب لي رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصل ويأكل لحم الجبل ! قال : فوفيه لما ، فاستحيته .

تقسمهم القس : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبنائهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخيل ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفارس سهمان وللفارس سهم ، وللراجل من ليس له فارس ، سهم . وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول في وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخيل ، فعلى ستمها وماضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت للقاسم ، ومضت السنة في المعازي .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أعاب بني عبد الأشهل سيايا من سيايا بني قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً .

إسلام ربيعة : قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطنع لنفسه من نسائه ربيعة بنت عمرو بن لُحْثانة ، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ؛ فقالت : يا رسول الله ، بل تركني في ملكك ، فهو أخف عليّ وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سياها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها . فينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ؛ فقال : إن هذا ثعلبة بن سعية يشرقي بإسلام ربيعة ؛ فجاءه فقال يا رسول الله ، قد أسلت ربيعة ، فسر ذلك من أمرها .

ماثل من القرآن في الحندق وبني قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر الحندق ، وأمر بني قريظة من القرآن ، القصة في الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته لإمام حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل التفاق : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارساً عليهم ربيعة وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً » . والجنود قريش وغطفان وبني قريظة ، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح للملاكمة . يقول الله تعالى : « إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا » . فالذين جاءهم من فوقهم

بوقرطة ، والذين جاموهم من أسفل منهم قريش وخطفان . يقول الله تبارك وتعالى : « هَذَا الْكِتَابُ الْمُنِيرُ وَالْمُزْنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ، لَقَوْلُ مُعْتَبِرٍ بَن قُتَيْبٍ إِذْ يَقُولُ مَا قَالَ . » وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ، لَقَوْلُ أَوْسَ بْنِ قَيْطِيٍّ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَوْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَطْغَارِمَا : أَيْ لِلدِّينَةِ .

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ؛ وواحدا : قطر ، وهي الأقطار ، وواحدا : قطر . قال الفرزدق : قطره

كَمْ مِنْ غَشَى قَتَحَ إِلَهُ لَمْ يَهْ وَالْخَيْلُ مُقْبِتَةٌ عَلَى الْأَطْغَارِ (١)
ويروى : « على الأقطار » . وهذا البيت في قصيدة له .

« ثُمَّ شَلُّوا النَّفْسَةَ : أَيْ الرُّجُوعَ إِلَى التُّرْكِ » لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يَرْجُونَ الْأَدْبَارَ ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مُسْتَوْلاً ، فَهُمْ بِمُحَارَبَتِهِ وَهُمْ بِالَّذِينَ هُمَا أَنْ يَنْشَلُوا يَوْمَ أَحَدٍ مَعَ بَنِي سُلَيْمَةَ حِينَ هَمَّتْ بِالْفِشْلِ يَوْمَ أَحَدٍ ، ثُمَّ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَهْرُدُوا لَهُمْ أَيْدِيًا ، فَذَكَرَ لَمْ الَّذِي أَعْطَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : « قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ التَّعَلُّي ، وَإِذَا لَا تَحْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا . قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا ، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ، وَلَا يَجِدُونَ لِمَنْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَذِّبِينَ مِنْكُمْ ، أَيْ أَهْلَ التَّفَاقُ . وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ تَعَلَّمْنَا إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا . أَيْ إِلَّا دَفْعًا وَتَعْدِيرًا (٢) » « أَيْشَةُ طَبِيعُكُمْ » : أَيْ الْفَضْضُ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ « فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ ، تَمْوَرُّ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ » : أَيْ إِعْظَامًا لَهُ وَفِرَاقًا مِنْهُ « فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّلَاسِلِ جِدَادٍ » : أَيْ فِي الْقَوْلِ بِالْمُتَحَبِّينَ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ آخِرَةَ ، وَلِأَنَّهُمْ لَا يَحْتَمِلُونَ حَيْثُ (٣) ، فَهُمْ يَهَابُونَ الْمَوْتَ هَيْبَةً مِنْ لَا يَرْجُو مَا بَعْدَهُ .

قال ابن هشام : سلقوكم : بالنوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وأذوكم . تقول العرب : خليب

(١) مقبئة : أَيْ سَاقِطَةٌ عَلَى أَجْنَابِهَا تَرِيدُ الْقِتَامَ .

(٢) التمدير : أَنْ يَفْعَلَ الشَّيْءَ بِغَيْرِ نِيَّةٍ وَغَرَضِهِ أَنْ يُعْطَرَ أَمَامَ النَّاسِ .

(٣) الحبسة : طَلَبُ الْأَجْرِ .

سلاطى، وخطيب وشلقى وشلاق . قال أعتى بن قيس بن ثعلبة :
فيهم المجد والسباحة والجعدة فيهم والخطيب الشلقى
وهذا البيت فى قصيدة له .

و يحتبون الأحزاب لم يذهبوا ، قريش وعطفان د وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم
بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا .
ثم أقبل على المؤمنين فقال : د لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر : أى لتلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يخبرهم به ، فقال : د ولما
رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وعازدنا
إلا إيماننا وتسلينا : أى صبرا على البلاء وتسلينا للقضاء ، وتصديقا للحق ، لما كان الله تعالى
وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال : د من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ،
فهم من قضى نحبهم : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كن استشهد يوم بدر ويوم أحد .
قال ابن هشام قضى نحبهم : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو حبيدة وجمعه :
نحوب . قال ذو الرمة :

عشية فر الحارثيون بعدما قضى نحبهم فى ملق الحبل نحويرة
وهذا البيت فى قصيدة له . وهو بر : من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد بن جوير .
والنحب أيضا : النذر . قال جرير بن الحنظلي :

بطخفة جالدها الملوكة وغيلنا عشية بسطام تجرئن على نصب
يقول : هل نذر كانت نذرت أن تقتله فقتله ، وهذا البيت فى قصيدة له . وبسطام : بسطام
ابن قيس بن مسعود الشيباني ، وهو ابن ذى الجذنين . حدثنى أبو حبيدة : أنه كان فارس ربيعة
ابن نزار : وطخفة : موضع بطريق البصرة .

والنحب : الخطار ، وهو : الزمان . قال الفرزدق :
وإذ نجيبت كلب على الناس أئنا على النحب أعطى للجريل وأفضل
والنحب : البكاء . ومنه قولهم يتحبب . والنحب : الحاجة والممة : تقول : مالى عندهم
نحب . قال مالك بن نويرة الجوهري :

ومالئ نحب حنم غيرة أتي تلست ماتبعي من الشددين الشجر^(١)
وقال تبار بن ترويسة ، أحد بني تميم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر
ابن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بني حنيفة :
ونهمي يرستب التفتي ركضت يدالك بعد ما وقع اللوا^(٢)
ولو أدركته لتضين نجا به ولكل مخنأ وقاء
والنحب أيضا : السير الحفيف المثر .

قال ابن إسحاق : ومنهم من يفتقر : أي ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على
ماتبعي عليه أصحابه . يقول الله تعالى : « وما بدلوا تبديلا » : أي ما شكروا وما ترددوا في دينهم ،
وما استبدلوا به غيره . « ليتجرى الله الصادقين بصدقهم ، ويهدب المنافقين إن شاء ، أو يتوب
عليهم ، إن الله كان غفورا رحما . وزد الله الذين كفروا بنعيمهم » : أي قريشا وغطفانا لم
ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأول الذين ظفروهم من أهلي
الكتاب : أي بني قريظة ومن صباييم ، والصبايى : الحصون والأطام التي كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سحتم عبد بن النخعاس : وهو المحساس من بني أسد بن خزيمة :
وأصبحت الثرائ صرعى وأصبحت نساء تميم . يتدزون الصبايى
وهذا البيت في قصيدة له . والصبايى : القرون . قال النابغة الجعدي :

وسادة رهطى حتى بقيت م فردا كصبيذية الأعصب^(٣)
يقول : أصاب الموت سادة رهطى . وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو دود الإيادي .
فدعزنا سحتم الصبايى بأيديهن تفتن من الكخيل وقاد^(٤)

وهذا البيت في قصيدة له . والصبايى أيضا : الشوك الذي للفناجين ، فيما أخبرني أبو
صيدة . وأشدني لفرزد بن القصة الجعفى ، مجتم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

-
- (١) الشدن : الإبل الشدية منسوبة إلى شدن بلدة باليمن . الشجر : التي في أعينها حرة .
(٢) دراك : متابع . (٣) الأعصب : مكسور القرن .
(٤) السهم : السود . الصبايى : القرون ، الكحيل القطران . القار : الوقت .

نظرتُ إليه والرماح حوشه كرقع الصبايى فى النسيج المنمق
وهذا الميت فى قصيدة له . والصبايى أيضا : التى تكون فى أرجل الديكة نائمة كأنها
القرون الصغار ، والصبايى أيضا : الأصول . أخبرنى أبو عبيدة أن العرب تقول : جذ
الله صبيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : « وقذّف فى قلوبهم العرب فريقا يقتلون وتأسرون فريقا » : أى قتل
الرجال ، وسبي الذرارى والنساء . « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تظنّوا » :
بعض خير . وكان الله على كلّ شئ قديراً .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن
معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعه الزرقى ، قال : حدثني من شئت من رجال قومي :
أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف
الليل متجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء ،
واهتز له العرش ؟ قال : نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً يهرئونه إلى سعد ،
فوجدته قد مات .

(١) حديثه اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين
مات سعد متجراً بعمامة من إستبرق ، فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء .
واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل موت سعد بن معاذ سبعون ألف
ملك ما وطنوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجدته رائحة المسك ، وقال عليه السلام : لو
بنا أحد من صفوة القبر لنبأ منها سعد .

وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز ما هنا بمعنى
الاستيثار بقدم روحه ، وقال بعضهم : يريد حلة العرش ومن عنده من الملائكة : استقبلاً
منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بد فيه ، لأنه مخلوق ويمجوز عليه الحركة ، والهزة
ولا يدل عن ظاهر اللفظ ، ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ،
قال أبو حمزة : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه : صحيح

قال ابن إسحاق : وحديثي عبد الله بن أبي بكر ، عن حمزة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعهما أسيد بن حضير ، فلقية موت امرأة له ، لحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحنون على امرأة وقد أصبت بآبن عمك ، وقد اعتزله العرش .

قال ابن إسحاق : وحديثي من لا أتهم عن الحسن البصري ، قال : كان سعد رجلا بادنا ، فلما حله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له حمة غيركم ، والذي نفسي بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واعتزله العرش .

قال ابن إسحاق : وحديثي معاذ بن رفاعه ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجوح . عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبّح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه : فقالوا : يا رسول الله ، يثم سبّحت ؟ قال : لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرجه الله عنه .

قال ابن هشام : وبما هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن القبر لضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اعتز عرشُ أمِّ من موتٍ مالِكٍ سيمنا به إلا لسعد أبي عمرو

وقالت أم سعد ، حين احتل نعشه وهي تبكيه — قال ابن هشام — وهي كشيخة بنت

== أنه سرير سعد اعتز لم يفتت إليه العلماء ، وقالوا كانت بين هذين الحيين من الأنصار صفات وفي لفظ الحديث : اعتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخاري من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدري ، وأسيد بن حضير ؛ ورقيقة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذي . والمحب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره الحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحبة نقله ، وكثرة الرواة له ، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك . انظر الروض الأثقب بتحقيقنا ج ٣ ص ٢٨٣ وما بعدها .

رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبحر ، وهو خذرة بن عرف بن الحارث
ابن الخزرج :

وَيْلٌ أَمْ سَعِيدٌ سَعِيدٌ صَرَامَةٌ وَحَدًّا
وُسُودًا وَوَجِدًا وَفَارَسًا مُمِيدًا
مُدَّ بِهِ مَتًّا يَقْدُ حَامًا قَدَا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب ، إلا نائحة سعد بن معاذ .

الشهداء يوم الخندق : قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا
سنة نفر .

من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله
ابن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني سلة : القليل بن النعمان ، وطلبة بن غنيم . رجلان
ومن بني النجار ، ثم من بني دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم قرب ، فقتله .

قال ابن هشام : سهم غريب وسهم قرب ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذي لا يعرف من
أبن جاء ولا من أين رعى به .

قتل المشركين : وقتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بني عبد النجار بن قصي : ثنبة بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد النجار ، أصابه سهم ،
فأتته منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بني عزم بن يثقل : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتروط فيه ، فقتل ، فقلب المسلمون
على جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا في جسده ولا بشبهه ، غلظ بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسده عشرة آلاف درهم ، فيما يلقي
عن الزهري .

قال ابن إسحاق : ومن بني عامر بن لؤي ، ثم من بني مالك بن يشل : عمرو بن عبد ربه ،
قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه يحشل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

الشهداء يوم بني قريظة قال بن إسحاق : واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : خلاصة بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طرحت عليه رحي ، فشدخته شديدا ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيد .

ومات أبو سنان بن عثمة بن حنظلة ، أخو بني أسد بن خزيمه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام .

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم . فلم تغزم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوهم ، حتى فتح الله عليه مكة .

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

قال جزار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بني محارب بن فيز ، في يوم الخندق :

ومشقة تظن بنا الظنونا	وقد قدنا خزندة طحونا (١)
كان زهاء ما أمحد إذا ما	بدت أركانه لنا طيرنا
تري الأبدان فيها مسبات	على الأبطال واللب الحصينا (٢)
ونجدا كالقذاع مستومات	نؤم بها السواة الخاطئينا
كانهم إذا صالوا وصلنا	يباب الخندقين مصالحونا
أمان لا ترى فيهم رشيدا	وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحمر قام شهرا كريتنا	وكما فوقهم كلقاميرينا (٣)

(١) العندسة : الشديدة صفة لموصوف محذوف أي كنية .

(٢) الأبدان : البدن . اللب : اللب . (٣) كريتنا : كافتلا .

نراؤهم وقدو كل يوم
 بأيدينا صوارم مُزَقَّعات
 كان ويمتصن ممرات
 ويصن حقيقه لمت بلبل
 فلولا خندق كانوا لديه
 ولكن حال دوتهم وكانوا
 فإن رحل فانا قد تركنا
 إذا جن الظلام سمعت نوحى
 وسوف نؤوركم عما قريب
 بجمع من كائنه غير عول
 عليهم فى اللانح مُتَجِينَا
 تقعد بها المارق والشوفا (١)
 إذا لاحت بأبدي مُتَلِينَا (٢)
 ترى فيها العتائق مُسْتِينَا (٣)
 لدمرنا عليهم أجمعنا
 به من خوفنا متوذبنا
 لنى أيايكم سدا رهنا
 على سدد يرجعن الحينا
 كما زوناكم متواذينا
 كأشوب الغاب قد حمت الرينا

فأجابهم كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، فقال :

وسألتهم تسائل ما أيقينا
 صرنا لا نرى هو عدلا
 وكان لنا النى وزير صدق
 نقائل معشرا ظلوا وعقوا
 نعالجهم إذا نهضوا إلينا
 نرانا فى ضائقت سائنا
 وفى أيماننا يصن يضاف
 يباب الخندقين كان أشدا
 فوارثنا إذا بكروا وراحوا
 لتصر أحدا واثه حتى
 وينلم أهل مكة حين ساروا
 ولو شهدنا راتما صابرنا
 على ما نابنا متوكنا
 به نملو البرية أجمعنا
 وكانوا بالمدافعة مُرصدنا
 بضرب يُعجل التسرهنا
 كشدان اللأ متبرلنا
 بها نشنى مراح الشاغنا
 شوابكن يحمين الرينا
 على الأعداء شوسا مُقَلِينَا (٤)
 نكون عباد صنفى عظيمنا
 وأحزاب أنوا متحرينا

(١) الشئون بجمع عظام الرأس . (٢) المصلى : الذى جرد سيفه من غده .

(٣) العتيقة : السحابة التى ينشق عنها البرق .

(٤) الشوش : من ينظرون بمؤخر عيونهم كبا .

بأن الله ليس له شريك
فأما تَهْتَلُوا سَعًا سَعًا
سُبْحِيحُ جَنَانًا طِيَابِ
كما قد رَدَكُم قَلْبًا شَرِيدًا
خَوَايَا لَمْ تَأَلُوا نَمَّ خَيْرًا
بَرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَ عَلَيْكُم
وَأَنْ تَأْتِيَ مَوْلَى الْوَمَنِيَّةِ
فَإِنْ تَأْتِيَ خَيْرُ النَّادِرِيَّةِ
تَكُونُ مُقَامَةً لِلْمَحِينِ
بِقِيظِكُمْ خَوَايَا خَائِنِيَّةِ (١)
وَكَدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَائِرِيَّةِ
فَكُنْتُمْ نَحْبًا مَشْكُونِيَّةِ (٢)

وقال عبد الله بن الزبير السهمي ، يوم الحندق :

تَجِيَّ الدِّبَازَ نَحَا مَعَارِفَ رَسِيمَا
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْهُدَى رَسُومَهَا
قَفَرًا كَأَنكَ لَمْ تَكُنْ تَلُو بِهَا
فَاتَرَكَ تَذَكُّرَ مَاضَى مِنْ عَيْقَرِ
وَأَذَكُّرَ بِلَاءَ مَعَاشٍ وَاشْكُرَهُمْ
أَنْصَابَ مَكَّةَ عَامِدِينَ لِيُثَرِبَ
يَدْعُ الْحَزُونَ مَنَاجَا مَعْلُومَةً
فِيهَا الْجِيَادُ شَوَارِبَ مَجْنُونَةٍ
مِنْ كُلِّ سَلِيَمَةٍ وَأَجْرَةٍ سَلْتَبَ
طُولُ الْبَلَى وَرَأُوحُ الْإِحْقَابِ
إِلَّا الْكَيْفَ وَمَعْقِدُ الْأَطْنَابِ (٣)
فِي نَعْمٍ بِأَوَانِسِ أُرَابِ (٤)
وَتَحَلَّى تَخَلَّى الْقَتَامَ تِيَابَ
سَاوَرَا بِأَجْمِيعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ
فِي ذِي غِيَاظٍ يَجْفَلِي جَبَابِ (٥)
فِي كُلِّ نَشْرِ ظَاهِرٍ وَشُعَابِ (٦)
قُبُ الْبَطُونِ لَوَاحِقِ الْأَقْرَابِ (٧)
كَالسَّيْدِ بِأَدْرِ غَفْلَةِ الرُّفَاقِ (٨)

(١) القل : للنهمون .

(٢) المتكلمة في الأصل من ولد أحمى . وللمراد أنهم لا يصرون .

(٣) الكيب : حثيرة الماشية : مقعد . وقد . والأطناب : الحبال التي تشد بها الخيام .

(٤) الأراب : للتساويات في السن .

(٥) الغياطل : الأصوات . ويقعد : بنى غياطله جيشا كثير الأصوات . ججباب : كثير .

(٦) الحزون : ما ارتفع من الأرض . المناهج : الطرق الواضحة . النسر : ما ارتفع من

الأرض . والصعاب : جمع شعب : المنخفض بين جبلين .

(٧) الشوازب : الضامرة . القب : الضامرة . لواحق الأقارب : ضامرة الخواصر .

(٨) السلية : الطويلة . السيد : الذهب .

جيشٌ حَيَّةٌ قاصِدٌ بلواه
قُرمان كالْبُزَيْنِ أصبحَ فيها
حتى إذا وردوا المدينة وأرقدوا
شعراً وعشراً قاهرين محمداً
نادوا برحلتهم صيحةً قلتم
لولا الحنائدُ غادروا من جميعهم
فأجابهُ حسان بن ثابت الأنصاري ، فقال :

هل رسمٌ دارسٌ للقائمِ ياب
قَفَرٌ عفا رَمَمَ السحابِ رسوته
ولقد رأيتُ بها الحُلُولَ يريهم
فدع الديارَ وذُكِرَ كُلَّ حُرَيْدةٍ
واشكَّ المَعُومُ إلى الإلهِ وما ترى
ساروا بأجمعهم إليه وألبوا
جيشٌ حَيَّةٌ وابنُ حربٍ فيهم
حتى إذا وردوا المدينة وأرتحوا
وقدوا علينا قادرين بأيديهم
جُوبٌ مُصَفِّقٌ تُفَرِّقُ جمعهم
فكفى الإلهُ المؤمنينَ قتالهم
من بعد ما قَتَلُوا ففرق جمعهم
وأقر هينَ محمداً وضياعه
عاقبَ التَّوَادِ مُوقِعَ ذِي رِيثِهِ
حَلَقَ الشَّعَاءَ بَقْلَهُ فَقَوَّاهُ

- (١) قرمان : مثنى قرم وهو السيد .
(٢) الياب : القفر . المحاور : من يجادل في الكلام .
(٣) الزم : المطر . مراب : ثابتة . (٤) الحُلُول : البُوت المجتمعة . موقِب : موهرة .
(٥) متخبطون : متحطون . الحَلَبَة : الخيل المدة للسياق .

وأجاب: كعب بن مالك أيضا، قال:

أبني لنا حدث الحروب بقية
بيضاء مشرقة الذرى ومماطنا
كاللوب يُبدلُ بجها وحيلها
ونزائما يثل السراح نبي بها
قرى الشوى منها وأردت نحصها
فودأ تراح إلى الصباح إذ غدت
وتحوط سائمة الديار وتارة
حوش الوحوش مظارة عند الوغى
عُلفت على دعفر فصارت بُدنا
يخدون بالوغيب المضايغ شكها
وصوارم نزع الصائل غلبها
يصل العيون بمارني متقارب
وأغشأ أروق في القشاة كأنه

من خبي رحلة ربنا الوهاب
حمّ الجلود غيرة الاحلاب (١)
لجبار وابن العمّ والنتاب (٢)
طفّ الشعر وجزء المقضاب (٣)
جرّد المتوي وسائر الآراب (٤)
يفعل الضراء تراح للكلاب (٥)
ترى البذا وتنبّ بالاسلاب
عُلبس القناء مينة الإنجاب (٦)
دخس البضيع خيفة الاقصاب (٧)
ومتمصات في التقاي صياب (٨)
وبكل أروع ماجد الانساب (٩)
وكلت وقعة إلى غياب (١٠)
في مطنجة الظلاو ضوء شهاب (١١)

- (١) الذرى: الأهل. المعطن: مبارك الإبل حول الماء. الجلود: الأفاق، والاحلاب: ما يحلب منها.
(٢) اللوب: الأرض ذات الحجارة السود. جما: ما اجتمع من لبنها المتتاب: القاصد.
(٣) النزائغ: الخيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى. السراح: الدائب. جرة المقضاب: ما يقطع لها من التيات.
(٤) الشوى: القوائم. الثحص: اللحم. جرد: ملى. المتون: الظهور. والآراب: الأعضاء.
(٥) قود: طوال. تراح: تنشط. الضراء: الكلاب الملعة. الكلاب: السائد بالكلاب.
(٦) الحوش: النافرة. عيس: شديدة الإنجاب. السكرم.
(٧) دخس: كثرة اللحم. الاقصاب: الأمعاء.
(٨) الوغف: مالان من الدروع. البترصات: القويات. صياب: سائمة.
(٩) غلبا: صدأ ما. للمجد: الشرف.
(١٠) اللارن: الرخ اللين، وقعة: صنعة. غياب: عبد صانع للسيف.
(١١) الأغر الأزوق: السنن المجيد. الطنجة: القعدة.

وكثيرة يسبق القصران قديما
جأوى مليلته كان رماحا
ياوى إلى ظل الواه كاه
أعيت أبا كريب وأعيت ثبما
ومراعاة من ربنا تهدي بها
مخبرة على طينا فاهيتنا ذكرها
جئنا براما الجرمون برعهم
جاءت سخيته كي تغالب ربها
وترد حقد فواجذ النشاب (١)
في كل مجمعة ضربة غاب (٢)
في صعدة الخطى فبغ تغاب (٣)
وأبت بسلها على الأعراب
بالان أزقتر طيب الأتراب
من بهي ما عرضت على الأعراب
تحرها ويغرمها ذوو الألباب
فكأنات تغالب القسالب (٤)

قال ابن هشام : جأتني من أنق به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال كعب بن مالك :

جاءت سخيته كي تغالب ربها
فكأنات تغالب القسالب

(١) القران : تقارن التبل : التميز : مسامير خلق المرح . ويريد به الدروع . فواحد .
النشاب : البال التي أصابت الأنف . (٢) الجأوى : التي يغالط سوادها حرة . مليلة :
مجمعة . الضربة : للثبة . (٣) الصعدة : التناءة المستقيمة . الخطى : الريح . القى :
القتل . القاب : طائر جارح قوى الخالب أعف للقتار حاد البصر يطلق على الذكر والمؤنث .
(٤) كان هذا الاسم عما سميت به قریش قديما ، ذكروا أن قصيا كان إذا ذبح ذبيحة
أو نعيرة بمكة أتى بجوزها فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببريقه الثام ، فسميت
قریش بها سخيته . وقيل : إن العرب كانوا إذا استأوا أكرا العزة ، وهو الوبر والسم ،
وتأكل قریش الخزيرة والفته فنفست عليهم ذلك فالتبوم : سخيته ، ولم تكن قریش تذكره هذا
القب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم - منهم ،
واتركه أبا مع النبي عليه السلام ، إذا كان قرشيا ، ولقد استشهد عبد الملك بن مروان بما قاله
الموزاني في قریش :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة على سخيته لولا الليل والمهرم

فقال : فإزاد هذا على أن استقى ، ولم يكره سماح التقيب بسخيته ، فقل هذا على أن هذا
اللقب لم يكن مكروبا عنهم ولا كان فيه سم لهم بشيء . راجع الروض الآف ٣ ص ٣٠٠ .
(١١ - السيرة النبوية ، ٢٦)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرت الله يا كعب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الحندق :

من مره ضربت يجمعج بعنه	بعضا كعمية الآباء المشرقي (١)
فليتأت مأسدة نسن سيوها	بين اللذاد وبين يجمع الحندق (٢)
ذروا جنرب للملين وأسلوا	مُشجيات أنفيسهم لرب المشرق
في نصبة نصر الإله نيت	همم وكان بعينه ذا ترفق
في كل سانية تحط فضولها	كالتمشي هبت ريشه المشرق (٣)
بعضة تحككة كأن قنرها	حندق الجناد ذات قلك موثق (٤)
جدلاء يحفزها نجساد مهنو	صافي الحديدة صارم ذي روق (٥)
يلكم مع التقوى تكون لباتنا	يوم المياج وكل ساعة تصدق
فيل السوف إذا قصرن بطلونا	فلذما وتلقها إذا لم تلق
قوى الجساجم ضاحيا مامنا	بلكة الاكث كأنها لم تلق (٦)
نلق الصدر بغضه ملسوة	تبقى الجحور كقصير رأس المشرق (٧)
ونعد للاعداء كل مقلس	وريد وعجول القوائم ألق (٨)
تردي فرسان كان كجتم	عند المياج أسود طلة ملق (٩)
مصدق يعاطون الكماة حرقم	تحت النماية بالوشيج المزوق (١٠)

(١) للمصمة : صوت اهتاد النار . الآباء : الأغصان الملتفة .

(٢) للمأسدة : المكان الكثير الأسود وزيد هنا مكان الحرب . اللذاد مكان حفر الحندق .

(٣) السابقة : الدروع الكاملة . تحط فضولها : ينجر على الأرض ما زاد منها . النهى :

غدير الماء . (٤) التثير : مسامير الدروع . الجناد : جمع جندب . نوع صغير

من الجراد . والشك : إحكام في الصنع . موثق : قوية .

(٥) الجدلاء : الدرع القوية النسيج . يحفزها : يرفها . التجاد : حائل السيف . روق

السيف : طلاوته وسفائه وبريقه . (٦) بلكة : اسم فعل بمعنى ارتك .

(٧) الملمومة : المتجمعة . أى كتيبة مجتمعة . (٨) اللقاص : الفرص الخفيف . والورد :

الأحمر الضارب إلى الصفرة . وعجول القوائم : في قوائمه يياض .

(٩) الطل : المطر الضميف . (١٠) الداية : طالة العيار . الوشيج : الرماح .

أمر الإله بربطها لعدوه
تسكون غيظا للعدو وحيطا
وبيننا الله المروءة بقوة
ونطيع أمر نبينا ونحييه
ومتى يُناد إلى الشدايد نأتها
من يفتح قول النبي فإنه
فبذاك نصرنا ونظهر عزنا
إن الذين يكذبون محمداً
قال ابن هشام أنشدني به :

ملككم مع القوى تكون لباسنا

وربته :

من يبيع قول النبي

أبرزيد وأنشدني :

تلقى الجعوع كراش قهقش المشرق

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الحندق :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا
أضاميم من قيسي بن عيلان أصفقت
ينودوننا عن ديننا ونلوذم
إذا غاظونا في مقام أعانتا
وذلك حفظ الله فينا ونضله
هدانا لدين الحق واختاره لنا
علينا وراموا ديننا ما نؤامر
ويخيف لم يدروا بما هو واقع (٢)
عن الكفر والرجز راء وسامع
على غيظهم نصر من الله واسع
علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
وقد فوق الصامتين حشام

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الحندق :

(١) نعت : نسرع . (٢) أضاميم : جماعات . وأصفقت : اجتمعت على أمر .

ألا أبلغ قريبا أن مسلما
تواضع في الحروب مدوات
رواكد بزخسر للتراث فيها
كان الغاب والتبوي فيها
ولم يجعل تجارتنا اشتراء الـ
بلاد لم تتر إلا لكنا
أثرنا سكة الأنبا في
قصرنا كل ذي حضري وطول
أجيونا إلى ما نجدكم
ولا فاصروا للبلاد يوم
نصبكم بكن أخى حروب
وكن طير في خفي سخاها
وكن مقلص الآراب نهدي
خيول لا تضاع إذا أضعت
بنازع الأعنة مصغيات

وما بين المريض إلى الشفاء (١)
وخص منقبت من عهد (٢)
فليت بإيها ولا القاد (٣)
أجش إذا تبقيع للصاد (٤)
حصير لأرض دوسي أو مراد
نجلد إن نشطم للبلاد
فلم تر مثلها جلهايت واد (٥)
على الغابات مقتدر جواد (٦)
من القول المدبسين والشاد (٧)
لكم منا إلى شطر المداد (٨)
وكل مطم تليس القباد
تدف ديف صفراء الجراد (٩)
نجم التلق من أخضر وهادي (١٠)
خيول الناس في السنة الجداد
إذا نادى إلى الفرع النادي

- (١) سلع : جبل بالمدينة . والعريض : واد بالمدينة .
(٢) نواصح : حدائق نسق بالتضع . خوص : آبار حيفة .
(٣) المراد : نهر . الجام . الآبار كيرة للماء . القاد : الماء القليل .
(٤) الأجش : العالي الصوت . تبقيع : صار فيه بقع علامة التضع .
(٥) السكة : التخييل المصطف . جلهايت وادي . ما كشفت عنه السيول فأبرزته .
(٦) الحضير : الجري . وذو الحضير : يريد الخيل . (٧) نجدكم : نأسلكم .
(٨) الشطر : الناحية . والمداد : حيث حفر الشندق بالمدينة .
(٩) الطمرة : القرس الوثوب القوية . تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه .
صفراء الجراد : هي التي ألقت بيضا فهي خفيفة في طيرانها .
(١٠) للتلق : للتهديد . الآراب قطع اللحم . التهذ : التليظ . وهادي : العنق . أي :
كريم من أوله إلى آخره .

إذا قالت لنا الذُّرُ استعدوا
 رقلنا لن يُفَرِّجَ ما لِقِينَا
 فلم ترَ حُصْبَةً مِمَّنْ لِقِينَا
 أَشَدَّ بَالًا مِنَّا إِذَا مَا
 إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا طَلِمَا
 قَذَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلَّ حَقِيرٍ
 أَشَمُّ كَأَنَّهُ أَشَدُّ حَبُوسٍ
 يُقَتِّلُ هَامَةً الْبَطِيلَ الْمَذْكُورِ
 لَنُظْهِرَ دِيكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا
 تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّهِ الْعَبَادِ
 سِوَى حُرْبِ الْقَوَانِسِ وَالْجِهَادِ (١)
 مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ قَارٍ وَبَادِي
 أَرْدَنَاهُ وَالْأَيْنَ فِي الْوَادِ
 جِيَادَ الْجُدَالِ فِي الْأَرْبِ الشَّدَادِ (٢)
 كَرِيمٍ غَيْرِ مُعْتَلِكٍ الزَّنَادِ
 غَدَاةً بَدَا يَطْلِي الْجَزْعَ غَادِي
 صَبِي السَّيْفِ مَسْتَرْخِي التَّجَادِ (٣)
 بِكَفِّكَ فَاهْدُنَا بِبَيْتِ الرِّهَادِ
 قَالَ ابْنُ مَشَامٍ بِهِ :

قصرنا كل ذي قصر وطول

والبيت الذي يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبه :

أشَمُّ كَأَنَّهُ أَشَدُّ حَبُوسٍ

والبيت الذي يتلوه ، عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال مُتَمَتِّعٌ بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، يَكِي مَعْرُور بن عبد ُود ، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه :

عَمْرُونُ عَبْدُكَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ
 تَمْنَحُ الْخَلَائِقَ مَاجِدٌ ذُو مِرَّةٍ
 وَلَقَدْ عَلِمَ حِينَ وَلَّوْا عَنْكَ
 حَتَّى تَسْكُفَهُ السَّكَاةُ وَكُلُّهُمْ
 جَزَعُ الْمَذْلُومِ وَكَانَ فَارِسٌ بَلِيلِي (١)
 يَبْنِي الْقِتَالَ بِشَكِّهِ لَمْ يَنْكَلِ
 أَنَّ ابْنَ عَبْدِ فَيْهَمٍ لَمْ يَحْتَلِ
 يَبْنِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلِ (٢)

(١) القوانس : أعلى بعض الحديد

(٢) أشرجنا : رطلنا . الجدول : الدروع المحكمة النسيج . الأرب : العقد الشديدة .

(٣) المذكي : شديد القوة . صبي السيف : وسطه . التجاد : حائل السيف .

(٤) جزع : قطع . المذاد : مكان بالمدينة حيث يبي الخندق . بليل : وادي بدر .

(٥) ليس بمؤتلي : أي ليس بمقتصر .

ولقد تَكَنَّفَتِ الِاسِنَّةُ فارساً بَحْنُوبٍ تَلْعَمُ غَدَّهَ يَكْبِي أَهْلِي
تَسْلُ الْفَرَّالَ عَلَيَّ فارساً بَحْنُوبٍ تَلْعَمُ، لَيْتَ لَمْ يَزَلْ
نَاذِمٌ عَلَيَّ نَا ظَفَرَتْ بِحَبْلِهِ فَنَعْرًا وَلَا لَاقَتْ مِثْلَ الْحَبْلِ
نَفْسِي الثَّنَاءُ لِقَاؤِي مِنْ قَالِبِي لَا أَقْ يَحَامُ الْمَوْتَ لَمْ يَحْمِلْ^(١)
أَعْنَى الَّذِي جَزَعَ الْمَنَادَ بِجَوْدِهِ طَلَبًا لَتَارِ مَعَانِي لَمْ يَحْدَلْ

وقال مسافع أيضاً يؤنب نرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجلوا عت وتركوه :

مَرُّوْ بِنَ عَمْرٍو وَالْجِيَاذُ يَقُوْدَمَا خَيْلٌ هَادَةٌ لَهُ وَخَيْلٌ تُثَلُّ^(٢)
أَجَلْتُ فَوَارِسُهُ وَغَادِرُ رَهْلُهُ رَكَا عَظِيماً كَانَ فِيهَا أَوَّلُ
بِهَا وَإِنْ أَجَبْتُ قَدَّ أَبْصَرْتُهُ مِمَّا تَسْتَوِمُ عَلَيَّ عَمْرًا يَزَلُّ^(٣)
لَا يَبْعُدُنَّ قَدَّ أَحْبَبْتُ بَقْلَهُ وَلَقِيْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَمْرًا يَنْقَلُ
وَمُسِيئُهُ الْمُسْلُوْبُ وَلِي مَدْبَرًا عِنْدَ الْقِتَالِ عَنَاءٌ أَنْ يُجْتَلَا
وَعِزَّتَاهُ كَانَ الْيَأْسُ مِنْهُ مُخْشَرًا وَلِيَّ كَأَنَّ وَلِيَّ التَّيْمِ الْأَحْوَلُ

قال ابن دحمان : وبعض أهل العلم بالقصر يشكرها له . وقوله : « عمراً يزل » من غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حميرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ويكي قرأ ، ويذكر قتل علي إياه :

لَعْدُوِي مَا وَلِيْتُ ظَهْرِي مَحْدًا وَأَصْحَابِي مَجْنَأٌ وَلَا يَخِيفَةُ الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَلْبِي أَمَرِي فَلَمْ أَجِدْ لَسِنِي عَنَاءٌ إِنْ حَرَيْتُ وَلَا تَبْلُ
وَقَدْ عَلِمْتُ لَمْ أَجِدْ لِي مُقَدَّمًا مَدَدْتُ كَيْفَ عَظَامِي يَزُوْرِي أَيْ شَبْلُ
نِي مَقَامُهُ مِنْ قَرِيْبٍ حِينَ لَمْ يَجِدْ تَكْرَرًا وَقَدْ مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلُ
فَلَا تَبْعُنْ يَا عَمْرُ حَيًّا وَمَالِكًا وَحَتَّى لِحْسَنِ الْمَدْحِ يَبْلُكَ مِنْ مِثْلُ
وَلَا تَبْعُنْ يَا عَمْرُ حَيًّا وَمَالِكًا قَدْ بَغَتْ عَمْدُ اللَّتَا مَا جِدَّ الْأَصْلُ^(٤)

(١) لم يتحمل : لم يتحرج .

(٢) ثعل : تلبس فعال الثعل وهو الحديد في أرجل النخل لتقوى على المشي .

(٣) تدرم : طالب . (٤) التنا : الذكر الجميل .

فمن ليطراد الحبل 'تدع بالقنا وللنحر يوما عند فرقة الزل^(١)
 هناك لو كان أن عبيد لزارما وفرجها حقا فحق غير ما وغل^(٢)
 فذلك على لا أرى مثل موقف وقفت على نعيد للقدم كالفضل^(٣)
 لما ظفرت كفاك فخرأ بشبه أمنت به ما عشت من زلة النمل

وقال هيرة بن أبي وهب يكي عمرو بن عبدود، وبذكر قتل على إياه :

لقد جئت طلياً لؤي بن غالب لقارها عمرو إذا ناب نائب
 لقارها عمرو إذا ما يسومه على وإن اليك لا د طالب
 حشبة يدعو على وإياه لقارها إذا غام عنه الكساب^(٤)
 فيا لطف نفسي إن عمراً تركه يترب لا زالت هناك للصاب

وقال حسان بن ثابت يخترق قتل عمرو بن عبدود :

يقبضكم عمرو أحناء بالقنا يترب نحس والحماء قليل
 ونحن قتلناكم بكل مهتد ونحن ولادة الحرب حين نصول
 ونحن قتلناكم يدبر فأصبحت معاشركم في المالعين تبول

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يشكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبدود :

أسمى الفتي عمرو بن عبد يبتغي بجنوب يترب فأره لم يُظفر
 فلقد وجدت سيفنا مشهورة ولقد وجدت جياتنا لم تُقصر
 ولقد لقيت عداة يدبر حصبة ضربك ضرباً غيّر ضرب الحمر
 أصبحت لا تُدعى ليوم عظيم يا عمرو أو لجسيم أمر مثير

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يشكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا أبلغ أبا هذم رسولا مُتَلَفَةً تَحَبُّ بها الخيل^(٥)

(١) قرقرة الزل : أصوات الإبل الكريمة .

(٢) الوغل : الفاسد . (٣) عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .

(٤) خام : جبن . (٥) المتلفة : الرميالة النطية المحمولة من بد إلى بد .

أَكْبَتْ وَلَيْكُم فِي كُلِّ كُرْبٍ
وَمَنْكُمْ شَامَةٌ وَقَدْ رَأَى
قَالَ ابْنُ مَشَامٍ: وَتَرَوْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ لِرَبِيعَةَ بِنْتِ أُمِّهِ الدِّبْلِ، وَيُرْوَى فِيهَا آخَرُهَا:
كَبَّتِ الْخُزْرَجِيُّ عَلَى يَدِهِ وَكَانَ شَفَاةً نَفْسِي الْخُزْرَجِيُّ
وَتَرَوْنَ أَيْضًا لَأَبِي أَسَامَةَ الْجَنْمِيِّ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ فِي يَوْمِ بَيْتِ قَرْظَةَ يَبْكِي سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَيَذْكُرُ
حِكْمَهُ فِيهِمْ:

لَقَدْ صَيَّغْتَ مِنْ دَمْعٍ عَيْنِي حَبْرَةً	وَحَقٌّ لَمَعْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدٍ
تَقْبِلُ فَرَسِي فِي تَقَرُّلِي مُفِصَّغَةً بِهِ	صِيُونَ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةً الرَّجِيدُ (١)
عَلَى مَلَأَ الرَّحْمَنُ وَارَثَ جَنَّةٍ	مَعَ الشَّهَادَةِ وَقَدْ مَا أَكْرَمُ الرَّفِيدَ
فَإِنْ تَكُ قَدْ وَدَعْتَا وَتَرَكْتَا	وَأَسَيْتَ فِي غُرَاءٍ مُظْلِمَةِ الْعَدِّ
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَبْتَ بِشَهَادَةٍ	كَرِيمٍ وَأَنْوَافٍ لِلْكَارِمِ وَالْحَدِيدِ
بِحَكْمِكَ فِي سَعْدِي قَرْظَةَ بِالَّذِي	قَضَى أَقْبَهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمِيدِ
فَوَاقٍ حَكَمَ أَقْبَهُ حَكْمَكَ فِيهِمْ	وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِّرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَمِيدِ
فَإِنْ كَانَ رَبُّ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَى	فَتَرَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَابَتِهَا الْخَلَدِ
فَضَمَّ مَصْدُقَ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا	إِلَى أَقْبَى يَوْمِ الْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

وَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا، يَبْكِي سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَرَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّهَادَةِ، وَيَذْكُرُهُمْ بِمَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ:

أَلَا يَا لَقْرَى هَلْ لَّا تُحْمُ دَافِعُ	وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ
تَذَكَّرْتُ حَصْرًا قَدْ مَضَى تَهَانَتُ	بَنَاتُ الْخَنَى وَانْهَلَتْ مَنَى الدَّامِعِ (٢)
صَبَابَةٌ وَجُوْ ذِكْرَتِي أَجَبَةٌ	وَقَتْلِي مَضَى فِيهَا طَفْلَتِي وَرَافِعُ
وَسَعْدٌ فَأَسْتَحْوَا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشَتْ	مَنَازِلُهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَافِعِ
وَقَرَأَ يَوْمَ بَدْرٍ لِلرَّسُولِ وَفَوْقَهُمْ	ظِلَالُ النَّبَايَا وَالسُّيُوفِ الْوَامِعِ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقٍّ وَكَلِمَةٍ	مَطْبُوعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعِ
فَا تَكَلَّمُوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً	وَلَا يَقْطَعُ الْآجَالُ إِلَّا الْمَصَارِعِ

(١) ذَوَارِي: سَاكِيَةٌ. (٢) بَنَاتُ الْخَنَى: الْقَلْبُ وَمَا أَتَّصَلَ بِهِ مِنْ أَعْضَاءٍ.

لأنهم يرجون منه شفاعة
فذلك يا خير العباد بلاؤنا
لنا التمس الأول إليك وخلفنا
ونعلم أن الملك هو وحده
إذا لم يكن إلا التيون شافع
إجابتنا هو واللوث نافع
لاؤنا في مسلة هو تابع
وأن قضاء أقر لابد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضا في يوم بني قريظة :

لقد لقيت قريظة ما ساءما
أصابهم بلاء كان فيه
غداة أأام يهوى إليهم
له خيل مجبة تماذى
زكاهم وما ظفروا بشيء
هم صرقي تعوم الطير فيهم
فأنذر مثلبا نصحا قريشا
من الرحمن إن قلت نذيرى

وقال حسان بن ثابت في بني قريظة :

لقد لقيت قريظة ما ساءما
وسعد كان أنذرم بنصح
فما يرحوا بنقض المدي حتى
أحاط بحصنهم منا صفوف
وحل يحصنها ذل ذليل
بأن الحكم رب جليل
فلاهم في بلادهم الرسول (١)
له من حر وقتهم صليل

وقال حسان بن ثابت أيضا في يوم بني قريظة :

تفاقت قمشة نصروا قريشا
هم أوثوا الكتاب فضبوه
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم
فهان على سراة بني لؤي
وليس لهم بيللتهم نصير (٢)
وهم معي من التوراة بور (٣)
بصديق الذي قال النذير
حريق بالبويرة مستطير (٤)

(١) فلام : ضريح بالسيف .
(٢) تفاد : ملك .
(٣) بور : ملكي .
(٤) البويرة : مكان لبني قريظة .

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، قال :

أدام الله ذلك من صنيع وحرّق في طرائجها السحير
ستعلم أئينا منها يؤزّو وتعلم أنّ أرضينا تغيّر^(١)
فلو كان التخيّل بها ركابا لقالوا لا مقام لكم فسيروا

جوابه جبل بن جُرّال التميمي أيضا ، وبكى التميمي وقريلة ، فقال :

ألا يا سعد سعد بن مُعاذ	لما لقيت قرظة والتميمي
لعمرك إن سعد بن مُعاذ	غداةً تمحلوا فلو الشجر
فأنا الخزرجي أبو حجاب	فقال لتيقاع لا تسروا
وبدي للوال من حُخير	أُسْتَبْدأ والدوائر قد تدور
وأقربت البورة من سلام	وسمية وابن أخطب فحق بور
وقد كانوا يبغيهم يقالا	كما قُتِلَ بِمِطْلانِ الصخور ^(٢)
فإن يملك أبو حَكَمٍ سَلَامٌ	فلا رث السلاح ولا ذنور ^(٣)
وكلُّ الكاهنين وكان فيهم	مع الذين اُستُخَارَمةُ الصقور
وجدنا الجدة قد يموتوا عليه	بجدي لا فتيه البور
أقيموا يا سراة الأوس فيها	كانكم من المخزاة فخور
تركتم فَنَزَّكُم لا ثمة فيها	وقد رث القوم حامية تفور

مقتل سلام بن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : ولما اتقضى شأن الحندق ، وأمر بنى قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق ،
يهود أبر دافع فيمن حرب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل
أحسن قتلت كعب بن الأشرف ، في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتجرّبه عليه ،
استأذنت المزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو يجهل ،
فأذنت لهم

(١) التزمه : البعد .

(٢) ميطان : جبل بالمدينة .

(٣) الذنور : النعير .

قال ابن إسحاق : وحديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانوا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصاول القحطلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناه إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون هذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . قال : فلا يتكهن حتى يرقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا ندميكم بها فضلا علينا أبداً : قال : فخذوا كروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كان الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بغيير ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم .

فخرج إليه من الخزرج من بن سلة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أقيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربیع ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأثرت عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدة أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا بخيبر ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أمه . قال : وكان في علة لها إليها صله (١) قال : فاستدوا فيها ، حتى قاموا على بابها ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم أمراؤه ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا . ناس من العرب نلتبس بالثبة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقت علينا وعليها الحجر ، تخوفاً أن تكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنهت (٢) بنا وأبدرناه ، وهو على فراشه بأسيانا ، فوافقه ما يدلتنا عليه في سواد الليل إلا بإضائه كأنه قُبْطِيَّة (٣) ملقاة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيانا تحامل عليه عبد الله بن أقيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قطني قطني :

(١) السجلة : جذع النخلة ينقر في أماكن منه للصعود عليها .

(٢) نهت : شرت . (٣) القبطية : ثياب بيض كأنهم تصنع في مصر .

أى حسي حسي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوثقت^(١) يده وثقتا شديدا - ويقال : رجله ، فيها قال ابن هشام - وحلنا حتى نأتى به متبرا من عيونهم ، فدخل فيه . قال : فأوقفوا الثيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبونا قال : حتى إذا يسوا رجعوا إلى صاحبهم ، فاكشفوه وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأظفر لكم فاطلق حتى دنت في الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكدت نفسي وقلت : أنسى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فاذ^(٢) وله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسي منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا معه منا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلنا عنده في قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسياكم ، قال : لجنتاه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أمر الطمام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام ابن أبي الحقيق :

فقد دُرَّ عصابة لا قيمهم	يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
تسرون بالبيض الخفاف إلىكم	تمرحا كأشد في عرين مفر ^(٣)
حتى أتوكم في تحمل يلائكم	فتقوكم حفا بيضي دُق ^(٤)
مستصيرين نصير دين تليهم	مستصيرين لكل أمير مجيف

قال ابن هشام : قوله : « دُق » ، من غير ابن إسحاق .

(١) الرث : إصابة العظام بلاكسر .

(٢) فاذ : مات .

(٣) مفر : ملفف الأغصان .

(٤) دُق : سريعة القتل .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : وحديث يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرا ، وإنني قد رأيت أمراً ، فأترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن تلحق بالنجاشي فتكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كما عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فتحن من قدر فرفوا ، فمن يأتينا منهم إلا خيراً ، قالوا : إن هذا الرأي قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم ^(١) ، فجمعنا له أدماً كبيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطيني ، ففصرت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنني قد أجزأت منها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فوجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت إلي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كبيراً ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطيني لأقلته ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مديده فضرب بها أنفه ضربة طنفت ، أنه قد كسره ، فلوانشقت لي الأرض لدخلت فيها قرعاً منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكبر هذا ما سألتك ، قال : أنسألتني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الثاموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتنتله ؛ قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أظنني واتبه ، فإنه والله لملي الحق ، وليظنن علي من مخالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أنتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكنت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنيع . وإن الرجل ليبي ، أذهب والله فأسلم ، حتى مقى : قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : تقدمنا للدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر : قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، يا بيع ، فإن الإسلام يحبُّ (١) ما كان قبله ، وإن الحجرة تحب ما كان قبلها : قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يحبُّ (٢) ما كان قبله ، وإن الحجرة تحب ما كان قبلها .
إسلام عثمان بن طلحة : قال ابن إسحاق ، وحدثني من لا أنهم : أن عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة ، كان معهما ، حين أسلما .

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبير السهمي :

أشدُّ عثمان بن طلحة رحمةً	وملأني نعال القوم همد القبول (٣)
وما عقد الآباء من كلِّ حلف	وما خالده من مثليما بمثل
أفتتاح بيت غير بيتك تبغى	وما يبتغي من مجد بيت مؤئل
فلا تأمنن خالداً بعد هذه	وعثمان جاءاً بالثقيم المختل (٤)

وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة ، وولى تلك الحجة للمشركون

غزوة بني ثعلبان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلي قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والحرم وصفرًا وشهر ربيع ، وخرج في مجاذي الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة ، إلى بني ثعلبان يطلب أصحاب الرجيع : خبيب بن هدى وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم شره .

(١) يحب : يتطعم . (٢) يحب : يستقط .

(٣) الثبيل : اسم مكان من قتل ويريد به الحجر الأسود . (٤) الثقيم : الباهية .

خرج من المدينة صلى الله عليه وسلم، واستعمل على المدينة ابن أمّ سلمة، فبنا ثلثين مشام.

قال ابن إسحاق : فملك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على نجش ، ثم على البراء ، ثم صفق ^(١) ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صخيرات البام ، ثم استقام به الطريق على الحجة من طريق مكة فأخذ ^(٢) السير سريعاً ، حتى نزل على غران ، وهي منازل بني لحيان ، وجران واد بين أبحر وعُصفان ، إلى بلد يقال له : نايبة ، فوجدهم قد حذروا وتجمعوا في رموس الجبال . فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غرهم ما أراد . قال : لو أنا جينا عُصفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة ، فخرج في منى راكب من أصحابه حتى نزل عُصفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع التيمم ، ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعاً : آيئون تأيبن إن شاء الله ربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر ^(٣) وكآبة ^(٤) المظلي ، وسوء النظر في الأهل والمال .

والحديث في غزوة بني لحيان ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان :

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا	لقوا عُصْباً في دأيم ذات مُصَنَدِي ^(٥)
لقوا سرعاًناً يملأ الشرب ووجه	أمام طحون كالجثرة فيلق ^(٦)
ولكنهم كانوا وباراً تلبعث	شعاب حجاز غير ذي مشفق ^(٧)

غزوة ذي قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فلم يبق بها إلا ليال قلائل ، حتى أغار قُصَيَّة ابن يحيى بن حذيفة بن بدر الفزاري ؛ في خيل من عُصفان على ليحاح ^(٨) لرسول الله صلى الله

-
- (١) صفق : عدل . (٢) أخذ : أسرع . (٣) وعثاء السفر : شدة .
 (٤) الكآبة : الحزن . (٥) تناظروا : انتظروا . المصب : الجحاحات .
 (٦) سرعان : من يتقدمون الجيش . الشرب : الطريق : الطحون : الكتبة الضخمة .
 الهجرة : مجموعة من التجرم ، القيان : الكتبة .
 (٧) الوبار جمع وبر حوية صغيرة تشبه اليزرة . وللتفق : الذي له ضفلة ينفذ منه .
 (٨) القحاح : الإبل الخوامل .

عليه وسلم بالنابة، وفيها رجل من بني عتقار وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتلوا المرأة في القحاح.
قال ابن إسحق: لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومن لا أتهم، عن
عبد الله بن كعب بن مالك، كل قد حدث في غزوة ذي قرد بعض الحديث: أنه كان أول من نفر
بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد النابة متوشحا قوسه وقبله، ووجهه علام
لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده، حتى إذا علا قيعة الوداع نظر إلى بعض شيوخهم،
فأشرف في ناحية سلم، ثم صرخ: وادبأخاه، ثم خرج يشتد في آثار القوم، وكان مثل النسيج
حتى لحق بالقوم، فجعل يردمهم بالنبل، ويقتل إذا رمى، فخذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم
الرضع، فإذا وجهت أخيل نحوه اقتلني عاربا، ثم حارصهم، فإذا أمكنه الرمي رمى، ثم قال:
خسما وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع، قال: فيقول قائلهم: أو يسكننا هو أول انبأنا.
تسابق الثمران: قال: ريان رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ابن الأكوع، فصرخ
بالدابة الفزع الفزع، فقامت الخيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان: المقداد بن عمرو،
وهو الذي يقال له: القنصاذ بن الأسود، حليف بن زهرة، ثم كان أول فارس وقتل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار، عقاب بن بشر بن وقش بن زغبة بن
زعرور، أحد بني عبد الأشمل، وسعد بن زيد، أحد بني كعب بن عبد الأشمل، وأبي عبد
ظهير، أخو بني حارثة بن الحارث: يشك فيه، وعكاشة بن محصن، أخو بني أسد بن خزيمة
ومعز بن قنشة، أخو بني أسد بن خزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، أخو بني سلمة،
وأبو قتيش، وهو عبيد بن زيد بن الصامت، أخو بني زريق. فلما اجتمعوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد، فيما بلغني، ثم قال: أخرج في طلب القوم، حتى
أحلقك في الناس.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني عن رجال من بني زريق، لأبي عبيد:
يا أبا عبيد، لو أعطيت هذا الفرس رجلا، هو أفرس منك فلاحه، بالقوم؟ قال أبو عبيد:
فقلت يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربت الفرس، فو الله ما جرى في عشرين خراعا
حتى طرحتني، فذهبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو أعطيت أفرس منك، وأنا
أقول: أنا أفرس الناس، فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلى

فرس أبي عياش لمعاد بن ماعص، أو عاتذ بن ماعص بن قيس بن حنحلة، وكان ثامناً، وبعض الناس يعد سبعة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، وي طرح أسيد بن ظهير، أخا بني سارية، وافته أعلم أي ذلك كان. ولم يكن سلة يومئذ فارساً، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجله. فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا.

عمر بن فضلة ومقتله: قال ابن إسحاق: لحنني غاصم بن عمرو بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم عمر بن فضلة، أخو بني أسد بن خزيمه — وكان قال لمحز: الأخرم، ويقال له ظهير — وأن الفزع لما كان، جال فارس محمود بن مسلة في الحائط، حين سمع صاهلة الحيل، وكان فرساً صنيماً جناناً، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل، حين رأين الفرس يحول في الحائط يجمع نخل هو مربوط فيه: يا ظهير، هل لك في أن تركب هذا الفرس؟ فإنه كما ترى، ثم تاحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطيته إياه. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذ الحيل بجمامه، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قفوا يا معشر بني الليثيمة (١) حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار. قال: وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آية (٢) من بني عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقتل يومئذ من المسلمين مع محز، وقاص بن مجز المدلبي، فيما ذكر ظهير واحد من أهل العلم.

أفراس المسلمين: قال ابن إسحاق: وكان اسم فرس محمود: ذا اللمة.

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سعد بن زيد: لاحق، واسم فرس المقداد بمرجة، ويقال: سبعة، واسم فرس عكاشة بن حصن: ذو اللمة، واسم فرس أبي قتادة: خزوة، وفرس عباد بن بشر: لماع، وفرس أسيد بن ظهير: مسنون، وفرس أبي عياش: جولة (٣).

(١) الليثيمة: الثيمة. (٢) يقصد بالآية هنا الموضع الذي يربط به الفرس. (٣) البرجة: شدة جرى في مغالبة، كأنه منحوت من بيع إذا شق، وعز، أي: غلبه وأما سبعة فمن سبغ إذا علاوا في اتساع ومنه: سبحان الله، وسبحات الله: عظمت وعلوه لأن الناظر المفكر في الله سبحانه يسبح في بحر لا ساحل له، وأما خزوة: فن حزوت الطير إذا زجرتها، أو من حزوت الشيء إذا أظهرته، قال الشاعر:

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن مجزراً لما كان على فرس لمكاشة بن حصن ، يقال له الجناح ، قُتل مجزراً واستلبت الجناح .

قتل المشركين : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي ، أخو بني سلمة ، حبيب بن عينة بن حصن ، وغشاه برد ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فإذا حبيب مُتَّجِى برد أبي قتادة ، فاسترجع الناس وقالوا : قُتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيل لأبي قتادة ، يوضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك مكاشة بن حصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بئر واحد ، فانتظما بالروح ، فقتلها جميعاً ، واستقدوا بعض القناص ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوماً وليلة : وقال لسلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحني في مائة رجل لاستقتذت بقية الشرح ، وأخذت بأضاق القوم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : إنهم الآن يُقْبِتُونَ^(١) في غطفان .

تقبم الله بين المسلمين : تقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل سنة وجبل جزورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلاً حتى قدم المدينة .

لا تذر في مصيبة : وأبليت امرأة الغفاري^(٢) على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبره الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت الله أن أنحر ما إن نجاني الله عليا : قال : تقبم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس

تري الأمر المحز في كآته من الحر واستقباله الشمس مسطح وجلوة : من جلوت السيف ، وجلوت المروس ، كأنها تجلواثم عن قلب صاحبها .

ومسنون من سنحت الحديد إذا صلتها . الروض الآف ج ٤ ص ١٥

(١) الغبي : شرب اللبن بالعشى . (٢) اسمها : ليلي .

ما جزيها أن حلك الله عليها ونجاك بها ثم تحريتها ! إنه لا نفر في معصية الله ولا فيها لملكين ،
إنما هي ناقة من إبل ، فارجعي إلى أمك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفاري وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن
أبي الزبير المكي ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري .

ما قيل من الشعر في يوم ذي قرد : وكان ما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان
ابن ثابت :

لولا الذي لاقت ومشّ نورها	يحبوب ساية أمسي في التّوارد ^(١)
التي نكح يمان كلّ مدحج	حامي الحقيقة ماجد الأجساد
ولتّر أولاد القبط أتما	سلم غداة فارس اليقباد
كما ثمانية وكانوا جحفا	يكبا فسكوا بالراح بمداد
كما من القوم الذين يلوّثهم	ويقدّمون عنان كلّ تجراد
كلا ورب الرافضات إلى رمق	يقطن عرص عظام الأطواد ^(٢)
حتى تنيل الخيل ق عزائكم	وتؤوب بالملكات والأولاد ^(٣)
زفوا بكلّ مقلص وطيرق	في كلّ معترك تطفن روادى ^(٤)
أفنى دوابها ولاح متوتها	يوم مقاد به ويوم طراد
فكذلك إن جياذنا ملبونة	والحرب مشعلة بريح غواد ^(٥)

(١) الضمير في لاقت وما بعدها للخيل ، والنسر كالتواء في باطن حوافر ، وفي الفرس عشرون
عضواً ، كل عضو منها يسمى باسم طائر ، النسر والتماعة والحمامة والسمانة وهي الحمامة
والقطاة والذباب والمصفور والغراب والصدق والصقر والحرب والناهن ، وهو فرخ
العقاب والخطاب الخ . وساية : اسم موضع .

(٢) الرافضات : الإبل . والرقي للإبل : نوع من المشى . الخمارم : الطرق .
الأطواد : الجبال

(٣) تنيل الخيل : نجعلها تجول .

(٤) الرهو : المشى في تودة . المقلص : المشمر . طمرة : فرسة سريعة . روادى : سريعة

(٥) ملبونة : تسقى اللبن

وسيرفنا يعض الحداوي تهتلى مجنّ الحديد ومائة المرتاد^(١)
أخذ الإله عليهم سحرابه ولعزّة الرحمن بالأشداد
كانوا ينادي ناعمين فبكلوا أيام ذى قرد وجوة عباد
قال ابن هشام : فلما حسان غضب عليه سعد بن زيد ، وحلف أن لا يكلمه أبداً : قال :
انطلق إلى محلي وقوارس لجعلها للقداد / فاعتلر إليه حسان وقال : والله ما ذاك أردت .
ولكن الرّوى وافق اسم القداد ؛ وقال أيماناً يرضى بها سعداً :

إذا أردتم الأشدة الجلقا أو ذا غلوة فليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهد قدّا

فلم يقبل منه سعد ولم يرض شيئا .

وقال حسان بن ثابت في يوم ذى قرد :

أظن عيّنة إذ زارها بأن سوف يهدم فيها قصورا
فأكذبت ما كنت حدّته وقلم سننم أمرا كبيرا
فعمّت للدبة إذ زرتها وآفت للأسد فيها زهيرا
فولّوا سراعا كشدّ النعام ولم يكشفوا عن موطئ حصيرا^(٢)
أمير علينا رسول الليلك أحبّ بذلك إلينا أميرا
رسول نصدّق ما جاءه وينلو كتابا مغبنا منيرا

وقال كعب بن مالك في يوم ذى قرد للقوارس :

أنحب أولاد القبطو أنا على الخيل لنا مثلهم في القوارس
ولنا أناس لا نرى القتل سبة ولا تنق عند المراح الدارص^(٣)

(١) تهتلى : تقطع . الجن : الأسلحة . والمتراد : المحارب .

(٢) موطئ : من قولهم : ألقت الناقة بذنبا إذا وضعت بين غلظتها ؛ يريد أنهم لم يستطيعوا
الإغارة على المير ولم يكشفوا ما تستر به .

(٣) الدارص : المطاعن .

ولما لقرى الضيف من قس النرا
نرد كلة المعلمين إذا انتخرا
بكل فنى حاسى الحقيقو ماجد
يذودون عن أحسابهم وتلايم
فسائل بنى بدر إذا ما ليتم
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيم
وقولوا زلنا عن غلاب عاديو
ونضرب رأس الأبلخ المتشاور^(١)
بضرب يسلى نفوة المتعاس^(٢)
كريم كيرحان القضاء مخالس^(٣)
ببضي فقد المام تحت التوانس
بما فعل الإخوان يوم القارس
ولا تكتنوا أخباركم فى المجالس
به وسحر فى الصدير ما لم يمارس^(٤)

قال ابن مشام : أنشدنى به : ولما لقرى الضيف ، أبو زيد .

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجهمى ، فى يوم ذى قرد : لثينة بن حسن
يوكان صينة بن حسن يكنى بأبى مالك :

فها كررت أبى مالك
ذكرت الإياب إلى عسجر
وطمنت نفسك ذا تيمو
إذا قبضته إليك الثما
فها مرقم عبادة الإل
عزقم فوارس قد حردوا
إذا طردوا الخيل تشق بهم
فيتصموا فى سواء المقام
ونيلك مدبرة حنسل
ومها قد بئمة المسقل^(١)
رسح القضاء إذا يرسل^(٢)
لجاش كما اضطرم الميرجل
لم ينظر الآخز الأول
يطراد السكة إذا أسهلوا^(٣)
يفضاحا وإن يطردوا ينزلوا
بالبض أخلصها الصيقل

(١) قس النرا : أقال الأستمة . الأبلخ : المتعاطم . المتشاور : الجرى فى القتال .

(٢) انتخرا : تكبروا . المتعاس : الراكب رأسه .

(٣) السرحان : الذئب . وغضاة : جمعا غضا : شجر خشبه من أصلب الخشب وجره
شديد الالتهاب ، ويقال ذئب النضا : مثل يضرب فى البداع والاحتيال .

(٤) الخادر : الأسد الذى يلزم الخدر وهو بيته . الوجير : الخقد .

(٥) عسجر : موضع عكة .

(٦) ذامية : ذو نشاط . اللسخ : الكثير الجرى .

(٧) أسهلوا : نزلوا السبل .

غزوة بني المصطلق

في شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدينة بعض جمادى الآخرة ورجعاً ، ثم غزا بني المصطلق من خراة ^(١) ، في شعبان سنة ست .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ؛ ويقال : نُبيلة بن عبد الله الليثي .

سببها : قال ابن إسحاق : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، وعبد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق ، قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجسمون له ، وقادهم الحارث بن أبي ضرار أبو جُثَيرة بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لم يقال له : المُرْسِيع ^(٢) ، من ناحية قديه إلى الساحل ، فزاحف الناس . واقتلوا ، فبزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أباهم ونساءهم وأموالهم ، فأقامهم عليه .

استشهد ابن صباة خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عمرو بن ليث بن بكر ، يقال له : هشام بن صباة ؛ أصابه رجل من الأنصار من رهط عُذَيرة بن الصامت ؛ وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

القتلة بين المهاجرين والأنصار : فبما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت وأردت الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجبر له من بني غفار ، يقال له : جُهَيناه بن مسعود . فزادهم جهلاء ويثان بن قَبْر ^(٣) الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء .

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خراة ، لجذيمة هو المصطلق . وهو مقتل من الصلح ، وهو رفع الصوت .
(٢) المرسيع ، وهو ماء لخراة ، وهو من قولهم : وسعت عين الرجل : إذا دعت من فساد .

(٣) وقيل إنه : سنان بن تميم ، من جينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار انظر الرومز .
الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ١٥ .

فانتصرا، فصرخ الجيبي : يا معشر الأنصار، وصرخ جميعهم : يا معشر المهاجرين^(١) ، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعندهم رطل من قومه فيهم : زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال : وقد فعلوا، قد نافرونا وكافرونا في بلادنا، والله ما أعدتُنا وجلابيب قريش^(٢) إلا كما قال الأول : سمن كلبك يا كلبك، أما والله لئن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الأعراس منها الأذلّة. ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتهم بلادكم، وقاسمتهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم، فغضب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلم من عبده، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال : مر به عباد بن بشر فليقلبه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس.

فتفق ابن أبي بن سلول مع عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، خلف بالله : ما قال، ولا تكلمت به، — وكان في قومه شريفاً عظيماً —، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار عن أصحابه

(١) وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهم، قال : دعوها فإنها منتنة، يعني : إنها كلمة خبيثة، لأنها من دعوى الجاهلية، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً، فلما ينفى أن تكون الدعوة يا للمسلمين : فن دعى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداءً بأبي موسى الأشعري في جلده التابعة الجمعدى خمسين سوطاً حين سمع بالامر، فأقبل يشتد بعصبة له . والقول الثاني : إن فيها الجلودون العشرة لشيء عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد، والقول الثالث : اجتهد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر، إما بالوعيد، وإما بالسجن وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها، قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة، فقد أكد النبي، فن عاد إليها بعد هذا النبي، وبعد وصف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإتقان وجب أن يؤدب .

(٢) لفظي أطلقته قريش على المهاجرين .

يارسول الله ، صبي أن يكون القلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال ، خذبا على ابن أبي
ابن ساول ، ودفعنا عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسار ، لقيه أنس بن حنظل ،
عليه بفتح النون وسلم عليه ، ثم قال : يا بني الله ، والله لقد رحلت في ساعة منكرة ، ما كنت
تروح في مثلها ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى
صاحب يارسول الله قال : عبد الله بن أبي ؛ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى
المدينة ليخرجن الآخر منها الأذل ، قال : فأنت يارسول الله والله تخبره منها إن شئت ، هو
والله اللبل وأنت العزيز ؛ ثم قال : يارسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن
قومه لينظرون له الخرز ليتجوه ، فإنه يرى أنك قد استلبت ملكا .

ثم متى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليتهم حتى أصبح ،
وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض
فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي
كان بالأسس ، من حديث عبد الله بن أبي .

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز
فوق القيع ؛ يقال له : بقاء . فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح
شديدة آذتهم وتخوفوها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها ، فإنما هبت لموت
عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت ، أحد بني قنقاع
وكان عظيما من عظماء يهود ، وكهفا للمناقين ، مات في ذلك اليوم .

ما نزل في ابن أبي : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان
على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال :
هذا الذي أوفى الله بأذنه . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه : قال ابن إسحاق : لحقني حاسم بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما يملك
عنه ، فإن كنت لا بد فاعلا فرتي به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد طلت الخرج ما كان
لما من رجل أبر بوالده مني ، وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أظفر
إلى قاتل عبد الله بن أبي يمسي في الناس ، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافرا ، فأدخل النار ؛ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل تفرق به ونحن صحت ما تبقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه وبأخضونه ويعنفونه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؛ أما والله لو قتلتك يوم قلت أقتله . لا أرى بعدت له آفت ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ؛ قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

محادثة مقيس : قال ابن إسحاق : وقدم مقيس بن حبة من مكة مسلما ، فلما يظهر ، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دية أخى ، قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن حبة ؛ فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدا ؛ فقال في شعر قوله :

شفي النفس أن مات بالقاع مُستندا تُضَرَّجُ ثوبه دماء الأعداء (١)
وكانت حموم النفس من قبل قتله يُكْمَلُ تحميمي وطاة للضامع
حلت به وترى وأدركت عذري وكنت إلى الأوثان أول راجع
نارث به فبرأ وتملت قفله تراءى بنى التجار أبواب فارح (٢)

وقال مقيس بن حبة أيضا :

جلت ضربة بات لها وتشل من نافع الجوف يعلوه وينصرم
قتلك واللوث تنفاه أثيرته لا تأمنن بنى بكى إذا ظلموا

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور ، أمت أمت .

قتل بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، وقتل حل بن أبي طالب منهم رجلين ، مالك وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحمر .

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سباكثيرا ، فشا قسمة في المسلمين ؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي جزار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ،

(١) الإخادع : يريد الأخدعان ؛ وهما عرفان بالافتقار .

(٢) فارح : حمن لى التجار بالدية .

قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبأيا في المصطلق ، وقعت جوريرة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الثمسان ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلوة مثلاً ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستمينه في كتابتها ، فالت عاتفة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها : وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت ، فدعلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جوريرة بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ، ما لم يخف عليك ، وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الثمسان ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي ، لجستك أستعينك على كتابتي : قال : فعل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أفضى ذلك كتابتك وأزواجك : قالت : نعم يا رسول الله : قال : قد فعلت (١)

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جوريرة ابنة الحارث بن أبي ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما يأتيهم . قالت : فلقد احتج بزوجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فأعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه جوريرة بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جوريرة إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث .

(١) وكان نظره عليه السلام لجوريرة حتى عرف من حسنها ما عرف ، فلما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملا عينه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء ، وجاز أن يكون نظر إليها ، لأنه توى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التي قالت له : إني قد وهبت لك نفسي . يا رسول الله ، قصص فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما ، وقال مثل ذلك لحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثنية بنت الضحاك ، وقد أجازاه مالك في إحدى الروايتين عنه ، وفي مستدرك البزار من طريق أبي بكر لإخراج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة أربنتك في المنام مجيء بك الملك في سرقة من حرير ، فكشفت عن وجهك ، قال : هذه امرأتك ، فقلت : إن يكن من عند الله بحسنه . وهذا الاستدلال حسن .

ابن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للقاء ، فرغب في بيعين منها ، ففيسمها في شئب من شباب العقيق ، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، أحبتني ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البهران اللذان غيبتهما بالعقيق ، في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت محمد رسول الله فوافقه ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنتان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرة ، فأسلت ، وحنن إسلامها ؛ فغلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه لإياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عتبة بن أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم ما بهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكره المسلمون في ذكر غزوهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فيبذلهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لشكره ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فالتشرعنا راجعا ، فلما أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لقتله ، ووالله ما جئنا لذلك ، فأمر الله تعالى فيه وفيهم : يا أيها الذين آمنوا إن جملكم فاسق بنينا فتيثروا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فخصبوا على ما فعلتم فادموا . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم . . . إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثني من لا أتهم عن الزهري عن هروء عن عائشة رضي الله عنها ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أمل الإنك ما قالوا .

خبر الإنك في غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهري ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير ، وعن هروء ابن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم .

قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة .

(١) انشع : أسرع .

وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإنك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها مسمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأَيُّهن خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي طليحاً معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : وكان النساء إذا كان ذلك إنما يأكلن العلق ^(١) لم يجهن اللحم فينقلن ، وكنت إذا رُحلت لي يعمري جلست في هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لي ويحملونني ، يأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجَّه قافلًا ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نُزل منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى ، وفي عنقي عقد لي ، فيه تجزء ظفار ^(٢) ، فلما فرغت انزل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرجل ذهبت أقسه في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتفت حتى وجدتته ، وجاء القوم خلفي ، الذين كان يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا يجيب . قد انطلق الناس .

قالت : فتلفت بجلبانى ، ثم اضطجعت في مكانى ، وعرفت أن لو قد انشجعت لرجعت إلى ، قالت : فو الله إنى اضطجعت إذ مر بي صفوان بن النخيل السلى ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ^(٣) ، فلم يأت مع الناس ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى

(١) العلق : جمع علقة : ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

(٢) الجزع : الخرز . ظفار : مدينة باليمن ينسب إليها هذا الخرز .

(٣) وهو صفوان بن ربيعة بن خراعى بن عارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بثة ابن سليم السلى . الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقه العسكر يلتقط ما يستقط من متاع المسلمين ، حتى يأتهم به ، ولذلك تخلف في هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإنك ما قالوا ، وقد زوى في تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان تقبل الثوم لاستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكرت أشياء منها أنه لا يصلح الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إنى امرؤ تهيل الرأس =

قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رأى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غلبته رسول الله صلى الله عليه وسلم^١ وأنا متلفعة في ثيابي ؛ قال : ما خطبك يرحمك الله ؟ قالت : فاكنت ، ثم قرب البعير ، فقال : اركبي ، واستأخر عني . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا ، يطالب الناس ، فو الله ما أدركنا الناس ، وما انفقت حتى أصبحت ، ونزل إلياس ، فلما أعلموا نوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإنك ما قالوا ، فارتفع^(١) العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتبكت شكوى شديدة ، ولا يلقى من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أتري لا يدركون له منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه في ، كنت إذا اشتبكت زحني ، ولطف في ، فلم يفعل ذلك في شكواي تلك : فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل عليّ وعندي أمي تمرضني — قال ابن هشام : وهي أم زومان ، واسمها زيب بنت عبد ذهمان ، أحد بني فراس بن قثم بن مالك بن كنانة — قال : كيف تيمّم ، لا يزيد على ذلك .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت في نفسي ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائي لي ، لو أذنت لي ، فانتقلت إلى أمي ، فرضنتي ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى بقيت من وجعي بعد جضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماء لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُف التي تتخذها الأعاجم ، تمنأها ونكرها ، إنما كنا نذهب في فُسح المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعني أم مسطح بنت أبي زهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت حمز بن عامر بن كعب بن تميم ، خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : قالت : فو الله إنها لتمشي معي إذ غفرت في يثربها^(١) ؛ فقالت : تمس مسطح ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بشئ لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا ، قالت : أو ما يملك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت :

== لا أستيقظ حتى تطلع الشمس . فقال له النبي عليه السلام : فإذا استيقظت فصل ، وقد ضعف الزرار حديث أبي داود هذا في مسنده . وقتل صفوان بن المعطل شيوياً في خلافة معاوية ، وأندقت رجله يوم قتل ، فطاعن بها ، وهي منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شطايط .

(١) ارتفع : اضطرب . (٢) مرطبا : كساوما .

قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي ، قالت : قلت لأبي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما نعدنوا به ، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أرى بيني ، خففى عليك الشأن ، فوالله لقلبا كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتنا من يوتى إلا وهو معي .

قالت : وكان كبير ذلك ^(١) عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وتحنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تتأخرني ^(٢) في المذلة عنده فغيرها ، فأما زينب فمضت معها الله تعالى يدينها فلم تقل إلا خيراً وأما تحنة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تصادني لأختها ، فشقبت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حنظل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سعد بن حنظل ، وكان قبل ذلك يشرى رجلاً صالحاً فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا لأنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك متأنق تجادل عن المنافقين ؛ قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على .

فالتفت علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ؛ فأما أسامة فأنهى علي خيراً ، وقاله ؛ ثم قال يا رسول الله ، أهلك ولا تعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب

(١) كبر ذلك : إلهه .

(٢) في الأصول : تأصبي ولكن قال السيلي في الروض الأقرب أن الحديث في تأصبي من المتأصبة ، أي : المساواة . انظر الروض ج ٤ ص ٢١ .

والباطل : وأما علي فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لتقدر على أن تستخف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرة ليسألها : قالت : فقام إليها علي بن أبي طالب ، فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقني رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت : فتقول والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا إنى كنت أعجن عجنى ، فأمر ما أن تحفظه ، فتأم عنه ، فتأتى الشاء فتأكله .

قالت : ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندي أبواى ، وعندي امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهي تبكى معى ، جلس ، حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فأتى الله ، وإن كنت قد عارفت سوء ما يقول الناس فتوى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يجيئا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلمتا قالت : وایم الله لانا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى قرأنا يقرأ به فى المساجد ، ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خيراً : فأما قرآن ينزل فى ، فوالله نفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أراوئى يتكلمن ، قالت : قلت لها : ألا تخيبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ما ندري بماذا نجيبه : قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام : قالت : فلما أن استجمعا على ، استمرت فبكيت : ثم قلت : والله لأتوب إلى الله ما ذكرت أهدا . والله إنى لأعلم أن أفررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لأصدقوني . قالت : ثم التمسك اسم يعقوب فأذكره : فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : «صبرٌ جميل» ، والله للمسمان على ما تقيفون . قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم جلعه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجسى بشوبه ووضعت له وسادة من آدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فرغت ولا بليت قد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ، ما شئى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضننت لتخرجن أنفسهما ، قرأنا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم مئرتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلس ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان^(١) فى يوم شات ، لجلل يسمح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ،

فقد أنزل الله برأءتك ، قالت قلت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس ، خطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمطبخ بن أئانة ، وحسان بن ثابت ، وتحنة بنت جحش ، وكانوا ممن أنصح بالفاحشة ، فضربوا حنكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت بأمر أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك .

قالت : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإنفاك ، فقال تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك مصبة منكم ، لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم » ، وذلك حسان بن ثابت . وأصحابه الذين قالوا ما قالوا .

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبدالله بن أبي وأصحابه .

قال ابن هشام : والذي تولى كبره عبدالله بن أبي ، وقد ذكر ابن إسحاق في هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : « ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً » ، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه ، ثم قال : « إذ تلقونهم بالسفينة بالسيوف » ، ويقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هيناً ، وهو عند الله عظيم .

فلما نزل هذا في عائشة ، وبعين قال لها ما قال ، قال ، أبو بكر ، وكان ينفق على يسلم بن عمار ، وحاجته : والله لا أنفق على يسلم شيئا أبداً ، ولا أنفقه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة ، وأدخل علينا ، قالت : فأنزل الله في ذلك . ولا يأتى أولوا الفضل منكم ولا يأتى أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعشوا وليصنعوا الأصحون أن ينفقوا الله لكم ، والله غفور رحيم .

قال ابن هشام : يقال : كبره وكثره في الرواية ، وأما في القرآن فيكبره بالكسر .

قال ابن هشام : « ولا يأتى أولوا الفضل منكم ، ولا يأتى أولوا الفضل منكم » . قال عمرو القيس بن حجر الكندي :

ألا رُبَّ خصم فيك ألوى ردهه . نصيح على تعذله غيبي مؤتلي

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : ولا يأتل أولوا الفضل ، ولا يحلب أولوا الفضل ، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصري ، فيما بلغنا عنه .

وفي كتاب الله تعالى : للذين يؤولون من نساءهم ، وهو من الإلية ، والآلية : العين . قال حسان بن ثابت :

آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني آليسة برا غير إنفاد

وهذا البيت في أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها . فمضى : أن يؤتوا في هذا المذهب : أن لا يؤتوا ، وفي كتاب الله عز وجل : « يبين الله لكم أن تضلوا » ، يريد : أن لا تضلوا : « ويملك السماء أن تقع على الأرض » ، يريد : أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مفرغ البجلي :

لأدعرت الشوام في وضع الصبح ح مغيرا ولا دُعيت يريدا
يوم أعطى حافة الموت حنا والتايا يرصدني أن أحيدا
يريد : أن لا أحيدا : وهذان البيتان في أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بل والله ، إني لأحب أن يفراقه لي ، فرجع إلى مسطح فنقته التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أزعمها منه أبدا .

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن الحنظل اعترض حسان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقوله فيه ، وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يعرض بآبن الحنظل فيه ، وبين أسلم من العرب من مضى ، فقال :

أسمى الجلابيد قد عجزوا وقد كُفروا	وابن القريظة أسمى بيضة البلد ^(١)
قد شككت الله من كنت صاحبه	أو كان متحيا في جرحي الأسد ^(٢)
ما يقتل الذي أغدو فأغذه	من دقة فيه يسطاما ولا قود
ما البحر حين تهب الرج شامية	فيظليل ويرى التبر بالبرد ^(٣)
يوما بأغلب من حين تبصرني	يلقيظ أفرى كفري العارض البرد ^(٤)

(١) الجلابيد : لفظ تطلقه قرش على من أسلم منهم . بيضة البلد : أي منفرد .

(٢) البرن : يد الأسد مع أصحابه .

(٣) يظليل : يتحرك . البحر : الجانب البحر .

(٤) أفرى : أقنع ، العارض البرد : السحاب الحامل للبرد .

أما قسريش فإني أن أسألهم
ويتركوا اللات والعزى بمصر
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم
حق ويؤمنوا بهداه والهدى

فأعترضه صفوان بن المطلب ، فضربه بالسيف ، ثم قال : كما حدثني يعقوب بن عتبة :
تَلَّقْتُ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِ فُلَانٍ غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن ثابت بن قيس بن الشثبان
وئب بن صفوان بن المطلب ، حين ضرب حسان ، لجمع يده إلى عنقه مجل ، ثم انطلق به
إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبت
ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتل ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ! قال : لقد أجرت ، أطلق الرجل ،
فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان
ابن المطلب ، فقال ابن المطلب : يا رسول الله : آذاني وهجاني ، فأحطتني الغضب ، فضربته ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : أحسن بإحسان ، أتشوهت^(١) على قومي أن يهداهم
الله للإسلام ، ثم قال : أحسن بإحسان في الذي أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله .

قال ابن هشام : ويقال : أبعد أن هداهم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عونا
منها يترجأ ، وهي قصر بنو مخدلة اليوم بالمدينة ، وكانت مالا لأبي طلحة بن سهل تصدق بها
على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان في ضربه
وأعطاه سيرين ، أمة قطيعة ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، وكانت عائشة تقول :
لقد سئل عن ابن المطلب ، فوجدوه رجلا حصورا ، ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيدا .

قال حسان بن ثابت يفتخر من الله كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها :

حَسَانَ زَوَّانَ مَا تُزَكِّي بِرَيْسِهِ وَتُصَيِّحُ عَزْرِي مِنْ حُورِ الْغَوَائِلِ^(٢)

(١) أتشوهت على هوى : أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلاليد من أجل هجرتهم
إلى الله وإلى رسوله . هكذا قال السيل في الروض الآف جـ ص ٢٢ .

(٢) حسان : فقال يفتخ الحاء يكثر في أوصاف الموث : وفي الأعلام منها ، كأنهم قصدها ==

عصاة حتى من لؤي بن غالب
مهذبة قد طيبت الله يمينها
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم
وكيف وؤدى ما عييت وئصرق
له رتب عالي على الناس كلهم
فإن الذي قد قيل ليس بلائيل
كرام المساعي مجثم غير زائل
وطهرها من كل سوء وباطل^(١)
فلا رفعت سوطي إلى أنامل
لآل رسول الله زين المحافل
تقاصر عنه سورة المتناول
ولكنه قول امرئ في ما حل^(٢)

يبتلى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لحفة المعنى ، أى المصحى بهذه الصفات خفيف على النفس ،
وصحان من الحسن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرم إليها ، وقالت جارية
من العرب لأميا :

يا أميا أبصرنى راكب
بسم في مسطر لاجب
جعلت أحن الترابنى وجهه
حننا وأحن حوزة الغائب

قالت لها أميا :

الحسن أدنى لو تأيت من حشيك التراب على الزاكب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبي سعيد الميرافى فى شرح أبيات الإيضاح . والروان والثقال
بمعنى واحد ، وهى التقليلة الحركية .

وقوله : وتصبح غرى من لحوم الغرامل ، أى خبيصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيالهم
وضرب الثرى مثلا ، وهو عدم الطعم وخطر الجوف وفى التذليل « أوجب أحدكم أن يأكل لحم
أخيه ميتا » ضرب المثل لأخذه فى العرض بأكل اللحم . لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم
الأخيه كأنه يقتل ويكشف ما عليه من ستره .

وقال : ميتا ، لأن الميت لا يحس ، وكذا الغائب لا يسمع ما يقول فيه الغائب ، ثم هو
فى التحريم كأكل لحم الميت .

وقوله : من لحوم الغرامل ، يريد : العنافة الغافلة قلوبهم عن الشر ، كما قال سبحانه :
« إن الذين يرمون المحسنات الغافلات المؤمنات ، جعلن غافلات ، لأن الذى رمين به من الشرأ
الذى يهمن به قط ولا خطر على قلوبهم ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعنافة .

(١) الخيم : الطبع .

(٢) لاخط : لاصق . ما حل : ما شى بالنعمة .

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حى » والذى بعده ، وبهته : « له رتب عال » عن أبي زيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة : أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

بِجْسانَ رِزانَ ما تُؤنُّ بريتو وتصيح غرقي من لحوم الغوافل
فقلت عائشة . لكن أبوما .

قال ابن إسحاق : وقال قاتل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في قوتهم على عائشة — قال ابن هشام . في ضرب حسان وصاحبه — .

لقد ذاق حسان الذى كان أهله	وحنة إذ قالوا هجيرا ويشطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نيتهم	وتخطه ذى العرش الكريم فأرخوا ^(١)
وأذوا رسول الله فيها مجلوا	عنازى تبقى مغموها وتضمها
وشبت عليهم محصداً كأنها	شأبيب قطر من دُرِّ اللز تنقع ^(٢)

أمر الحديبية^(٣) في آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان

والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سُبَيْل بن عمرو

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذى القعدة مضراً ، لا يريد حرباً .

(١) آرحوا : من الترح وهو الحزن .

(٢) محصداً . صفة لوصف مخوف يعنى سياطاً . والمحصدات المقتولة ، الشأبيب : اللذات من المطر . تسفع . تسيل .

(٣) يقال فيها : الحديبية بالتخفيف ، وهو الأعراف عند أهل العربية . قال الخطابي : أهل الحديبية يقولون : الحديبية بالتشديد ، والجمراة كذلك ، وأهل العربية يقولون : بالتخفيف وقال البكري : أهل العراق يشددون الراء والياء في الجمراة والحديبية ، وأهل الحجاز يخففون . وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من نيت من أتق بعلمه عن الحديبية ، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نجية بن عبد الله الليثي .

قال ابن إسحاق : واستقر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأجأ عليه كمين من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعرة ليأمن الناس من حربه ، ولعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير عن يسور ابن خزيمة ومروان بن الحسك أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بئدة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بئدة عن عشرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغني ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة .

قال الزهري : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بشفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي — قال ابن هشام : ويقال بشر — فقال : يا رسول الله هذه قريش ، قد سمعت يسيرك ، فخرجوا معهم العوذ الطافيل (١) ، قد لبسوا جلود الثور ، وقد نزلوا بذى طوى (٢) . يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع القيم (٣) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا وبع قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو تخلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه الساقة (٤) ، ثم قال : من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها ؟

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رجلا من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقا وعرأ اجتزل (٥) ، بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على

- (١) استمار العوذ الطافيل للنساء مع أولادهن . والعوذ هي الإبل حديثة التناج والطافيل التي معها أولادها .
(٢) ذو طوى : موضع قرب مكة .
(٣) كراع القيم : موضع بين مكة والمدينة . (٤) الساقة : صفحة المتى .
(٥) الاجزل : كثير الحجارة .

المسلمين وأنصوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا نستغفر الله ونوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها ليحطة ^(١) التي عرضت على بني إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات البين بين ظهري الحش ، في طريق تفرجه على ثنية المزار مبط الحديبية من أسفل مكة ، قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قنرة ^(٢) الجيش قد غالقوا عن طريقهم ، رجعوا وراكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك في ثنية المزار بركت فاقته ، فقالت الناس : سَلَّتْ ^(٣) الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بمخلق ، ولكن حبسها حابس التيل من مكة . لا تدخوني قريش اليوم إلى حطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ؛ قيل له : يا رسول الله : ما بالوادي ماء نزل عليه ، فأخرج سهما من كنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فنزل به في قلب من تلك القلب . ففرزه في جوفه ، فجاش بالزواء حتى ضرب الناس عنه سَطَن ^(٤)

قال ابن إسحاق : غديقي بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذي نزل في القلب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن مجتذب بن عمير بن يعتمر بن دارم بن عمر بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أنص بن أبي حارثة ، وهو سائق بُذِن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن هشام : أنص بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لي بعض أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاقه أعلم أي ذلك كان . وقد أشدَّتْ أسلم آياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذي نزل بالسهم ، فرعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية في القلب يبيع على الناس ^(٥) ، فقالت :

(١) وهو قوله تعالى : .. وقولوا حطة نغفر لكم ذنوبكم ، و«مناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم حط عنا ذنوبنا» .

(٢) القنرة : النبار .

(٣) خلأت : بركت وحرفت عن المشي .

(٤) السطن : مبارك الإبل حول الماء .

(٥) يبيع على الناس : يلا دلائهم .

يأبها المانحُ ذلوى دونكا إني رأيتُ الناسَ يمجّدونكا

يُتّون خيراً ويمجّدونكا

قال ابن مشام : ويروى :

إني رأيتُ الناسَ يمجّدونكا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، ودو في القلب يبيع على الناس :

قد علمت جاريةً يمانيةً أني أنا المانحُ واسمي ناجية

وطعن ذات رشاقي وأهية طعنتها عند صدور القاذية^(١)

فقال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يذبل بن ورقاء الجزاعي ، في رجال من شُرَاعِه ، فسكموه وصألوه : ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائرًا للبيت ، ومنظماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً عما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائرًا لهذا البيت ، فاتهموهم وجتبهوهم^(٢) وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا فتوة أبداً ، ولا نتحدث بذلك هنا نلرب .

قال الزهري : وكانت خزاعة غيبة نصيح^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلها ومشرکہا ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة .

قال : ثم بثوا إليه يكثر بن حفص بن الأخيف ، أخا بني طامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً عما قال لبذل وأصحابه : فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم بثوا إليه الخليل بن عكمة أو ابن زيان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم

(١) الرواية : المسترخية من ألسانها . (٢) جبهوهم : واجهوهم بما يكرهون .

(٣) غيبة نصيح الرجل : موضع سره .

يتألمون ، فابعدوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض ^(١) الوادى في قلاته (٢) ، وقد أكل أوباره من طول الحلبس عن محله ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن الحلبس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عقدناكم . أبعد عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحلبس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لاتفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قال فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الإهرى في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي : فقال : يا معشر قريش ، إني قد رأيت ما يلقي مشرك من يمتنوه إلى محمد إذ جاءكم من التثنيف وسوء الفظ ، وقد فرتم أنكم والله وإني والله - وكان عروة لشبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم ، فجاءت من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى : قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس ^(٣) ، ثم جئت بهم إلى يمينك لفضيحتهم ، إنما قريش قد خرجت معها المؤذ المظاويل . قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لا تدخلوا عليهم فتوة أبدا . وإيم الله ، لكأنى هؤلاء قد انكشعروا حلك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد : فقال : أمص بظفر اللات ، أعين تشكف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي فحافة ، قال : أما والله لو لا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول حبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكله . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد . قال : فجعل يقرع يده إذا تناول حبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك : قال : فيقول عروة : ويحك ! ما أغضبك وأغظك ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة : قال : أى عتقك ، وهل غلبت سوءتك إلا بالأمس .

(١) عرض الوادى : جانبه . (٢) القلات : ما يعلق في أعناق الإبل علامة على أنها قدسى .

(٣) أوشاب الناس : أغلاطهم . (٤) بيضة الرجل : صغيره . وبضمها : يهلكها .

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن الغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك ، من ثقيف ، فتهاب الحيان من ثقيف : بنو مالك وهبط للمقتولين ، والأحلاف وهبط للغيرة ، فودى عروة للمقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .
قال ابن إسحاق : قال الزهري : فكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كأم به أصحابه : وأخبره أنه لم يأت يريد حريا .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوصأ إلا ابتدروا وضروه ، ولا يصق بهاقا إلا ابتدروه . ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقبصر في ملكه . والتجاشى في ملكه ، وإني والله ما رأيت مليكا في قريم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلبونه لشيء أبدا ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا غيراثر ، ابن أمية الخزاعي ، فبعث إلى قريش بمكة ، وحمله على بغيره يقال له الثعلب ، لينفخ أشرافهم عنه ما جاء له ، ففقدوا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فتمت الأحابيش ، فظفروا ببذله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض من لا آتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمرهم أن يظفروا بمسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأخذوا أخذا ، فأقربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففقا عنهم ، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبحث إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشا على نفسي . وليس بمكة من عدى بن كعب أحد بمنى ، وقد عرت قريش عداوتي إيانا ، ويغلظي عليها ، ولكنني أدك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فبعث إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت للحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومظلمًا لحرمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماة قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين نزع من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت نطف فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتسبت قريش شئها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نتأجر القوم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجند بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكانى أنظر إليه لأصفا بأبط ناقته . قد ضبا^(١) إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي : أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أتى به عن حديثه بإسناده ، عن ابن أبي مليكة عن ابن أبي عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة : قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سبيلا بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت عمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب معنا أنه دخلنا علينا فتوة أبداً . فأتاه سبيلا بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح

(١) ضبا إليها : احتسبها .

سين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولست بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أولستوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فلما نعطى الدينية (١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم عَزَّوَجَلَّ (٢) ، فأتى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألت رسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولست بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أولستوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فلما نعطى الدينية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيئني ! قال : فكان عمر يقول : ما زلت أنصدق وأصوم وأصل وأعتق ، من الذي صنت يومئذ ، غفلة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شروط الصلح : قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سويل : لا أعرف هذا ، ولكن أكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال : فقال سويل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سويل بن عمرو ، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن قهين الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بخير إذن ولية رده عليهم ، ومن جاء قريشاً من مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيتنا تحية مكفوفة (٣) ، وأنه لا إسلال ولا إغلال (٤) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهده دخل فيه .

فتواثمت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثمت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . وأنت ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا حنك فدخلناها بأصحابك ، فأقت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السيوف في القُرْب ، لا تدخلها بغيرها .

(١) الدينية : الدال . (٢) الزم غرضه : أى الزم أمره .

(٣) حية مكفوفة : أى صدور مخطوية على ما فيها .

(٤) الإسلال : السرقة خفية . الإغلال : الخيالة .

أبو جندل بن سهيل : فيما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرفف في الحديد ، قد انقلبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في انتزع ، لروا رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تعطل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلييه ، ثم قال : يا محمد ، قد جئت^(١) القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل يثوره بتلييه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا هشر المسلمين ، أأرد إلى المشركين يقتلون في ديني ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ، أصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولبن مملك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنما قد صدقنا بيتنا وبين القوم صلحا ، وأعطيناكم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ؛ وإنا لا نقدر بهم ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ؛ ويقول : أصبر يا أبا جندل ، إنما هم المشركون ، وإنا دم أحدهم دم كذب قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضرب الرجل بأبيه ، ونفذت القضية .

من شهدوا على الصلح : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، وعُمود بن مسلة ، وميكيز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلي بن أبي طالب وكتب ، وكان دو كائب الصحيفة .

الإحلال : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا في الحال وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قسم إلى مقدميه فحمله ، ثم جلس لحلق رأسه ، وكان الذي حلقه ، فيما يعني ، في ذلك اليوم يترأس بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تحرر وحلق تواتروا يتحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : لحقني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله المحلقين ذنرا^(٢) . والقصيرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والقصيرين يا رسول الله ؟ قال :

يرحم الله المحققين ، قالوا : والمقصرون يارسول الله ؟ قال : والمقصرون ، فقالوا : يارسول الله : فلم ظهرت ؟^(١) الترحيم للمحققين دون المقصرون فقال : لم يشكروا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جلا لابي جهل ، في رأسه بزة^(٢) من فضة ، يفيظ بذلك المشركين .

فروى سورة الفتح : قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قائلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويؤم بعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً » ثم كانت فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى من ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يدافعون فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله ، فسيؤتيه أجراً عظيماً » .

ثم ذكر من تحلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفرغتم الخروج معه فأبطنوا عليه : « يقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا » . ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : « يقول المخلفون إذا انطلقتم إلى معانم لتأخذوها ذرونا تبكم ، يريدون أن يدلوا كلاماً أقول لن تبعوننا كذلككم قال الله من قبل ، ... ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولي البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن الزهري أنه قال : أولوا البأس الشديد : خيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة ، فلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً » . ومعانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيراً حكماً . وعدكم الله معانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ، وكف أبيض الناس عنكم ، ولتكون آيةً للمؤمنين ويهدىكم صراطاً مستقيماً . وأخرى لم تتدروا عليها قد أحاط الله بها ، وكان الله على كل شيء قديراً .

(١) ظهرت : قويت وأكثت .

(٢) البرة : حلقة جهل في آف البعير لينذل بها وكانت في العادة من خشب أو شعر .

ثم ذكر بحسبه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعني النفر الذين أصحاب دنهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : « وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيراً » . ثم قال تعالى : « هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوثاً أن يبلغ محله » .

قال ابن هشام المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :
وكان السموط فككته السبل لك يعطيه نجيذاً أم غزال (١)
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : « ولولا رجالٌ مؤمنون ونساء مؤمنات لم يعلوم أن تظنوم فتصيبكم منهم تفرقة بغير علم ، ، والمهرة : الفرغ ، أى أن تصيبوا منهم مرة بغير علم فتخرجوا دينه ، فأما لائم فلم يحشه عليهم . »

قال ابن هشام : بلغني عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسليمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، وأبي جندل بن سويل ، وأشياهمهم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم آفة ، حية الجاهلية ، يعني سويل بن عمرو حين حى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : « فأنزل الله تكتيته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى » ، وكانوا أحق بها وأهلها ، أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .
ثم قال تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رموسكم ومقصرين لا تخافون فعمل ما لم تعلموا ، أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ؛ يقول : محلقين رموسكم ، ومقصرين معه « لا تخافون ، فعمل من ذلك ما لم تعلموا ، لجعل من دون ذلك فتحة قريباً » صلح الحديبية . »

يقول الزهري : فافتتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وآمن الناس بعضهم بعضاً ، والتفقا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكمل أحد بالإسلام بمقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية

(١) السموط : جمع سوط : وهو القلادة .

في ألف وأربعمائة ، في قول جابر بن عبدالله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين و عشرة آلاف .

أمر المستضعفين بمكة بعد الصالح

قصة أبي بصير : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آتاه أبو بصير عتبة^(١) بن أسيد بن جارية ، وكان من حابس بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أضره بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب التثقي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤي ، ومعه مولى لهم ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأضر والأخنس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا العذر ، وإن الله جاعل لك ولن مملك من المستضعفين فرجا وغرجا ، فانتقل إلى فومك ، قال يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ، انتقل فإن الله تعالى سيجعل لك ولن مملك من المستضعفين فرجا وغرجا .

فانتقل معهم ، حتى إذا كان بذي الحليفة^(٢) ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحبا ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ فقال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فرعا ، فلما انتهى إلى الله رسول صلى الله عليه وسلم ، قال ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي . فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله ، وفدتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم وقد امتعت بديني أن أفتن فيه ، أو يعبت بي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل أمه محش حرب^(٣) لو كان معه رجال ؟

(١) وقيل : عبيد .

(٢) ميمية أهل المدينة . بينها وبين المدينة ستة أميال .

(٣) وفي الصحيح ويل أمه مسعر حرب ، ويقال حششت النار ، وأريتها ، وأذكيته ، وأقلتها ، وسعرتها بمعنى واحد .

ثم خرج أبو بصير حتى نزل البيص ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : « ويل أمة عشت حرب لو كان معي رجال » ، فخرجوا إلى أبي بصير بالبيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، وكانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوا حتى كذبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آوأم ، فلا حاجة لهم بهم : فأوأم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقدموا عليه المدينة .

قال ابن مشام : أبو بصير ثقي .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري ، أسند ظهري إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة حتى يؤدى هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان ابن حرب : والله إن هذا هو السفه ، والله لا يؤدى فقال في ذلك مؤقب بن رباح أبو أنيس ، حليف بني زهرة :

قال ابن مشام : أبو أنيس أشعرى -

أناي عن شيل ذرة قول
فإن تكني العتاب تريد مني
أثودن وعبد مناف حول
فإن تفرق فتاني لا تهمدني
أسأى الأكرمين أباً بهومي
هم منعا الظواهر غير شلبي
بكل بائنة وبكل تهديد
لهم بالخياف قد علت مقعد

فأبقتني وما بي من رقاد
فعاثني فما بك من يعادي
بمخروم ألفا من نعمادي
ضميت العود في الكرب القداد
إذا وطىء الضعيف بهم أراذي
إلى حيث الباطن فالتواذي
سواهم قد طوين من الطراذي
رواق المجيد رقع باليهادي

(١) ذرة : طرف .

(٢) أراذي : أراي .

(٣) البئرة : البئر . البريمة . التهد : الغليظ . طوين : ضجعت . والطراد : الهجوم .

(٤) الخيف : موضع في منى . الرواق : بيت كالخيمة يعمل على عمود طويل .

فأجاباه عبد الله بن الزبير ، قال :

وأمرى مؤتمت كبحار تسوء أجاز يلدية فيها ميناى
فإن العبد مثلك لا يناوى سبلا ضل سبيلك من شمادى (١)
فأقصر يابن قتيبي السوء عنه وعذ عن القاتل في البلاد
ولا تذكر عتاب أبى يزيد فهبات البحور من التماذى (٢)

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك المدة ، فخرج أخوها عماره والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردهما عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش في المدينة ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : لحدثني الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبي هذيلة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنعوهن ، الله أعلم بما يكنن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ، لأنهن حلال لهن ، ولأولادهن ، وآبائهم ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحنهن إذا آتينكم أجورهن ، ولأنكمسكنوا بهن الكوافر » .

— قال ابن هشام : واحدة الصم : عصمة ، وهى الحبل والسبب . قال أعني بن قيس ابن عتبة :

إلى المراء قيسى طيل الشرى وأخذ من كل حى عصم
وهذا البيت في قصيدة له .

(١) لا يناوى : لا يصادى .

(٢) التماذى : الماء القليل .

« واستلوا ما أنفقتم ، وليستلوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليه حكم » .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قرشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ؛ فلما حاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، ألقى الله أن يرددن إلى المشركين إذا من امتحن بمحنة الإسلام ، فغرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتسبن عنهم ، إن هم ردوا على المحلين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليه حكم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال ، وسأل الذي أمره الله : أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهم ، وأن يردوا عليهم مثل الذي يردون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قرش يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يرد لهن صدقات ، وكفلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزهري عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : « وإن فاتكم شوء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم ، فآتوا الذين ذمبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ، وانفقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » فقال : يقول : إن فات أحدكم منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم ، فمضوهم من فيه إن أصبموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ، ... إلى قول الله عز وجل : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، كان من طلق امرأته طلاقاً مباحاً ، طلق امرأته قسرية بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جبرئيل أم عبيد الله بن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهنم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

بشرى فتبع مكة : قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة أننا ؟ قال : بلى ، أقلت لكم من عابى هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لي جبريل عليه السلام .

ذكر المسير إلى خير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلي قال: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من المدينة ذا الحجة وبعض المحرم، وولى تلك الحجة المشركون، ثم خرج في بقية المحرم إلى خير.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نسيئة بن عبد الله الليثي، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكانت يضاء.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الهيثم بن نعيم بن كهر الأسدي أن أباه حدثه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خير لعامر بن الأكوع، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع سنان: أنزل يابن الأكوع، فحدثنا عن متابعك (١)، قال: فأنزل يربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

واقد لولا الله ما احدثنا ولا مهدنا ولا علينا
لما إذا فرم يقرأ علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكتة طينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحك الله؛ فقال عمر بن الخطاب: وجبت والله يا رسول الله، لو أمتنا به أقتل يوم خير شيدا، وكان قتله، فيما بلغني، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل، فكانت كلها شيدا، فأت منه؛ فكان المليون قد شكوا فيه، وقالوا: إنما

(١) متابعك: جمع الحقة: كتابة عن كل شيء لا تعرف اسمه، أو عمره، فتسكت عنه، وأصل الحقة: هنية وهنوة. قال الشاعر:

على هنوات شأنها متابع.

وفي البخاري: أن رجلا قال لابن الأكوع: ألا تنزل قسمنا من هنياتك، صغره بالهنا وهو صغره على لغة من قال هنوات لقيل هنياتك، وإنما أراد - صلى الله عليه وسلم - أن يحدو بهم، والإيبل تستحث بالهداء ولا يكون الهداء إلا يضر أو يجر.

قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشديد ، وصلى عليه ، فبقي عليه المسكون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أنهم ، عن عطاء بن أبي مزيان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي مُعْتَبَر بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خير قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ؛ فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شر ما فيها وشر أهلها وشر ما فيها ، أعوذوا بسم الله . قال : وكان يقول ما عليه السلام لكل قرية دخلها :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يُبْزَ عليم حتى يصبح ، فإن سمع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا ، أغار ، فزنا خير ليلا ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدسى نفس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا حال خير غادين ، قد خرجوا بمساحيم ومكائيم^(١) ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش ، قالوا : محمد والجنيس^(٢) معه ، فأدبروا محزبا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خربت خير ، إنا إذا نزنا بساحق قوم فساء صباح المنكرين . قال ابن إسحاق : حدثنا هارون بن حميد ، عن أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خير سلك على عشرين ، فبقي له فيها مسجد ، ثم على الصبيان ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يُدْأوا أهل خير ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أن غطفان لما سمعت بنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير جمعوا له ، ثم خرجوا ليطأهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا متقعة^(٣) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساه

(١) للساعي : مجارف الحديد . المكائيل : التفت الكمية .

(٢) الجنيس : الجيش . (٣) متقعة : مرحلة .

ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وتخلوا
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتذكر^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حننا حننا .
فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن قسلة ألقيت عليه منه رماقته ،
ثم القموص ، حصن بني أبي الحقيق ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سيابا ، منهن
صفية بنت حيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وبقي عم لها ؛ فاصطنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه .

وكان ربيعة بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فلما أصفاها
لنفسه أعطاه ابنتي هما ، وثقت السبايا من خيبر في المسلمين .

أشياء نهي عنها الرسول يوم خيبر : وأكل المسلون لحوم الخمر الأهلية من حرما ،
إنقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قنئ الناس عن أمور سبها لهم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن عمرو بن سفيان القرظي عن عبد الله بن أبي سليط ،
عن أبيه ، قال : أنا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الخمر الإنسية ، والتدور
تقورها ، فيكفأناها على وجوها .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم ، عن مكحول : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى يومئذ عن إتيان التبايا من السبايا ، وعن أكل الخمر الأهلي ، وعن أكل كل
شيء ناب من السباع ، وعن بيع المفانم حتى تقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثني سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار : عن جابر بن عبد الله
الأنصاري ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهي الناس عن
أكل لحوم الخمر ، أذن لهم في أكل لحوم الخيل .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى ثجيب : عن حنن
الصنعاني ، قال : غزونا مع روقع بن ثابت الأنصاري المقرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب
يقال لها جربة ، فقام فينا خطيبا ، فقال : يا أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) لذي : أي أخذ الإثني فالإثني .

هناك : لا يحمل لأمري. يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينقي ماؤه زرع غيره ، يعني إتيان الخليلي
من السبايا ، ولا يحمل لأمري. يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها
ولا يحمل لأمري. يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مفتاحاً حتى يُقتَم ، ولا يحمل لأمري. يؤمن بالله
واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجزها ردما فيه ؛ ولا يحمل لأمري.
يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فيء المسلمين حتى إذا أخلفه رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن قتيبة : أنه حدث عن مجادة بن الصامت ،
قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب
الطين ، وتبر الفضة بالورق المين ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق المين ، وتبر الفضة
بالذهب المين .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والأموال .
بهي سهم : لحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بني سهم من أسلم أتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء .
فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنا قد عجزت
حالم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، ففتح عليهم أعظم حصونها
عنهم غناء ، وأكثرها طعاماً وودكا ، ففدا الناس ، ففتح الله عز وجل حصن الشعب بن معاذ ،
وما بخير حصن كان أكثر طعاماً وودكا منه .

مقتل قزح : قال ابن إسحاق : وما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم
ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم الوطيج والسلام ، وكان آخر
حصون أهل خيبر افتتاعاً لحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .
قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يا منصور .
أيث أيث .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن سبل بن عبد الرحمن بن سبل : أخو بني حارثة ، عن
جابر بن عبد الله ، قال : خرج قزح اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز
وهو يقول :

قد علمت خيبر أني قزح شاكى السلاح ظل

أَطْعُنْ أَحْيَانًا وَجَيْئًا. أَضْرِبْ إِذَا الْيَوْمُ أَفْئَلَتْ تُحْرَبُ^(١)

إِنْ جَاءَ الْحَمَى لَا يُقَرَّبْ

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرٌ أَنِّي كَعْبٌ مُقَرَّبٌ^(٢) الْقَمَى جَرِيَّةٌ صُلْبٌ
إِذْ تُثَبِّتُ الْحَرْبُ ثَلَاثًا الْحَرْبُ مَعِي حَسَامٌ كَالْعَقِيقِ حَضْبٌ
نَطْلُوكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّعْبُ نَعِيلُ الْجَزَاءِ أَوْ بَيْتَةِ التَّهْبِ

بَكَتْ ماضٍ لَيْسَ فِيهِ حَضْبٌ

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرٌ أَنِّي كَعْبٌ وَأَتَمُّ مَتْنٍ تُثَبِّتُ الْحَرْبُ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ جَرِيَّةٌ صُلْبٌ مَعِي حَسَامٌ كَالْعَقِيقِ حَضْبٌ
بَكَتْ مَاضٍ لَيْسَ فِيهِ حَضْبٌ تَذَكُّكُمْ حَتَّى يَذِلَّ الصَّعْبُ

قال ابن هشام : ومرحب من حمير .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري .
قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول
الله ، أنا والله ، الموتور الثائر ، قتل أخى بالأمس ، فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . قال :
فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُجْرِيَّة^(١) من شجر القُتْرِ ، فجعل أحدهما
يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه سيفه ما دونه منها ، حتى برز كل واحد
منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل التائم ، ما فيها قَنَنٌ ، ثم حمل مَرْتَحِبٌ على محمد بن
مسلمة ، فضربه ، فاقطعه بالترقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن
مسلمة حتى قتله .

مقتل ياسر : قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ،
فرغم هشام بن عروة أن الزهد بن العوام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب :

(١) تحرب : مضنية . (٢) عمرية : صجور .

بقتل ابنى يا رسول الله قال : بل اهلك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقى ، فقتله الزبير .
 قال ابن إسحاق : حدثني هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك
 يومئذ لصارماً قصباً ، قال : والله ما كان صارماً ، ولكنى أكرمه .

فتح عجير على يد علي : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن سفيان بن قزوة الأسلمى ،
 عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأبرقع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أبابكر الصديق رضي الله عنه برأيه ، وكانت يضاء ، فيها قال ابن هشام ، إلى بعض حصون
 خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد مجئد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين
 الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة ،
 فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فقتل في عينه ، ثم
 قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأتى^(١) يهول هرولة ، وإننا لحفنه ففتح أثره ، حتى
 وكر رأيه في رظم^(٢) من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال :
 من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . قال : يقول اليهودى : طوتم ، وما أنزل على موسى ،
 أو كما قال . قال : فارجع حتى فتح الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثني عباد بن الحصن ، عن أبي رافع ، مولى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، حين بعث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم برأيه ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطاح
 نرس من يده ، فقاتل على عليه السلام بأبواب الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في
 يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي :
 أنا ثمانهم ، فحججهم على أن قلب ذلك الباب ، فاقبله .

حديث أبي الليث : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن سفيان الأسلمى ، عن بعض
 رجال بني سلمة عن أبي الليث كعب بن عمرو ، قال والله إنما لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر
 ذات عشية ، إذ أقبلت غم لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن محاصروهم فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : من رجل يلعبنا من هذا القوم ؟ قال أجم الليث : فقلت أنا يا رسول الله : قال :
 فاقبل : قال : فخرجت أشد مثل الظليم^(٣) ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً قال

(١) يأتى : يملو صوته . (٢) الرظم : الحجارة المتجمعة . (٣) الظليم : ولد النعام .

ألقهم أمتنا به ؛ قال : فأدركت القوم وقد دخلت أولاما الحصن ، فأخذت شاتين من آخرهما ، فأحضنتهما تحت يدي ، ثم أقبلت بهما أشتد ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحهما فأكلهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتوا بي ، تعقروا ، حتى كنت من آخرهم مملكا .

صفية رضى الله عنها ، قال ابن إسحاق : ولما انتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القمص ، حصن بين أبي الحقيق ، أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب ، وأخرى معها ، فربما على قتل من قتل يهود ؛ فلما رأتهم التي مع صفية صاحت ، وصكت وجهها وحث التراب على رأسها ؛ فلما رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزبوا (١) عن هذه الشيطانة ، وأمر صفية لخوت خلفه ، وألقى عليها رداءه ؛ فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيا بلقي : حين رأى تلك اليهودية ما رأى : أترعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بأمرأتين على قتلتي رجلهما ؟ وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، أن قرأ وقع في حجرها ، فمرضت ووثاها على زوجها ؛ فقال : ما هذا إلا أنك تئنين ملك الحجاز محمدا ، فطمع وجهها لطمه تخضر صيتها منها . فألقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أمرته ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

وأبي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثانة بن الربيع ، وكان عنده كزبي الضفير ، فسأله عنه ، ليجد أن يكون يعرف مكانه ، فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت كثانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكثانة : أرايت إن وجدناه هناك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فخرت ، فأخرج منها بعض كزيم ، ثم سأله عما بقي ، فألقى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزبد في صيدره ، حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

صلح خيبر : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهل خيبر في حصنهم الزوطح والشالام ، حتى إذا أبقوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، فقبل ، وكان

(١) أعزبوا : أبعدوا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشق ونفاة والكتبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من دينك الحمين . فلمسمعهم أهل فُدُك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسِيرَهم ، وأن يحترق دماهم ، ويُحْطَوا له الأموال ، ففعل ^{١٠} . وكان فيمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك تحيصة بن مسعود ، أخو بني حارثة ؛ فلما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ؛ وأمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فُدُك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فينا بين المسلمين ، وكانت فُدُك غالبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يجلبوا عليها بحيل ولا ركاب .

قصة الشاة المسمومة : فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم ، شاة مَصلية ^(١) ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقبل لها : الذراع ؛ فأكثرت فيها من اللحم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ؛ فلما وضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تناول الذراع ، فلاك منها مضعفة ، فلم يُسْغِها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلغظا ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت فقال : ما حلك على ذلك ؟ قالت : . . . بائست من قومي ما لم يتخف عليك ، قلت : إن كان ملكا استرحمت منه ، وإن كان نيبا فسيخبر ، قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بشر من أكله إلى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني مزوان بن عثمان بن أبي سعيد بن الملقى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال في مرضه الذي توفى فيه . ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تمرده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أجري ^(٢) من الأكلة التي أكلت مع أخيك بجبير . قال . فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى واديه القزوى ، فحاصر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

(١) مصلية : مسمومة .

(٢) الأجر : هرق من هرقين يخرجان من القلب ومنها تشعب الشرايين كلها .

جزء الغال من الغنيمه : قال ابن إسحاق : حدثني ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة ، قال : قلنا انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القرى نزلنا بها أصيلا مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له ، أهداه له رفاعه بن زيد الجذامي ، ثم المنبيني .
قال ابن هشام : جدام ، أخوتهم .

قال : فوالله إنه ليضع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه سهم غرب^(١) فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذي نفس محمد بيده : إن شملته الآن لاحترق عليه في النار ، كان غلما من في المسلمين يوم خيبر . قال : فسميها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأناه فقال : يا رسول الله ، أصبت شيئا كين للمعين لي : قال : فقال : يُقَدُّ لك مثلها من النار .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل الخزني ، قال : أصبت من في . خيبر جراب سهم ، فاحتلته على عاتق إلى رجلي وأصحابي . قال : فلقني صاحب المغانم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا قسمه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لأعطيك ، قال : لجبل يجاذبني الجراب . قال : فرأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك . قال : فبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : لا أيا لك ، خل بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رجلي وأصحابي فأكلناه .

حراسة أبي أيوب للرسول : قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية ، بخير أو يبيض الطريق ، وكانت التي جعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك . فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني الحارث متوشحا سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخطف بالقبعة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباما وزوجها وقوما ، وكانت حديثة عهد بكفر ، يلقفها عليك . فرعوا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني .

بلا بل يلقبه النور وهو يرقب الفجر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري . عن سعيد

(١) سهم غرب : مجهول إلى أمي ، لا يعرف من أين أتى .

ابن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا القجر لعنا تمام ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلي ، فصلّى ما شاء الله عز وجل أن يصلي . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل القجر يرمقه ، فغلبه عينه ، فنام فلم يوقظهم إلا من الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه حبّ ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ؛ قال تعذقت ؛ ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : « أقم الصلاة لذكري » .

شعر ابن لقيم في فتح خيبر : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بانق ، قد أعطى ابن لقيم القيسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لقيم القيسى في خيبر :

رُميت نطاةٌ من الرسولِ بقبلي	شياء ذات مناكيب وقفار ^(١)
واستيقظت بالذلة لما مُنيحت	ورجال أسلم وشطبوا وغفار
صبت بن عمرو بن زُرعة غلوة	والثقل أعظم أهلُه بنوار ^(٢)
جرّت بأطليها الذبول فلم تدع	إلا الدجاج تصيح في الأسفار
ولكلّ حصن شاغل من غيلام	من عيد أشهل أو بنى التجار
ومهاجرين قد أعلوا سبيلهم	فوق المغافر لم يتوا لفرار ^(٣)
ولقد علت ليغلل محمد	وليؤتوا بها للملأ أصفار ^(٤)
فرت يهود يوم ذلك في الوقي	تحت التجاج غائم الأبصار

قال ابن هشام : فرت : كشفت ، كما نزع الغاية بالكشف عن أسنانها ؛ يريد كشفت عن جفون العيون غائم الأبصار ، يريد الأنصار .

(١) نطاة : حصن بخيبر . الشياء : كثيرة المتاد : تلعب الأسلحة فيها كالشعب .

(٢) الثقل : حصن بخيبر . (٣) المغافر : ما توضع على الرموس وقاية لها من ضرب السلاح .

(٤) يثون : يثمين . وأصفار : جمع صفر وهو شهر من الشهور العربية .

قال ابن إسحاق : وشهد خير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء المسلمين ،
وأوضح لمن^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم من النية ، ولم يضرب لمن بهم .

قال ابن إسحاق : حدثني سليمان بن سحيم ، عن أمية بن أبي الصلت ، عن امرأة من بني
غفار ، قد سماها لي ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غفار ، فقلنا
يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فنادى
الجرحي ، ونعين للمسلمين بما استعلمنا ، فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت
جارية خديجة ، فأردفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على حنية رحله . قالت : فوالله لزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حنية رحله ، وإذا بهادم مني ،
وكانت أول خطبة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت : فلما رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما بي ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نفسيتي ، قالت : قلت : نعم ، قال : فألصحي
من نفسك ، ثم خذي إياه من ماء ، فاطرحي فيه ملحاً ، ثم اغسلي به ما أصاب الحنثية من الدم
ثم هودي لمركبك .

قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ، وضح لنا من النية ، وأخذ هذه
القلادة التي تزين في حنقي فأعلقناها ، وعلقها بيده في حنقي ، فوالله لا يفارقتي أبداً .

قالت : فكانت في عنتها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها . قالت : وكانت لا تظهر
من حيشة إلا جعلت في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يحمل في ضلها حين ماتت .

شهد له خير : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخير من المسلمين ، من قريش .
ثم من بني أمية بن عبد شمس ، ثم من خلفائهم : ربيعة بن أكثم بن ثعلبة بن عمرو بن بكير بن
عامر بن مخيم بن دودان بن أسد ، وثقيف بن عمرو ، ووراعة بن مسروح .

ومن بني أسد بن عبد المزي : عبد الله الحنثية ، ويقال : ابن الهيب ، فيما قال ابن هشام ،
ابن أبيب بن سحيم بن عتبة ، من بني سعد بن ليث ، حليف لبني أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بني سلة : بشر بن التراء بن معرور ، مات من الشاة التي شتم فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقُتيل بن النعمان . وجعلان .

ومن بني زُرَيْق : مسعود بن سعد بن قيس بن ثعلبة بن عامر بن زُرَيْق .

(١) أوضح لمن : أعطاهم قليلاً أقل من السهم .

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل : محمود بن مسلة بن خالد بن حدي بن مجدعة بن حارثة
ابن الحارث ، حليف لم من بني حارثة .

ومن بني عمرو بن عوف : أبو حنانيا بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة
ابن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن مرة ، وأوس بن النعمان ،
وأئيف بن حنينا ، وثابت بن أثمة ، وطلحة [بن يحيى بن مليل بن خزيمة] .

ومن بني غفار : غمار بن عتبة ، رمى بهم .

ومن أسلم : طامر بن الأكوع ، والأسود الراعي ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعي من أهل خيبر .

ومن استند بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري ، من بني زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف
لم من القارة .

ومن الأنصار من بني عمرو بن عوف : أوس بن فكادة .

حدث الأسود الراعي في خيبر : قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعي ، فيما
يلقى : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غم له ،
كان فيها أجيرا لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ،
فأسلم - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتخير أحدا أن يدعو إلى الإسلام ، ويعرضه
عليه - فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندي ،
فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها ، لأنها سترجع إلى ربها - أو كما قال - فقال
الأسود ، فأخذت حفنة من الحصى ، فرمى بها فى وجوهها ، وقال : أرجى إلى صاحبك ، فوالله
لأعجبك أبدا ، فخرجت مجتمعة ، كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك
الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى الله صلاة قط : فأقْبَى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فدُرع خلفه ، وسُجى بثقله كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه ؟
قال : إن معه الآن زوجته من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عبد الله بن أبي نعيم أنه ذكر له : أن الشيد إذا ما أصيب
تدلت له زوجته من الحور العين ، عليه نصفان التراب من وجهه ، وتقولان : ربّ الله
وجه من ربك ، وقتل من قتلك .

حديث الحجاج بن علاط السلمي : قال ابن إسحاق : ولما فتحت خيبر ، كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحجاج بن علاط السلمي ثم التبري ، فقال يا رسول الله ، إن لي بمكة مالا عند صاحبي أم ثنية بنت أبي طلحة — وكانت عنده ، له منها مغير بن الحجاج ، ومال متفرق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله ؛ فأذن له ، قال : إنه لابد لي يا رسول الله من أن أقول : قال : قل . قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت يثية البيضاء رجلا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفا وثمنة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، يسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط — قال : ولم يكونوا علوا بإسلامي — عنده والله الخبر — أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلاد يهود وريف الحجاز ، قال قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجني ناقتي ^(١) يقولون : إيه يا حجاج ؛ قال : قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمنلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمنلها قط ، وأسر محمد أسرا ، وقالوا : لا تقتله حتى يثبت به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرامتي ، فإني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من قل ^(٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فيه محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا لجمعوا إلى مالي كآحث ^(٣) جمع سمعت به قال : وجئت صاحبي فقلت : مالي ، وقد كان لي عندهما مال موضوع ، لعل الحق بخيبر ، فأصيب من قرص البيع قبل أن يسبقني التجار ؛ قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جني وأنا في خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذي جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر عني حتى ألقاك على خلا ، فإني في جمع مالي كاتري ، فأنصرف عني حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : أحفظ

(١) التبطوا : ساروا ملازمين لما .

(٢) القل : اللوزمون .

(٣) كآحث : كأسرع .

عليّ - حديثي يا أبا الفضل ، فإنني أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت ، قال . افعل ؛ قلت : فإنني واثقة لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم . يعني صفية بنت يحيى ، ولقد افتتح خير ، وانتقل (١) ما فيها ، وصارت له ولاصحابه ؛ فقال . ما تقول يا حجاج ؟ قال . قلت . إني واثقة فاكم عني ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي ، فرقا من أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو واثق على ماتحب ، قال . حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلّق (٢) ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، قلباً وأوه قالوا . يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ؛ قال . كلا ، واثق الذي حلّقتكم به ، لقد افتتح محمد خير وترك عروساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولاصحابه ؛ قالوا . من جاءك بهذا الخبر ؟ قال . الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ؛ قالوا . يا العباد الله ! انقلبت صدور الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال . ولم يتنبأوا أن جاءهم الخبر بذلك .

ما قيل من الشعر في خير : قال ابن إسحاق . وكان مما قيل من الشعر في يوم خير قوله .
حسان بن ثابت :

بشماً	قالت خيبرٌ	عنا
كرهوا الموت	فاستبج حكامهم	
أمن الموت	يرربون فإن المور	
تجمعوا من مزارع	ونخيل (٣)	
وأقروا فعل النجم	الاذليل	
ت مسوت المزال	غير جميل	

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، وهو يعذر أمّين بن رأم أمّين بن عبيد ، كان قد تخلف عن خير ، وهو من بني عوف بن الحزرج ، وكانت أمه أمّ أمّين مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أمّ أسامة بن زيد ، فكان أعيا أسامة لأمه . :

على حين أن قالت لا أمّين أمّهُ
جئنت ولم تشهد فوارس خير

(١) ائتل . استخرج .

(٢) تخلّق . تخليط بالخلق وهو أنواع من الطيب يطلب عليها الزعفران .

(٣) الخيبر : أهل خير .

وَأَيْتُنْ لَمْ يَجِبْنَ وَلَكِنْ مُهَرَّةً أُعْطِيَ بِهِ شَرْبُ اللَّذِيذِ الْمُخْتَصَرِ (١)
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ شَأْنِ مُهَرِّهِ لَقَاتَلَ فِيهِمْ فَارِسًا غَيْرَ أُعْطِرَ
وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّه فَعُلُ مِهْرِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ عَنْده غَيْرُ أُسْرِ
قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد هذه الآيات لكعب بن مالك ، وأنشدني :

وَلَكِنَّهُ قَدْ صَدَّه شَأْنُ مِهْرِهِ وَمَا كَانَ لَوْلَا ذَاكَ بِمُخْتَصِرِ
قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جندب الأسدي :

بِالْقَبَادِ اللَّهِ فِيهِمْ يُزَعِّبُ مَا هُوَ إِلَّا مَا كُلُّهُ وَمُشْرَبُ
وَجَنَّةٌ فِيمَا نَعِيمٌ مُجِيبُ

وقال ناجية بن جندب الأسدي أيضاً :

أَنَا لَمْ أَنْكَرْ أَبَا جُنْدَبٍ يَارُبُّ قُرَيْشٍ فِي مَكْرِهِ أَنْكَبِ

طاح يَمْدَى أَنْشُرِي وَطَلَبِ

قال ابن هشام : وأنشدني بعض الرواة للشعر قوله : « في مكري » ، و « طاح يمدى » .
وقال لكعب بن مالك في يوم خيبر ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري :

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْبَرًا وَفُرُوسَهُ بِكُلِّ فَوْقِ عُلُوِّ الْأَشَاجِعِ يَنْزِدُ (٢)
جَوَادٍ لَدَى الْغَايَاتِ لَا وَاعِنَ الْقَوَى جَرَى عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي كُلِّ مَعْبِدِ
عَظِيمَ زَمَادِ الْقُدْرِ فِي كُلِّ قُتُوذٍ ضُرُوبٍ بِصِلِ الْمُرَفِّقِ الْمُنْدِ
يَرَى الْقَتْلَ نَدْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً مِنْ أَفْقٍ يَرْجُوهَا وَفَوْزًا بِأَحَدِ
يَنْزُدُ وَيَحْمِي عَنْ ذِمَارِ مُحَمَّدٍ وَيُدْفَعُ عَنْهُ بِالْقَسَائِنِ وَالْبَالِدِ
وَيَنْصُرُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَرِيهِ يَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ نَفْسِ مُحَمَّدِ
يُسَلِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ غُلُصًا يَرِيهِ بِذَلِكَ الْقُوْرُ وَالْعُرَى فِي خِدِ

تقسيم خيبر وأموالها : قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الفُق
والمطاة والكثبة فكانت الشق ومطاة في شيمان المسلمين ، وكانت الكثبة خمس الله ، وسهم

(١) اللذيد المختصر : دقيق يحفظ بالماء ويترك حتى يفسر .

(٢) الفروس : أماكن في الأنهار يقرب منها . الأشاجع : هروق ظاهرا ليد . مفرد : طامع .

(١٥ - السيرة النبوية ، ج ٢)

التي صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطغتم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطغتم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل قَدَك بالصلح : منهم تحيصة بن مسعود ، أخطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وثمنا (١) من شعير ، وثلاثين وثمنا من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية ، من شهد خيبر ، ومن غاب عنها ، ولم ينسب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، قسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حنجرها ، وكان واديها ، وادى الشُرزة ، ووادى غاص (٢) ، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر ، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهما ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانية سهم .

وكانت هذه الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، يرحلهم وخيلهم . الرجال أربع عشرة مئة ، والخيول مئتا فارس ، فكان لكل فرس سهران ، ولقائمه سهم ، وكان لكل راجل سهم : فكان لكل سهم رأس مئتين إلى مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهما مجمع .

قال ابن هشام : وفي يوم خيبر عرّب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربي من الخيل ، وهجن المجين .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبي طالب رأسا ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن هدي ، آخر بنى العجلان ، وأشد بن حنير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم قاصم ، وسهم بنى يابنة ، وسهم بنى عبيد ، وسهم بنى حرام بن بنى سلمة ، وشيعة السهام .

قال ابن هشام : ولما قيل له عيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عيد بن أوس ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم يثغار وأسلم ، وسهم التجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر نطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخوارج ، وتابعه الشُرزة ،

(١) الرسق : يريد به هنا إما حمل البعير أربنتين صاعا . ومن معانيه أيضا حمل النخلة وليس مراد هنا .

(٢) قال السبيل في الروض الأتق : أنه وادى خلص .

ثم كان الثاني سهم ياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بن الحارث بن الخزرج
ثم كان الخامس سهم ناعم لبن عوف بن الخزرج ومزينة وشركاهم ، وفيه قتل محمد بن مسلمة
هذه نواة .

ثم هبطوا إلى الشقي ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى النجّلان ،
ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة
ثم سهم التجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم
سهم غفلو وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهم سلمة بن عبيد بنى حرام ، ثم سهم حارثة ،
ثم سهم عبيد الشّام ، ثم سهم أوس ، وهما سهم اللقيط ، جمعت إليه جنيته ومن حضر عبيد
من سائر العرب ؛ وكان حذوته سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم
عاصم بن عدى .

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة ، وهى وادى خاص (١) ، بين قوايته وبين
نساءه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعظام منها ، قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاطمة
ابنته منى وشقي ، ولعل بن أبى طالب منى وسق ، ولأسامة بن زيد منى وسق ، ونخسبن وفتا
من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين منى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة منى وسق ، ولعقيل بن
أبى طالب منى وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا . ولربيع بن الحارث منى وسق ،
ولصلت بن عزيمة وأبنته منى وسق ، لصلت منها أربعون وسقا ولأبى نسيئة (٢) خمسين وسقا ،
ولزكاة بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولقيس بن عزيمة ثلاثين وسقا ، ولأبى القاسم بن عزيمة
أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وأبنة الحصين بن الحارث منى وسق ، ولبنى عبيد بن
عبد يزيد ستين وسقا ، ولأبى أوس بن عزيمة ثلاثين وسقا . ولمشطح بن أمانة وأبى إلياس
خمسين وسقا ، ولأم ربيعة أربعين وسقا ، ولعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولبيشة بنت الحارث

(١) قال السبيل فى الروض الأتف : وادى خلص .

(٢) موطعة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن عتبة ، وقال أبو عمر : هو مجهول ، وقال
ابن الفرغى : أبو نبيّة بن المطلب بن عبد مناف ، واسم أبى نبيّة : عبد الله ، ومن ولده محمد
ابن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبيّة ، ومن ولده : أبو الحسين المطلبى إمام مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين
ابن العلاء بن المغيرة بن أبى نبيّة بن المطلب بن عبد مناف .

ثلاثين وسقا ، ولعيسر بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم (١) ثلاثين وسقا ، ولخثاعة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولابن الأرقم خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا ، ولخثاعة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن أبي خنيس ثلاثين وسقا ، ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبي نضرة عشرين وسقا ، ولخثاعة الكلبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وأبنته تسعين وسقا ، لأبنته منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولثكرو بن عبدة ثلاثين وسقا ، ولنساءه صلى الله عليه وسلم سبع مئة وسق .
قال ابن هشام : قح وشعير وتمر وتوى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم نساءه من قح خيبر

قسم لمن مئة وثق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللقناد بن الأسود خمسة عشر وسقا ، ولأم ربيعة خمسة أوسق . شهد عثمان بن عفان ، وعباس وكتب .

وصية الرسول عند موته : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : لم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للزمازين بمائة وسق من خيبر ، وللداودين بمائة وسق ، من خيبر ، وللسبائين ، وللأشعرين بمائة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بيع أسامة بن زيد بن حارثة : وألا يترك بحزيرة العرب دينان .

خير فذك : قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فذك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فنبأوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصالحه على النصف من فذك ، فقديمت عليه وسلم خيبر : أو بالطائف ، أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم : فكانت فذك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يرجف عليها بجبل ولا ركاب .

(١) الصحيح أنها أم حكيم وهي بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة ، وكانت تصد ربيعة ابن الحارث ، وأما أم الحكم فهي بنت أبي سفيان . وهي من منلة الفتح . ولولا ذلك لقلت إن ابن إسحاق إذا أراد ، لكتبنا لم تصد خيبر ولا كانت أسلمت بعد .

تسمية النفر الدارين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير

وهم بنو الدار بن حبيب بن ثمارة بن ثلم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس و تميم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعزة بن مالك ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

— قال ابن هشام : ويقال : عزة بن مالك : وأخوه مزان بن مالك .

قال ابن هشام : مزان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن ثعبان ، وتبالة بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خير عبد الله بن رواحة خارسا^(١) بين المسلمين ويهود ، فيحرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

ولما حرص عليهم عبد الله بن رواحة عاماً واحداً ، ثم أصيب بمؤنة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلة ، هو الذي يحرص عليهم بعد عبد الله ابن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم ، حتى عدوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بني حارثة ، فقتلوه ، فاتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : لحدثني الزهري عن سهل بن أبي حنيفة ، وحدثني أيضاً بشير بن يسار ، مولى بني حارثة ، عن سهل بن أبي حنيفة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخير ، وكان خرج إليهما في أصحاب له يتار منها تراً ، فوجد في عين قد كسرت حقه ، ثم طرح فيها ؛ قال : فأخذوه ففنيوه ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابناعه حويصة^(٢) وحسيمة ابنا مسعود ،

(١) الخارس : الذي يقدر الشيء نظراً بلا وزن ولا كيل ، من الحرص : وهو الظن .

وكان عبد الرحمن من أحدهم سنا ، وكان صاحب الدم ، وكان ذا قدم في القوم ، فلما تكلم قبل
ابن عمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **الكُفْرُ الكُفْرُ** .

قال ابن هشام : ويقال : **كُتِبَ كُفْرٌ** كبير - فيما ذكر مالك بن أنس - فسكت ، فتكلم
هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل صاحبهم : فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : **أَتَسْتَوُونَ قَاتِلَكُمْ** ، ثم يحلفون عليه تحمين يمينا ففسله ليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا
لنحلف على ما لانعلم ؛ قال : **أَفِيحْلِفُونَ بِاللَّهِ خَمْسِينَ يَمِينًا** ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يترمون
من دمه ؟ قالوا يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما فهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا
على إثم . قال : فوداه ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوداه ما أنسى بركة منها حراء ضريقتي وأنا أحوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عبد الرحمن بن عُبَيْدِ بْنِ
قَيْطِيبٍ ، أخى بنى سارئة ، قال محمد بن إبراهيم : وایم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنه
كان أسن منه ، إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ؛ ولكن سهلا أوم ، ما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، احلفوا على ما لا علم لكم به ، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كتبه الانصار
إنه قد وجد قتيل بين أيديكم قد دمه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ،
فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شُعَيْبٍ مثل حديث عبد الرحمن بن عُبَيْدِ بْنِ
في حديثه : دوه أو اتدونا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ، فوداه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

عمر بن الخطاب يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري : كيف كان إعطاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خراجها ، أبت ذلك
لهم حتى قبض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟ .

فأخبرني ابن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر فتوة بعد القتال ، وكانت
خيبر بما أقره الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تخشعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقرم ما أقرم الله ، فقبلوا ، فكانوا يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعمل طيبهم في الخمر ، فلما توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أقرما أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفي ؛ ثم أقرما عمر رضى الله عنه صدرا من إمارته . ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجهه الذي قبضه الله فيه : لا يجتمعن جزيرة العرب ديتان ؛ ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه أثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال إن الله عز وجل قد أذن في جلاتكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن جزيرة العرب ديتان ، فن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فلأبني به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليجبر للجللاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والذين والقداد بن الأسود إلى أموالنا بخير فتعاهدا ، فلما قدمنا تفرقتا في أموالنا ، قال : فبقيت على تحت الليل ، وأنا نائم على فراشي ، ففوجئت ^(١) يدائي من مرفقتي ، فلما أصبحت استصرخ على صاحبي ، فأباني فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدري ؛ قال : فأحلنا من يدتي ، ثم قدما بي على عمر رضى الله عنه ؛ فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خبير على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عقدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما قد بأنفسكم ، مع غزوهم على الأنصارى قبله ، لا تفك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك حدو غيرهم ، فن كان له مال بخير فليحق به ، فإني أخرج يهود فأخرجهم .

عمر يقسم وادى القرى : قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بني حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خلفاء ، أخو بني سلمة ، وكان غارص أهل المدينة وحاسهم — ويزيد بن ثابت ، ومما قسمنا خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة للشهبان ، التي كانت عليها .

(١) القصد : إخراجهم في الفاصل ، كلها أولئك من أما كتبها .

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادي القرى ، لعثمان بن صفان خطر ، ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبي سابة خطر ، ولعامر بن أبي ربيعة خطر ، ولعمرو بن سُرَاقَة خطر ولاشيم خطر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خطر ، ولعقيب خطر ، ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خوران ، ولابن عبد الله بن جعش خطر ، ولابن البكر خطر ، ولعتير خطر ، ولزيد بن ثابت خطر ، ولأبي بن كعب خطر ، ولماذين صفراء خطر ، ولأبي طلحة وحسن خطر ، ولجابر بن صخر خطر ، ولجابر بن عبد الله بن وثاب خطر ، ولمالك بن صهمة وجابر بن عبد الله بن عمرو خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبي شريك خطر ، ولعبادة ابن طارق خطر .

قال ابن هشام : ويقال : لقنادة .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن جنيك نصف خطر ، ولأبي الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن سُرَاقَة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خير وادي القرى ومقامها .

قال ابن هشام : الخطر : التميم . ويقال أخطر لى فلان خطر آ .

قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

والمهاجرين معه

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح ، عن الشعبي : أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه (١) ، وألزمه وقال : ما أدري بأيهما أنا أشتر : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟ .

(١) احتج بهذا الحديث الثوري على مالك بن أنس في جواز العاقبة ، ودعّب مالك إلى أنه مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وما دعّب إليه سفيان بن عيينة من حل الحديث على عومه أظهر ، وقد ألزم النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، حين قدم عليه من مكة . وأما المصاحفة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام : تمام نعمتكم المصاحفة ، ومنها حديث آخر أن أمل اليثبي حين قدموا المدينة صاغوا الناس بالسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يموت فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التجاشي عمرو بن أمية الضمري ، لحلمهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه وهو يخير بعد الحديبية .

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ؛ وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولده بأرض الحبشة . قتل جعفر بمؤنة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسد — قال ابن هشام : ويقال : هذينة بنت خلف — وابنة سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتها بأرض الحبشة . قتل خالد بمرج الصفر في خلافة أبي بكر الصديق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان ابن أمية بن مخزوم السكاني ، ملكت بأرض الحبشة . قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أختيه :

ألا ليت شعري هنك يا عمرو سائلا إذا شئت واشتد يداه وسلحا

أترك أم القوم فيه بلائلا فكفف غيظا كان في الصدر مؤججا

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أساء ، وكان أبوهم سعيد بن العاص ملك بالقرينة ، من ناحية الطائف ، هلك في مال له بها :

ألا ليت ميتا بالقرينة شامدا لما يقترى في الدين عمرو وغائدا

أطاعا بنا أم النساء فأصبجا يمينان من أعدائنا من نكابدا

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخى ما أخى لا شاتم أنا عرقة ولا هو من سوء للقبالة مقصرا

== وسلم : إن أهل اليمن قدمنوا لكم للمصافحة ، وحديث آخر معناه نزل على المتصالحين مائة رجة تسعون منها للأيدي . وعن مالك فيها روايتان : الإياحة والكرامة ، ولا أدري بأوجه الكرامة في ذلك .. عن السهيلي في الروض الأثف .
(١) البلايل : الاضطراب موجعا : مستورا .

يقول إذا اشتدت عليه أموره ألا ليت تبتا بالفرقة فيشر
فدفعك تبتا قد بشى لسليله وأقبل على الأدنى الذي هو أقر

ومُعْتَدِيْب بن أبي فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد
ابن العاص ؛ وأبى موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ،
أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الأسود بن نوفل بن سُورَة . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : سَهم بن قيس بن عبد شُرَيْحِيل ، معه ابناه عمرو بن سَهم ،
وخزيمة بن سَهم ، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ،
وابناه لها . رجل .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وحُبة بن مسعود ، حليف لهم من
هُذَيْل . رجلان .

ومن بنى تميم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته زَيْعَة .
بنت الحارث بن عَمِيْلَة ، هلكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى جُحَم بن عمرو بن مُصَنِّص بن كعب : عَثان بن ربيعة بن أَهْبَان . رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن مُصَنِّص بن كعب ، نَحْجَة بن الجَزْء ، حليف لهم من بنى زَيْد .
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمعه على مُنْس للمسلمين . رجل .

ومن بنى عدي بن كعب بن لؤي : مُشْتَر بن عبد الله بن قُفْلَة . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤي بن غالب : أبو ساطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة
ابن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته تَجْمرة بنت السعدى بن وَقْدان بن عبد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فير بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن قَبِيْلَة . رجل . وقد كان
حل معهم في السيفتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

فهؤلاء الذين حل الجاني مع عمرو بن أمية الضمري في السيفتين ، لجميع من قدم في
السيفتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا .

وكان من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعدد ، ولم يحمل التجاني في السيفتين

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من
مهاجرة الحبشة :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رباب الأسدي ، أسد
خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وابنته حبيبة
بنت عبيد الله ، وبها كانت تسكن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان اسمها قملة خرج مع المسلمين
مهاجرا ، فلما قدم أرض الحبشة تنصروها وفارق الإسلام ، ومات منالك نصرانيا ، خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن
جحش مع المسلمين مسلما ، فلما قدم أرض الحبشة تنصروا ، قال : فكان إذا مر بالمسلمين من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قَتَلْنَا وَصَأَصَأْتُمْ ، أى قد أبصرنا وأتمت تلتسون
البصر ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صاعا قبل ذلك
فبضر بذلك له ولهم مثلا : أى أن قد قَتَلْنَا أَعْيْنَا فَأَبْصَرْنَا ، ولم تفتحوا أعينكم تبصروا ،
وأتمت تلتسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيل بن عبد الله ، وجعل من بنى أسد بن خزيمة ، وهو أبو أمية بنت
قيس التي كانت مع أم حبيبة : وامرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب
كانتا غلظت^(١) عبيد الله بن جحش : وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، ففجرا بهما معا حين
مهاجرا إلى أرض الحبشة . وجلان .

ومن بنى أسد بن عبد الغزى بن قيس : يزيد بن زُرعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قتل
يوم خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا : وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد ،
هلك بأرض الحبشة . وجلان .

ومن بنى عبد الدار بن قيس : أبو الروم بن عير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد
الدار : وقواس بن الحارث بن كَلْدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . وجلان .
ومن بنى زُرعة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أرم بن عبد حوف بن عبد بن الحارث بن .

(١) الغلظ : من ترضع غيره ولعنا .

زُهره ، معه امرأته زُملة بنت أبي عوف بن عَتْبَةَ بن سعيد بن سعد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هناك عبد الله بن عبد المطلب ، فكان يقال : إن كان لأول رجل وِثْ أباه في الإسلام . رجل .

ومن بني تميم بن مرة بن كعب بن لؤي : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، قتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقاص . رجل .

ومن بني غزوم بن يَظْظَ بن مرة بن كعب : كَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد ، قتل بأجنادين من أرض الشام ، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، قتل عام اليرموك بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يُحكى فيه أقتل ثم أم لا ؟ وحشام ^(١) بن أبي حذيفة بن المنهجة ، ثلاثة نفر .

ومن بني جح بن عمرو بن مهيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن معد بن حبيب بن وديع بن حذافة بن جح ، وإبناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت الجلال . هلك مسلماً ، تقدمت امرأته وإبناه ، وهما أمهما ، في إحدى السقيتين ، وأخوه سَلَّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيْتَةُ بنت يسار ، هلك هناك مسلماً ، تقدمت امرأته فُكَيْتَةُ في إحدى السقيتين ، وسفيان بن معد بن حبيب ، وإبناه جُنَادَة وجابر وأمهما حسنة ، وأخوهما لأمهما شُرَحْبِيل ابن حسنة ؛ وهلك سفيان وهلك إبناه جُنَادَة وجابر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ستة نفر .

ومن بني سهم بن عمرو بن مُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد ^(٢) بن سهم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقيس بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سعد

(١) هشام بن أبي حذيفة بن المنهجة بن عبد الله بن غزوم ، واسم أبي حذيفة مهشم ، وذكر الرازي هشاماً . هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه : هاشم ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة .

(٢) وقد ذكرت بعض النسخ هنا وفيما سياتي : « سعيد ، وهو تحريف . قال السهيلي في الروض الألف : « وحينئذ تكرر نسب بني عدي بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق : « سعيد ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو ؛ ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، وفي سهم سعيد آخر وهو ابن سعيد المذكوره .

أَبْنِ سَهْمٍ ؛ وَأَبُو قَيْسِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، قُتِلَ يَوْمَ الْحِجَابَةِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حِذَافَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، وَهُوَ رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كَسْرَى ، وَالْحَارِثُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ ؛ وَمَعْمَرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ ؛ وَبِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَدِيِّ ؛ وَأَخٌ لَهُ مِنْ أُمِّهِ مِنْ بَنِي عِمِّمٍ ، يُقَالُ لِلْمَسِيدِ بْنِ عَمْرٍو ، قَتَلَ بِأَجْنَادِهِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَسَعِيدُ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ ، قَتَلَ عَامَ الْيَمُوكِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ وَالسَّامِيُّ ابْنُ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ ، جَرَحَ بِالطَّائِفِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَتَلَ يَوْمَ ثُلُجٍ ^(١) فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَيُقَالُ : قَتَلَ يَوْمَ خَيْبَرَ ، يُقَالُ فِيهِ ، وَتَحْمِيدُ بْنُ رِثَابِ ابْنِ حَذِيفَةَ بْنِ مَهْشَمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، قَتَلَ بَيْنَ الْقَرَمِ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، مُنْصَرِفَهُ مِنَ الْحِجَابَةِ ، فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا .

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَى : عُرْوَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَرْمَانَ بْنِ عُرْفٍ بْنِ عَيْدٍ بْنِ حَوْجٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ ؛ وَعَدِيُّ بْنُ فَضْلَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَرْمَانَ ، هَلَكَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ . وَجَلَانٌ .

وَقَدْ كَانَ مَعَ عَدِيِّ ابْنِهِ الْقَعْمَانُ بْنُ عَدِيِّ ، فَقَدِمَ الْقَعْمَانُ مَعَ مَنْ قَدِمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، فَبَقِيَ حَتَّى كَانَتْ خِلَافَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَاسْتَمْلَحَ عَلَى مِيسَانَ ، مِنْ أَرْضِ الْبَصْرَةِ ، فَقَالَ أَيْبَاتَا مِنْ شَرِّهِ ، وَهُوَ :

إِذَا هَلْ أَتَى الْحَسَنَةُ أَنْ حَلِيلَهَا	يَقْبَلَانِ يُنْتَقَى فِي زُجَاجٍ وَخَتَمٍ ^(١)
لَقَدْ كُنْتُ خَتَلَى دَهَاقِينَ قَرِيَةً	وَرَقَاصَةً تَجْنُو عَلَى كُلِّ تَغْيِيمٍ ^(٢)
لَقَدْ كُنْتُ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْتَقَى	وَلَا تَمِيقِي بِالْأَصْفَرِ لِلتَّسْتَمِ
لَسْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَوْءِهِ	تَادَمْنَا فِي الْجَوَاقِيِ التَّهْلِيمِ ^(٣)

فَلَمَّا بَأَتْ أَيْبَاهُ عُمَرُ ، قَالَ : نَمِ وَاللَّهِ ، إِنَّ ذَلِكَ لِيَسْرُهُ ، فَنِ لَقِيهِ فَلْيَجْزِهِ أَوْ قَدْ عَزَلَهُ ،

(١) غُل : مَوْضِعٌ بِالشَّامِ : كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَ الرُّومِ .

(٢) الْخَتَمُ : جِوَارٌ مَصْبُوغَةٌ مَخْضَرَةٌ .

(٣) الدَّهَاقِينَ : رُؤَسَاءُ الْأَقَائِمِ . تَجْنُو : تَهْرِكُ عَلَى رَكَبَتَيْهَا . وَالْمَسَمِ : فِي الْأَصْلِ طَرَفُ

خَفِّ الْبَعِيرِ . فَاسْتَمْلَحَهُ هُنَا لَطَرَفَ قَدَمِهَا . (٤) الْجَوْسَقِي : الْحَصَنُ .

وعوله . فلما قدم عليه اعتنر إليه وقال . والله يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً مما يملك أنى قلبه قط ، ولكنى كنت امرأً شاعراً ، وجدت فضلاً من قول ، قلت فيما تقول الشعراء : فقال له عمر : وإيم الله ، لا تعمل لى على عمل ما بقيت ، وقد قلت ما قلت .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سليل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن جشل بن عامر . وهو كان رسولاً رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خزاعة بن علي الحنفى باليمامة . رجل .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عثم بن زهير بن أبي شداد ؛ وسعد بن عبد الوهس بن قبيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير بن أبي شداد . ثلاثة نفر .

لمجيح من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يعمل التجاشى فى السفيتين ، أربعة وثلاثون رجلاً .

الهابسكون منهم : وهذه تسعة من هلك منهم ومن أبائهم بأرض الحبشة : من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عتيبة بن جحش بن رئاب حليف بن أمية ، مات نصرانياً .

ومن بنى أسد بن عبد المزى بن قيس : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد .

ومن بنى بجحة : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه سخطاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن قيس بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عدي بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد المزى بن خزائن بن عوف ، وعبدى بن نخشة . سبعة نفر .

ومن أبائهم ، من بنى ثيم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر . رجل .

مهاجرات الحبشة : وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهم ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتي ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ، ومن خرج به مهن حين خرجن :

من قريش ، من بنى هاشم : ربيعة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبي سفيان ، مع ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورجعت بها معها .

ومن بنى غزوم : أم سلة بنت أمية ، قدمت معها وزينب ابنتها من أبي سلة ولدتها هنالك .
ومن بنى تميم بن مرة : زينة بنت الحارث بن جحيلة ، هلكت بالطريق وبشأن لما كانت ولدتها هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، هلكن جميعاً ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه في الطريق ، وقدمت بنت لما ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لما قاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو : زمنة بنت أبي عوف بن ضيرة .

ومن بنى عدى بن كعب : ليل بنت أبي حنيفة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤى : سودة بنت زمنة بن قيس ؛ وسهلة بنت سويل بن عمرو ، وابنة المجل ، وعمرة بنت الشخذي بن وقدان ، وأم كلثوم بنت سويل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت ثعلبة بن النعمان الحنمية ، وقاطمة بنت صفوان بن أمية بن فهر بن مالك ، ومكينة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وخسنة ، أم ثرحيل بن حسنة .

من ولد من أبنائهم بالحيرة : وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحيرة .

من بنى عبد شمس : محمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمية بنت خالد .

ومن بنى غزوم : زينب بنت أبي سلة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبدالله بن المطلب بن أذهر .

ومن بنى تميم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وقاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبدالله بن جعفر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبدالله

ابن عبد المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمية بنت خالد ، وزينب بنت أبي سلة ، وعائشة وزينب وقاطمة ،

بنات الحارث بن خالد بن صخر .

[ثم يعون الله وحسن توفيقه الجزء الثالث من سيرة
ابن هشام ويلي الجزء الرابع نرجو من الله أن يعين على تمامه]

فهرست الجزء الثالث

من سيرة ابن هشام

ص	للموضوع	ص	للموضوع
٢٥	شمر الأسود وأبي سفيان في قتل حفظة	٢	غزوة بني سليم بالكدر
٢٦	حسان والحارث يردان على أبي سفيان		غزوة السويق
٢٧	الزبير يذكر سبب الهزيمة	٤	غزوة ذي أمر
	حسان يذكر شجاعة صواب		غزوة الفرع من بحران
	شمر حسان في شجاعة حمرة الحارثية	٥	أمر بني قينقاع
٢٨	ما أصاب الرسول يوم أحد	٧	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
٢٩	من شجاعة أصحاب الرسول		مقتل كعب بن الأشرف
٣١	مقتل أبي بن خلف	١٢	أمر بحصة وحويصة
٣٢	انتهاء الرسول إلى الشعب	١٤	غزوة أحد
	سعد بن أبي وقاص يحرم على		اجتماع قريش للحرب
	قتل حبة	١٦	رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
	عمر يصعد إلى قريش الجبل		ومشاورة القوم
٣٣	معاودة طلحة للرسول	١٧	انخزال المنافقين
	مقتل الإيمان وابن وقاص وابن حاطب		ما كان من مريب للنفاق حين سلك
٣٤	مقتل قزمان منافقا		المسلون حاطبه
	قتل عكرمة	١٨	زول الرسول بأحد
	الحارث بن سويد		الرسول يهين من هم في الخامسة عشرة
٣٥	أمر أصحاب		أبو دجاجة وشجاعة
	عمرو بن الجوح ومقتله	١٩	أبو عامر الناسق
٣٦	جند وشملها بحمزة		أبو سفيان وأمراته يحرقان قريشا
٣٨	أبو سفيان يشمت بالمسلمين	٢١	استشهاد حمزة
	على يخرج في آثار قريش	٢٣	استشهاد مصعب
	سعد بن الربيع	٢٤	خبر عاصم بن ثابت

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٦	غزوة دومة الجندل	٣٩	الرسول يحزن على غزوة ويترعد
١٢٧	غزوة الخندق		المشركين بالثلة
	اليهود تحزب الأحزاب	٤١	دفن الشهداء
١٢٨	خروج الأحزاب	٤٣	للرأة الدنيارية
	حفر الخندق		غسل السيوف
	مازل من القرآن في حق العالمين	٤٤	غزوة حراء الأسد
	في الخندق	٤٦	شأن عبد الله بن أبي سفيان
١٢٩	السلون يرتجزون وهم يملون	٤٧	تمحيص المؤمنين يوم أحد
	معجرات ظهرت في حفر الخندق		ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن
١٣١	حي بن أخطب يمرض كعب	٥٧	مسير قتلى أحد
	ابن أسد	٥٨	من خرجوا مع الرسول إلى
١٣٣	لم يكن مشتب مناققا		حراء الأسد
	محاولة الصلح مع غطفان	٥٩	ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين
١٣٤	سليان يشير بحفر الخندق		ذكر من استشهد بأحد من الأنصار
١٣٥	هجاء حسان لمكرمة	٦٢	ذكر من قتل من المشركين يوم أحد
	استشهاد سعد بن معاذ	٦٣	ذكر ما قبل من الشعر يوم أحد
١٣٦	حديث حسان في وقعة الخندق	٩٢	ذكر يوم الرجيع
١٣٧	خداع نعيم للمشركين		مقتل غييب وأصحابه
١٣٨	ما أنزل الله بالمشركين	٩٧	مازل في سرية الرجيع من القرآن
١٣٩	استخبار ما حل بالمشركين	١٠٣	حديث بئر معونة
	أبو سفيان ينادى بالرجل	١٠٨	أمر إجلال بن النضير
١٤٠	غزوة بني قريظة	١١٠	مازل في بني النضير من القرآن
	جبريل يأتي بحرب بني قريظة	١١٢	ما قبل في بني النضير من الشعر
١٤١	على يبلغ الرسول ما سمع من بني قريظة	١١٩	غزوة ذات الرقاع
	جبريل في صورة دحية الكلبي		صلاة الحرف
١٤٣	الحصار	١٢٣	غزوة بدر الأخيرة
	كعب بن أسد ينصح قومه		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
تقسيم النخلة بين المسلمين	١٧٨	١٤٣ قصة أبي لبابة	
لائحة في محبة		١٤٤ إسلام بعض بني هذيل	
ما قبل من الشعر في يوم ذي قرد	١٧٩	قصة عمرو بن سعد	
غزوة بني المصطلق	١٨٢	١٤٥ تحكيم سعد في أمر بني قريظة	
سيما		١٤٧ قصة الوليد بن باطا	
استشهاد ابن صبابه خطأ		١٤٨ عطية القرظي ورفاعة بن سمرال	
الفتنة بين المهاجرين والانصار		١٤٩ تقسيم النخلة	
نفاق ابن أبي	١٨٣	١٥٠ إسلام ربيعة	
مازل في ابن أبي	١٨٤	مازل من القرآن في الحندق	
موقف عبد الله من أبيه		وبني قريظة	
مخاضة مقيس	١٨٥	١٥٣ إكرام سعد في موء	
قتل بني المصطلق		١٥٥ الشهداء يوم الحندق	
جويمة بنت الحارث رضى الله عنها		قتل المشركين	
خبر الإفك في غزوة بني المصطلق	١٨٧	١٥٦ الشهداء يوم بني قريظة	
أمر المدينة سنة ست	١٩٦	ما قبل من الشعر في أمر الحندق	
بيعة الرضوان	٢٠٢	وبني قريظة	
أمر الهدنة		١٧٠ مقتل سلام بن أبي الحقيق	
شروط الصلح	٢٠٣	١٧٣ إسلام عمرو بن العاصي وعائذ	
أبو جندل بن سيل	٢٠٤	ابن الوليد	
من شهدوا على الصلح		١٧٤ إسلام عثمان بن طلحة	
الإحلال		بغزوة بني الحيا	
نزول سورة الفتح	٢٠٥	١٧٥ غزوة ذي قرد	
أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح	٢٠٧	١٧٦ تساقق القرصان	
قصة أبي بصير		١٧٧ عكر بن قنلة ومقتله	
أمر المهاجرات بعد الهدنة	٢٠٩	أفراس المسلمين	
بشرى فتح مكة	٢١٠	١٧٨ قتل المشركين	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٢٢	حديث الأسود الراصي في خير	٢١١	ذكر السير إلى خير
٢٢٣	حديث الحجاج بن علاط السلمي	٢١٣	أشياء نهى عنها الرسول يوم خير
٢٢٤	ما قيل من الشعر في خير	٢١٤	بنو سهم
٢٢٥	تقسيم خير وأموالها		مقتل مرجب
٢٢٨	وصية الرسول عند موته	٢١٥	مقتل ياسر
	خير فداك	٢١٦	فتح خير على يد علي
٢٢٩	تسمية الفرع البارزين الذين أوصى		حديث أبي اليسر
	لهم الرسول من خير	٢١٧	صفية رضى الله عنها
٢٣٠	عمر يعلى بن وهب بن خير		صلح خير
٢٣١	عمر يقسم وادى الترى	٢١٨	قصة الشاة المسمومة
٢٣٢	قدوم جعفر بن أبي طالب من	٢١٩	جزاء الغال من الغنيمة
	الحبشة والمهاجرين معه		حراسة أبي أيوب للرسول
٢٣٨	المالكون منهم		بلال يغلب النوم وهو رقيب النعير
	مهاجرات الحبشة	٢٢٠	شعر ابن القيم في فتح خير
٢٣٩	من ولد من أبنائهم بالحبشة	٢٢١	شهداء خير

السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى

المتوفى بمصر سنة ٢١٢ هجرية

قدم له وطبق عليه ا وخطها

طه عبد الرؤوف سعد

الجزء الرابع

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية
٩ شارع الصحافة - الأزهر

طبعة جديدة

مضبوطة - منقحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عمرة القضاء

في ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع ومجاذيين ووجبا وشعبان [وشهر] رمضان وشوالا ، يبحث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج في ذى القعدة في الشهر الذى صدر فيه المشركون معتمرا عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة حُوَيْب بن الأخطب الدبلى .

ويقال لها عمرة القصاص ^(١) ، لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاقص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذى القعدة ، في الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله في ذلك : « وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ » .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون من كان حُد معه في عمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن يحدا وأصحابه في حُسرة وجهه وشدة .

(١) عمرة القصاص : وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » ، وهذه الآية فيها نزلت ، فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عمرة القضاء . لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها ، لآلانه قضى العمرة التى حُد عن البيت فيها ، فلما لم تكن فسدت بصدوم عن البيت ، بل كانت عمرة تامة متقبلة ، حتى إنهم حين حلّقوا رؤوسهم بالحل احتلها الربح ، فألقوها في الحرم ، فهى معدودة في عمرته التى — صلى الله عليه وسلم — وهى أربع : عمرة الحديبية . وعمرة القضاء ، وعمرة الجمرات ، والعمرة التى قرنها مع حجته في حجة الوداع فهو ، أصح القولين أنه كان قارئا في تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام في شوال كذلك . روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنها كن كلهن في ذى القعدة إلا التى قرن مع حجته ، كذلك روى الزهري ، وانفرد معمر عن الزهري بأنه صلى عليه السلام كان قارئا ، وأن عمره كن أربعاً بعمرة القرآن .

قال ابن إسحاق : شذني لا أنهم ، من ابن جليس ، قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسجد اضطبع ^(١) برداه ، وأخرج تحفه الجني ، ثم قال : رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ^(٢) ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا وراه البيت منهم ، واستلم الركن الثاني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هروا كذلك ثلاثة أطواف ، ومشي سائرهما . فكان ابن جليس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحى من قريش لذى بلنه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلوها ، فبعضت السنة بها .

== وأما حجاجه عليه السلام فقد روى الترمذى أنه حج ثلاث حجرات ثنتين بمكة ، وواحدة بالبلدنة وهي حجة الوداع ، ولا ينبغي أن يضاف إليه في الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج من الناس إذا كان بمكة كما روى الترمذى ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكأله ، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحج منقولاً عن وقته ، كما تقدم في أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخروه في كل سنة أحد عشر يوماً ، هذا هو الذى منع النبي — صلى الله عليه وسلم — أن يهجم من المدينة ، حتى كانت مكة داو إسلام ، وقد كان أراد أن يهجم مقله من تبوك ، وذلك لما فتح مكة ببصره ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يهجون ، ويطوفون عراة فأخبر الحج ، حتى نزل إلى كل ذى عهد ، وذلك في السنة التاسعة ، ثم حج في السنة العاشرة بعد إخماد رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ، ولذلك قال في حجة الوداع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

والعمرة واجبة في قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبي : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وآتوا الحج والعمرة لله ، بالرفع — أى رفع لفظ العمرة على جبل — والعمرة لله . » كلاماً مستأنفاً لا يعطفاً على الحج ، وقال هؤلاء : هي واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يهتجر الرجل في العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك ، وهو قول على وابن عباس ، وإضافة والقاسم بن محمد . قالوا : يهتجر الرجل في العام ما شاء .

(١) اضطبع : أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر .

(٢) يهرول : من الهرولة وهي فوق للنسي ودون الجرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بحطام^(١) ناقته يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ خَلُّوا فَكُلُّ الْحَيِّ فِي رَسُولِهِ
يَا زَيْدُ إِنِّي مُؤَمِّنٌ بِقَبِيلِهِ أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ^(٢)
نَحْنُ قَتَلْنَاكَ عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكَ عَلَى تَهْزِيلِهِ^(٣)
خَتَرْنَا يُرِيدُ الْحَسَامَ عَنْ تَقْبِيلِهِ وَيُنْهَلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

قال ابن هشام : ونحن قتلناكم على تأويله ، إلى آخر الآيات ، لعمر بن ياسر في غير هذا اليوم^(٤) ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، ولشركون لم يقرأوا بالتزليل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتزليل .

زواج الرسول ﷺ : قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نعيم ، عن عطاء بن أبي رباح وعحامد أبي الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث^(٥) في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إماما العباس ابن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرها إلى اختها أم الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس ،

(١) الحطام : جبل تقاد به الناقة .

(٢) قبيله : قوله .

(٣) ويروى : اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء ، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرئ القيس :

فاليوم أشرب غير مستحب

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا حصل ضمهم الجمع ، فقد روى عن ابن عمرو أنه كان يقرأ « بأمركم وينصرهم » .

(٤) قالها يوم صفين ، وهو اليوم الذي قتل فيه عمار ، قتله أبو العنادية القناري وابن جبر . اشتركا فيه .

(٥) وأما : عند بنت عوف الكنانية .

لجأت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأقام حبيب بن عبدالمعري
ابن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن جحسل ، في نفر من قريش ، في اليوم الثالث ،
وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد
انقضى أجلك ، فأخرج هنا ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتموني فأعرت
بين أظهركم ، وصنعتا لكم طعاماً لغضبتهم ؟ قالوا : لا حاجة لنا في طعامك ، فأخرج هنا .
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطب أبا رافع مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها
يترقى^(١) ، فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك ، ثم انصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى المدينة في ذي الحجة .

(١) مكان قرب التميم وبسرف كانت وفاتها رضى الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثلاث وستين ،
وقيل سنة ست وستين ، وصلى عليها ابن عباس ، ويبريد بن الأصم : وكلاهما ابن أختها ، ويقال :
فيها نزلت « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ، في أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ،
وهي على بهرما ، فقالت : البير وما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختفت الناس في
تزوجهم إياها أكان محرماً أم حلالاً فروى ابن عباس أنه تزوجها محرماً ، واحتج به أهل العراق
في تهمين نكاح الحرم ، وخالفهم أهل الحجاز ، واحتجوا بنفيه عليه السلام عن أن يتكبح
الحرم أو يتكبح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ، وعارضوا حديث ابن عباس
بحديث يزيد بن الأصم أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال ، وخرج الدارقطني
والترمذي أيضاً من طريق أبي رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال .
وروى الدارقطني من طريق ضعيف عن أبي هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس
وفي مسند البزار من حديث مسروق وطائفة رضى الله عنها ، قالت : تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم - وهو محرم ، واحتجم وهو محرم ، وإن لم تذكر في هذا الحديث ميمونة ،
فتمسكها أرادت ، وهو حديث غريب ، وخرج البخاري حديث ابن عباس ، ولم يعله هو ،
ولعله ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : غلط ابن عباس أو قال وهم ، ما تزوجها النبي
صلى الله عليه وسلم إلا وهو حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم -
تزوجها محرماً ، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه

ما جاء من القرآن في عمرة القضية : قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه ، فيما حدثني أبو عبيدة : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مخلفين ومعتصمين لا تخافون ، فلم مالم تعلموا ، لجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ، يعني خير .

ذكر غزوة مؤتة^(١)

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والحرم وصغرا وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بمئة إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمئة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد لجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن زواجة على الناس .

== الدارقطني في السنن من طريق أبي الأسود يقيم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال ، فهذه الرواية منه موافقة لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرماً ، أى : في الشهر الحرام ، وفي البلد الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربي فصيح ، فتسكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله يخضولا

وذلك إن قتله كان في أيام التشريق ، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس ، أو لا .. عن الروض الأنف .

(١) وهى ميمونة الوأو ، وهى قرية من أرض البلقاء . من الشام ، وأما المنة بلا مزنة ، فغضب من الجنون « وفي الحديث أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يقول في صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من مزه ونفخه ونفثه ، وفسره راوى الحديث ، فقال : نفثه : نفثه ، ونفخه : الكبر ، ومزه للمنة .

فتجهز الناس ثم تهبوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلبوا عليهم . فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛ فقالوا : ما يبكيك يا بن رواحة ؟ فقال : أما والله ما نحب الدنيا ولا حبتها بكى ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار ، وإن منكم إلا واردوها كان على ربك حتما مقضيا ، ، فليست أدري كيف لي بالتقدير بعد الورود ؛ فقال المسلمون : محبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسألُ الرحمن مغفرةً وضربةً ذاتَ فَرْخٍ تُقذفُ الرِّداً (١)
أولمعةً ييسئُ - حَرَّانُ مُجْهِدَةً بحريةً تُنفذُ الأحشاءَ والكبدَ (٢)
حتى يقال إذا مروا على جَدَثٍ أرشده الله من غايٍ وقد رَشَدَا (٣)

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهبوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ، ثم قال :

فثبتتُ الله ما آتاك من حسنٍ تثبتت موسى ونصراً كالذى نُصِرَ أ
لنى تفرست فيك الخيرَ نافلةً الله يعلم أنى ثابتُ البصيرِ
أنت الرسولُ فنِ يُحرِّمُ نوافله والوجه منه فقد أُرِى به القدرُ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنت الرسولُ فنِ يُحرِّمُ نوافله والوجه منه فقد أُرِى به القدرُ
فثبتتُ الله ما آتاك من حسنٍ فى المملين ونصراً كالذى نُصِرُوا
لنى تفرست فيك الخيرَ نافلةً فإسأةً عالت فيك الذى نظروا

بعض المشركين ؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له .

(١) الفَرْخُ : السمة . والرد فى الأصل الرغبة ، ويراد هنا شدة تدفق الدم .

(٢) المجردة : التى تجهز عليه ، أى تسرع فى قتله .

(٣) المجدث : القبر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبدالله بن رواحة :

تَخَلَّفَ السَّلامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتُهُ فِي التَّغْلِيلِ غَسِيرٌ مُشْتَعٍ وَخَبِيلٌ

ثم مضوا حتى نزلوا عَمَّانَ ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآبَ ، من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من عجم ومُجَنِّدَامِ وَالْقَيْنِ وَبِهْرَاءِ وَبَلَى مِثَّةِ أَلْفِ بَشَرٍ ، عليهم رجل من بني ثَمِ أَحَدِ إِرَاشَةِ قَالَ لَهُ : مَا لَكَ بِنِ زَاغَةٍ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ أَقَامُوا عَلَى مَعَانِ لَيْتَيْنِ يَسْكُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَنْصِرَهُ بَعْدَ عَدُوَّتِنَا ، فَإِنَّمَا أَنْ يَمْدَنَا بِالرِّجَالِ ، وَإِنَّمَا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ ، فَتَنْصُرَ لَهُ .

قال : فشجع الناسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، وقال : يَا قَوْمَ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيَنْتَقِرُ تَكْرَهُونَ ، لَتَنِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، وَمَا تَقَاتِلُ النَّاسَ بَعْدَ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ ، مَا تَقَاتِلُهُمْ إِلَّا جُنْدُ الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ، فَانْطَلِقُوا طَائِفًا مَعِي إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِمَّا ظُهُورَ وَإِمَّا شَهَادَةَ . قَالَ : فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ وَافَقَهُ صَدُوقُ ابْنِ رَوَاحَةَ . فَضَى النَّاسُ : فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي مَحَبَّتِهِمْ ذَلِكَ :

جَلَبْنَا الْحَبِيلَ مِنْ أَجْلِ وَفَرَعٍ شَعَرٌ مِنَ الْحَفِيشِ لَهَا الْعُكُومُ (١)
حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَبَبًا أَزَلَّ كَانَ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ (٢)

(١) أجا : أحد جبل طيء والجيل الآخر سلسى وفرع : مكان بأجا . نفر : تطعم مرة بعد أخرى . والعكوم : جمع عكم وهو الجنب .

(٢) أى حذوناها فعلا من حديد جمل سببا لها ، مجازاً . وصوان من الصون ، أى : يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإيل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان بيس الأرض ، أى لا سبب له إلا ذلك ، ووزنه فعلان من قولهم : نفقة حاوية أى يابسة ، وأنشد أبو علي :

قَدْ أُوْبِتَ كُلُّ مَاءٍ فِيهَا بِأَوِيَّةٍ

ويشهد لمنى الصوان هنا قول النابغة الذبياني :

يرى وقع الصوان حد نسورها

وعين الفعل في صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب العين في الصاد والواو والياء مباديـ

أقامت ليلتين على مَمانٍ فَأُغْبِيتَ بِمَدِّ قَتَرِهَا جُومٌ (١)
فَرَحْنَا وَالْجِيَاذُ نُسُومَاتٌ تَنْفَسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّومُ
فَلَا وَأَيُّ مَاتَ لَنَا تَيْتُهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَدُومُ
فَمَبَانَا أَعْتَبْنَا لِحَامَاتٍ عَوَابِسُ وَالنَّبَارُ لَهَا بَرِمٌ (٢)
بَذَى تَلْجِبُ كَانَ التَّيْضُ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُ النُّجُومِ (٣)
قَرَانِيَةُ لِلْمُعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسْتَبَا فَتَشَكَّحُ أَوْ تَلِيمٌ (٤)

قال ابن هشام : « ويرى : جلبنا الخيل من آجام قرح » ، وقوله : « فمبانا أعتبنا » غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يقبأ لعبد الله بن ربيعة في سحرة ، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حنية وحله نراه أنه ليس ليلة إذ سمته وهو يشد ألباه هذه :

اللفظ ، فقال : صوى يصوى : إذا ببس ، ونظلة صاوية ، ولو كان بما لامة ياء ، لثقل في صوان صيان ، فأقبل طيان وريان ، ولكز لما انقلب الواد ياء من أجل الكسرة ظن الحذف من ذوات الياء .

(١) ممان يفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكري بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والممان أيضاً : حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمعت النظر ، أو من اللام الميم ، فيكون وزنه فعالا ، ويجوز أن يكون من المون ، فيكون وزنه مفعلا ، وقد جنس للمرى بهذه الكلمة ، فقال :

ممان من أحبتا ممان تجيب الصاعلات بها القيان
والثقة : الصكون . الجوم : اجتماع القوة .

(٢) البريم في الأصل : الخيط للفتول الذي فيه لوان مختلطان ، يريد أن لون الخيل اختلط بلون انتراب .

(٣) بذى جلب : أى يجهش ذى جلب . والعجب اختلاط الأصوات . البيض ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه . والقوانس : أعلى البيض .

(٤) تليم : سى دنا روج .

إذا أدبني وحلي رحلي مسيرة أربع بعد الإصاء^(١)
فصأنتك أنتم وغللك ذم ولا أربع لك أهل ورائي
وجاء السلون وغادروني بأرض الشام مشيتي التواء
ورددك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن متطوع الإعاء
هنالك لا أبالي طلع بصلي ولا تغلي أسافلها رواه^(٢)

فلما سمعتن منه بكيت . قال : غفقتي بالقدرة ، وقال : ما عليك بالكعب^(٣) أن يرزقني الله
شهادة وترجع بين شعبي الرجل !

قال : ثم قال عبد الله بن ربيعة في بعض سفره ذلك وهو يرتجر :

يا زيد زينة اليملاط الذليل تطاول الليل هديت فازلج^(٤)

لقاه الروم وحلفاءهم : قال ابن إسحاق : فضى الناس ، حتى إذا كانوا بخوم^(٥) البلقاء
لقتهم جموع هرقل ، من الروم والعرب ، قرية من قرى البلقاء يقال لها مغاريق ، ثم دنا
العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتمبا لها المسلمون ،
لجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى يسرتهم رجلا من
الأنصار يقال له عبيدة بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عبيدة بن مالك .

مقتل زيد بن حارثة : قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة
براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط^(٦) في رماح القوم .

(١) الحساء . جمع حسي : ماء يتحلى في الرمل حتى يجد مكانا صلبا فيستقر .

(٢) البعل : من يشرب بهروقه من الزرع دون ري .

(٣) الكعب : التيم أو الأحق .

(٤) اليملاط : الثوق السريعة . والذليل : التي أمرها السير .

(٥) الخوم : الحدود الفاصلة بين البلاد .

(٦) شاط : تمزق .

مقتل جعفر : ثم أخذنا جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألهه (١) القتال اقتحم (٢) من فرس له شقراء ، فمقرها (٣) ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر له الإسلام .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك التزوة غزوة مؤتة قال : والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم من فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبيذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا صلابها كفرة بعيدة أنسابها
على إذ لاقيتها شرابها

قال ابن هشام : وحدثني من أتى به من أهل العلم : أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء يمينه قطعت ، فأخذه بشماله قطعت ، فاحتضته بصدفيه حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأما به الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء (٤) . ويقال : إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، قتلته بصفين .

(١) ألهه : وقع فيه فلم يجد له مخرجا .

(٢) اقتحم من فرسه : رعى نفسه من طمعا .

(٣) مقرها : شرب قوائمه بسيفه . ولم يحب ذلك عليه . فدل على جوارحه مخافة أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا في باب النبي عن تعذيب الياتم ، وقتلها عتبا . غير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال : حدثنا الثعلبي قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن الزبير ، قال حدثني : أبي الذي أرضعني ، وهو أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك التزوة غزوة مؤتة ، قال : والله لكانني أنظر إلى جعفر حين اقتحم من فرس له شقراء فمقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نهي تكبر عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة البارحة ،

ملائكة عبد الله بن رواحة : قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، قال : فلما قُتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويرتد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمت يا نضر لتنزلن لتسرن أو لتكفرن

جذرايت جعفرأ يطير مع الملائكة ، وجناحاه مضر جان بالدم ، وعن سعيد بن المسيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل لي جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة في خيمة من در على أسرة ، فرأيت زيدا وعبد الله وفي أعناقهما صندوق ، ورأيت جعفرأ مستقيماً . فقيل لي : إنما حين غشيها الموت أعرضا بوجههما ، ومضى جعفر ، فلم يعرض ، وسمع النبي — صلى الله عليه وسلم — فاطمة حين جاء نعي جعفر يقول واعماه ، فقال : على مثل جعفر ، فلتبك البراكي . وكان أبو هريرة يقول : ما احتذى النمل ، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر . وقال عبد الله بن جعفر : كتب إذا سألت علياً حاجة ، فنعني أقسم عليه بحق جعفر فيعطيني .

وما ينبغي الوقوف عليه في معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الهم على مثل جناحين الطائر وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ، وأكملها ، وفي قوله عليه السلام : إن الله خلق آدم على صورته تشریف له عظيم ، وحاشا لله من التشبيه والتفيل ، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية ، أعطاها جعفرأ كما أعطيتها الملائكة ، وقد قال الله تعالى لموسى : « وإضمت يدك إلى جناحك ، فمعبود العبد بالجناح توسعاً ، وليس يتم طيران ، فكيف بمن أعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخق به إذا : أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وعمام الجوارح البشرية ، وقد قال أهل العلم في أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ، ولكنها صفات ملكية لا ينهم إلا بالمعاني ، واحتجوا بقوله تعالى : « أول أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، فكيف تكون كل أجنحة الطير على هذا ، ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ، ولا أربعة ، فكيف بستة جناح ، كما جاء في صفة جبريل طيه السلام ، فدل على أنها صفات لا تنضب كقيمتها للفكر ، ولا ورد أيضاً في بيانها خبر ، فيجب علينا الإيمان بها ، ولا يفيدنا علما أعمال الفكر في كقيمتها ، وكل امرئ قريب من مييادته ذلك . انظر الروض الآف بتحقيقنا

إن أجلب الناس وشعوا الرنة مالى أراك تكثرهين الجنة^(١)
قد طلال ماقد كنت مطمئنة هل أنت إلا تطفة فى سنة^(٢)

وقال أيضا :

يا نفس إلا تقتلى تموت هذا حمام الموت قد صليت
وما تميت فقد أعطيت إن تفعلى فعلها هديت

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا ، ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بقرق^(٣) من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتس^(٤) منه نهسة ، ثم سمع الحطمة^(٥) فى ناحية الناصر ، فقال وأنت فى الدنيا ؟ ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

إمارة خالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى^(٦) بهم ، انحاز وانحين عنه ، حتى انصرف بالناس .

الرمول يقتبأ بما حدث : قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر

(١) الرنة صوت يشبه البسكاه .

(٢) التطفة الماء القليل الصافي . الشنة : السقاء البالى ضرب بذلك مثلا بقصر العمر .

(٣) العرق : عظم عليه بعض اللحم .

(٤) انتس : أخذ اللحم بمقدم أسنانه ونقشه . (٥) الحطمة كسر الناس لبعضهم .

(٦) والمخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعله من الخشية لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم . وقد قيل : كان العدو ما أتى ألف من الروم ، وخمسين ألفا من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفا : وقد قيل : إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن روى حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الخشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف أنه سئل عن قوله (حاشى بهم) فقال : معناه : انحاز بهم .

فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ قال : ثم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الانصار ، وعلتوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذنا عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلى في الجنة ، فيها يرى الناس ، على سرور من ذهب ، فرأيت في سرور عبد الله بن رواحة ازورارا ^(١) عن سرري صاحبه ، فقلت : عثم هذا ؟ فقلت لي : مضيا وتردد عبد الله بعض الردد ، ثم مضى .

حدثني عن الرسول علي جعفر : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن أم عيسى الخواجة ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب ، عن جدتها أسماء بنت حميس ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دُبَّتْ أربعين منا — قال ابن هشام : ويروى أربعين منيثة — وجمعت عيني ، وغسلت يدي ودهنتهم ونظفتمهم . قالت : فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتليني بنى جعفر ؛ قالت : فأتيتهم بهم ، فقتلهم وذرفت عيناه ، فقلت يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، ما لي بك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقتل أصبح ، واجتمعت إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن تعينوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم ^(٢) .

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أتني نبي جعفر حرفنا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يا رسول الله ، إن النساء تحبنا وقتنا ؛ قال فارجم إليهن فأسكن . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك — قال : تقول وربما ضرب التكلف أهله — قالت : قال :

(١) الازورار : الميل .

(٢) وهذا أصل في طعام التعزية وتسمية العرب الوضيعة ، كما تسمى طعام العرس الوضيعة ، وطعام القادم من السفر ، التضيعة ، واطعام البناء الوكيفة ، وكان الطعام الذي صنع لآل جعفر فيها ذكر الزبير ، في حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى شميم ، فطعمته ، ثم آدمته بريت وجعلت عليه فلفلا ، قال عبد الله ، فأكلت منه . وحينئذ النبي صلى الله عليه وسلم مع إنخرو في بيته ثلاثة أيام .

فأذهب فأسكنهن ، فإن أبين طح في أفواههن التراب ، قالت : وقلت في نفسي : أبعدك الله
فوالله ما تركت نفسك وما أنت بطيخ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه
لا يقدر على أن يحثي في أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قنادة العنبري : الذي كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل
على مالك بن رافة فقتله ، فقال قطبة بن قنادة :

طعنت ابن زافلة بن الإرا شئ برمح مضى فيسه ثم انحطم
ضربت على جيسده ضربة قال كما مال غصن السلم^(١)
وسقنا لسان بني عمه ضداة رقوة بن سوق النعم^(٢)

قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .
والبيت الثالث عن خلاد بن قررة ، ويقال : مالك بن رافة .

ما قالته كاهنة حدس : قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت
بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، تدفقات لقومها من حدس ، وقومها يكن يقال
لهم بنو غم — أنذرهم زوما خرواً^(٣) ، ينظرون شراً^(٤) ، ويتوردون أعياناً^(٥) ترى ، ويبريقون
دماً عكراً ، فأخذوا بقروها ، وأغزلوا من بين لثم ، فلم تزل بعد أترى حدس : وكان الذين
صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطون من حدس ، فلم يزلوا قليلاً ، فلما انصرف غالب الناس
أقبل بهم قافلاً .

الرسول يلتقي بالإيظال : قال ابن إسحاق : لحديث محمد بن جعفر بن الزبير ، عن حمزة
ابن الربيع قال : لما دبر ابن حزم المدينة فلما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلمين
قال : وأنهم العيبان يمشون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع أترام على ذات
فقال : غنوا عيبان فاهلهم ، اعلموني ابن جهمر ، بأن يرد الله فأخذه ثم له بن يديه .
قال : وجعل الناس يحثون على الجيش لئلا يتراب ، ويقولون يا غرار ، غررت في سبيل الله ا قال

(١) مسلم : شجر العنفة ، نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة .

(٢) رقوة بن : اسم موضح . (٣) الخو : من يضيئون عيونهم وينظرون .

(٤) انبر : نظروا بآدمية .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفرار ، ولكنكم الكثر إن شاء الله تعالى (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المنيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فرار ، فررت في سبيل الله ، حتى قعد في بيته فما يخرج .

ما قبل من الشعر في غزوة مؤتة : قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيس بن المسجر البعري ، يعتبر بما صنع يومئذ وصنع الناس :

خوافق لا تنفك نفسي تلومني	على موقف الخيل قابعة قتل ^(٢)
وقفت بها لا مستجيها فافذا	ولا مانعا من كان حُثم له القتل
هل أتى آسيت نفسي بخاذي	الا عائد في القوم ليس له مثل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر	بؤته إذ لا ينفخ النابل التل
وطم إلينا حيزوتهم ركاثها	مهاجرة لا مشركون ولا عزل ^(٣)

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ، أن القوم ساجدوا وكرهوا الموت ، وحقق الحيز خالد بن مع .

قال ابن هشام : فأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه : أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قتل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : نحن الفرارون يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فتكم ، يريد : أن من فرمتحيز إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه ، ولأن جاء الوعيد فيمن قرع الإمام ، ولم يحيز إليه ، أي لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه ، فالتحيز متفعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلا كما يظن بعض الناس لقليل فيه : متحوز : وروى أن عمر رضي الله عنه حين بلغه قتل أبي حبيد بن مسعود وأصحابه في بعض أيام القادسية ، قال : فلا تحيزوا إلينا ، فإنا فئة لكل مسلم .

(٢) القيل : إقبال نظر كل من العيين على الآخر .

(٣) حيزوتهم : تأسيتهم .

قال ابن إسحاق : وكان ناكبي به أصحاب مؤنة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قول حسان بن ثابت :

تأويني ليل يثرب أعسر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة
بلى إن فقدان الحبيب بلية
رأيت خيار المؤمنين تواردوا
فلا يبعدن الله قتل تابعوا
وزيد وعبد الله حين تابعوا
غداة مضوا بالؤمنين يقدم
أقر كسوة البدر من آل ماني
فطاعن حتى مال غير مؤيد
فصار مع المستهدين ثوابه
وكان نرى في جمعي من محمد
فازال في الإسلام من آل هاشم
هم جيل الإسلام والناس حولهم
بهايل منهم جعفر وابن أمه
وحزرة والعباس منهم ومنهم
بهم تفرج اللاؤ في كل تازق
هم أولياء الله أنزل حكمه

وقال كعب بن مالك :

قام العيون ودمع عينك يهزل
في ليلة وردت على همومها
تستأ كما وكف الطباب المخل
طورا أحي و تارة أنمل

(١) الرضام : الحجارة المرصومة ، وهي المجموعة فوق سطحها . الطود : الجبل .

(٢) البهايل : السادة . (٣) العباس : المظلم .

(٤) الطباب : جمع طبابة ، وهي سير بين خورزين في الزادة ، فإذا كان غير محكم وكف
منه الماء .

واعتادني حزنٌ قيتُ كأنني
وكأنما بين الجوانح والحنى
وجندا على الفز الذين تابعا
صلى الإله عليهم من فتية
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم
فصوا أمانم المسابن كأنهم
إذ يهدون بمعفر ولوايه
حتى تفرجت الصفوف وجعفر
تغير القمر النير لفقده
قرم علا بنيه من هاشم
قوم بهم عصم الإله عباده
فضلوا المعائر حزة ونكرما
لا يظلقون إلى الشفاء حجام
ييض الوجوه ترى بطون أكرمهم
وبهديم رضى الإله خلقه

وقال حسان بن ثابت يكي جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه :

ولقد بكيتُ وهدرتُ مبلك جعفر
ولقد تجرعت وقلت حين بُعيت لي
بالبيض حين نسلت من أغمارها

حبّ النبي على البرية كلها
من الجلال لدى العقاب وظلها^(٥)
قربا وإنهال الرياح وظلها^(٦)

(١) بنات نيش نوعان : الكبرى وهى سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى .
والصغرى : سبعة كواكب قرب بنات نيش الكبرى . والساك : هما سماكان . نجمان نيران
أحدهما فى الشمال ويعرف « بالراح » . والثانى فى الجنوب ويعرف « بالاهزل » . والمعنى أنه
من طول سره بات رعى النجوم .

(٢) الفقى : لحول الإبل : المنزل : السابغ .

(٣) الوعث : الالتحام . (٤) قرم : سيد .

(٥) العقاب : اسم راية من رايات الرسول عليه السلام

(٦) الإنهال : الشرب الأول . وظلها : شربها الثانى .

بعده ابن فاطمة المبارك جعفر
رُزما وأكرهنا جميعاً تحيداً
للحق حين ينوب غير تتحل
خُشاً، وأكرهنا إذا ما يُجندى
بالعرف غير محمد لأمثله
قال حسان بن ثابت في يوم مؤنة يكي زيد بن حارثة وعبد الله بن راحة :-

عين جودي بدمعك المزبور
واذكرى مؤنة وما كان فيها
حين راحوا وغادروا ثم زيدا
حب خير الانام طراً جميعاً
واذكرى في الرخاء أهل القبور^(١)
يوم راحوا في وقعة التغير
نعم ماوى الضريك والمأسور^(٢)
سيد الناس حجة في الصدور

(١) في هذا البيت والبيتين اللذين قبله والبيت الذي بعده تضمين، بقوله : وأذلما ، ثم قال في أول بيت آخر : الحق ، وكذلك قال في البيت الآخر : وأقلها ، وقال في الذي بعده خُشاً . . وذكر قدامة في كتاب نقد الشعر أنه يجب عند الشعراء ، ولعمري إن فيه مقالا ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوم الذم في مثل قوله : وأذلما ، وكذلك . وأقلها ، وقد غلب الزبرقان على الخيل الإسدي بكلمة قلما وإن كان الخيل أشعر منه ، ولكنه لما قال يهجو : وأبوك بدر كان يهز الخصى وأبى الجواد ربيعة بن قتال وصل الكلام بقوله : وأبى ، فقال له الزبرقان : فلا بأس إذا ، فضحك من الخيل ، وغلب عليه الزبرقان ، فإذا كان هذا معيياً في وسط البيت ، فأحرى أن يعاب في آخره ، إذا كان يوم الذم ولا يندفع ذلك اليوم إلا بالبيت الثاني ، فليس هذا من التحصين على المعاني والترقى للاعتراض .
(٢) الاجتهاد طلب المعروف .

(٣) الزر : التليل ، ولا يحسن هنا ذكر التليل ، ولكنه من زورت الرجل إذا ألححت عليه ، وزورت الشيء إذا استغففته ومنه قول عمر - رحمه الله - زورت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأصح فيه التخفيف .

قال الشاعر :

نخذ عضو من تهواه لا تزوره
فمنه بلوغ الكسوف للشارب

(٤) الضريك : الفقير .

ذَلِكَ حَزَنِي لَهُ مَعًا وَسُرُورِي
إِنْ زَيْدًا قَدْ كَانَ مِنَّا بِأَمِيرٍ
ثُمَّ جُودِي لِلخُرُوجِي بِدَمْعٍ
قَدْ أَنَا نَا مِنْ قَتْلِهِم مَّا كُنَّا نَا
فِي حَزَنِي نَيْتٌ غَيْرِ سُرُورِ

وقال شاعر من المسلمين من رجع من غزوة مؤتة :

كُنِّي حَزَنًا لِي رَجَعْتُ وَجَعَفْتُ
وَزَيْدٌ وَعِدَّةٌ فِي رَاحَتِي أَقْبَرُ
قَتَلْتُمَا نَحْبَهُمْ لِمَا مَضُوا لِسَيْلِهِمْ
وَحُلَقْتُ لِلْبَلَاءِ مَعَ الْمُتَغَيَّرِ
ثَلَاثَةٌ رَهْلِي قُدِّمُوا فَتَقَدَّمُوا
إِلَى وَرْدِ مَكْرُورٍ مِنَ الْمَوْتِ أَحْمَرِ

تسمية شهداء مؤتة : وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة .

من قرش ، ثم من بني هاشم : جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه
ومن بني عدي بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .

ومن بني مالك بن يسيل : وهب بن سعد بن أبي قحطح .

ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ، وعبد الله بن قيس .

ومن بني غنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بني مازن بن النجار : سراقه بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام : ومن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب :

من بني مازن بن النجار : أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول وهما
لاب وأم .

ومن بني مالك بن أفضى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر
ابن ثعلبة بن مالك بن أفضى .

قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب^(١) وجابر ، ابنا عمرو

(١) الزور : قليل المطاء

(٢) وهو المعروف عندهم وقيل أبو كليب ، قال أبو عمر : لا يعرف في الصحابة أحد يقال

له : أبو كليب

ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة

في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيته إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجيا .

ها وقع بين بني بكر وخزاعة : ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوثير ، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة أن رجلا من بني الحضرمي ، واسمه مالك بن عتابة — وحليف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزّ — خرج تاجرا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عقدوا عليه قتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة قتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود ابن رزّ الدليل — وهم متخربون كنانة وأشرافهم — سلمى وكلثوم وذؤيب — فقتلهم بركة عند أنصاب الحرم ^(١) .

قال ابن إسحاق . وحدثني رجل من بني الدليل ، قال : كان بنو الأسود بن رزّ يؤدون في الجاهلية ديتين ديتين ، وتؤدى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حजर بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم ، كما حدثني الزمري ، عن عمرو بن الزبير ، عن المشور بن مخزومة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعدهم فليدخل فيه ؛ فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعدهم ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتصم بنو الدليل من بني بكر من خزاعة ، وأرادوا

(١) ذكر الشيخ الحافظ أبو بكر أن أبا الوليد أصلحه : رزنا بكسر الزاء ، قال : والزن : نقرة في حجر يمسك الماء ، وفي كتاب العين : الزن أكمة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بني رزن من بني بكر ، وقد قيل فيه : الدليل .

(٢) أنصاب الحرم هنا : حجارة توضع بين الحل والحرم للفصل بينهما

أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك الثغر الذين أصابوا منهم بنى الاسود بن رزن ، فخرج نوفل ابن معاوية الدليل في بنى الدليل ، وهو يومئذ قائم ، وليس كل بنى بكر نأبته حتى بقيت خزاعة وهم على الوثير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفقت بنى بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا ^(١) خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلتك إلتك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلمرى إنكم لتسرقون ؛ في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟ وقد أصابوا منهم ليلة يتوهم بالوثير رجلاً يقال له منبه وكان منبه رجلاً مفنوداً ^(٢) خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إني لمت ، قتلوني أو تركوني ، لقد انبت ^(٣) فؤادى ، وانطلق تميم فأفكت ، وأدركوا منها فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع : فقال تميم بن أسد يعتبر من فراره عن منبه :

لما رأيت بنى ثفالة أقبلوا	يخشون كل وثير وحجاب ^(٤)
صخرًا ورزنا لأعريب سوامد	يزجون كل مقصص ختاب ^(٥)
وذكرت دخلا عندنا متقادما	فما مضى من سائب الاحتاب ^(٦)
وتفيلت ريح اللويت من تلقائهم	ورهبث وقع تمهيد قصاب ^(٧)
وعرفت أن من يقفوه يزكوا	لما يجزيهم وشلت حراپ ^(٨)
فرومت رجلا لأخاف عازما	وطرحت بالمتن التراء ثيابي ^(٩)
ونحوث لا ينحو نجاى أحقب	يلج أقب مشر الاقرب ^(١٠)

- (١) حازوا : ساقوا . (٢) مفنودا : ضعيف الفؤاد .
 (٣) انبت : انقطع .
 (٤) الوثير : الأرض الممتدة . الحجاب : ما اعلمان من الأرض .
 (٥) لأعريب : لأحد . المقصص : الفرس طويل القوائم ، منضم البطن . الختاب : واسع المخزن .
 (٦) الذحل : طلب الثأر . (٧) نشيت : شمت .
 (٨) المجرية : اللبوة التى لما جراء أى أبناء ، الشلو : بقية الجسد .
 (٩) للتن : ظهر الأرض .
 (١٠) نحوث : أسرع . والاحتب : حمار الوحش أبيض العجز . خليط : أقب : ناصر البطن . مشر الاقرب : منقبض الخواصر

تلقى ولو شئت لكان نكيرا
اتسرت أعظم ما تركت فنتها
بنو لاء بيل قشافر القصباب (١)
عن طيب نفسي فاسأل أصحابي

قال ابن مشام : و ترى لحبيب بن عداة الأعلم الهذلي . و يته : و ذكرت ذحلا
عندنا متقادما ، عن أبي عبيدة ، و قوله و خباب ، و عالج أقب دشمر الأقرب ، عنه أيضا .
قال ابن إسحاق : و قال الآخر بن لعط الدلي ، فيما كان بين كنانة و خزاعة في
تلك الحرب :

الاهل آتى قصى الأحابيش أنا
حبسناهم في دارة العيد رافع
رددنا بني كعب بأفوق ناعيل (٢)
و عند بديل تحبسا غير طائل
بدار الذليل الآخذ الضيم بعدما
شقيتا النفوس منهم بالمنايل
حبسناهم حتى إذا طال يومهم
نذبحهم ذبح الثيوس كأننا
أسود تبارى فيهم بالقوايل
م ظلمونا واعتقوا في مسيرهم
و كانوا لقي الانصاب أول قاتل
كانهم بالجرج إذ يطردونهم
قفائور حقان النعام الجوايل (٣)

(١) تلقى : تلوم ، للشافر : الجوانب . القصباب : الفرج .

(٢) الأحابيش : من تعاهدوا مع قرش و ليسوا منهم . الأفوق : السهم الذي انكسر
طرفه الذي على الوتر . و الناعل : الذي زال نعله .
(٣) نفحنا : وسعنا . و الشعب : ما استوى بين الجبلين . الرابل : في الأصل المطر الشديد
و أراد به هنا الدفعة من الخيل .

(٤) الجرج : ما انطلف من الوادي . قفائور ، يعنى : الجبل ، و قفا ظرف الفعل الذى
قبله ، و قال : قفائور : و لم يبن لأنه اسم علم مع ضرورة الشعر ، قيل ، و لو قال : قفائور
ينصب الراء ، و جعله غير متصرف ، لم يبعد لأن مالا توين فيه ، و هو غير معرف بألف
و لام ولا إضافة ، فلا يدخله الحذف لئلا يشبه ما يضيفه للتسكلم إلى نفسه ، و قفائور بهذا
اللفظ قيد في الأصل ، و ظاهر كلام البرقي في شرح هذا البيت أنه قفائور . لأنه قال :
القفاور سيكة الفضة ، و كأنه شبه المكان بالفضة ثقاها و استراه ، فإن كانت الرواية
كما قاله ، فهو اسم موضع ، و القفاور : خزان من فضة ، و يقال : لأبريق من فضة . قيل
ذلك في قول جميل :

و صدر قفائور اللعين و جيد

فأجابه بُذيل بن عبد قناة بن سلمة بن عمرو بن الأجدب، وكان يقال له : بُذيل بن أم
أصرم، فقال :

تفاقد قومٌ يفخرون ولم تدع
أمنٌ ينجي القوم إلاّ تردّدهم
وفي كل يوم نحن نحبو حياةنا
ونحن صبحنا باللائحة دازكم
ونحن منعنا بين يميني وعشود
ويوم النسيم قد تكسفت ساعيا
إلّا أن أجرت في بيتها أم بعضكم
لهم سينا يدوم غير نازل^(١)
مجهز الوثير خافنا غير آيل^(٢)
لعقل ولا ينجي لنا في المائل^(٣)
بأسافنا يسبق لوم المواذل^(٤)
إلى خفيف رضى من بحر القابل^(٥)
مخيل فجمناه بجمل حلال^(٦)
بجموسيا قلون أن لم تقايل^(٧)

= وفي قول لبّيد :

حقاقهم راح عتيق ودرمك ومك وفائورية وسلاسل
وكا قال البرقي : ألفت في نسخ صحيفة سوى نسخة الشيخ، وإن صح ما في نسخة الشيخ
فهو كلام حذف منه ومناه : قفا فائور، وحسن حذف الفاء الثانية، كما حسن حذف اللام
الثانية في قولهم : علماء بني فلان لاسيا مع ضرورة الشعر، وترك الصرف، لأنه جملة اسم
بقعة، ومن الشاهد على أن فائور اسم بقعة قول لبّيد :

ويوم طلعت فتممدت وفودكم بأجماد فائور كريم مصابر
أى أنا كريم مصابر، ولذلك قال البكري ولم يذكر فيه اختلافا . وقال هو اسم جبل
بني فائور وقال ابن مقبل :

حى، محاضرم شقى وجمعهم دوم الإياد، وفائور إذا اتجمروا
وتال لبّيد .

ولدى الثمان منى موطن بين فائور أفاق نالدخل
وجفان الثعام : صفارها، وهو مرفوع لأنه خير كان عن السيل .
(١) يدوم : يجمعهم في التادى . (٢) الوثير : ماء لحزاعة . (٣) نحبو : نعطى
(٤) ييض : منازل بني كنانة . والعثود : ماء لهم . الخيف : ما تعذر من الجبل . رضى
جبل بالمدينة .

(٥) النسيم : مكان بين مكة والمدينة . تكفت : حاد . عيس : اسم رجل . الحلالج : البديد .
(٦) الجموسين : الضرة . أجرت : ضرب من العثد يسمع وصفه وقبحه .

كذبتم وبیت الله ما إن قتلتم ولكن تركنا أمركم في بلابل^(١)
قال ابن هشام : قوله «غير نافل» ، وقوله «لئلا خيف رضوى» عن غير ابن إسحاق :
قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت في ذلك :

لما الله قوما لم تدع من سراتهم لهم أحدا يندوهم غير ناقب
أخصي حمار مات بالأمس نوفلا متى كنت مفلحا عدو الخقائب

خزاعة تستنجد بالرسول : قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وفريش على خزاعة
وأصابو منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد
واليثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا في عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم
أحد بني كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك بما حاج فتح
مسكة ، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهري الناس ، فقال :

يا رب إني ناشد عمدا قد كتمت ولدا وكنا ولدا
فأنصر هداك الله نصرا أعتدا فإني رسول الله قد تجردا
فإن سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجرى مزيدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وهم أذل وأقل عددا وزعموا أن لست أدعوا أحدا
وقتلونا ركما وسجدا هم يبتسوا بالوزير هجدا
يقول : قتلنا وقد أسأنا .

فأنصر هداك الله نصرا أعتدا

قال ابن هشام . ويروى أيضا :

نحن ولدناك فكنت ولدا

(١) البلابل : وساوس الأفكار .

(٢) يريد أن بني عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصي أمه : فاطمة بنت سعد
الخزاعية ، والولد بمعنى الولد : وقوله : «بنت أسلنا» . هو من السلم لأنهم لم يسكنوا آمنوا
بعد ، غير أنه قال : ركما وسجدا ، فدل على أنه كان فيهم من صلى لله ، فقتل ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتُ بِأَعْمُرُ بْنُ مَالِكٍ ، ثُمَّ هَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنَّا^(١) ، مِنْ السَّاءِ ، فَقَالَ : إِنْ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بْنِ كَعْبٍ .

ثُمَّ خَرَجَ بِذَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خِزَاعَةَ حَتَّى قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَصِيبَ مِنْهُمْ ، وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشِ بْنِ بَكْرٍ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ : كَأَنَّهُمْ بَأْسِي سَفِيَانٌ قَدْ جَاءَاكُمْ لِيَشِدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ . وَمَضَى بِذَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابِهِ حَتَّى لَقُوا أَبَا سَفِيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِبَغْصَانَ ، قَدْ بَشَّته قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِيَشِدَّ الْعَقْدَ ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ ، وَقَدْ رَهَبُوا الَّذِي صَنَعُوا ؛ فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سَفِيَانَ بِذَيْلَ بْنَ وَرْقَاءَ ، قَالَ : مَنْ أَنْ أَقْبَلْتَ يَا بِذَيْلُ ؟ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : تَحِيرْتُ فِي خِزَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ ، وَفِي بَهَانِ هَذَا الْوَادِي ؛ قَالَ : أَوْ مَا جِئْتَ مَعَهُ ؟ قَالَ : لَا ؛ فَلَمَّا رَاحَ بِذَيْلٌ إِلَى مَكَّةَ ، قَالَ أَبُو سَفِيَانَ : لَقْنِ جَاءَ بِذَيْلٌ الْمَدِينَةَ يُعَدِّقُهَا النَّوَى ، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَنَهُ ، فَرَأَى فِيهِ الثَّرَى ، فَقَالَ : أَطْلَفَ بِاللَّهِ لَقْنِ جَاءَ بِذَيْلٌ مَعَهُ .

أَبُو سَفِيَانَ يُطَلِّبُ الصَّلَاحَ : ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سَفِيَانَ حَتَّى قَدَمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سَفِيَانَ ؛ فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فَرَّاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَوَّرَتْهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا بَيْتِيَّةُ ، مَا أَدْرَى أَرُغِبْتَ فِي عَنِ هَذَا الْفَرَّاشِ أَمْ رَغِبْتَ بِهِ عَنِّي ؟ قَالَتْ : بَلْ هُوَ فَرَّاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْتِ وَجِلٌّ مِثْرَكَ نَجَسٍ ، وَلَمْ أَحِبَّ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فَرَّاشِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ يَا بَيْتِيَّةُ بَعْدِي شَرٌّ . ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ ، فَلَمْ يردْ عَلَيْهِ شَيْئًا ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَكَلَّمَهُ أَنْ يَكْلِمَ لَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ، ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ : أَنَا أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ إِنْ فَوَّاهُ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا الذَّرَّ لَجَاوَدْتُكُمْ بِهِ . ثُمَّ خَرَجَ فَدَخَلَ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهَا ، وَعِنْدَهَا حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، غُلَامٌ يَدِبُ بَيْنَ يَدَيْهَا ، فَقَالَ : يَا عَلِيُّ ، إِنَّكَ أَمْسَيْتُ الْقَوْمَ فِي رَحْمَةٍ ، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ ، فَلَا أَرْجِعُ كَمَا جِئْتُ خَائِبًا ، فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سَفِيَانَ ؛ وَاللَّهِ لَقَدْ عَزَمَ رَسُولُ

ان صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه : فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ثنية محمد ، هل لك أن تأمرى بئيك هذا فيجيب بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ، يا بليغ بن ذلك أن يجيب بين الناس وما يجيب أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) قال : يا أبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت على ، فانصحنى ، قال : والله ما أعلم لك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجرب بين الناس ، ثم الحق بأرضك ، قال : أو ترى ذلك مغنياً عن شيئاً ؟ قال : لا والله ، ما أظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبي صفاة ، فقام أبىة في خيبر ، ثم جئت ابن الخطاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق : ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار على بنى صنته ، فوالله ما أدري هل يبقى ذلك شيئاً أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أجيب بين الناس ، ففعلت ، قالوا : قبل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا . ويحك والله إن زاد الرجل على أن نسب بك فابقى عنك ما فكك : قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

الاستعداد لنهج مكة : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإنجاز ، وأمر أمه أن يجهزه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضى الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله

(١) وقد ذكر أبو عبيد هذا محتجاً به على من أجاز أمان الصبي وجواره ، ومن أجاز جوار الصبي إنما أجازوه إذا عقل الصبي ، وكان كالمرءق .
وفوقاً : ولا يجيب أحد على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجيب على المسلمين أديانهم ، فعنى هذا : والله أعلم . كالبد ونحوه يجهز جواره ، فيما قل ، مثل أن يجيب واحداً من العدو أو تقرا يسيراً ، وأما أن يجيب على الإمام قوماً يريد الإمام غزوم وحرهم ، فلا يجهز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذى أرادت فاطمة - رضى الله عنها - والله أعلم ، وأما جوار المرأة وبأمنها لجأه عند جماعة الفقهاء إلا سحنون وابن اللاجشون ، فانهما قالا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأم هانئ : قد أجرنا من أجزت يا أم هانئ ، وروى معنى قولها عن عمرو بن العاص وعائذ بن الوليد . وأما جوار البكر ، فجاءه لإعتدائه خيفة ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : يعبر على المسلمين أديانهم ، يدخل فيه البكر والمرأة .

صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى بنى : أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز ، قال : فأين تريد ؟ قالت لا والله ما أدرى ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة : وأمرهم بالجدر اتبيخ ، وقال : اللهم خذ العميون والأخبار عن قريش حتى تبقثها في بلادها . فتجهز الناس .

فقال حسان بن ثابت يحرص للناس ، ويذكر مصاب رجال خراء :

عنانى ولم أشهد ببطاحه مكة	رجال بنى كعب تحز رقابها
بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم	وقتل كثير لم تحسن ثيابها ^(١)
ألا ليت شعرى هل تآلن نصرق	سبيل بن عمرو وخزها وعقابها
وصفوان عودحن من شفر واسته	فهذا أوان الحرب شد عصاها
فلا تأمنا يلبن أم مجلد	إذا احتلبت صرفا وأعصل ثابها ^(٢)
ولا تجهزوا منا فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن هشام : قول حسان : « بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم » ، يعنى غربشا ، وابن أم مجلد ، يعنى عكرمة بن أبى جهل .

حاطب يهذو أهل مكة : قال ابن إسحاق . رحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالبلدى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزية ، وزعم لى غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، جعل لها جعللا على أن تبائنه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم قتلت عليه قريشها ، ثم خرجت به ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم أغرجا حتى أدركاها بالخليفة ، خليفة بنى أمية فاستزلاها ، فاقصا فى رحلها ، فلم يجدوا شيئا ، فقال لها على بن أبى طالب : لئى أحلف بأنما كذب رسول الله صلى الله

(١) تحين : تستر ، يريد أنهم قتلوا . لم يستروا بالدين .

(٢) أعصل : أعرج .

عليه وسلم ولا كذبنا ، ولنخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لكشفك ، فلما رأته الجدمه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، خلعت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأقْبَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأاً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل . فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يا رسول الله ، دضى فلا ضرب عقه ، فإن الرجل قد نافق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد أطَّلع إلى أصحاب بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى فى حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وصيؤكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » . . . إلى قوله . . . ولقد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا نراءى منكم وما تعبدون من دُونِ الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم المداوئ والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده . . إلى آخر النعمة .

خروج الرسول إلى مكة . قال ابن إسحاق . وحديثى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رُمَ ، فكانهم من حصين بن عتبة بن خلف الغنارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُذَيْد ، بين عُشْفَانِ وأَجَجِ أَطْر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظَّهْرَانِ فى عشرة آلاف من المسلمين ، فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مُزَيْنَةَ ^(١) ، وفى كل القبايل عدد وإسلام ، وأوصب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْرَانِ ، وقد تحميت الأخبار عن قرقرش ، فلم يأتهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليلة أبى سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق . قال ابن هشام : لقيه بالبحقفة مهاجراً بجاله ، وقد كان قبل ذلك مقبياً بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض ، فيما ذكر ابن شهاب الزهرى .

(١) سبعت : صارت سبيانة . وألفت : صارت ألقا

إسلام أبي سفيان بن الحارث وعنده الله بن أبي أمية: قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد تلقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بريق المشقاب، فبينا بين مكة والمدينة، فالتقيا الدخول عليه، فسلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن حنك وابن عمتك وصبرك، قال: لا حاجة لي بهما، أما إن عمتي فبنك حرضي، وأما ابن عمتي وصبري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بئى له^(١). فقال: والله ليأذن لي أو لأخذن يدي بئى هذا، ثم لنذهب في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رقى لهما، ثم أذن لهما: فدخلا عليه، فأسلما.

وأشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه بما كان مضى منه، فقال:

لعمرك إني يوم أحصل راية	لتخبط خيل اللات خيل عبيد
لكالذلج الحمران أظلم لي	فهذا أواني حين أهدى وأهدى
مداني هاد غيبي نفسي ونائي	مع الله من طردت كل طغرى
أشد وأناى جامدا عن عميد	وأدعى وإن لم أقتب من عميد
هم ما هم من لم يقل بهواهم	وإن كان ذا رأي يلم وبقيد ^(٢)
أريد لأرجسهم ولست بلائع	مع القوم ما لم أهد في كل مقعد ^(٣)
قل لتقبى لا أريد قتالنا	وقل لتقبى لك غيمى أوديد
لما كنت في الجيش الذي نال عامرا	وما كان تجرا لسانى ولا يدي ^(٤)
قبائل جاءت من بلاد بعيدة	نزائغ جاءت من بهام وسرمد

قال ابن هشام: ويروى: ودلني على الحق من طردت كل مطرد،.

قال ابن إسحاق: فوعوا أنه حين أشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

(١) لعله يكون جعفرا، فقد كان آنذاك غلاما مدركا وشهد مع أبيه حنينا ومات في خلافة

عبادية. (٢) يعد: يكذب.

(٣) لا مل: لصق. (٤) جرا: جرم.

« وناثي مع الله من طردت كل مُطَرَّد ، ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره :
وقال : أنت طردتني كل مطرد .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب : فقلت :
واصبح قريش ، والله لن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة تحفة قبل أن يأتوه فيستأمنوا ،
لأنه هلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : جلست على بقة رسول الله صلى الله عليه وسلم اليثاء .
فخرجت عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لملي أجد بعض الخطابة أو صاحب لبن أرى
ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه
قبل أن يدخلها عليهم تحفة . قال : فوافقه إني لأسير عليها ، وأنتس ماخرجت له ، إذ سمعت
كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، وهما يتراجعا ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالملة نيرانا
قط ولا عسكريا ، قال : يقول بديل : هذه والله خراعة تحمشتها ^(١) الحرب . قال : يقول
أبو سفيان : خراعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرفت صوته ؛
فقلت : يا أباحظة ، عرف صوتي ، فقال : أبو التمثل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟
فذاك أبي وأبي ؛ قال : قلت : ويحك يا أباسفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ،
واصبح قريش والله . قال : فالحيلة ؟ فذاك أبي وأبي ؛ قال : قلت : والله لن ظنرك
لبضرب عنقك ، فأركب في عجز هذه البقرة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه
لك ؛ قال : فركب خلفي ورجع صاحبا ؛ قال : لجلت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين
قالوا : من هذا ؟ فلذا رأوا بقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها ، قالوا : عَمُّ رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بقلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من
هذا ؟ وقام ليبي ؛ فلما رأى أباسفيان على عجز الدابة ، قال : أبوسفيان عدو الله الحمد لله الذي
أمكن غير منك عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البقرة
فسبقته بما تسبق الدابة البليطة الرجل البطيء . قال : فافتحمت عن البقرة ، فدخلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان أمكن الله منه
خير عقد ولا عهد ، فدعني فلا ضربت عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد أجرته ، ثم جلست
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجي البليدة دوني وبيل ؛
فلما أكنه عير في شأنه ، قال : قلت : مهلا يا عمر ، فوافقه أن لو كان من بني عصى بن كعب ماقلت

هذا ، ولكذلك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ، فقال : مهلا يا عباس ، فزادته لإسلامك يوم أسلت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتني به ، قال : فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بآبي أنت وأمي ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك ، والله قد ظننت أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بآبي أنت وأمي ، ما أحلك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلعه ، يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فأجعل له شيئا ، قال : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب ليصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ، احبسه بضيق الوادي عند خطم الجبل ^(١) ، حتى تمر به جنود الله فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن احبسه .

عرض العجيش علي أبي سفيان : قال : ومررت القبايل على وإياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالي وسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول يا عباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالي ولزينة ، حتى نفذت القبايل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالي ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبة الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن عروة البشكري :

ثم محمرا أضي ابن أم قطيم وله فارسية خضراء

بني الكتيبة ، وهذا البيت في قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

(١) الخطم : الأنف ، ثم يخرج عن الجبل بضيق به الطريق .

لما رأى بدرًا تسيل رجلاًه بكتيبة خضراء من بني خزيمة

وهذا البيت في آيات له قد كتبنا في أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يرى منهم إلا التلحق من الحديد ، فقال : سبحان الله : يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد هؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أختك القضاء علينا ، قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : نعم إذن .

قال : قلت : اتجهوا إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيها لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت حبة ، فأخذت بشأله ، فقالت : اقتلوا الحيتيم الدثيم^(١) فبح من طليعة قوم^(٢) قال : ويلكم لا تفرعنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا : فاطاك الله ! وما تنفي عنا دارك ، قال : ومن أغاني عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ففرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بثقبة برد تحية حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن مشوته ليكاد يمس واسطة الرجل .

إسلام أبي قحافة : قال ابن إسحاق . وحدثني يحيى بن عبد بن الزبير ، عن أبيه ، عن جده أسماء بنت أبي بكر ، قالت . لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى قال أبو قحافة لابنة^(٣) من أصغر ولده : أي حنية ، اظهري في على أبي قحيس^(٤) ، قالت وقد كف بصره ،

(١) الحيت : الزق ، تسببه إلى الضخم والسمن ، والاحمس الذي لاغير عنه ، من قومه : طام أحس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حديد في حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الاحق ، فقال لما أبو سفيان : والله لتسلمن أو لأخرين حتك ، وفي إسلام أبي سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء حديثها ، ثم استقرا على نكاحهما ، وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حجة الشافعي ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله أو يسلم قبلها ، فدامت في العدة . وفرق مالك بين للسائتين على ما في اللوطا وغيره . طليعة القوم : الذي يجرهم .

(٢) واسمها : أم فروة زوجة تميم البداري ومن بعده الأشعث بن قيس . أو هي قرية تزوجها قيس بن سعد بن عبادة .

(٤) أبو قحيس : جبل بمكة .

قالت : فأشرفت به عليه ، فقال أى بُنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت ، وأرى رجلاً يسمى بين يدي ذلك مقبلاً ومدبراً ، قال : أى بُنية ، ذلك الوازع يعنى أنسى يا أم الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد وافقه انقشر السواد ، قالت : فقال : قد رآته إذن دُفعت الخيل ، فأسرعى بي إلى بيتي ، فاعططت به ، وولقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى حق الجارية طوق من تروقي ^(١) ، فلتاقها رجل فيقطعها من تحتها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه ؟ قال أبو بكر ، يا رسول الله ، هو أحق أن يمضى إليك من أن يمتنى إليه أنت . قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكان رأسه ثقاة ^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيروا هذا من شره ^(٣) ، ثم قام

(١) الطريق : الثلاثة مخلوق العنق ، الورق : القصة .

(٢) الثقاة . واحدة الثغام ، نبات أبيض الشجر والزهر ، يشدد ياعنه إذا يبس .

(٣) هو حل الثدب ، لاجل الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيه ، وقد روى من طريق أبي هريرة أنه غضب . وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب . وقال أنس : لم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرثى أم سلة شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيه أيضاً عن ابن موهب قال : يعنى أهلى بقدرى إلى أم سلة ، وذكر الحديث ، وفيه أطلعت فى الجليل فرأيت شعرات حمراً ، وهذا كلام مشكل وشرحه فى مستدركه بن الجراح قال : كان جليلاً من فضة صنع صيوماً لشعرات كانت عديم من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإن قيل فلما يدل على أنه كان غضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يغضب إنما كان يمشى شعيرات تعد .

فالجواب : أنه لما توفي غضب من عنده شيء من شره : تلك الشعرات ليكون أبهى لماء كذلك قال الثمارقضى فى أسماء رجال اللوطاء ، وكان أبو بكر يغضب بالحناء والكم ، وكأنة عمر يغضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر .

وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق فى شيب أبي قحافة : وخبره السواد

أبر بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طلاق أختي ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال :
أى أختي ، احتسبى طرفك ، فوافقه إن الأمانة في الناس اليوم قليل .

دعول مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن أبي نعيم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين فرق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كندى ،
وكان الزبير على أختبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كنداء (١) .

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا ، قال : اليوم يوم
الملحمة ، اليوم نستحل الحرمة ، فسمعا رجل من المهاجرين - قال ابن هشام : هو عمر
ابن الخطاب - فقال : يا رسول الله : اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون لدى قريش
خزنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن
أنت الذي تدخل بها .

== وأكثر العلماء على كراهة النضاب بالسواد من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر
جاء فيه الوعيد والنهي لمن غضب بالسواد ، وقيل : أول من غضب بالسواد فرعون وقيل :
أول من غضب به من العرب عبد المطلب ، وترخص قوم في النضاب بالسواد منهم محمد بن علي
وروى عن عمر أنه قال : أغضبوا بالسواد ، فإنه أنكى للعدو ، وأحب للنساء . وقال ابن طلال
في الشرح : إذا كان الرجل كهلا لم يبلغ المرم جاز له النضاب بالسواد ، لأن في ذلك ما قال
عمر رضي الله عنه من الإرهاب على العدو والتجنب إلى النساء ، وأما إذا قوس واحذوب
لمحتد يكره له السواد ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أبي قحافة : غيروا
شيعه ، وجنبوه السواد .

(١) كنداء بفتح الكاف وللد ، وهو بأعلى مكة . وكندى وهو من ناحية عرفة ، وبمكة
موضع ثالث يقال : كذا يضرب الكاف والقصر ، وأنشدوا في كنداء وكندى :

أقمرت بعد عبد شمس كنداء ، فكندى فالركن والبطحاء

وبكنداء وقف إبراهيم عليه السلام حين دعا للزيت بالخرم . كذلك روى سعيد بن جبير
عن ابن عباس . قال : فاجعل أفتدة من الناس تهوى إليهم ، فاستجبت دعوته ، وقيل له :
أذن في الناس بالحج بأتوك رجالا . ألا تراه يقول بأتوك ، ولم يقل يأتوني . لأنها استجابة
للدعوة فمن ثم - والله أعلم - استحب النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى لمكة أن يدخلها من كنداء
لأنه الموضع الذي دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفتدة من الناس تهوى إليهم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من الأبط ، أسفل مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على الجيئة الغني ، وفيها أسلح وعتار ومزينة وجيئة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين يتصّب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذانيه ، حتى نزل بأهل مكة ، وضربت له هناك قبة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر : أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل ومسيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالثغمة ليقاقلوا ، وقد كان حاتم بن قيس بن خالد أخو بني بكر ، يمد سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تمد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم بمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنني لأرجو أن أخذتكم بعضهم ، ثم قال :

إِنْ 'بَقِلُوا الْيَوْمَ فَأَلِي عِيْلَهُ' هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّهُ^(١)

وذو غرارين سريع السَّيْفِ^(٢)

ثم شهد الثغمة مع صفوان ومسيل وعكرمة فلما لقيهم للمسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناروشوم شيئا من قتال ، قُتِلَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ ، أحد بني عمار بن فهر ، ونخيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بني منقر ، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشدوا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا ، قُتِلَ نَخِيسُ بْنُ خَالِدٍ قَبْلَ كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ ، فجعله كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ بَيْنَ رَجُلَيْهِ ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمْتُ صَفْرَاءُ مِنْ بَنِي رَمْثٍ قِيَّةُ الْوَجُو قِيَّةُ الصَّدْرِ^(٣)

لأضربن اليوم عن أبي صَخِيرٍ

قال ابن هشام : وكان نخيس يكنى أبا صخر ، قال ابن هشام : نخيس بن خالد ، من خزاعة

(١) الآية : الحربة ذات السنان الطويلة . (٢) غرارين : حوين .

(٣) قوله : من بني فهر بكسر الميم وأبو صخر : هذا على مذهب العرب في الوقف على ما أوصله ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل في الرفع ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعا أو مفعولاً ، ولا يفعلون ذلك في التصيب وعمله مستقصاة في النحو .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نعيم وعبد الله بن بكر ، قالا : وأصيب من نجبة سلمة بن الأكلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ثلث قريب من اثني عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انزموا ، فخرج جناس منهم ما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلتي عليّ بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم القنطرة إذ فر صفوان وفر عكرمة
وأجر يزيد قائم كالفرس واستجلم بالسيوف المشبه^(١)
يقذف كل ساعد ومجسمه ضربا فلا يسلم إلا غصمه
لهم تبيت غلفنا ومهمه لم تطلق في اليوم أدنى كله^(٢)

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالشعر قوله « كانا زمة » وتروى لرؤف الهذلي .
شعار المسلمين يوم فتح مكة : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحسين والفائز ، شعار المهاجرين : يابني عبد الرحمن ، وشعار النزوح : يابني عبد الله وشعار الأوس : يابني عبيد الله .

من أمر النبي بقتلهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلى من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد في نفر سام أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بني عامر بن لؤي .

(١) وقوله : وأجر يزيد قلب الهمة من أبو القاسم سائكة ، فيه حجة لثمان بن سعيد بن عبد الله المصري للشوهر بورش حيث أبدل الهمة ألفا سائكة ، وهي متحركة ، وإنما قياسها عند التحوين أن تكون بين بين ومثل قوله : وأجر يزيد ، قول الفرزدق .

فأرعى فوار لا هناك للرمع

وإنما هو هناك بالهمة وتسلها بين بين قلبها ألفا على غير القياس المعروف في الشعر ، وكذلك قولهم للنساء وهن العصا ، وأصلها الهمة ، لأنها مفعلة من نأت ، وهى في التنزيل كما ترى في قوله تعالى : « ما دلم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأه » .

(٢) التبيت والهمة : أصوات .

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فارتد مشركا راجعا إلى قريش ، ففر إلى عثان بن عفان ، وكان أخاه للرضاة ، فبقي حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحت طويلا ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عنه عثان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صحت لي يوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار : فلما أومات إلى يارسول الله ؟ قال : إن شيء لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خططل ، رجل من بني تميم بن غالب : إنما أمر بقتله أنه كان مسلما ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مقلدا ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فزول منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تيسا ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعسا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركا .

وكانت له قبتان : قرنتي وصاحبتا ، وكاتتا تفتيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والخويرة بن قبيصة بن وهب بن جد بن قصي ، وكان من يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حل فاطمة وأم كلثوم ، ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الخويرة بن قبيصة ، فرى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق ويحيى بن حنبل : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصارى الذي كان قتل أخاه خططا ، ورجوعه إلى قريش مشركا : وسارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب . وعكرمة بن أبي جهل . وكانت سارة من يؤذيه بمكة ، فأما عكرمة ففر إلى اليمن وأسلمت أمرها أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسمته ، فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خططل ، فقتله سعيد بن جريح الخزومي وأبو برزة الأسدي ، اشتدكا في دمه ، وأما يحيى بن ثعلبة فقتله ثعلبة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت يحيى في قتله :

لعمري لقد أخزى ثعلبة رجلا ولجس أضياف الثناء يحيى

فألقى علينا من رأى مثل يقتل إذا النساء أصبحت لم تحزن^(١)

وأما قتيلا بن خطل فقتل إحداهما ، وهرمت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها . وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا في زمن عمر بن الخطاب بالأطح فقتلها . وأما الحويرث بن قتيذ فقتله على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن أبي مرة ، مولى عقيل بن أبي طالب ، أن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فرأيت رجلا من أحماني ، من بني غزوم ، وكانت عند هيرة بن أبي وهب المخزومي ، قالت : فدخل عليّ عليّ بن أبي طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتي ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يقتل من جفنة إن فيها لأثر العجيين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلى ، فقال : مرجا وأملا يا أم هانئ ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي : فقال : قد أجروا من أجرت ، وأنتا من أمتي ، فلا يقتلنهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أمية بن المنيرة .

الرسول يدخل الحرم : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن عبد الله بن أبي ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، وأطمان الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحبتين^(٢) في يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه يفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طربها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد اشتكف له الناس^(٣) في المسجد .

قال ابن إسحاق : لحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة^(٤) أو دم أو مال يذهى فهو تحت قدمي هاتين إلا مائة^(٥) البيت

(١) التخرس : نوح الطعام يصنع للمرأة بعد ولادتها .

(٢) المحبتين : عصا معققة الرأس .

(٣) اشتكف : اجتمع

(٤) المأثرة : ما يتحدث به من المكارم .

(٥) السداة : الخدمة .

وبتقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه السد بالثبوت والعصا ، فبه الدية مغلفة ، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها : يامعشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتفظتها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكور وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاهم . . . الآية كلها . ثم قال يامعشر قريش ، ما تزؤون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم : قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد : فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده : فقال : يا رسول الله : أجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة ؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان : اليوم يوم بر ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي : إنما أعطيك ما ترضون لا ما تترزون .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح : فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم : فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا في يده الأزرار^(١) يستقيم بها ، فقال : فأنهم الله ، جعلوا شيخنا يستقيم بالأزرار ، ما شأن إبراهيم والأزرار ؟ أما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان خفيها مسلما ، وما كان من المشركين . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

قال ابن هشام : وحدثني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحفظ بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى : فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه ، وجعل الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ثم يصلي ، يتوخى بذلك الموضع الذي قال له بلال .

قال ابن هشام ، وحدثني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام

(١) الأزرار : السهام التي يستقيم بها .

جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون مع هذا ، فيسمع منه ما يفيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لأبنته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا ، لو تكلمت لأخبرت عن هذه الحصى ، فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمت الذي قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخبرك .

قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن أبي تنذر الأسدي ، عن رجل من قومه ، قال كان معنار رجل يقال له أحر بأسا ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غط غطيظا منكرا لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات في حيه بات معنزا ^(١) ، فإذا نبت الحى ^(٢) صرخوا يا أحر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسيبه شيء : فأقبل فَرَّيٌّ من هذيل يريدون حاضره ^(٣) ؛ حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأنواع الهذلي : لا تعملوا علي حتى أغفر ، فإن كان في الحاضر أحر فلا سبيل إليهم ، فإن لم غطيظا لا يخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيظه منى إليه حتى وضع السيف في صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحر ولا أحر لهم ؛ فلما كان عام الفتح ، وكان الفد من يوم الفتح ، أتى ابن الأنواع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو علي شركه ، فرأته خراقة ، ففرقه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من مجذرم مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحر فقه ؟ قال : إذ أقبل خراش ابن أمية مشتتلا على السيف ، فقال مكذبا عن الرجل ^(٤) ، والله ما نطق إلا أنه يريد أن يخرج الناس منه . فلما انفرجنا عنه حمل عليه ، فطعمه بالسيف في بطنه ، فو الله لكأنني أنظر إليه وجشوته ^(٥) تسيل من بطنه ، وإن عيبه لَرَتَّان ^(٦) في رأسه ، وهو يقول : أتد فعلتموها بامعشر خراقة ؟ حتى اتجصف ^(٧) فوقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بامعشر خراقة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتُم قتيلا لأديته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن حرمة الأسدي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع خراش بن أمية ، قال : إن خراشا لقتال ؛ يعيبه بذلك .

(١) معنزا . منفردا . (٢) بليت : غوى ليلا

(٣) الحاضر : التازلون على الماء . (٤) أي تمعوا عنه .

(٥) حشوته : ما اشتعل عليه جوفه من الاجشاء .

(٦) رتقان : قربنا على الانغلاق . (٧) اتجصف : سقط بكل قتله .

قال ابن إسحاق : وحديثي سعيد بن أبي سعيد اللقبي ، عن أبي شريح الخواصي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير ^(١) مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جنته ، فقلت له : يا هذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكة ، فلما كان الفد من يوم الفتح قدت خراعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فقال : يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام من شرام إلى يوم القيامة ؛ فلا يحل لأمرى يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دما . ولا يتفوند ^(٢) فيها شجرا لم تحلل لأحد كان قبلي ، ولا تحل لأحد يكون بعدي ، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فن قال لكم : إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم ، يا معشر خراعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن ففع ، لقد قتلتم قتيلاً لأديته ، فن قتل بعد مقامى هذا فأمله بخير النظرين . إن شاءوا قدم قاتله ، وإن شاءوا فقتله . ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتله خراعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالغ طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنت شاهداً وكنت غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبا ، وقد أبلفتك ، فأنت وشأنك .

قال ابن مشام : وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح مجتئب ابن الأكوع ، قتله بنو كعب ، فوداه بمائة ناقة .

تغوى الأنصار من بقاء الرسول بمكة : قال ابن مشام : وبلغني عن يحيى بن سعد : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة لم يدخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحسب به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه ويده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : معاذ الله ! الحيا عياكم ، والمات بمائكم .

(١) هذا وهم من ابن مشام . وصوابه : عمرو بن سعيد بن المساصم بن أمية ، وهو الأشدق ... وإنما دخل الروم على ابن مشام أو على البكائي في روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبي أمية . هنا ما ذهب إليه السويلى في الروض الأصف .

(٢) يعضد : يقطع .

كسر الأصنام : قال ابن هشام : وحدثني من أتق به من أهل الرواية في إسناده له عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحله ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، فإشار إلى صنم منها في وجهه الإوقع لقناه ، ولأشار إلى قتاد الإوقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال عيم بن أسد الخزاعي في ذلك :

وفي الأصنام معتبره وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب

إسلام فضالة : قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عيم بن الموح القيني أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ، قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر الله ثم وضع يده على صدره ، فمكن قلبه ، فكان فضالة يقول والله ما وقع يده عن صدرى حتى مامن خلق الله شيء أحب إلى منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلى ، فررت وامرأة كنت أحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث ، فقلت : لا : وانبت فضالة يقول :

قالت تلم إلى الحديث فقلت لا يأتي عليك الله والإسلام
لوما رأييت نمدا وقية بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأييت دين أقضى بيتا والشرك يمتنى وجهه الإظلام

الأمان لصفوان بن أمية : قال ابن إسحاق : لحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أمية يريد نجدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عيم بن وهب : يأتي رافة إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ، ليقتل نفسه في البحر ، فأمنه صلى الله عليه وسلم ، قال : هو آمن ، قال : يا رسول الله فأعطى آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عيم حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : يا صفوان يداك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتكم به ، قال : ويحك ! أغرب عني فلا تكلمني ، قال : أي صفوان ، فذاك أبي وأمي ، أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عيم ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، قال : إني أخافه على نفسي ، قال : دبر أحلم من ذاك وأكرم . فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

يقال صفوان : إن هذا يوم أنك قد أمتنى قال : صدق ، قال : فاجعلني فيه بالخييار شهرين ، قال : أنت بالخييار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثني رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعمر : ويحك ! اغرب عني ، فلا تكلمني ، فإنه كذاب ، لما كان حنن به ، وقد ذكرناه في آخر حديث يوم بدر .

إسلام وموسى أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري : أن أم حكيم بنت الحارث ابن هشام ، وفاخنة بنت الوليد - وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة ابن أبي جيل - أسلنا ، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة ، فأمنه فذهبت به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على التكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : رى حسان : ابن الزبير وهو بنجران بيت واحد مزاده عليه :

لأنك من رجلا أنتك بضمه نجران في عيشي أخذت لهم

فلما بلغ ذلك ابن الزبير خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسول الله إن لساني وأرجلي ما فتئت إذ أنا بور

إذ أباري الشيطان في سنن القوم ومن ماله ماله مشهور

أمن الله والمظالم لربي ثم قلبني الصبي أنت النذير

لاني عنك زاجر ثم حيتاً من لؤي وكلمهم مغرور

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبير : أيضا حين أسلم :

منع الرقاة بلائاً ومموم والميل مصلح الزواجر بهم

ها أنا أني أن أحمد لاني فيه فيك كأنني محوم

(١) الأحذ : القليل .

(٢) الرائق : الساد . بور : مالك . (٣) أباري : أجازي . مشهور : ماله .

(٤) البلائ : وحاصي الأسياف . مصلح : مضطرب . والبهم شديد الإغلام .

يا خيبر من حات على أوصالها خيرة سُرُوح الدين غصوم^(١)
إني لعتذر إليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال أقيم
أيام تأمرني بأغوى خطي سيم وتأمرني بها مخروم
وأمد أسباب الردى ويقودني أمر القواة وأمرهم مشوم
فاليوم آمن بالتي عميد قلبي وخطي هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيتنا وخطوم
فاغفر - فدى لك والذات كلاهما - ذلي ، فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم الليلك حلافة نور أغر وعاتم عتوم
أعطاك بعد عجة برهانه شرفا وبرهان الإله عظيم
ولقد شئت بأن ديتك صادق حق وأنت في المباد جسم
واقة يشهد أن أحد مضطيق مستقبل في الصالحين كريم
قرم حلا بياؤه من هائم فرع تمكن في النذر والأروم^(٢)
قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر ما له .

هبة يبق على صهره : قال ابن إسحاق : وأما هبة بن أبي وجع الغزوي فأثام بها
حتى مات كافرا ، كانت عنده أم هاني بنت أبي طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام
أم هاني :

أشافتك هند أم أباك سؤالما كذلك التوى أسبابها وانقضت^(٣)
وقد آوتت في رأس حصن تمنع بجران يسرى بعد ليل خيالما
وعادلت مئت يليل تلومى وتعلمنى بالليل حل خلالمما
وزعم أني إن أطعت عشيتي سأردى وهل يؤدبن إلا زيالما^(٤)

(١) العيراة : الناقة الشديدة نعبه العير . سرح الدين : شديدتهما . غصوم : لا ترد عن
وجهها .
(٢) قرم : سيد . الأروم : الأصول .
(٣) انقضت : قلبها .
(٤) أردى : أهلك . زيالما : ذهابها .

فَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ إِذَا تَجَدَّدَ يَجْدُمُ عَلَى أَنَّ حَالَهُ أَصْبَحَ الْيَوْمَ حَالَهُ
وَلَئِنْ تَلَّحَمَ مِنْ وُلْدِهِ عَشِيرَتِي إِذَا كَانَ مِنْ تَحِيَّةِ الْعَوَالِي بِهَامَلًا (١)
وَصَارَتْ بِأَيْدِيهَا السِّبْوَ كَأَنَّمَا عَارِضٌ وَلَدَانِ وَمِنْهَا ظَالِمًا (٢)
وَأَنِّي لِأَتَمِلُ الْخَاسِدِينَ وَفَضْلَهُمْ عَلَى أَهْلِ رِزْقِي نَفْسُهُ وَعِيَالُهُ
وَأَن كَلَامُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهٍ لِكَالْتَلِّي تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا رِضَالُهُ
فَإِن كُنْتُ قَدْ تَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ وَعَطَقْتُ الْأَرْحَامَ مِنْكَ جَاهِلًا
فَكُونِي عَلَى أَعْلَى تَحِيَّةٍ يَهْتَبِي مُتَلَبِّدًا خَبْرًا تَيْسِي بِلَاكُمَا (٣)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَيُرْوَى : « وَعَطَقْتُ الْأَرْحَامَ مِنْكَ جَاهِلًا » .

عِدَّةٌ مِنْ فَحَصِ مَكَّةَ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ جَمِيعٌ مِنْ شَهْدِ فَحَصِ مَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةٌ
أَلْفٌ . مِنْ بَنِي تَيْمٍ سَعَاءَةٌ . وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : أَلْفٌ ؛ وَمِنْ بَنِي غِفَارٍ أَرْبَعَاءَةٌ ، وَمِنْ أَسْلَمَ
أَرْبَعَاءَةٌ ؛ وَمِنْ مُزَيْنَةَ أَلْفٌ وَثَلَاثَةٌ نَفَرٌ ، وَسَاتَرَمٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ وَحُلَفَائِهِمْ ، وَطَوَائِفُ
الْعَرَبِ مِنْ تَيْمٍ وَقَيْسٍ وَأَسَدٍ .

مَاقِيلُ مِنَ الشَّعْرِ فِي فَحَصِ مَكَّةَ : وَكَانَ مَاقِيلُ مِنَ الشَّعْرِ فِي يَوْمِ الْفَتْحِ قَوْلُ « حَسَانَ بْنِ
كَأَبٍ الْأَنْصَارِي :

عَقَقْتُ ذَاتَ الْأَصَابِيعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى طَرَاءِ مَزَلْمًا تَخْلَا (١)
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ تَقَرُّ نَفْسُهَا الرِّوَامِ وَالسَّيَا (٢)

(١) الْعَوَالِي : الرِّيحُ .

(٢) الْخَارِيقُ : مَا يَأْتِي بِهِ الْأَطْفَالُ مِنَ الْخَرَقِ الْمَفْتُولَةِ .

(٣) مَلَلَةٌ : مُسْكِبَةٌ .

(٤) عَفَتْ : تَغَيَّرَتْ . ذَاتُ الْأَصَابِيعِ ، وَالْجَوَاءُ : مَوْضِعَانِ بِالْقَامِ . وَالْجَوَاءُ كَانَ مَوْضِعًا
لِلْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَرِّ الْقَسَاسِ . وَكَانَ حَسَنًا كَثِيرًا مَا يَرِدُ عَلَى مُلُوكِ غَسَّانٍ يَدْعُهُمْ . وَطَرَاءُ :
قَرْيَةٌ عَلَى بَرْدٍ مِنْ دِمَشْقَ قُتِلَ بِهَا حَبِشٌ بْنُ عَدِيٍّ وَأَصْحَابُهُ .

(٥) بَنُو الْحَسْحَاسِ : هُنَّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ . وَقَوْلُهُ الرِّوَامِ وَالسَّيَا ، يَعْنِي : الرِّيحَ وَالطَّرْقَ .

وكانت لا يزال بها أنفين يخلل مروجها نغم وشاء^(١)
 قدع هذا ، ولكن من لطيفي يورقي إذا ذهب الغشاء
 لفتنة الله قد تيمت فليس لقلبه منها شفاء^(٢)
 كان خيفة من بيت رأس يكون مزاجها على وماء^(٣)
 إذا ما الأثرياء مذكرون يوما فمن لطيف الراح الغداء
 قولها للامة إن لنا إذا ما كان معك أو الحاء^(٤)
 ونشرها فتركنا ملوكا وأسدأ ما يهتها النساء^(٥)
 عندما خيلنا إن لم تزوها فخير القمع موعدها كداء^(٦)
 ينازع الأعة مصنيات على أكتافها الأسل الظاء^(٧)
 قلل جيانا منقطرات يطمئن بالحجر النساء^(٨)

= والباء لفظ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء المعروفة ولم يعلم ذلك من هذا البيت
 وبحوه ولا من قوله :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعياء وإن كانوا غضايا
 لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء ، الخذف للضفاف ، ولكن إما عرفاء من قولهم في جمه
 سمى ، وهم يقولون في جمع السماء : سماء وأسمية ، فعلنا أنه اسم مشترك بين شيئين .
 (١) النعم : الإبل ، فإذا قيل أنعام دخل فيها النعم والبقر والإبل ، والشاء والشوى اسم
 لجميع كالضأن والضنين والإبل والإبل ، والمعز والميز ، وأما الشاء ، فليست من لفظ الشاء
 لأن لام الفعل منها هاء وأبو الحساس : حى من بنى أسد .
 (٢) شماء : اسم امرأة وهي زوجته ، وبنت كامن الأسلية .
 (٣) الحينة : الحرة للضنون بها ، وبنت رأس : موضع بالأردن .
 (٤) نولها للامة : ترجع إليها القوم . المقت : الضرب بالكف . والحاء : السباب .
 (٥) ينهتا : يجرنا . (٦) كداء : موضع بمكة .
 (٧) المصنيات : للمحرفة الطعن . الأسل : الرماح .

(٨) منقطرات : منسافات . يطمئن : يضربن . يقول السيل في الروض : قال ابن
 زيد في الجمرة كان الخليل يروى « يطمئن » ويذكر « يطمئن » ويحجه بمعنى يفيض للنساء
 منهن . ما على الخيل من الغبار . انظر الروض ص ١١٨ .

غايما تعرضوا عنا اعترنا
ولا فاصروا الجلاذ يوم
وجبريل رسول الله فينا
وقال الله قد أرسلت عبدا
شهدت به ههوما صلوه
وقال الله قد تبهرت جندا
لنا في كل يوم من متقى
نحكم بالقواني من صدينا
الا بلغ ابا سفيان من
بان سيقنا تركك نبدا
مجوت عمدا واجبت عه
انهجوه ولست له بقتير
مجوت مبارك برا حيفا
اتن يهجو رسول الله مشكم
فان ابي ووالته وعرضي
لساني صارم لا حيت فيه
وكان الفتح وانكشف الشفاء
يعين الله فيه من يشاء
وروح القدس ليس له كفاء^(١)
قول الحق ان تقع البلاء^(٢)
تلقم لاقوم ولا فشاء
هم الامم اذ عرضتها للقاء^(٣)
يسابب او قتال او حياء
رغمهم حين تحللك الامم^(٤)
محقق قد برح الحفاء^(٥)
وعبد النار سادتها الامم
وضد الله في ذاك الجزاء
فتركا لخيركا اللهام^(٦)
امين الله شيت الوفاء
ومحمد ونصره سواء ١٢
لعرين محمد منكم وقاه
وبعري لا تكفره الدلاء

(١) كفاء : مثل . (٢) البلاء : الاختبار .

(٣) عرضتها : طاعتها . (٤) نحكم : نمنع .

(٥) المغالبة : الرسالة المكتوبة .

(٦) فتركا لخيركا اللهام : في ظاهر اللفظ بشاعة . لان المعروف ان لا يقال هو شرما
إلا وفي كليهما شر ، وكذلك : شر منك ، ولكن سيويه قال في كتابه : نقول مررت برجل
شر منك : إذا قصص عن أن يكون مثله ، وهذا يدفع الشبهة عن الكلام الأول ، ونحو
منه قوله عليه السلام : شر صفوف الرجال آخرها ، يريد : قيعان خطهم عن خط الأول ،
كما قال سيويه ، ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر . والله أعلم

قال ابن هشام : قالما حسان يوم الفتح - ويروى : ه لسانى صارم لاخشب فيه .
 ويبلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ياطمن الخيل
 بالخمر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .
 قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُرَيْم الدبلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى :

أنت الذى مُتَدَى مَقَدَّ بَأَمْرِهِ بل الله يهديهم وقال لك أشد
 وما تلتك من نفاق فوق رحلها أبرّ وأوفى ذمّة من محمد
 أحقّ على خيبر وأسجّ نائلا إذا راح كالسيف الصقيل المئد
 وأكسى لبرود الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السابق المتجرد^(١)
 تَعَلَّمْ رسول الله أنك مدركى وأن وعيداً منك كالأخذ باليد^(٢)
 تَعَلَّمْ رسول الله أنك قادرٌ على كلّ صرم متهمين ومنجد^(٣)

(١) الخال : نوح من البرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وسمى بالخال الذى بمعنى الغيلاء
 والسابق : الفرس السابق . والمتجرد : بهذا المعنى أيضاً .

(٢) هذا البيت معناه من أحسن المعانى . وقد أخذته التابعة فقال :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن قلت أن المتأى عنك واسع
 خطاطيف حجن فى جبال متينة تمد بها أيدى إليك نوازع

فالشر الأول كالبيت الأول من قول التابعة ، والشر الثانى كالبيت الثانى ، لكنه أطبع
 منه ، وأرجز . وقول التابعة كالليل : فيه من حسن التشبيه ما ليس فى قولى الدبلى ، إلا أنه
 يسمح مثل هذا التشبيه فى التبي صلى الله عليه وسلم ، لأنه نور وهدى ، فلا يشبه بالليل ، وإنما
 حسن فى قول التابعة أن يقول كالليل ، ولم يقل كالصبح ، لأن الليل ترهب غرائله ، ويحذر من
 إدراكه ما لا يحذر من النهار ، وقد أخذ بعض الأندلسيين هذا المعنى ، فقال فى هربه من
 ابن عباد :

كان بلاد الله وهى عريضة تشد بأقصاها على الأناملا

فأين مفر المرء عنك بنفسه إذا كان يطوى فى يدك المراحلا

(٢) الصرم : الثبوت المجتمعة . متهمين : ساكنين تهامة . منجد : من سكن فى نجد .

تَمَسَّكُ بِأَنْ الرِّكْبَ رَكِبَ تُحَرِّمِ
وَتَبَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّى هَجَوَهُ
سَوَى أَنَّى قَدْ قُلْتُ وَيْلٌ أَمْ فَبَيَّنَ
أَصَابَهُمْ مِنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ
فَأَنَّكَ قَدْ أَخْفَرْتَ إِنْ كُنْتَ سَاعِيَا
ذَوِيهِ وَكُلُّهُمْ وَسَلَى تَابِعُوا
وَسَلَى ، وَسَلَى لَيْسَ حَقٌّ كَيْلَهُ
فَأَنَّى لَا يَدِينَا فَحَقٌّ وَلَا دَمَا

فَأَجَابَهُ بِقَوْلٍ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ أَنْ أَمْرَهُ ، قَالَ :
بِكَيْ أَنْتَ رَزْنَا فَأَعْلَهُ الْبُكَاءُ
بِكَيْ أَبَا عَاصِمٍ الْفَرَبِ دَعَايَا
أَصَابَهُمْ يَوْمَ الْحَتَايِمِ قَبِيلَةَ
هَذَاكَ إِنْ تَفْخَعُ دَمُوكَ لَا تُكَلِّمْ
عَلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ تَدْمَعْ الْعَيْنَ فَارْكَعُوا

قال ابن هشام : وهذه الآيات في قصيدة له

قال ابن إسحاق : وقال مجمر بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح .

نَفَى أَمَلٌ الْخَلِيقُ كُلٌّ فَبَجَّ مُزَيْنَةُ عُذْرَةٌ وَبَنُو خُثَفَاءٍ (١)

(١) الطلق : الأيام السعيدة . (٢) تبلى : يخبى

(٣) تطل : يطل دما ويصير هدرا .

(٤) الحتام : أراد يوم الحتمة . والخدمة : جبل بمكة

(٥) الحبلى : أرض يسكنها قبائل من مزينة ، وقيس ، والحباب : الغم الصغار ، ولعله
أراد بقوله : أهل الحبلى أصحاب الغم ، وبنو عثان هم مزينة وهم بنو عثان بن لاطم بن أد
ابن طابخة ، ومزينة أهمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة ،
وأختها : الحروب التي عرف بها ماء الحروب للذكور في حديث عائشة حين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لنساءه ما معناه : من تمكنن تقيحها كلاب الحروب . فتحت الكلاب عائشة
رضي الله عنها في قصة وقعة الجمل ، وأصل الحروب في اللغة التدح الضخم الراسع ، وبنو خفاف
بطن من سليم .

حربنا بمكة يوم فتح النبي الحبيب بالبيض الجفاني
تجناهم يسبح من فسلم وألف من بني عثمان وإف^(١)
نظا أكتافهم ضرا وطنا ورثنا بالريشة الطافي^(٢)
تري بين الصفوف لما حفيفا كما انصاع القوائ من الرصاص^(٣)
فقرحنا والجياذ تجول فيهم بأرماع موقومة الشفاف
فأبنا غامين بما استهينا وآبوا ناديين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا مواثنا على حسن التصان
وقد تيمعوا مقاتلتا ففثروا غداة الزرع منا بانصراف
قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس إلى ففتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألفت نيل به الطاح مكرم
نصروا الرسول وشاهدوا آياته وشذروا يوم القلاء^(٤) مكرم
في منزلي بمكة به أقدائهم ضحك كان الهام فيه الختم^(٥)
جرت سائبكها بنجد قلبها حتى استقاة لما الهجاز الأدم
الله مكنه له وأذله حكم السيوف لنا وحمد يرمم^(٦)
قود الرابية شامخ عريته مطلع مقرر للكارم خنير^(٧)

إسلام عباس بن مرداس : قال ابن هشام : وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثني
بعض أهل العلم بالشرع ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس ومن يبعده ، وهو حجير كان يقال له
خمار ، فلما خيبر مرداس قال لعباس : أي نبي ، أجده خمار فإنه ينفعك ويضرك ، فبينا عباس
يوما عند خمار ، إذ سمع من حور خمار ناديا يقول :

-
- (١) يسبح : أي بسمائة . (٢) المريضة : السهام ذات الريش وهي أسرع في الرمي .
(٣) القوائ : القوق وهو طرف السهم . والرصاص جمع رصفة : ما يلوي على طرف
السهم . (٤) الضحك : الضيق . الهام : الروس . الختم : الخنظل .
(٥) مزحم : كثير المراجعة ، يقصد أن حظه عظيم .
(٦) العود في الأصل المسن من الإبل ، ويريد به هنا أنه قديم في الجيد مطلقا . العرينين :
طرف الآف . الخنير : الكرم .

قُلُ الْقِبَالِ مِنْ سُلَيْمٍ كُلُّهَا أَوْدَى خَمَارٍ وَطَشَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ
إِنْ الَّذِي وَرِثَ الثَّبْرَةَ وَالْهَدَى بَعْدَ ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَرِيشٍ مُهَيِّدِينَ
أَوْدَى خَمَارٍ وَكَانَ يُبْذَرُ قَرَّةً قَبْلَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ عَمْدِ
خَرَقَ عَبَّاسُ خَمَارٍ، وَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ .

قال ابن هشام : وقال جندب بن عبد الله الخزاعي يوم فتح مكة :

أَكْمَبَ بَنِي عَمْرِو دَعْوَةً غَيْرَ بِأَعْلَى تَلْبِينِي لَهُ يَوْمَ الْحَدِيدِ مُنَاجٍ (١)
أَتَيْتُكَ لَهُ مِنْ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ لَتَحْتَهُ لَيْلًا بَغِيرِ سِلَاحٍ
وَنَحْنُ الْآلِ سَدَتِ غُرَالُ خِيُونَا وَلَيْفَتْنَا سَدُونَاهُ وَفُتِحَ طِلَاحُ (٢)
خَطَرْنَا وَرَأَتْ السَّلَاحِينَ بِمَحَقِّي قَدَوِي تَحْذِيرُ مِنْ خِيَلَا وَرِمَاحٍ
وهذه الآيات في آيات له :

وقال مجاهد بن عمران الخزاعي .

وَقَدْ أُنْشِأَ اللَّهُ السَّحَابَ بِنَمْرِيْنَا زُكَّامٌ تَصْحَابُ الْمَيْدِ الْمَتْرَاكِيبِ (٣)
وَمَجْرُمَاتِي أَرْضُنَا هَدَنَّا بِهَا كِتَابٌ أَتَى مِنْ خَيْرِ مُنْغَلِي وَكَاتِبِ
وَمِنْ أَجْلَا حَلَّتْ بِمَكَّةَ حَرَمَةٌ لَتُدْرِكَ تَارًا بِالسَّيْفِ الْقَوَاضِي (٤)

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بني جذيمة من كفافة (٥)

ومسير علي لثلاثي خطا خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حول مكة السرايا تدعو إلى

(١) الحين الملاك . مناج : مقدر .

(٢) غرال أسم موضع ، منه هنا من التورين وقد ينون . ولفت : موضع أيضا ، وكذلك
فج طلاح .

(٣) الميذب . القريب من الأرض . المتراكب : الذي يركب بعضه بعضا .

(٤) القواضب : القواطع .

(٥) وتعرف أيضا بغزوة القبيط وهو ماء لبني جذيمة . كما ذكر السيل في الروض

الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان من بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تيمامة داعيا ، ولم يمش مقاتلا ، فوطئ به بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السُّلَسي في ذلك :

فإن تلك قد أسَّرت في القوم عالما
بجند هداة الله أنت أمره
وقدمته فإنه قد تقدمنا
تُصِيبُ به في الحق من كان أظنا

قال ابن هشام : وهذان البيتان في قصيدة له في حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله في موضعه .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حُصَيْف ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يمش مقاتلا ، ووجه تباطل من العرب : سُليم بن منصور ، وقُدْلَج بن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضموا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحَنَم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إله خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، وما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جَحَنَم ، أترى أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق . حدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكثفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يديه للسماء ، ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد .

الرسول يثير أمر قتل خالد : قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه حدث عن إبراهيم بن جعفر الحمودي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كائنا قُتِلَتْ

لقمة من خيلس^(١) فالتذت طعمها ، فأعرض في حلق منها شيء حين ابتلعها ، فأدخل على يده فترعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ، هذه تبرئة من سراياك فبعضها ، فبأنك منها بعض ما تحب ، ويكون في بعضها اعتراض ، فتبعت عليا فيسهل .

قال ابن هشام : وحدثنى أنه أنفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنكر عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رقة^(٢) ، فنهمة^(٣) خالده ، فكنت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ، فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ؛ فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فأبى عبد الله ، وأما الآخر فإمام ، مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا علي ، أخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك ؛ فخرج علي حتى جاءهم وهم مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدّى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدي لهم ميلة الكلب^(٤) ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا واده ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعتاكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ؛ فقال أصبت وأحسن ؛ قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه ليرى ما تحت منكبيه ، يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد ، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يهتدو خالدا إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة التميمي ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتصاصهم من الإسلام .

(١) الخيلس : تمر يخلط بسمن وديق ويعجن .

(٢) الرقة من الرجال : الذي بين الطويل والقصر .

(٣) نهمة : زجره .

(٤) ميلة كلب وميلغ : سقاة تصنع من خشب ليغ فيها الكلب ، واجمع ميلغ ومولغ .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو اللدني : لما أتاهم خالد ، قالوا : تَحْيَا نَا صَبَاً ١١٥ .

قال ابن إسحاق : وقد كان سَجْدَم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد بنو جذيمة : يا بني جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلّغني ، كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عمت بأمر الجماهلية في الإسلام . فقال : إنما تأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلك قاتل أبي ، ولكنك تأرت بعلم الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقت في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا زوجته .

ما كان بين قريش وبنو جذيمة في الجماهلية : وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة ، وعفان بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فلما أقبلوا حلوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى وخته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقال لهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقائلوه ، فقتل عوف ، والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فميت قريش بنو بني جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملائنا ، إنما عدا عليهم قوم بجمالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فمنهم من قتل لكم ما كان لكم قتلنا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، وودعوا الحرب .

وقد قال قاتل من بني جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سلى :

ولولا مقاتل القوم للقوم أسبلوا للآقت سَلِمَ يومَ ذلك ناطلاً
لما صتمهم بُشْرٌ وأصحابك سَجْدَم ومُسرَّةٌ حتى يتركوا البرك ضاملاً ١١٦
فكانت ترى يوم القتياء من قبي أصيب ولم يجرح وقد كان جارحاً ١١٧

(١) من معاني صبا : خرج من دين إلى دين ويقصدون أنهم تركوا دينهم وودعوا في الإسلام .

(٢) المصاصة : مضاربة بالسيوف . البرك هنا : الإبل الباردة .

(٣) للفتية : الجد .

أُظِلَّت بِخَطَابِ الْإِيَّاتِ وَطُلَّتْ غَدَاتُهُ مِنْ مَنْ كَانَ نَاكِحًا^(١)

قال ابن هشام : قوله « بر » ، وأُظِلَّت بِخَطَابِ ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجاب عباس بن مرداس ، ويقال بل الجفاف بن حكيم الشامي :

دعى عليك هؤلاء الضال كفى بنا لكيش الوغى في اليوم والامس ناطقا
فخالد أولي بالتمني منكم غداة علا نهجا من الامر واضحا
لعمري بأمر الله يرجى إليكم موانع لا تكبو له وبوارحا
تعووا مالكا بالهبل لما تطلعه عوابس في كابي القبار كوالحا^(٢)
فإن لك أهلكناك سلتى فالك تركم عليه ناضح وناحما

وقال الجفاف بن حكيم الشامي :

شيدت مع النوى قصومات سنينا وحق دامية الكلام^(٣)
وغزوة خالد شيدت وبرزت سنا بكن بالليل الحرم
نعرس للظمان إذا التقينا وجوما لأقرش العلم
ولست بخالغ حتى ثيابي إذا مر الكنا ولا أراى
ولكني يهول المور حتى إلى الملوأ بالنعيب الحسام

خبر ابن أبي حنبل بن جزيمة : قال ابن إسحاق : وجدتني يقرب بن عتبة بن المغيرة
ابن الأخنس ، من الزهري ، عن ابن أبي حنبل الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل خالد
ابن الوليد ، فقال لي فني من بني جزيمة ، وهو في سبي ، وقد جمعت يداه إلى عنقه يؤثمة^(٤) ،
ونسوة بجمعات غير بعيد منه : ياقى : فقلت : ماتناه ؟ قال : هل أنت أخذ هذه الرمة ،
فأتيتني إلى هؤلاء النسوة حتى أفضى إليهن حاجة ، ثم تردى بعد ، فقصصوا بي ما بدا لكم ؟
فان : قلت : والله ليسر ما طلبت فأخذت يؤثمة فقدم بها ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمى
مخيش ، على نقد من العيش^(٥) :

أرئيك إذ طالبتكم فوجدتكم بخلة أو التينكم بالخواق^(٦)

(١) كافي : مرفع الكواخ : العوايس .

(٢) الرمة : الخيل البال .

(٣) الخلية والخواق : موضعان .

(٤) أظلت : لومت .

(٥) الكلام : الجراح

(٦) نقد العيش : فناؤه

ألم يك أهلاً أن يتوَلَّ عاتق^(١) تكلف إدلاج الشرى والودائق^(٢)
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلكنا مما أئبى يؤد قبل إحدى الصفائق^(٣)
أئبى يؤد قبل أن تخط النوى وينأى الأمير بالحبيب المغارق
فإن لا ضيعة سر أمانى ولا رائق عني حلك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشرة شاغل^(٤) عن الود إلا أن يكون التوائق^(٥)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشكر البيهقي الآخرين منها له .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن حبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن
أبي حنترد الأسلمي قال : قالت : وأنت فعيت سبعا وعشرا ، وترا وثمانيا تترى . قال : ثم
انصرفت به . ففكرت عنه .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبو فراس بن أبي شذبة الأسلمي ، عن أشياخ منهم ، عن كان
حضر ما منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنه ، فأبكت عليه ، فما زالت تقبله حتى
ماتت عنده .

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بني جذيمة :

جزى الله عنا مدينا حيث أصبحت تجارة بؤسى حيث سارت وحلت
أقاموا على أفضاحتنا يقسمونها وقد نهك فينا الرماح وعلت
فواقه لولا دين آل عمير لقد هربت منهم خيولك ففكت
وما حزم أن لا يمينوا كتيبة كرجل جراد أرسلت فاشمكت^(١)
فأما يمينوا أو يثوبوا لأمرم فلا نحن نجزيم بما قد أضلت

فأجابه وهب ، رجل من بني ليث ، فقال :

دعونا إلى الإسلام والمحق عامراً لا ذنبنا في عامر إذ تولت
وما ذنبنا في عامر لا أبألم لأن سيفت أحلامهم ثم حلت
وقال رجل من بني جذيمة :

لئن في كعب مقم خالي وأصحابه إذ صحبتنا الكتاب

(١) الإدلاج : السير ليلا . الودائق : جمع وديقة : شدة الحر .

(٢) الصفائق : الثواب . (٣) التوائق : شدة الحب

(٤) رجل الجراد : الملاحه منهم . اشمكت : تفرقت .

غلا بركة يستى بها ابن خويطة وقد كنت مكفيا لو انك غائب^(١)
 فلا قولنا تهنون هنا غواتهم ولا الداء من يوم الفتيان ذاهب
 وقال غلام من بنى جذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو حارب بهن من جيش خالد :
 رخصين أذبالا للروط وأربنن منشي حيتات كان لم يقزهن^(٢)
 إن تنفع اليوم نساء تمنن
 وقال غلمة من بنى جذيمة ، يقال لهم بنو مسحق ، يرتجرون حين سمعوا بخالد
 فقال أحدهم :

قد علت صفراء بضاء الإبل بموزها ذو ثلث وذو إبل^(٣)
 لأثنين اليوم ما أغنى رجل

وقال الآخر :

قد علت صفراء تلهى الرما لا تملأ الحيزوم منها تها^(٤)
 لأضربن اليوم ضربا وعصا ضرب المحدثين نخاضا فضا^(٥)

وقال الآخر :

أفمئت ما إن خاد ذو لينة شئن البنان في غداي برودة^(٦)
 تهمم ألحيا ذو سبال وودة يرزم بين أيكف وجهه^(٧)
 ضارب يتأكل الرجال وحده بأصدق النداء مني نجه

- (١) الترة : طلب الثأر . (٢) الروط : الحواب من نحو . وأربن : أقرن
 (٣) الإبل : الحاضرة . ثلة : جماعة الغنم
 (٤) الحيزوم : وسط الصدر . نهش : نهش اللحم بمقدم الأسنان .
 (٥) الرص : السريح . الخلين : الخارجين من الحرم إلى الحل . الناض : الإبل الحوامل
 القعس : المتعة من السر .
 (٦) الخادر : الأسد المحتجب في خدره . شئن : غليظ .
 (٧) النبال : شارب الأسد . يرزم : يصيح ، الأيكة : الشجرة الكثيفة الأغصان
 والحجدة : قليلة الأغصان .

خالد يهدم العري : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العري وكانت بنخلة ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحبي من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدتها وحجبا بنى شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم ، فلما سمع صاحبها التلوي بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند في الجبل (١) الذي هي فيه وهو يقول :

أيا عَوْ شُدَى شِدَّة لا شَوَى لها عل خالد أَلَي القنَاع وشَمَى (٢)
يا عَزَّ إن لم تَقْتُلِ المَرَّة خالدا فبِرَى بِأَيِّ عَاجِلِي أو تَصِيرِي
فلما انتهى إليها خالد قدما ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصُر الصلاة . قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان

غزوة حُتَيْن في سنة ثمان - بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت قوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النَّصْرِي ، فاجتمع إليه مع هوازن قتيب كلها ، واجتمعت نصر ومجتم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بني هلال ، وم قليل ، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدا منهم أحده اسم ، وفي بني مجتم دُرَيْد بن القَسَّة شيخ كبير ، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شينا مجربا ، وفي قتيب سيدان لهم ، في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعْتَب ، وفي بني مالك ذو الحنار مُتَيْع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْرِي . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبنائهم ، فلما نزل بأوطاس (٣) اجتمع إليه الناس ،

(١) أسند في الجبل : أرتفع فيه . (٢) لا شوى لها : أي لا تندر شيئا .

(٣) ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالموضع الذي كانت فيه الوقفة وهو من وطست الشيء وطسا إذا كدسته ، وأثرت فيه . والوطيس : قفرة في حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس التور ، وفي غزوة أوطاس قال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن حبي الوطيس ، وذلك حين استمرت الحرب ، وهي من الكلام التي لم يُسبق إليها صلى الله عليه وسلم . راجع الروض الأنس وراجع أيضا المجازات النبوية للشرف الرضي بتحقيقها . طيبة الخليل .

وفهم دُرَيْدُ بْنُ الْقَسَمَةِ فِي شَجَارٍ (١) لَهُ يُقَادُّ بِهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ : بَأَى وَإِذَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : بِأَوْطَاسٍ
 قَالَ : نَعَمْ بِجَمَالِ الْخَيْلِ الْإِخْرَاقِ حُرْسٍ (٢) ، وَلَا سَبِيلَ دَيْهَسٍ (٣) ، مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ الْبَعِيرِ ،
 وَنَهَائِي الْخَيْرِ . وَبِكَاءِ الصَّغِيرِ ، وَتُعْيَارِ الشَّاءِ ؟ قَالُوا : سَاقِ مَالِكَ بْنِ عَوْفٍ مَعَ النَّاسِ
 أَمْوَالَهُمْ وَنَسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ . قَالَ : أَيْنَ مَالِكَ ؟ قِيلَ : هَذَا مَالِكٌ وَدُعِيَ لَهُ ، فَقَالَ : يَا مَالِكَ ،
 إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ رَعِيْسَ قَوْمِكَ ، وَإِنْ هَذَا يَوْمٌ كَأَنَّ لَهُ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْإِيَّامِ . مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ
 الْبَعِيرِ ، وَنَهَائِي الْخَيْرِ ، وَبِكَاءِ الصَّغِيرِ . وَتُعْيَارِ الشَّاءِ ؟ قَالَ : سَقَتِ مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ
 وَنَسَاءَهُمْ ، قَالَ : وَلَمْ ذَاكَ ؟ قَالَ : أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفِي كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ، لِيُقَاتِلَ
 عَنْهُمْ ، قَالَ : فَانْقَضَتْ بِهِ (٤) . ثُمَّ قَالَ : رَاعِي ضَانَّ ، وَاقِهِ ! وَهَلْ يَرِدُ التَّمْرُ مِنْهُ ؟ لِأَنَّهُ إِنْ
 كَانَتْ لَكَ لَمْ يَنْفَعَكَ إِلَّا رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرُوحِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ فُضِّحَتْ فِي أَمْلِكَ وَمَالِكَ ، ثُمَّ قَالَ :
 مَا فَعَلْتَ كَعَبٍ وَكَلَّابٍ ؟ قَالُوا : لَمْ يَشْهَدْهَا مِنْهُمْ أَحَدٌ ، قَالَ : غَابَ الْخَدُّ وَالْجَدُّ ، وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ
 بَعْلَاءَ وَوَنَعَةً لَمْ تَنْفَعِ عَنْهُ كَعَبٌ وَلَا كَلَّابٌ ، وَلَوْ دِدْتَ أَنْتُمْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتَ كَعَبٌ وَكَلَّابٌ ، فَمَنْ
 شَهِدَهَا مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ، وَعَوْفُ بْنُ عَامِرٍ ، قَالَ : ذَاكَ الْجَلْدَانِ (٥) مِنْ عَامِرٍ ،
 لَا يَنْتَعِفَانِ وَلَا يَضْرَبَانِ ، يَا مَالِكَ ، إِنَّكَ لَمْ تَصْنَعْ بِتَقْدِيمِ الْبَيْضَةِ بَيْضَةً (٦) هَوَازِنَ إِلَى نَحْوِ الْخَيْلِ
 شَيْئًا ، أَرَأَيْتُمْ إِلَى مُتَمَتِّعٍ بِإِلَادِهِمْ وَخَلْيَا قَوْمِهِمْ ، ثُمَّ أَلْقَى الْفَتَبَاءَ (٧) عَلَى مَتْنِ الْخَيْلِ ، فَإِنْ كَانَتْ
 لَكَ لَحْقُ بَلَكٍ تَنْ وَرَامَكَ ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ أَلْفَاكَ ذَاكَ قَدْ أَحْرَزْتَ أَمْلَكَ وَمَالِكَ . قَالَ : وَاقِهِ
 لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ ، إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبِرَ عَتَلُكَ . وَاقِهِ لِيُطْلِعَنِي بِأَمْعَرٍ هَوَازِنَ أَوْ لَا تَكُنْ عَلَى
 هَذَا الْبَيْفِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي . وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ دُرَيْدُ بْنُ الْقَسَمَةِ فِيهَا ذَكَرًا أَوْ رَأَى ؛
 فَقَالُوا : أَطْعَمْنَاكَ ؛ فَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الْقَسَمَةِ : هَذَا بِمِ لَمْ أَشْهَدَهُ وَلَمْ يَقْنَى :

بِالْبَقِ فِيهَا تَجَدُّعٌ أَخْبُ فِيهَا وَأَضَعُ (٨)
 أَقْوَدَ وَطَفَاةَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاءُ حَقَّقَ (٩)

-
- (١) الشجار : مركب أصفر من المودج مكشوف أعلاه .
 (٢) الحزن : الرضع . حرس : مافيه حجارة مدية .
 (٣) ديس : لين القراب . (٤) انقض : به زجره .
 (٥) الجذعان : متنى جذع . الشاب الحدث ، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان
 عن التجربة . (٦) البيضة : الجماعة . (٧) الفتباء : يقصد بهم السبلون .
 (٨) الجذع : الشاب الحدث ، ويريد به هنا قوة الشباب .
 (٩) الوطناة : طويلة الشعر . والشاة : الوعل . صدع : متوسط بين العظم والحجر .

قال ابن هشام : أنشدني غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

يا ليتني فيها جذع ،

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموه ، فأكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد .

قال : وحدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه تحدث : أن مالك بن عوف بعث عيوثا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجلا يبيض على خيل بلقي ، فواحه ما تأسكنا أن أصابنا ما ترى ، فواحه ماردة ذلك صن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيهم بمخبرهم . فأنطلق ابن أبي حذرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمرهوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبي حذرد . فقال ابن أبي حذرد : إن كذبتني فما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير مني . قال عمر : يا رسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حذرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر .

استعارة أذراع صفوان : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السه إلى هوازن ليقتلهم ، ذكر له أن هند صفوان بن أمية أذراعا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ، أهدنا سلاحك هذا تلق فيه حدونا غدا ، فقال صفوان : أغضب يا محمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى تؤديتها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيم حليها ، فقبل .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفا ، واستسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميرا . على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قصيدة ابن مرداس : فقال عباس بن مرداس الشيلي :

أصابك العام رطلا غول قومهم	وسط البيوت ولون النول ألوان ^(١)
يا لطف أم كلاب إذ تبيثهم	خيل ابن هودة لا تنهي وإنسان ^(٢)
لا تلتظفوها وشدوا حقة ذمتكم	أن ابن حشك سمع وودمان ^(٣)
لن ترجعوا وإن كانت جملة	ما دام في التميم للأخوذ البان
شماء مجلل من سواتها تحن	وسال ذو شوغر منها وشوان ^(٤)
ليست بأطيب ما يشوى حذق	إذ قال : كل شواء غير نجون ^(٥)
وفي موازن قوم غيب أن بهم	داء البقاء فإن لم يتصوروا بخافوا
فهم أخ لو وقوا أو برّ عهدهم	ولو نكحهم بالطين قد لاوا
أبلغ موازن أعلاما وأسفلها	من رسالة نصير فيه بيان
أن أظن رسول الله صاحبكم	جيشاً له في فناء الأرض أركان
فهم أخوكم نعيم غيب تارككم	وللسكون جاكذ الله شان
وفي ضاديه الغنى جور أسيد	والأجربان بنو عثبي وذيان ^(٦)
نكاذ ترجف من الأرض رعبه	وفي تقديسه أوسن وعشان

قال ابن إسحاق : أوس وعشان : قبيلا موية .

قال ابن هشام : من قوله : أبلغ موازن أعلاما وأسفلها ، إلى آخرها ، في هذا اليوم ،

(١) رجل : قبيلة من سليم . وفي الحديث قتت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً يدعو
رجل رجل وذكوان وصعية ، وهم الذين غدروا بأصحاب بر معوية ، وقد مضى حديثهم فيما تقدم
من القصة . القول : الهامية .

(٢) إنسان : قبيلة من قيس ثم من بني نصر . وقيل هم من بني جشم بن بكر .

(٣) سعد وودمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر .

(٤) حنن : جبل في نجد . ذو شوغر وشوان : واديان .

(٥) جيلق : اسم رجل . العير : حمار الوحش . الجوقان : غرمله .

(٦) ساجها بالأجربين تنديها بالأجرب الذي لا يجرب .

وما قبل ذلك في غير هذا اليوم ، وهما منصوبتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة .
 ذات أنبوب : قال ابن إسحاق : وحديث ابن شهاب الزهري ، عن سنان بن أبي سنان
 الدؤلي ، عن أبي واقد الليثي ، أن الحارث بن مالك ، قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت كفار
 قريش ومن مراءهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل
 سنة ، فيطعنون أسلحتهم عليها ، ويدبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً . قال فرأينا ونحن
 نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرة خضراء عظيمة ، قال : فتناديان من جنات الطريق .
 يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 الله أكبر ، فأنتم ، والذين نفس محمد يده ، كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم
 آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون . إننا لنسنن ، لنركبن سنن من كان قبلكم .

كيات الرسول وبعض الصحابة : قال ابن إسحاق : لحديثي حاصم بن عمر بن قتادة ، عن
 عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وأدى حنين انحدرونا فواد
 من أودية تامة أجوف حلوط ، إنما تحدر فيه انحداراً ، قال : وفي ثمانية الصبح ، وكان
 للقوم قد مضوا إلى الوادي ، فكبرنا إذا في شابه وأحناهم ومضاهيه ، وقد أجمعوا وتوسوا
 وأحدوا ، فوافقه مارعتنا ونحن منحطون إلا الكتائب ، قد شدوا علينا شدة رجل واحد ،
 وأنهم الناس واجمين ، لا يلوي أحد على أحد .

واحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلوا إلى ،
 أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شيء ، حملت الإبل بنضها على بنض ، فانطلق
 الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

وفين ثبت معه من المهاجرين ، أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس
 ابن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه ، والفضل بن العباس ، وريمة بن الحارث ،
 وأسامة بن زيد . وأمين بن عبيد ، قتل يومئذ (١) .

(١) إن قيل : كيف فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبق معه منهم إلا
 ثمانية ، والفرار من الزحف من الكبار ، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل . قلنا :
 لم يجمع العلماء على أنه من الكبار إلا في يوم بدر ، كذلك قال الحسن بن صالح مولى عبد الله
 ابن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا ، فإنه قال : « رضى يومئذ يومئذ دبره يهوى من الإشارة إلى =

قال ابن هشام: أكرم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر، واسم أبي سفيان الغيرة، وبه،
التاسي بعد فهم قُتِمَ بن العباس، ولا يعد ابن أبي سفيان.

قال ابن إسحاق: وحديث عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه
جابر بن عبد الله، قال: ورجل من هوازن على جبل له أحر، بيده راية سوداء في رأس ربح
له طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمح، وإذا فاته الناس رفع رمح
لمن وراءه فاتبعوه.

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جفأة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب:
لا تنتهي من عيبتهم دون البحر، وإن الأزام لمع في كفايته. وصرخ بجيلة بن الحنبل - قال
ابن هشام: كَلْدَة بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في اللدة التي جعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا بطل الحشر اليوم! فقال له صفوان: اسكت نض الله فاك،
هوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن.

حسان يهجو قتادة: قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت يهجو كَلْدَة:

رأيت سواداً من بصيل فراضٍ أبو حنبل يزو على أم حنبل

كأن الذي يزو به فوق بطيها ذراعاً قلوب من تتاج ابن عزال

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية، وكان أخا
كَلْدَة لأمه.

شعبة بن طلحة يعاود قتل الرسول: قال ابن إسحاق: وقال شعبة بن عثمان بن أبي
طلحة: أعز بني عبد المار: قلت: اليوم أدرك ثأري، وكان أبوه قتل يوم أحد، اليوم أقتل
محمد. قال: فأدركت رسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتى تشنى فزادى، فلم أطلق ذاك،
وعلمت أنه ممنوع مني.

== يوم بدر، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارين يوم أحد وهو قوله: «ولقد عفا الله عنهم»
وكذلك أنزل يوم حنين: «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم» إلى قوله: «دفور رحيم»، وفي
قول ابن سلام: كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبار، وأيضاً فإن المهديين عنه عليه
السلام رجعوا لحبيهم، وقالوا معه حتى فتح الله عليهم.

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن تغلب اليوم من قلة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالما .

النصر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحكّة بخلته البيضاء قد تفرّجها بها ، قال : وكنت امرأ جسيما شديد الصوت ، قال . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يلبون على شيء ، فقال : يا عباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب الشجرة ، قال : فأجابوا : لييك ، لييك ! قال فيذهب الرجل ليثني بعيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه ، فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ، ويحلى سبله ، فيؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار . ثم خصلت أخيرا : يا للفرج . وكانوا صوّرا عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه . فنظر إلى يجتلد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن يتبي الوطيس .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من موازن صاحب الراية على جمل يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على ابن أبي طالب من خلفه ، فضرب عرقوني الجلي ، فوقع على صخره ، ووثب الأنصاري على الرجل ، فضربه ضربة أمان قدمه بنصف ساقه ، فانهجف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوافقه ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأنصاري مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان من صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو أخذ بشرف بخلته ^(١) ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أملك يا رسول الله .

أم سلمهم في المعركة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله

(١) الثغر : سير من جملد يوضع في مؤخر السرج ،

صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سليم بنت ملحان^(١) وكانت مع زوجها أبي طلحة^(٢) رضي الله عنهما حازمة وسطها ببرد لها ، وزنها لحامل بعد الله بن أبي طلحة ، وممها جل أبي طلحة ، وقد خفيت أن يومها اجل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سليم ؟ قلت : نعم ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكتفى الله يا أم سليم ؟ قالو : وممها خنجر ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا الخنجر منك يا أم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بسجته به قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرثميناء .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رجع إلى حنين ، قد ضم بني سليم الضحاك بن سفيان الكلبي ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك ابن عوف يرتجز بفرسه :

أقدم نحاج لانه يوم مُكْرَم	مثل على منك بعضي ومُكْرَم
إذا أصبح الصف يوم والذُبُور	ثم أحزالت رُمُور بعد رُمُور ^(٣)
كتاب يسكن فيهن البصر	قد أطمعن الطمعة تقضى بالشُر ^(٤)
حين يُذْنَمُ المستكين المنجور	وأطمعن التجلاء تعوى وتُجور ^(٥)
لما من الجوف رشاش منهن	تفحق تارات وحينا تنفجر ^(٦)
وتعلب العامل فيها منكسر	يازيد يابن هاشم أين تفر ^(٧)
قد نبت الضرب وقد طال الثمر	قد عظم اليسر الطويلات الخمر
أتى في أمنا غيرا	إذ تخرج الحاضن من تحت الشر

(١) واسمها : مليكة . ويقال : وميلة وقيل سيلة .

(٢) واسم زيد بن سبل بن الأسود بن حرام .

(٣) أحزالت : ارتفعت . (٤) البصر : جمع سبر وهو القليل يسر به الجرح .

(٥) التجلاء : الطمعة الواسعة . تعوى وتجر : أى يسمع لخروج الدم منها أصوات كاللؤلؤ

والحرير . (٦) تفحق : تفتح .

(٧) التعلب : هما الرمح الداخلة في السنان . العامل : أعلى الرمح .

وقال مالك بن عرف أيضا :

أقدم نحاساً إليها الأساورة ولا تفرنك رجل نادراً^(١)

قال ابن هشام : ومذان البتان لغير مالك بن عرف في غير هذا اليوم .
من قتل قتيلاً لله سلبه : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن
أبي قتادة الأنصاري قال : وحدثني من لأئهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد
عن أبي قتادة ، قال : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتلان : مسلماً ومشرکاً ، قال :
وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده
فقطعتها ، واعتقني بيده الأخرى ، فوالله ما أرساني حتى وجدت ريح الدم — ويروي :
ريح الموت ، فيما قال ابن هشام — وكاد يقتلني ، فلو أن الدم نزهة لقتلني ، فسقط ، فضربت
فقتلته ، وأجهضني عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلمه ، فلما وضعت الحرب أوزارها
وفرغنا من التوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلاً لله سلبه ، فقلت :
يا رسول الله ، والله لقد قتل قتيلاً ذا سلب ، فأجهضني عنه القتال ، فما أدري من استلبه ؟
فقال رجل من أهل مكة : صدق يا رسول الله ، وسلب ذلك القتيل عندي ، فأرضه عني من
سلبه ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، فتمدد لي أسد من أسد
الله ، يقال عن دين الله ، قتاهه سلبه ؟ اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : صدق فأردد عليه سلبه^(٢) . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه
خمرًا^(٣) فإنه لأول مال اعتقته .

(١) الأساورة : قادة الفرس . النادرة : أي التي قد ندرت أي انفصلت وبعدت .
(٢) وفي هذا الحديث من الفقه أن السلب للقتال حكماً شرعياً جعل ذلك الإمام له ،
أو لم يجعله ، وهو قول الشافعي . وقال مالك : إنما ذلك إلى الإمام له أن يقول بعد معمة
الحرب : من قتل قتيلاً لله سلبه ، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لتلا محاط
النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى .

(٣) عُرِف بفتح الراء كسر ما نخلت أو ما كسر الميم فإلما هو للخرف ، وهي الآلة التي تحفر
بها التربة أي تجمي . ويقع للميم معناه البستان من النخل ، هكذا فسروه ، وفسره الحرق ،
وأجاد في تفسيره ، فقال : الخرف : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر . فأفوق ذلك ،
فهو بستان أو حديقة ، ويقوى ما قاله الحربي ما قاله أبو حنيفة الدينوري ، قال : الخرف : مثل
الخروقة : هي النخلة يحفرها الرجل لنفسه ولعيله ، وأشد :

مثل المخارف من خيلان أو هجرا

قال : ويقال للخروقة : خربة أيضاً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لأئتهم ، عن أبي سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

اللائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبي إسحاق بن يسار ، أنه حدث عن مجير بن مطعم ، قال : لقد رأيت - قبل هزيمة القوم والناس يقتلون - مثل الجباد^(١) الأسود أقبل من السماء حتى سقطت بيننا وبين القوم ، فظنرت ، فإذا نمل أسود مبثوث ، قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسوله صلى الله عليه وسلم عنهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خيلُ الله خيلَ اللاتِ واللهُ أحقُّ بالثباتِ

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالرواية الشعر :

غلبتِ خيلُ الله خيلَ اللاتِ وخيله أحقُّ بالثباتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزم هوازن استمر القتال من ثقيف في بني مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الجناح^(٢) ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : أبغده الله ، فإنه كان يعض قرصا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصراني أغرل^(٣) ، قال : فبينما رجل من الأنصار يسلب قتل ثقيف ، إذ كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يا معشر العرب : يعلم الله أن ثقيفا أغرل . قال المغيرة بن شعبة : فأخذت يده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل ذلك ، فذاك أبي وأمي ، إنما هو غلام لنا نصراني . قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا ترام عتتين كما ترى .

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أصد

(١) الجباد : الكساء . (٢) هو عرف بن الربيع .

(٣) الأغرل : ظهر المختن .

رايته إلى شجرة ، ومرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من عترة ، يقال له وهب ، وآخر من بني كبة ، يقال له الجلاح : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب تقيف ، إلا ما كان من ابن خنيدة ، يعني بـ ابن خنيدة الجارث بن أريس .

فقال عباس بن مرداس الثمالي يذكر قلوب بن الأسود وفراره من بني أبيه ، وهذا الخبر وحده هو له الموت :

ولا عن مبلغ غيلان حتى	وسوف - إخال - يأتيه الخير ^(١)
وعروة إنما أهدى جوابا	وقولا غير قوليكما يسر
بأن محمداً هداه رسولك	لرب لا يضل ولا يمحور
وبعداه نيا مثل موسى	فكل فتى يحاره غير
وبنت الأمر امرؤ بن قيس	بوج إذ تسمت الأمور ^(٢)
أضاعوا أمرهم ولكل قوم	أمر والدوائر قد تدور
فبشنا أستاذ غابات إليهم	جنود الله ضاحية تسم ^(٣)
يوم الجمع جمع بنو قيس	على سخي فكاد له طلع
وأقسم لو هم مكثوا لمرنا	إليهم بالجنود ولم يخوروا ^(٤)
فكنا أئمة لشيء قم حتى	أصناما وأسلت الصور ^(٥)
ويوم كان قبل لقي خنيد	فألقه والعماء به تخور
من الأيام لم تسمع كيوم	ولم يسمع به قوم ذكور

(١) القتل للمستقبل هو : يأتيه ، وإن كان حرف (سوف) داخلا على إخال في اللفظ فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال :

وما أدري وسوف إخال أدري

وذلك أن إخال في معنى : أظن ، وليس يريد أنه يظن فيما يستقبل ، وإنما يريد أن إخال الآن أن سيكون ذلك . (٢) قس : اسم تقيف . وج : واد بالطائف .

(٣) ضاحية : ظامرة . (٤) لم يخوروا : لم يهجموا .

(٥) لينة : موضع قريب من الطائف . الصور : قيل إنها جمع ناصر وقيل : هم بنو نصر من هوازن بن أمية مالك بن عوف النصري يقال لهم الصور ، كما يقال لبني النذر : المناذرة .

قتلنا في الفجار بني حطيط
ولم يك ذو ايجاز رئيس قوم
أقام بهم على تنين النابا
فأنتك من بها منهم تجرصاً
ولا يفيق الأمور آخر التواني
أختانهم وحان وملكوه
بنو حوفي تبيع بهم جباد
فلولا قارب وبنو آيه
ولكن الرئاسة محموا
أطاعوا قاربا ولم يجدوه
فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا
وإن لم يسلوا فهم أذان
كا حكاكت بنو سعي وحرب
كان بنو معاوية بن بكر
فقتلنا أسيلوا . إنا أغوكم
كان القوم إذ جاءوا إلينا

قال ابن هشام : غيلان : غيلان بن سلمة الثقفي ، وعروة : عروة بن مسعود الثقفي .

يعقل دريد : قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعه مالك بن
عرف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة
إلا بنو غيثية من ثقف ، وتبع خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة من
الناس ، ولم تتبع من سلك النابا .

(١) زور : مائلة . (٢) الجريض : من يقص بريته . والجمع : جريض .
(٣) الطاق : ضيق الخلق . الصريرة : مصفر الصرورة وهو الذي لم يتزوج ، والحصور :
الذي لا يأتي النساء .

(٤) تبيع : تسمى مشيا مستويا . التفصاض : جمع فصصة : الثبات الذي تأكله
المواشي رطبا . (٥) العنقير : الداهية .

فأدرك ربيعة بن ربيعة بن أمية بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن تيمال بن حوف بن امرئ القيس ، وكان يقال له ابن اللعنه قومي أمه ، فضلبت على اسمه ، ويقال : ابن لذهفيا قال ابن هشام - دريد بن الصمة ، فأخذ بخطام جله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شجار له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير . وإذا هو كزيد بن العتمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيعة الشكلى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يبق شيئا ، فقال : بئس ماسلحك أمك اخذ سيفي هذا من مؤخر الرجل ، وكان الرجل في الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت كزيد بن الصمة ، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك . فزعج بنو سلم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشف ، فإذا عجانا ^(١) ويطلون غلظه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعزاه ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتت أمهات لك فلانا .

فقالت حمزة بنت دريد في قتل ربيعة كزيدا :

لمررك ما خبيث على كزيد	يعني مستور في جيش الضاني ^(٢)
جزى عنه الإله نبي شاكيم	وعقمت بما فعلوا تنقاي
وأسقانا إذا قدنا إليهم	دماة خياريهم عند التلاقي
فرب عظيم دانت ضم	وقد بلغت نفوسهم التراقي
ورب كريمه أعتقت منهم	وأخرى قد فسكت من الوفاقي
مؤدب منور بك من سلمير	أجبت وقد دعاك بلارماقي ^(٣)
فكان جزاؤنا منهم عقوقا	ومنا ماع منه مخ ساق
حفت آثام خبيثك بعد أني	بنى بقرى لك فيف الثاق ^(٤)

وقالت حمزة بنت كزيد أيضا

قالوا قتنا كزيدا قلت قد صدقوا	فقل دمعى على السرايل يندرو
لولا الذي قهر الأقوام كلهم	رأت سلمير وكعب كيف تأمر
إذن لصبحهم غيا وظاهرة	حيث استقرت نوام جتقل ذير ^(٥)

- (١) العجان : الاست . (٢) سميرة : وأد قرب حنين . العناق : الامر الشديد .
 (٣) الرماق : بقية الحياة . (٤) ذو بقر : موضع . فيف : قعر . الثاق : موضع .
 (٥) الثب في الاصل : أن ترد الإبل للواء يوما بعد يوم . وظاهرة : أن ترده كل يوم . ذفر : ذو راحة كريمة من صدأ الحديد .

قال ابن هشام : ويقال اسم الذي قتل دُرَيْدًا : عبد الله بن قُتَيْبٍ بن أَهْبَانَ بن مُعَلَّة بن ربيعة .
قال ابن إسحاق : ويكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجه قبل أوطاس
أبا عامر الأشعري ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال فرمى أبو عامر بهم
فقتل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعري ، وهو ابن عمه فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم .
فيزجون أن سَلَكَةَ بن دُرَيْدٍ هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بهم : فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَلْيُفِي سَلَكَةَ ابْنُ تَمَادِيرَ لِي تَرْشُدَةً
أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رَمُوسَ الْمُثِيلَةِ

وسجدير : أمه .

واستعر القتل من بني نصر في بني رثاب ، فزعوا أن عبد الله بن قيس - وهو الذي يقال
له ابن العوراء ، وهو أحد بني وهب بن رثاب - قال : يا رسول الله هلكت بنو رثاب .
فزعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجبر مصيبتهم .

وخرج مالك بن عوف عند الحزمية ، فوقف في فوارس من قومه ، على ثنية من الطريق ،
وقال لأصحابه : فقرأ حتى تمضي ضففاؤكم ، وتلقوا أخراكم . فوقف هناك حتى مضى من كان
الحق بهم من مُنْبِرَةِ الناس ؛ فقال مالك بن عوف في ذلك :

وَلَوْلَا تَكْرُتَانِ عَلَى مُعْتَاكِضٍ عَلَى الْمُضَارِبِ الطَّرِيقُ (١)
وَلَوْلَا تَكْرُتُ دُؤْمَانَ بْنِ نَصْرِ لَنَلَيْتُ النُّحْلَاتِ مُنْدَقَعَ الشَّدِيقِ (٢)
لَأَبْتُ جَعْفَرُ بْنُ وَهْلٍ وَبَنُو هَلَالٍ حَزَائِمًا مُخْبِتِينَ عَلَى شُعُوقِ (٣)

قال ابن هشام : هذه الآيات لمالك بن عوف في غير هذا اليوم . وما يدلك على ذلك قول
دُرَيْدٍ بن الصمة في صدر هذا الحديث : ما فعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدا منهم
أحد . وجعفر بن كلاب . وقال مالك بن عوف في هذه الآيات : دَلَّابْتُ جَعْفَرُ بْنُ وَهْلٍ هَلَالُ .
قال ابن هشام : ولمضى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية ، فقال لأصحابه : ماذا

(١) معاج : فرس مالك : المضارب : الأجراء .

(٢) الشديق : واد من وديان الطائف .

(٣) محبتين : مردفين . شعوق : أى على مشقة .

تَرْوَن؟ فقالوا: نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم، طويلة بَرَادُهُمْ^(١)؛ فقال: هؤلاء بنو سليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادي. ثم طلعت خيل أخرى تبهما؛ فقال لأصحابه: ماذا تَرْوَن؟ قالوا: نرى قوما عارضى رماحهم، أغفالا^(٢)، على خيلهم فقال: هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم. فلما انتهوا إلى الثنية سلكوا طريق بنى سليم. ثم طلع فارس؛ فقال لأصحابه: ماذا تَرْوَن؟ قالوا: نرى فارسا طويل الباد، واضعا رمحاً على عاتقه، عاصبا رأسه بملادة حمراء فقال: هذا الزبير بن العوام وأخلف باللات ليخالفنكم، فاثبتوا له. فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم، فصمد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها.

قال ابن إسحاق: وقال سلبة بن دُرَيْد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم:

نَسْتَيْفِي مَا كُنْتُ غَيْرَ مُصَاتِفَةٍ وَلَقَدْ عَرَفْتُ غَدَاةَ تَغْيِبِ الْأَطْرَبِ^(٣)
أَنِّي مُنْعَايُكَ وَالْوَكَوْبُ نَحْبُوبٌ وَمَقِيْتُ خَلْقِكَ مَنَاءً مِثْلِي الْأَنْكَبِ^(٤)
إِذْ فَرَكْتُ مَهْذِبَ ذِي لَمْتَةٍ عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يُقْبِ

قال ابن هشام: وحدثني من أتق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه: أن أبا عامر الأشعري لقي يوم أوثقاس عشرة إخوة من المشركين، فحمل عليه أحدهم، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشد عليه، فقتله أبو عامر؛ ثم حمل عليه آخر، فحمل عليه أبو عامر، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشد عليه، فقتله أبو عامر؛ ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك، حتى قتل تسعة، وبقي العاشر؛ فحمل على أبي عامر، وحمل عليه أبو عامر، وهو يدعو إلى الإسلام ويقول: اللهم اشد عليه؛ فقال الرجل: اللهم لا تشهد علي، فكف عن أبي عامر، فأقلت؛ ثم أسلم بعد لحسن إسلامه. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر. وروى أبا عامر أخوان: العلاء وأوفى ابنا الحارث، من بني جُثَم بن معاوية، فأصاب أحدهما قلبه، والآخر ركبتة فقتله. وروى الناس أبو موسى الأشعري فحمل عليهما فقتلها، فقال رجل من بني جُثَم بن معاوية يرثيها:

(١) بَرَادُهُمْ: جمع باد وهو باطن الفخذ. (٢) أغفالا: غير ملعين بملامة.

(٣) التغب أسفل الجبل. الاطرِب: الجبل الصغير.

(٤) الانكَب: المائل إلى جهة.

إن الرزية قتل العسلاد وأوقى جيماً ولم يمينا (١)
 ما القاتلان - أبا عامر وقد كان ذا حبة أزينا (٢)
 ما تركاه لقي قمتريك كان على يطفه مجندا (٣)
 فلم تر في الناس مثليهما أقل عثارا - وأرتى يتنا

المنهى عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وجدتني بعض أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصفون (١) عليها فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدرك خالداً ، قتل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عيباً (٢) .

الشملاء تحت الرسول : قال ابن إسحاق ، وجدتني بعض بني سعد بن بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قد رحم علي جهاد ، رجل من بني سعد بن بكر ، فلا يفلتكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به للسلون ساقوه وأحله ، وساقوا معه اثني عشر ، بنت الحارث بن عبد المطلب أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاة ، فقصفوا عليها في السباق : فقالت للسلين : تملأوا واه أني لأخيت صاحبكم من الرضاة ؛ فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : لحدثني يزيد بن عبيد السعدي ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يا رسول الله ، إنني أختك من الرضاة ، قال : وما علامتك ؟ قالت : حضة عطفنتها في ظهري وأنا متموزكك قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وسخيرا ، وقال : إن أحببت فعندي محبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتك (١) وترجمي إلى قومك ففعلك ، فقالت بل نعمتني وتردني إلى قومي لئنما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردما إلى قومها : فرجعت بنو سعد أنه أعطاهم غلاما له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلها بقية .

-
- (١) لم يستأ : لم يبق فيها ومق . (٢) ذا حبة : له سيف قوية : والحببة الاحتزاز .
 (٣) الجسد : الصبوغ بالجساد وهو الزعفران .
 (٤) متقصفون : مجتمعون في ازدحام . (٥) العيب : العجز .
 (٦) أي أعطيك ما يملك أي ما يكون فيه متمك واتفاحك .

هنا أنزل الله في حنين : قال ابن مشام : وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم ، : إلى قوله « وذلك جزاء الكافرين » .

شهادة حنين : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين :

من قرش ثم بنى من هاشم : أيمن بن عبيد .

ومن بنى أسد بن عبد الغزى : يزيد بن زرقعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمع به فرس له يقال له الجناح ، قتل .

ومن الأنصار : شرة بن الحارث بن عدى ، من بنى السجلان .

ومن الأشعرين : أبو عامر الأشمرى .

سبأيا حنين وأموالها : ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبأيا حنين وأموالها ، وكان على الخاتم مسعود بن عمرو النخارى ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبأيا والأموال إلى الجمرات ، فلبست بها .

ما قبل من الفجر يوم حنين : وقال بهجر بن زهير بن أبي سلمى في يوم حنين :

لولا الإله وهدى وهدى	حين انتخف الرعب كل جبان
بأجلزوع يوم حبا لنا أقرأنا	وسواحج يكسبون للأدقاني ^(١)
من بين ساح ثوبه في كفه	ومقطر بستانايي ولبان ^(٢)
واؤه أكرمنا وأظهر ديننا	وأصزنا بعبادة الرحمن
واؤه أهلكهم وفرق بينهم	وأذلهم بعبادة الشيطان

قال ابن مشام : ويرى فيها بعض الرواة :

إذ قام عثم نبيكم ووليه	يدعون : يا لكتيبة الإيمان
أين الدين هم أجابوا ربهم	يوم الترضين وبيعة الرضوان

(١) الجروع : ما انتطف من الودى . حيا : اعترض : سواحج : أى خيل سواحج : وهى لسهرة . يكيون : يستقون .

(٢) مقطر : ملقى على قطره ، أى جنبه . ولبان القرس : صدره .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس في يوم حنين :

إني والسواج يومَ تجمع
لقد أجبت ما لقيتُ ققيقت
هم رأى العدو من أهل نجد
هزمتا البع جمع بني قيس
وصرنا من هلال غادرتهم
ولو لأقن جمع بني كلاب
ركضنا الخيل فيهم بين يس
بذي تلج رسول الله فيهم
كسيته تفرض للشراب

قال ابن هشام : قوله « تفر بالبراب » : عن غير ابن إسحاق .

فأجابه عطية بن صفيف البصري ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أفاخرة رفاعه في حنين
فإنك والفتار كذات يثرب
وعباس بن راضة الأجاب^(١)
لربها وترفل في الإهاب

قال ابن إسحاق : قال عطية بن حنيفة هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن في يوم حنين . ورفاعة من جهينة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا غانم الثبا إنك مُرسل
إن الإله بني عليك محبة
ثم الذين وقوا بما عاهدتهم
رجلا به ذرّب السلاح كأنه
يشقى ذوى النسب القريب وإنما
أنبيك أني قد رأيت تمرّه
طورا يعاقق بالدين وتارة

(١) الرّك : الصدر . ويريد بمحبة بركها : شدة وطأة الحرب .

(٢) الصرم : الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحي .

(٣) يس والاورال : مكانان تمسحان بخرج أنفاسها عالية . (٤) الأجاب : المنز .

(٥) الذرب : الحدة . (٦) بتاك : قاطع .

يشقى به هامَّ السَّجَاةِ ولو ترى
وبنو سُلَيْمٍ مُعْتَقُونَ أَمَاتِهِ
يَحْشُونَ تَحْتَ لَوَاهِهِ وَكَأَنَّهُمْ
مَائِزَةٌ يَحْمُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قِرَابَةً
هَذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا

منه الذى عَايَنْتُ كَانَ نَسْفَاكَ
ضَرْبًا وَطَعْنَا فِي الْعَدُوِّ دِرَاكَ^(١)
أَسَدُ الْعَرِينِ أَرْدَنَ قِمِّ عِرَاكَ^(٢)
إِلَّا لَطَاعِيَهُ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَ
مَعْرُوفَةٌ وَوَلِيْنَا مَوْلَاكَ

وقال عباس بن مرداس أيضا :

إِذَا تَرَى يَا أُمَّ فِرْعَوْنَ حَيْلَنَا
أَوْحَى مُقَارَعَةً الْأَعَادَى دُمْنَا
فَلَوَّبٌ قَاتِلُو كِفَامَا وَقَعْنَا
لَا وَفْدَ كَالْوَيْدِ الْأَوَّلَى عَقَدُوا لَنَا
وَفْدًا أَبُو قَطَطَيْنِ حُزَابُهُ مِنْهُمْ
وَالْقَاتِلُ الْمَائِيَّةُ الَّتِي وَقَفَى بِهَا
جَمْعَتُ بَنِي عَرَفٍ وَرَهْطُ خُثَالَيْنِ
فَهَبَاكَ إِذْ نُصِرَ النَّبِيُّ بِالْقَنَا
فَزَنَا بِرَأْيِهِ وَأَوْرَثَ عَقْدُهُ
وَعِدَاةُ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُهُ
كَانَتْ إِبْجَابُنَا لِمَا عَايَ رَبَّنَا
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَحْقِيقٌ تَرْتَدُّهَا
وَلَنَا عَلَى يَدَيْ حُضَيْنٍ مَوَكَّبٌ
نُصِرَ النَّبِيُّ بِنَا وَكُنَّا مَعْرُشًا

مِنْهَا مُعْطَلَةٌ تُقَادُّ وَطُلُعُ^(٣)
فِيهَا نَوَافِدٌ مِنْ جِرَاحٍ تَلْبَعُ
أَزَمَ الْحَرْوبِ قَيْسَرُهَا لَا يَفْرَعُ^(٤)
سَيِّئًا يَجْلِي بِمَحْمَدٍ لَا يَقْطَعُ
وَأَبُو الْقُبُورِ وَوَأَسْعُ وَالْمَقْنَعُ
تَسْعُ إِلَيْنِ فَتَمَّ أَلْفُ أَفْرَعِ^(٥)
يَتَنَا وَأَجْلَبُ مِنْ خُفَافٍ أَرْبَعُ
عَقْدَةُ النَّبِيِّ لَنَا لَوَاهُ يَلْبَعُ
بِحَدِّ الْحَيَاةِ وَسُوْدَدَا لَا يُنْزِعُ
يَطْلَحُ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزَعُ^(٦)
بِالْحَقِّ مَنَا حَاسِرٌ وَمُقَنَّنٌ
دَاوُدُ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيدَ وَتَسْبَعُ^(٧)
دَمَعُ الْفَنَاقِ وَمَعْنَبَةٌ مَا تُطْلَعُ
فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَقُصَّرُ وَتَنْفَعُ

(١) معقون : مسرعون . دراك : متابع .

(٢) العراك : المداخلة .

(٣) الطلح : العرج . (٤) الأزم : الشدة .

(٥) ألف أفرع : أى ألف بالتمام . (٦) يتهزع : يضطرب .

(٧) السابغة : الدروع الكاملة . السرد : النسج . تبع : لقب ملوك اليمن القدماء .

والخيل يغمرها عجاج يسطع
 جمعا تكاد الشمس منه تمشع
 أضاء نصير والاسنة شترع^(١)
 أبى سلكهم قد وقتم فارفعوا
 بالمؤمنين وأحرزوا ما جمعوا^(٢)

دُنا عَدَاتِنِمْ هَوَازَنَ بَالِقَنَا
 إِذْ عَافَ حُدُومَ النَّبِيِّ وَأَسْتَدَا
 لَدَقَى بَنُو بَجْتَمٍ وَتَدَهَى وَسَطَهُ
 حَتَّى إِذَا قَالَ الرَّسُولُ نَحْنُ
 رَحْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ أَجْتَفَّ بِأَسْهُمٍ

وقال عباس بن مرداس أيضا في يوم حنين :

قَطَلَا أَرِيكَ قَدْ خَلَا لِلصَّائِعِ^(٣)
 زَيْحِي وَصَرَفْتُ الدَّارَ الْعَرِيَّ جَامِعَ
 لَيْبِنِي فَبَلْ مَاضِي مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعَ
 فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّسِيِّ وَتَابِعَ
 تُحْرِمَةُ وَالْمَرَارِ مِنْهُمْ وَوَاسِعَ
 لَبُوسٍ لَمْ يَمُتْ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ رَاجِعَ
 بَدَأَ اللَّهُ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ نَابِعَ^(٤)
 بِأَسَافِنَا وَالثَّقَمِ كَابٍ وَسَاطِعَ^(٥)
 حَيِّمٍ وَأَيْنَ مِنْ دَمِ الْجَوِفِ نَافِعَ^(٦)
 إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالْفُغُورِ الْأَصَالِعَ
 قِرَاعَ الْأَعَادِي مِنْهُمْ وَالْوَقَاتِعَ
 لِرَاءَ كُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لَامِعَ^(٧)

حَفَا رَجَعَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَنَالِغُ
 دِيَارُنَا بِأَجْمَلٍ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا
 مُخَيَّبَةُ أَلُوثَ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى
 فَإِنْ تَبَنَّى الْكُفَّادُ غَيْرَ مَلُوتَةٍ
 دَعَانِي لِأَلِيمٍ خَشِيْتُ وَفِيهِ حُلُمُهُمْ
 لَجْنَا بِأَقْبَرٍ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمْ
 نَابِيهِ بِالْأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّمَا
 لَجْنَا مَعَ الْهَدْيِ مَكَّةَ خُزُوعَ
 عَلَانِيَةِ وَالْخَيْلُ يَغْشَى مَتَوْنَهَا
 وَيَوْمَ حَنْينٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازَنُ
 صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَاكِ لَا يَسْتَفْزِنَا
 أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفُو فَوْقَنَا

-
- (١) الأثناء : الجماعة ليست من أصل واحد . (٢) أجحف : نقص .
 (٣) مجدل : مكان : متالع : جبل . الملاء : الأرض السهلة . أريك : موضع . المصانع :
 ما يجتمع فيها ماء للطر كالأحواض .
 (٤) الأخشبان : جبلان مكة .
 (٥) جتنا : وطننا ، الهدى : نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم . كاب : مرتفع . ساطع : متفرق .
 (٦) الحميم : العرق . آن : حار . نافع : كبير .
 (٧) كذروف السحابة : طرفها .

عَمِيَّةً ضَعَاكَ بِنُ سَيَّانٍ مُنْقَضِي
نُدُودٍ أَخَانَا عَنْ أَخِيْنَا وَلَوْ رَى
وَلَكِنْ دِينَ أَقْبَى دِينَ بِمُحَمَّدٍ
أَقْلَمَ بِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ أَمْرَنَا

وقال عباس بن مرداس أيضا في يوم حنين :

تَقَطَّلَ بِأَقْبَى وَصِلَ أُمُّ مُؤَمِّلٍ
وَقَدْ حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَا تَقَطُّعُ النَّوَى
خُفَايَةَ بَطْنِ الْعَقِيقِ مَصِيْفُهَا
إِنْ تَبَيَّعَ الْكُفَارَ أُمُّ مُؤَمِّلٍ
وَسَوْفَ يَلِيَّتُهَا الْجَبِيرُ بَأَنَا
وَأَنَا مَعَ الْمَادِي الثَّجِّيِّ مُحَمَّدٍ
بَنِيَانٍ يَصْلُقُ مِنْ سُلَيْمٍ أَعْرَى
خُفَاكَ وَذُكْرَانُ وَحُوفٍ تَطْلُمُ
كَأَنَّ النَّسِجَ الشَّهْبُ وَالْيَضُّ الْمُلْبَسُ

بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبَذَلَتْ نِيَّةً مُخْلِفًا
فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ وَلَا تَرْتِثُ الْخُلْفَا
وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِيَةِ وَجَرَةً فَالْمُتَرَا
فَقَدْ رَوَدَتْ قَلْبِي عَلَى نَائِبِهَا شَفَا
أَيْتَانَا وَلَمْ تَطْلُبْ سَوَى رَبَّنَا سَلْطَانَا
وَقَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْتَرُ الْفَا
أَطَاعُوا فَمَا يَصُونُ مِنْ أَمِيرِهِ حَرْفَا
مَصَاعِبَ زَافَتْ فِي طَرُوقِهَا كُفْلَانَا
أَسُودَا تَلَاكَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضُفَانَا

(١) متمص : ضارب . كانع : مقرب .

(٢) يريد أنه من بني سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس ، فعنى البيت : تقاتل إخواننا ونؤدوم عن إخواننا من سليم ، ولو
نرى في حكم الدين مصالاة مفعلا من الصولة ، لكتبا مع الأقربين هوازن .

ولكن دين الله دين محمد رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهَدَى وَالشَّرَائِعُ
(٣) التية : من التوى وهو البعد . وخلفاً يجوز أن يكون مفعولا من أجله أى : فلت ذلك
من أجل الخلف ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً للاستبدال ، لأن استبدالها به خلف منها
لما وعدته به ، ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده .

(٤) القوى : قوى الجبل هنا : وهو الهدى ، وهذا هو الخلف المحجيم ذكره .
(٥) خفاية : نسبة إلى بنى خفاف . العقيق : واد بالحجاز . وجرة والعرف : موضان .
(٦) مصاعب : لحول . زافت : تحركت . الطروق : التى يطرقها التحول . كف : سود .
(٧) الشهب التى يحاطل بياضها حرمة . غضب : مسترخية الأذان .

بنا نور دين الله غيبه تمثيل
 بركة إذ جئنا كان لوانا
 على شخص الأجار قبيب يثنا
 غداة وطينا المشركين ولم نجد
 عصرتك لا يسمع القوم ونطه
 بيض تطير المام عن مسترنا
 فكانت ركانا من قتل ملقب
 رضا الله تروى لارضا الناس تبتى

وقال عباس بن مرداس أيضا :

ما بال حينك فيها عازم تهر
 حين تأقبتها من شجرها أرق
 كأنه ظلم دد ضد فاعلم
 يا بعت مذبل من رجو مودة
 دع ما تهم من صيد الشباب فقد
 واذا كبر بلاه سليم في مواعيلها
 قوم هم نصرنا الرحمن واتبوا

مثل الحماطة أغشى فوقها الشجر (١)
 فالساء يضرهما طورا ونحو
 تقطع السلك منه فهو مشر (٢)
 ومن أنى دونه الصبان فالتفر (٣)
 وللى الشباب وزار الشب والورق (٤)
 وفي شلتهم لأهل النحر مفتخر
 دين الرسول وأمر الناس مشير

(١) للراود : جمع مرود وهو الوعد . العرف : الصوت .

(٢) الرجة : الصوت . التنامر : الحضر . والتقف في الأصل : كسر الحظلة واستخراج
 حبوبها ، ويريد هنا كسر رموس الأعداء .

(٣) ملجب : مقطوع اللحم .

(٤) الحماطة : بين الذرة خاصة . أغشى فوقها : أغشى عليها جفنيه . الشجر : مثبت الشعر
 في جفن العين .

(٥) مشر : متفرق .

(٦) الصبان والحفر : موضحان .

(٧) الوعر : قلة الشعر أو تفرق الشعر فوق الرأس .

لا يرسون قيسل النخل وسلمهم
إلا سواج كاليتيان مقسرة
تسمى شفاف وعوف في جوانبها
الضاربون جنود الشرك صاحبة
حتى دفننا وقتلناهم كأنهم
ونحن يوم حنيني كان مشدنا
إذ زكبي الموت عضرا بطائفة
تحت الواه مع الضحاك قدومنا
في مازي من بحر الحرب كلكتها
وقد صبرنا بأوطاس استننا
حتى تأوت أفوام تنازلم
فأترى مشرا فلوا ولا كثرنا

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا أيها الرجل الذي تهوى به
إما أتيت على التي قتل له
ياخيه من ركب الخيل ومن مشى
وجناء بمجزئة الناس عزمي
حقا طيك إذا أطمأن المجلس
فوق التراب إذا منعذ الأنفس

(١) القيسل : صغار النخل . أي هم ليسوا أهل زرع ولا رعاة بقر وإنما جل علمهم الحرب .
(٢) السواج : الخيل السريعة . والعتيان : جمع عتاب . طائر من الجوارح قوى المخالب
أعقف المتقار حاد البصر . يطلق على المذكر والمؤنث . مقربة : قرية من الدور محافظة عليها
لكرمها . الدارة : ما أحاط بالشيء . الأخطار : جماعات الإبل . العكر : الإبل الكثيرة .
(٣) الليل : الذين لاسلاح معهم .

(٤) ساطع : أي غبار ساطع وهو للفرق .
(٥) الحادر : الداخل في خدره وهو أكمة الأسد .
(٦) الكلكل : الصدر .

(٧) الرجناء : الضخمة المجرمة . مجتمعة الجسم . للناس : مقدم خف البعير . العرمين : الشديدة .

لنا وفيما بالذي صاهدتنا
إذ سال من أفتاء هيئة كلبا
حتى صبحنا أهمل مكة فيلقا
من كل أغلب من سليم فوقه
ُروى الفتاة إذا تجاسر في الوعى
يفشى الكتيبة معلما وبكفة
وعلى حنين قد وفى من جمعنا
كانوا أمام المؤمنين دروة
نمضى ويحرسنا الإله بحفظه
ولقد حبسنا بالثقب محبا
وغداة أوطاس شدتنا شدة
تدعو هسزبان بالإخاوة بينا
حتى تركنا جمعهم وكأنه

والخيل قدع بالكاة وتضرس^(١)
جمع تظل به الخارم ترجس^(٢)
شبياء يقدمها الحمام الأشوس^(٣)
يضاء محكة الدخال وقوس^(٤)
وتخاله أسداً إذ ما يعيس
عضب يقد به ولدن مدعس^(٥)
ألف أمد به الرسول عرندس^(٦)
والشمس يومئذ عليهم أشس
واقه ليس بضائع من يحرس
رضى الإله به فنعم المحبس
كفت العدو وقيل منها : يا احبسوا
لدى تمتد به هوازن أليس
تخير تعاقبه السباع مفرس

قال ابن هشام : أئشدنى خلف الأحمر قوله : « وقيل منها يا احبسوا » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

نصرنا رسول الله من غضب له
حلنا له في عامل الرمح راية

بألف كمي لا تعد حواسره^(٧)
يذود بها في حرمة الموت فاصره

(١) قدع : تكلف . تضرس : تخرج .

(٢) هيئة : حى من سليم . الخارم : الطريق الجبلية . ترجس : تتحرك .

(٣) الأشوس : الذى ينظر نظير المتكبر .

(٤) القوس : أعلى بيضة الحديد .

(٥) المضب : السيف القاطع . لدن : لين . مدعس : طمان .

(٦) عرندس : شديدة .

(٧) الحواسر : الذين لا دروع عليهم .

ونحن خضنا ما دما فهو لوننا
وكنا على الإسلام مينة له
وكنا له دون الجنود بطانة
دعانا فسمانا الشعار مقدما
جزي الله خيرا من نبي محمد

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : « وكنا على الإسلام » إلى آخرها ، بعض أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذي أوله : « دخلنا له في حامل الروح راية » . وأنشدني بعد قوله : « وكان لنا عقد اللواء وشاهره » ، « ونحن خضناه دما فهو لونه » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

من يبلغ الأقرام أن عمدا
دعا ربه واستصر الله وحده
تربنا بواهدنا قديدا
عمدا تماروا في الفجر حتى تبينوا
على الحبل مشدودا علينا دروخنا
فإن سراء الحق إن كنت سائلا
وجئت من الأنصار لا يخذلونه
فإن تلك قد أعمرت في القوم خالدا
يجتو حذاء الله أنت أميره

(١) شاجره : خالطه بالرمح .

(٢) أصل الشعار : الثياب التي تلي الجسد . كناية عن القرب .

(٣) تماروا : شكوا . الغاب : الرماح .

(٤) الآتي : السيل . العرمم : الكثير .

(٥) يريد بن تملسا : أبي في بلعم من أعزى إليهم من حلفائهم ، فسلم بذلك ، كما تقول :

قيس الرجل ، إذا أعزى إلى قيس . أنشد سيويه :

وقيس حيلان ومن قيسا

حقت. ^(١) بينا بزة لمحمد
 وقال نبي المؤمنين هدموا
 وبنا نهي المستدير ولم يكن
 أظنك حتى أسلم الناس كلهم
 يتزل الحصان الأباقي الزود وسطه
 سمونا لهم وزد القطار فنه ضحى
 لئذ غداة حتى تركنا عشة
 إذا شئت من كل رأيت طيرة
 وقد أحرزت مناوازن تنزيتها

فأكلنا ألفا من الخيل لمحتما
 وحب إلينا أن نكون المقدما
 بنا الخوف إلا رغبة وتحرما
 وحتى حبنا الجمع أهل بلكنا ^(٢)
 ولا يطمئن الشيخ حتى يستوما ^(٣)
 وكل تراء عن أخيه قد احجما ^(٤)
 حجتنا وقد سالت دوافعنا ^(٥)
 وفارسها جوى وروحها تحطما ^(٦)
 وحب إليها أن تحيب ونحرما ^(٧)

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن هوف
 ابن يقظة بن عتبة السلمي يوم حنين : وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد ،
 فقتل به شجنا وابن عم له ، وهما من ثقيف :

نحن سبلنا الخيل من غير حليب
 تقتل أشبال الأسود وتبغى
 فإن تضرخوا بابن الفريد فاقى
 أبائهما بابن الشريد وعسره
 نصيبه رجالا من ثقيف ومانحا
 وقال ضمضم بن الحارث أيضا :

أبلغ لديك ذوى الحلال آية
 بد التي قالت لجارة بيتها
 لا تأمنن الدهر ذات يحار
 قد كنت لو لبث الغزى يبار

-
- (١) يلزم : ميقات حجاج اليمن ومن أتوا عن طريقها .
 (٢) الأباقي : الذي يختلط لونه بالأسود والياض . الورد : المشرب بالحمرة . يسوم : يعلم .
 (٣) القطار : مائل . زفه : أسرع به .
 (٤) دوافع : مجارى السبل .
 (٥) الطمرة : الفرس السريعة .
 (٦) اللال : الراعى .

لما رأيت رجلاً تُسَقِّعُ لُوحَهُ
مُشَطَّ العِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ لِيْلِهِ
إِذَا لَا أَزَالَ عَلَى رَحَالِهِ خَيْدَهُ
يَوْمًا عَلَى أَثَرِ الثَّيَابِ وَثَارَهُ
وَرُؤُوسَهُ كُلَّ غَيْبٍ أَرْمَقْتُهَا
كَيْفَا أُغَيِّدُ مَا بَهَا مِنْ حَاجَةٍ
وَفِيهِ الصِّبْغَةُ وَالْعِظَامُ تَهَوَّى (١)
مُسْرِبًا فِي دَرَجِهِ لِنَوَارِ (٢)
جُرُودُهُ تُلْقِي بِالنَّجَادِ إِزَارِي (٣)
كُتِبَتْ لِحَامُهُ بِمِجَالِ الْإِنصَارِ
مِهْلًا تَجِبُّهُ وَكُلَّ خَبَارِ (٤)
وَتَوَدُّ أَيَّ لَا أَزُوبُ تِلْكَ (٥)

قال ابن هشام : حدثني أبو حنيفة ، قال : أسر زهير بن العجوة المذلي يوم حنين ، فكشف
قرأه جميل بن منقدر الجعفي ، فقال له أأنت للماشي لنا بالمخايط ؟ فضرب عنقه : فقال أبو خراش (٦)
المذلي يرثي ، وكان ابن ٤٥ :

عَجِبْتُ أَصْبَاحِي جَمِيلٌ بِنُ مَنَقَرٍ
طَوِيلٌ يَحْمِلُ السِّيفَ لَيْسَ بِجَدِيرٍ
عَسَاكَ يَدَاهُ تُسَلِّمَانِ إِزَارَهُ
إِلَى يَتِهِ يَأْوِي الضَّرِيكَ إِذَا شَتَا
بَنَى تَلْمُوحًا تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ
إِذَا امْتَرَسَتْ وَاسْتَرْجَعَتْ عَلَيْهِ الْخَطَائِلُ (٧)
مِنْ الْجُرُودِ لَمَّا أَذْلَقَتْهُ الشَّيْطَانُ (٨)
وَمُسْتَجِيبًا بِأَلِ الدَّرَسِيِّ حَاتِلِ (٩)

(١) تُسَقِّعُ : تفتتق إلى السفحة . وهي سواد مشيع بحمرة . الوعر : شدة الجبر . للصيفة :
الأرض شديدة الحرارة .

(٢) مُشَطَّ العِظَامِ : قليل اللحم الذي على عظمه . تَهَوَّى : تفرار . للإغارة .

(٣) الرَّحَالَةُ : المِرْج . نَبْدَةٌ : غليظة . النَّجَادُ : حمال السيف .

(٤) الْحَيْمَةُ : اللوح الكثير الشجر . الْحَبَارُ : مالان واسترعى من الأرض .

(٥) تِلْكَ : تستعمل في التداء عادة فيقال يا لحار للراة الفاجرة .

(٦) وَرُؤُوسَهُ كُلَّ غَيْبٍ أَرْمَقْتُهَا : شاعر إسلامي مات في خلافة عمر .

(٧) الْجَدِيرُ : القمير .

(٨) يَرِيدُ أَنَّهُ مِنْ كَثْرَةِ سَنَاهُ يَوْشَكَ أَنْ يَمُوتَ مِنْ إِزَارِهِ بِعَلِيهِ حَامِلُهُ وَالشَّيْطَانُ : الرياح

الباردة التي تأتي من ناحية الشمال . أَذْلَقَتْهُ : أجده .

(٩) الضَّرِيكَ : القمير . الْمُسْتَجِيبُ : من يطرق ديار القوم ليلا فينبح ، فتجاوبه كلاب الحي

ليعرف مكانهم . الْفَرَسَانِ : الثوران الخفان . حَاتِلِ : قهقري .

تَرْزَحَ مَقْرُورًا - وَجِبَتْ هَيْبَةُ
فَا بِالْأَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا
فَأَقْسَمُوا لَوْ لَاقِيَهُ خَيْرٌ مُنَوَّقِي
وَلَنْكَ لَوْ وَاجِبَتْ إِذْ لَقِيَتْهُ
لَفَلَّ جَبَلٌ أَلْحَنَ الْقَوْمَ صِرْعَةً
فَلَيْسَ كَهَيْبَةِ الدَّارِ يَا أُمَّ ثَابِتِي
وَعَلَدَ الْفَقِي كَالشَّيْخِ لَيْسَ بِفَاعِلِي
وَأَصْبَحَ إِخْرَانُ السَّفَاءِ كَأَنَّا
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي نَسِيتُ لِيَالِيَا
إِذْ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بَغْرَةٌ

لَهَا - حَتَبَتْ تَحْتَهُ فَيَوَائِلُ (١)
وَقَدْ بَانَ مِنْهَا الْوَرْدُ عَنِ الْخِلَاحِ (٢)
لَأَبْلَكُ بِالنَّعْبِ الضَّبَاعَ الْجَبَائِلُ (٣)
فَنَازِلَةٌ أَوْ كُنْتُ عَنْ يَنَازِلِ
وَلَكِنْ قَرَنَ الظُّلُمُ لِلرُّبُ شَاغِلِ
وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلِ
سَوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَاحَ الْعَوَازِلِ
أَحَالٌ عَلَيْهِمْ جَانِبَ الرَّبِّ هَالِلِ
بِمَكَّةَ إِذْ لَمْ نَشُدُّهَا مَحَاوِلِ
وَلِذَا نَحْنُ لَأَكْفَى طِينًا لِلدَّائِلِ (٤)

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتز يومئذ من قراره :

مَنْعَ الرِّقَازَ - فَمَا أَعْصَى سَاعَةً -
سَأَلْتُ هَوِيزَانَ هَلْ أَحْزَرَ حَدَقَتَا
وَكُنِّيَّةً لَبِثْتُهَا بِكُنِّيَّةِ
وَسُئِلْتُ نِمَا الْفَوْشَ لَضِيَّةِ
فَوَرَدَتْهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَانًا لَهُ
فَإِذَا انْجَلَتْ خَرَاتِمُهُ أَوْرَتَنِي
كَلَفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ عَمِي
وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ أَقَاتَلْتُ وَاحِدًا

تَقَسَّمُ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ غَضْرُمُ (٥)
وَأَعْيَنَ غَارَتَا إِذَا مَا يَغْرِمُ
فَتَيْنِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمُلَامُ
قَدَمُهُ وَشَبُودُ قَوْمِي أَهْلُ (٦)
تَرْدُونَ غَرْفَهُ وَغَرْفُهُ الدَّمُ
تَجِدُ الْحَيَاةَ وَبَعْدَ هُنَّ مَيِّتُ
وَأَقْرَبُ أَهْلِهِ مِنْ أَهْلِي وَأُظْلَمُ
وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ تَقَاتَلْتُ خَنَمُ

(١) للمقروور : الذي أصابه القرم وهو البرد . والحذب في الأصل : الحداد للماء بشدة شبه الريح المضطربة تحت : تسوقه سوقا سريعا . يوالل : يطلب موهلا ، أي يطلب ملجأ .

(٢) لم يتصدعوا : لم يفرقوا . الوردع : القصيع . الخلال : السيد

(٣) أهلك : رجع إليك . النعب : أسفل الجبل الجبال : جمع جبل : الضبع أيضا .

(٤) بغرة : خفلة .

(٥) الدم : الإبل : المخضمة : مقطوعة أطراف الأذان .

(٦) القنم : الموضع الذي لا يقطن فيه إلا الأبطال .

وإذا بُيِّتَ المَجدِهم بِمُحْكَمٍ لا يَستوي بَانُو وَأَعْرُ بِمُحْكَمٍ
وَأَقْبَ عَنَاصِي التَّوَابِ مَارِعٍ فِي المَجْدِ يُهْنِي لُغْلُلُ مَكْرَمٍ (١)
أَكْرَمُ فِيهِ أَلَّةٌ يَزِيدُ سَحَابَةٌ يَهْدِيهَا سَيَّانُ سَلَامٍ (٢)
وَتَرَكْتُ سَحْتَهُ تَرْدُ وَلِيَّهُ وَتَقُولُ لَيْسَ عَلَيَّ فَلَائَةُ مُقَدَّمٍ (٣)
وَنَعِبْتُ قَسَى الرَّمَاحِ مُدْجِبًا مِثْلَ الدَّرِيَّةِ تُسَلِّحُ وَتُكْرِمُ (٤)

قال ابن إسحاق : وقال قاتل في موازن أيضا ، يذكرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذكر مسيرهم بالبسي إذ جموا ومالكٌ فوقه الراياتُ مَحْفُوقُ
ومالكٌ مالكٌ مانوقه أحدُ يومَ تُحْيِي عَلَيْهِ التَّاجُ بِأَتَقِ
حتى نُفِّرُوا النَّاسِ حِينَ البَاسِ يَهْدِيهِمْ طَلَبُهم اليَافِثُ وَالْأَبْدَانُ وَالْدَرَقُ
فَعَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَزُوا أَحَدًا حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى تَجَنَّهُ النَّفَقُ
نُفِثَتْ نِزْلُ جَبْرِيلَ بِصُفْرٍ مِنْ السَّيِّئِ فَهَرُومٌ وَمَعْتَقُ (٥)
مَنَا وَلَوْضِعَ جَبْرِيلَ بِمَانَا لَمُنْتَنَا إِذْ نَاسِبَانَا الْبَقِ
وَنَاتَا حَزْرَ الْفَارُوقِ إِذْ هَرُمُوا بَطَلْنُو بِلَ مِنْهَا سَرَجَهُ التَّلَقُ (٦)

وقالت امرأة من بني جشم ترى أخوين لما أصيبا يوم حنين :

أعيتُ جردًا هل مالكُ معًا والصَّلاَةُ وَلَا تَهْمُكُنَا
هَما التَّائِلَانِ أَمَا حَامِي وَقَدْ كَانَ ذَا حَقِّي أَرْبَا
مَا تَرَكَهُ لِي جَسَدُ بَوَّهَ تَزِيغًا وَمَا وَمَسَدُ (٧)

(١) الأقب : ضامر الحشر . والخصاص : كذلك .

(٢) ألة : حربة . يزيد : مضبوطة إلى ذي يزن المجري وهو أحد ملوك حمير . سحابة : صوداء . سلاجيم : طويزل .

(٣) سحابة : هي الدريئة : حائلة تصب فيعلم عليها الطعن .

(٤) المصطفى : الأخير .

(٥) الملق : الدم .

(٦) الجسد : للصبر . بالجسد : من الزعران . ولما أراد أن يهبط قد صنع بالدم .

وقال أبو ثواب زيد بن مُتَار، أحد بني سعد بن بكر :

ألا هل أذاك أن غلبت قرين	هوازن والخطوب لما شروا
وكنا يا قرين إذا غلبنا	يحيى من الغضب دم عيط ^(١)
وكنا يا قرين إذا غلبنا	كان أنوفنا فيها سموط
فأصبنا نُسوقنا قرين	سباق المير يحسوها النيط ^(٢)
فلا أنا إن سُئت الحنف آيب	ولا أنا أن ألين لهم نيف
سيتل لها في كل قبح	وتكتب في مسامها القلوط ^(٣)

ويروي الخطوط ، وهذا البيت في رواية أبي سعد

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب . وأشدني خلف الأحمر قوله يحيى من الغضب دم عيط ، وآخرهما يتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم ، ثم من بني أُنَيد ، فقال :

بشرط الله نضرب من لينا	كأفضل ما رأيت من القروط
وكنا بأهوازن حين قلنا	ثبيل الهام من حلق عيط
بجميعكم وجمع بني قيس	نحك البرك كالورق الخيط ^(٤)
أصبنا من ترائكم ولينا	بقل في البين والخطيط
به اللثا مفسرث يديه	يجع الموت كالبتكر الحيط ^(٥)
فإن تك قيس صلاي غضايا	فلا ينك يرغهم صوملي

(١) العيط : الطرى .

(٢) النيط : في الأصل قوم كانوا يكتون بين العراق والأردن أقاموا دولة عاصمتها البتراء ثم أطلقت هذه الكلمة على أخطا الناس وعوامهم .

(٣) القلوط : الكتب التي تجمع فيها الأعمال .

(٤) الكلكل : صدر المير . الورق الخيط : الذي ضرب بالعصا ليقط . شبه شدة الحرب بين قيس .

(٥) اللثا : اسم رجل . اليكر : القنق من الإبل . والنحيط : من يردد النقص في صدره .

نقسم له صوتا .

وقال خديج بن العوجاء الثوري :

لما دنونا من حُسين وما به
يلومني شبيهة لو قدفوا بها
ولو أن قوى طاوعني ترائيم
إذن ما ليّتنا جند آل محمد
رايات سواداً منكز اللون أخصفاً^(١)
شماريع من حُروري إذن عاصفصفاً^(٢)
إذن ما ليّتنا العارض المتكشفاً^(٣)
ثمانين ألفاً واستمدوا بجنيدها^(٤)

ذكر غزوة الطائف^(٥) بعد حنين في سنة ثمان

ولما قدم قتل^(٦) عفيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع القتال :
ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف هروبة بن مسعود ، ولا عجلان بن سلة ، كانا بمجرش ،
يتلمان صنعة الديابات والجانيق والنبور .^(٧)

(١) سواداً : أشخاماً . الأخضر : اللون .

(٢) اللومة : الكتيفة المجتمعة . شياه : ركيزة السلاح . السمايح : أعل الجبال . صفصفا :
مستويا بالأرض .

(٣) العارض : السحاب . المتكشف : الواضح . يشبه به جنود الليلين .

(٤) خندق : اسم قبيلة .

(٥) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف ، واسم الصدف :
ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلقب بصدف ، فأقام
فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائلاً طيف بيلكم ، فبناه . فسمي به الطائف ، وذكره اليعكري
هكذا قال : وإنما هو الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا
التي — صلى الله عليه وسلم — وبايعاه ، اسم أحدهما : الجميل ، والآخر : قبيصة ، ولم يذكرهما
أبو عمر في الصحابة ، وذكرهما غيره .

(٦) القتل : بقية الجيش المنهزم ...

(٧) الديابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها .
واللنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار ترمى الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها بناتق
وبجانيق وبخنيقات . والنبور : مثل دوسن الأسقاط يتقى بها في الحرب حدة الانصراف ،
وفي اليمن : الضبر جلود يثني بها خشب يتقى بها في الحرب .

ما قبل من الشعر في غزوة الطائف : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السب إلى الطائف :

فصينا من يهامة كل زيب	وخيبّر ثم أجمنا السيوف ^(١)
غيرها ولو نطقت لقال	فواطمئن : دوسا أو ثقيفا
فلست لحاضن إن لم تزوها	باسحق داركم منا ألوقا
وتستزع العروش بطين ورج	ولصبح دوركم منكم خلوقا
وبأيكم لنا سرعان تصيل	يفادر تطفه جمعا كنيفا
إذا نزلوا بساحتكم ممعم	لما ما أناخ بها رجيفا
بأيديهم قواضب مرفقات	يزورن للمصلين بها الخرقا
كأنالي العتاق أخلصنا	قيون الهند لم تضرب كنيفا ^(٢)
نخال جدية الأبطال فيهم	غداة الزحف جادينا مدوقا ^(٣)
أجد لم اليس لهم نصج	من الأقوام كان بنا عرفا ^(٤)
يعجزون بأنا قد جمنا	هناق الحلي والتجبت الطروفا ^(٥)
وأنا قد أتيانم برحيف	يخطئ بثور حنيم صفوقا
رئيسهم التقي وكان صلبا	نق القلب مصطبعا عزوقا
رشيد الأمر ذو حكم وعلم	وحلم لم يكن قرقا خفيفا
طليح نيتنا وطليح ربنا	هو الرحمن كان بنا رموقا
فإن تلقوا إلينا السلم قبل	ونعملكم لنا ععدا وديفا ^(٦)

(١) أجمنا : أركنا . (٢) الكنيف : الصفايح الحديد .

(٣) الجدبة : الدماء السائلة . الجادى : الإعراف . مدوق : مخطوط

(٤) أجدم : أجد منهم : عرفا : عارفا .

(٥) الطروف : نجمة الأصل .

(٦) الريف في الأصل : الأرض المحمية للذريعة خارج للدين : والبرادان يجعلهم مساعدين

لهم مستدين عنهم من ريفهم .

وإن تأتوا نجادكم ونصبر
نجاهد ما بقينا أو تُنبوا
نجاهد لا نبال من قينا
وكم من مشير ألبوا علينا
أتونا لا يرون لهم كفاة
بكل مهتد لين مقبل
لأمر الله والإسلام حتى
وتنلقى اللات والمزي وود
فأستوا قد أقروا واطمانوا
ولا يك أمرنا رعبا ضعيفا^(١)
للإسلام إذعانا مُضيفا^(٢)
أملكنا الثلاث أم الطرفا^(٣)
حجم الجند منهم والحلفا
فجدنا السامع والأتوا
تسوقهم بها سوقا ضيفا
يقوم الدين معتدلا حيفا
ونسلبنا الصلابة والشوفا^(٤)
ومن لا يتنح يقبل خسفا

فأجابه كنانة بن عبد البهل بن عمرو بن عير ، فقال :

من كان يغبنا يرث قتالنا
وجدنا بها الآباة من قبل مازى
وقد جربنا قبل عمرو بن عامر
فإننا بدائر متقل لا ترثنا
وكانت لنا أطواؤما وكرومها^(١)
فأخبرها ذو رأيها وحليها^(٢)

(١) الرض : للقلب . (٢) مضيف : ملجى .

(٣) الثلاث : المال الموروث . الطرف : المال للمحدث .

(٤) الشوف والأشاف جمع شف : حلية تعلق في أعلى الأذن .

(٥) الأطواء : جمع طوى وهى البئر ، جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعل
منها إذ كانت زائدة .

(٦) إنما قال هذا جوابا للأنصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وعمرو هو
من قبيلة ، و عامر هو ماء السماء ، ولم يرد أن الأنصار جريتهم قبل ذلك ، وإنما أراد إخوانهم ،
وم خزاعة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر في أحد القولين ، وقد كانوا حاربهم
عند نزولهم مكة ، وقال البكرى فى معنى هذا البيت : إنما أراد بنى عمرو بن عامر بن صمصمة ، وكانوا
بماورين ثقيف وأهم عمرة بنت عامر بن الطرب العدوانى ، وأختها زيف كانت تحت ثقيف ،
وأكثر قبائل ثقيف منها ، وكانت ثقيف قد أنزلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها ،
ويكون لهم النصف فى الزرع والتمر ، ثم إن ثقيفا منهم ذلك ، وتحصنوا منهم بالمناطة التى
بنو حنظل جازهم ، فحاربهم بنو عمرو بن عامر ، فلم يظفروا منهم بشئ . وجلوا عن
ذلك البلاد .

وقد علمت إن قالت الحق أنا
تقرؤها حتى يلين شربها
هلينا دلاص من تراث محرق
نرفعها عنا بيضي صوارم
إذا ما أبت مصفر الخدود نعيمها (١)
ويعرف الحق للبين ظلوها
كلون الحياء ريتها نعيمها (٢)
إذا جرت في غمر لا تشبهها (٣)
قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى الطائف :

لا تصروا اللات إن أفة مهلكها
و كيف ينصر من هو ليس ينصر
إن التي حرققت بالشدة فاشتعلت
ولم يقاتل لدى أحجارها قدر
إن الرسول متى ينزل بلادكم
يطلقن وإيس بها من أهلها بشر

الطريق إلى الطائف : قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة
السانية ، ثم على قرن ، ثم على الملحج ، ثم على بحرة الرغاء من لية (١) ، فأتى بها مسجداً فصل فيه .
قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب : أنه أقاد يومئذ بحيرة الرغاء ، حين نزولها ، بدم
وهو أول دم أقيده في الإسلام ، رجل ، من بني ليث قتل رجلاً من هذيل ، فقتله به :
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بليّة ، بحصن مالك بن عوف فهدم ، ثم سلك في طريق
يقال لما الضيقة ، فلما توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسم
هذه الطريق ؟ فقيل له الضيقة ، فقال : بل هي اليسرى ، ثم خرج منها على نجف ، حتى نزل
فاحت سدره يقال لما الصادرة ، قريباً من مال رجل من حميف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إما أن تخرج ، وإما أن نخرب عليك حائطك : فأبى أن يخرج ، فأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه .

القتال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريباً من الطائف ، فغضب به
عسكره ، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ،

(١) مصر شدة : أماله إلى حجة تكبرا .

(٢) دلاص : الدروع اللينة . محرق : عمرو بن عامر ، لأنه أول من حرق العرب بالنار .

(٣) لا تشبهها : لانغمدها

(٤) أسماء أماكن بالطائف .

فكانت النبل تالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أصيب أولئك الثغر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ، فحاصروهم بضعا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية ، فضرب لها قيتين ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقام ، فلما أسلست ثقيف بنى على مقل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجدا ، وكانت في ذلك المسجد سارية ، فيما يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع لها تقيض (١) ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاظمهم قتالا شديدا ، وتراموا بالنبل .

قال ابن هشام : ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتجنق . حدثني من أتى به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى في الإسلام بالمتجنق ، رمى أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الثلثية عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابه ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد عمدة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجلا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

أبو سفيان بن حرب والغيرة يتفاوضان مع ثقيف : وتقدم أبو سفيان بن حرب والغيرة أن شعبة إلى الطائف ، فتأديا تقيفا : أن آمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء من قريش وبني كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يخافان عليهن النساء ، فأبين ، منهن أمية بنت أبي سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبي سفيان ، وكانت عند أبي مرة بن عروة ابن مسعود ، فولدت له داود بن مرة .

قال ابن إسحاق ، والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارب ، والقيمية أمية بنت النسي أمية بن قلع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لها ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان وبامغيره : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ، إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد عليتا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، ليس بالطائف مال أبدا رشاء ، ولا أشد مؤنة ، ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود ، وإن محمدا إن

قطعه لم يصر أبدا ، فكلها فليأخذ لنفسه ، أولاده لله والرحم ، فإن يتنا ويته من القرابة
مالا يجهل ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

أبو بكر يصر نؤيا للرسول (ص) : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي
بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : يا أبا بكر ، إني رأيت أني أهديت لي قبة مملوءة زبدا ، ففترها
ديك ، ففتراني ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن يترك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لأرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف : ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص
الثعلبية ، وهي امرأة عتيان ، قالت : يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف مجلى بادية
بنت عتيان بن مقلون بن سلة ، أو حلى الفارعة بنت عقييل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة ؟
نظرت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله : ما حديث حديثي خويلة ، زعمت أنك قلت ؟ قال : قد قلت : قال أو ما أذن
لك فعم يا رسول الله ؟ قال : لا ، قال : أنلا أوذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال فأذن عمر بالرحيل .
فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج : ألا إن الهى مقيم .
قال : يقول عبيدة بن حصن : أجل ، والله بمجدة كراما ؛ فقال له رجل من المسلمين : فأنك
الله يا عبيدة ، أتمدح للمركبين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكني أريد
أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتيتها ، لعلها تلي رجلا ، فإن ثقيفا قوم
مناكير (١) .

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أنهم ، عن عبد الله
ابن مسعود ، عن رجال من ثقيف : قالوا : لما أسلم أهل الطائف تسلم نفر منهم في أولئك
السيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتيان الله ؛ وكان ممن تسلم فيهم
الحارث بن كلفة .

قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق من نزل من أولئك السيد .
شعر للضحاك بن هفان وسببه : قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا

(١) للناكير : جمع منكر : داه بطن ذكي .

لمروان بن قيس النومي ، وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فوعت ثقيف ، وهو الذي زعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس : خذ يامروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أبي بن مالك التميمي فآخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام في ذلك الضحاك بن سفيان الكلبي ، فكلّم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبي بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان في شيء كان بينه وبين أبي بن مالك :

أتقى بلائي يا أميَّ بن مالك فذاة الرسول معرضٌ عنك أشوسُ (١)
يقودك مروانُ بن قيسٍ بحبلٍ ذليلاً كما قيّد الدلولُ الخيَّسُ (٢)
فعدت عليك من ثقيفٍ عصاةً فمق يأتهم مُستقبسُ الشرِّ يقبِسوا
فبكأنوا هم المولى فعادت حلومهم عليك وقد كادت بك النفسُ تمّار

قال ابن هشام : « يقبسوا » عن غيد ابن إسحاق .

الشهداء يوم الطائف : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف .

من قريش ، ثم من بني أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية . ومُحرقة ابن جَنَاب ، حليف لهم ، من الأسد بن النوث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق : ومن بني تميم بن مرة : عبد الله بن أبي بكر الصديق ، روى بهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بني عذرة : عبد الله بن أبي أمية بن المفرة ، من رمية رُمي بها يومئذ .

ومن بني عدي بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بني سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدي ، وأخوه عبد الله ابن الحارث .

ومن بني سعد بن ليث : ثعلبة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بني سلّة : ثابت بن الجذع .

(١) الاشوس : من يعرض نظره إلى جهة أخرى . (٢) الخيَّس : المذلل .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبي حصصة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان بن معاوية .

جميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ، سبعة من قریش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بني لُيث .

قصيدة بجير بن زهير في حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت لخلالة يومَ جلي ثخين وغداة أوطاس يومَ الأبرق (١)
جمعتُ بغوايَ هوازنُ جمعها فتبدوا كالطائر المنزق
لم يجمعوا منا تقاماً واحداً إلا جدواهم ووطن الحقدق
ولقد تعرضنا لكبا يفرجوا فحصبونا منا ياب مغلق
ترعدُ حصراناً إلى رجراجة شباء تلمع بالنابا قيلي (٢)
ملومفر خضراء لو قدفوا بها جحنا لظل كأنه لم يخلق (٣)
تثقي الشراء على المراس كأننا قدُورُ تفرق في القباد وتلق (٤)

❦

(١) الملاة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جميعاً علاة في ذلك اليوم ، وحلف التووين من علاة ضرورة ، وأضر في كانت اسمها ، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أول من التزم الضرورة القيسية بالنصب ، ولكن ألفيت في النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم عقوقاً بالإضافة جاز في علاة أن يكون منصوباً على خبر كان ، فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع في علاة مع إلفتها إلى يوم ، على أن تكون كان قامة مكنتية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسماً علماً للمصدر مثل برة ولجار ، وينصب يوم على الطرف كالتقدير في النسخة . انظر الروض الآف ٤ : ص ١٦٥ .

(٢) حصراناً ، جمع : حصير وهو الكليل . والرجراجة : الكنتية الضخمة من الرجرجة ، وهي شدة الحركة والاضطراب . وقيل : من القلق ، وهي الهداية .

(٣) ملومة : مجتمعة . خضراء : ظهير كذلك للكثرة ما عليها من الحديد . حنين : اسم جبل .

(٤) الصخر : الكلاب . والمراس : نوع من الشوك ، والكلاب إذا مشيت في المراس ألفت لأيديها موضعاً ثم تضع أرجلها موضع أيديها . شبه الخيل بها . والتندر : الرعول للسهة .

(٥) - البهجة النبوية ، ج ٤ .

في كلِّ ما بقى إذا ما استحصت كالثبي هبت ويحه المرقق^(١)
مجدل تمش فتولن نمانا من نسج داود وآل محرق^(٢)

أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا التولقة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دُخَانٍ حتى نزل
الجعرانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم
ظن من شيب : يا رسول الله ، ادع عليهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد
تقيها وأيت بهم .

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن
مئة آلاف من الذراري والنساء ، ومن الإبل والنساء ما لا يدري ما عدته .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو : أن وفد
هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا أصل
وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ، فامن علينا ، ممن الله عليك . قال : وقام
رجل من هوازن ، ثم أخذ بنى سعد بن بكر ، يقال له زهير ، يكنى أبا حُرد ، فقال :
يا رسول الله ، إنا في المظالم عماتك وغلاتك وحواضتك^(٣) (الآتي كن يكفلتك ، ولو أنا
تملأنا الحارث بن أبي شمر ، أو التيمان بن المنذر ، ثم نزل منا بمنزلة الذي نزل به ، وجونا
عطفه وعائده علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويروي ولو أنا تملأنا الحارث بن أبي شمر ، أو التيمان بن المنذر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال :
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا :
يا رسول الله ، خيرتا بين أموالنا وأحبائنا ، بل ترد إلينا نسأؤنا وأبنائنا ، فهو أحب إلينا .
فقال لهم : أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا

(١) الثبي : القدير سمي بذلك لأنه ماء نهاء ما ارتفع من الأرض من السيلان فوقف .

(٢) المجدل : المنسوجة نسجا عكيا . آل محرق : آل عمر بن هند ملك الحيرة .

(٣) حليمة السعدية هي من بنى سعد بن بكر . (٤) ملأنا : أرضعنا .

فَقُولُوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونساءنا
فسأعطيك عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ،
قاموا فشكروا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ما كان لي ولبنی
هبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأقرع بن حابس :
أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس
أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال : يقول عباس بن مرداس لبني سليم : وستموتون .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله لكل
إنسان ست فرائض ، من أول سبي أصيبه . فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو قحزة يزيد بن عبيد السعدي : أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أعطى علي بن أبي طالب رضى الله عنه جارية ، يقال لها زينة بنت هلال بن حيان بن غيرة
ابن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية ،
يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لبيد الله
ابن عمر ابنه .

قال ابن إسحاق : لحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : بنت
بها إلى أخوال من بني جمح ، ليصلحوا لي منها ، ويبيتوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتتهم ،
وأنا أريد أن أصليها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس
يشتمون ؛ فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبنائنا ؛
فقلت : تلکم صاحبکم في بني جمح ، فاذموا غلظوها ، فذهبوا إليها ، فأجذروها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن ، فأخذ صجورا من عجائر هوازن ، وقال حين
أخذها : أرى صجورا لي لأحسب لها في الحى نسا ، وعسى أن يتظلم قداؤما فلما رد رسول
الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض ، أبي أن يردها ، فقال له زهير أبو صرد : خذها
هذك ، فو الله ما فوها يبارد ، ولا تمسها بتاهد ، ولا يطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد (١) ،
ولا ذرها بما كد (٢) . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أن عيينة لقي

(٢) للأك : التزير .

(١) الواجد : الحزين .

الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بضعاء غيرة ، ولا نَصفاً
وعسيرة^(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألمهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟
فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن
أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيت مائة من الإبل ؛ فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من
الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر بإراحته فبيث له ، وأمر بغرس له ، فأتى به إلى الطائف ، فخرج
ليلاً ، جلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فلقق
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجرانة أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه
مائة من الإبل ، وأسلم لحسن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعت بخيـ
أوفى وأعلى للجزيل إذا اجتـ
وإذا الكتيبة تخرزت أنباها
فكأنه ليـ
في الناس كلمهم بخلي محمد
ومنى تفتأ يضربك عما في خـ
بالسهمى وضرب كل شهـ
وشط الحباقة غادر في مـ

فاستلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛ وذلك القائل : **فكأنه**
ويكأنه^(٢) ، وقسم فكان يقاتل بهم ثقيفاً ، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم
فقال أبو عبيد^(٣) بن حبيب بن عمرو بن عيمر الثقفي .

هايت الأعداء جانيـ
وأنا مالـ
وأوتوا في منازلـ
ثم تغزونا بنو سـ
فأعنا العبد والمـ
ولقد كنا أولى نصـ

(١) الغيرة متوسطة السن ، وكذلك الصف أيضاً . والويرة : السمينة .

(٢) قال السهـ : هكذا تهيد في النسخة - بكسر اللام - ؛ والمعروف في قبائل قبـ
سامة - بالفتح - .

(٣) اسم : مالك بن حبيب ، وقيل عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عيمر بن عوف بن عتدة بن
غيرة بن عوف بن قيس الثقفي .

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سنابل حنين إلى أهلها، ركب، واتبه الناس يقولون: يا رسول الله، اقم علينا فيأنا من الإبل والغنم، حتى أجتوه إلى شجرة، فاخطفقت عنه رداءه؛ فقال: أدوا على رداي أيها الناس، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجرتيامة ثمنما لقمته عليكم ثم ما ألتيموني بخيلا ولا جباناً ولا كذاباً، ثم قام إلى جنب بعر، فأخذ وبرة من سنامه، فجعلها بين أصبعيه، ثم رفعها، ثم قال: أيها الناس، والله ما لي من فيسكم ولا هذه البرة إلا الخنس، والخنس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط^(١)، فإن الغلول^(٢) يكون على أهله عاراً وناراً وشتاراً^(٣) يوم القيامة. قال: فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي دبر؛ فقال أما نصيب منها فلك قال: أما إذ بلغت هذا فلا حاجة لي بها، ثم طرحها من يده.

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة، وسيفه متلطيخ دماً. فقالت: إني قد عرفت أنك قد قتلت، فإذا أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: ذونك هذه الإبرة تخطين بها ثيابك، فدفعتها إليها، فسمع نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أخذ شيئاً فليرده، حتى الخياط والمخيط. فرجع عقيل، فقال: ما أرى إبرتيك إلا قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم.

قال ابن إسحاق: وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير وأعطى الحارث بن الحارث بن كعدة، أخا بني عبد الحار مائة بعير.

قال ابن هشام: فخصير بن الحارث بن كعدة، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً.

قال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى شئيل بن عمرو مائة بعير، وأعطى حوثل بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي، حليف بني زهرة مائة بعير، وأعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس القيمي مائة بعير. وأعطى مالك بن عوف النضري مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير، فهؤلاء أصحاب الكمين.

(١) الخياط. الخيط: والخيط آلة الخياطة (الإبرة).

(٢) الغلول: الخيانة. (٣) الشتار: الأمر الفحيح المنع.

وأعطى دون المائة رجلاً من قريش ، منهم غزامة بن نوفل الزهري ، وعيمر بن وهب الجلي ، وهشام بن عمرو أنجب بن عاصم بن لؤي ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن ربوع بن عككفة بن عامر بن غزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمي خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدي بن قيس .

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها ، فتاب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت ينسابا	تلافيتهما	بكرى على المنز في الاجترع
ولما طأى القوم	أن برقدوا	إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نبي ونهب العيب		يد بين عينة والأقرع ^(١)
وقد كنت في الحرب ذا تدبر		فلم أخط شيئا ولم أمنع
إلا أفانسل أعطيتما		عدي قوائما الأربع ^(٢)
وما كان حصن ولا حابس		يفوقان شينى في المجمع ^(٣)
وما كنت دون امرئ منهما		ومن تضع اليوم لا يرفع

قال ابن هشام : أنشدني بولس الشعوى :

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن عباس بن مرداس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القتال :

فأصبح نبي ونهب العيب بين الأقرع وعينة^(٤) ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عينة والأقرع ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما

(١) العيب : فرس عباس بن مرداس .

(٢) الأقال : أصاغر الإبل . (٣) شينى : أى .

(٤) لم ينطق عليه الصلاة والسلام البيت موزوناً لأنه لا يقول الشعر وإن كان يستمعه ويستجده . يقول سبحانه وتعالى : « وما غلبناه الشعر وما ينبغي له » .

واحد : فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وما علمناه النبوة وما يفتنى له » .
قال ابن هشام : وحدثني من أتق به من أهل العلم في إسناده ، عن ابن شهاب الزهري ،
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قريش وغيرهم ، فأعظم يوم الجعرانة من غنائم حنين .

من بني أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطلحة بن سفيان بن أمية ،
وبنوه بن أسيد بن أبي المص بن أمية .

ومن بني عبد الدار بن قصي : شعبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد
الدار ، وأبو النضر بن جهم بن الحارث بن عتبة بن السائب بن عبد الدار ، وعكرمة بن
عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بني عزم بن قطة : زهير بن أبي أمية بن المغيرة ، والحارث بن هشام بن المغيرة ،
وبنوه بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله
ابن عمرو بن عزم ، والسائب بن أبي السائب بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن عزم .
ومن بني عدي بن كعب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن قطة ، وأبو جهنم بن حذيفة
ابن غانم .

ومن بني جهم بن عمرو : صفوان بن أمية بن خلف ، وأختة بن أمية بن خلف ، وعمر بن
وهب بن خلف .

ومن بني سهم : عدي بن قيس بن جذاعة .

ومن بني عامر بن لؤي : حوثل بن عبد النضر بن أبي قيس بن عبد مده وهشام بن عمرو بن
ربيعة بن الحارث بن حبيب .

ومن أبناء التباثل : من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية بن عروة بن هضر
ابن رزح بن يعمر بن قحافة بن عدي بن التباثل .

ومن بني قيس ، ثم من بني عامر بن صعصعة ، ثم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة : علقمة بن غلاة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وليد بن ربيعة بن
مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن ربيعة : خالد بن قوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر
ابن صصمة ، وحرمة بن قوذة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بنى سليم بن منصور : عباس بن مرداس بن أبي عامر : أخو بني الحارث بن ميمنة
أبين سليم .

ومن بنى عطفان ، ثم من بنى قوارة : حنين بن حصن بن حذيفة بن بدر .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرع بن حابس بن عقال ، من بني جاشع بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن قائلا قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت هيئة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ،
وتركت لجبيل بن سراقه الفخري ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذي نفس محمد
بيده لجبيل بن سراقه خير من يطلع الأرض ، كلم مثل هيئة بن حصن والأقرع بن حابس ،
ولكني تألفتها ، وكلت جبيل بن سراقه إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عامر بن بأس ، عن مقيّم أبي القاهم ،
مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي ، حتى أتينا عبد الله
ابن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، فمكنا معه بيده ، فقالا له : هل حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين كله القيمي يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بني تميم ، يقال له
ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يطلى الناس ، فقال : يا محمد ، قد رأيت ما صنعت في هذا
اليوم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ؛
قال فنضب التي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عدلي ، فعدنم يكون ؟
فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال لا ، دعه فإنه سيكون له شيمة يسمعون
في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الزينة فيئطر في الثصل ^(١) ، فلا يوجد شيء ،
ثم في القيدح ^(٢) ، فلا يوجد شيء ، ثم في القوق ^(٣) ، فلا يوجد شيء ، سبق القوق ، وألمم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر يثمل حديث أبي عبيدة ،
وصياه ذا الخويصرة .

(١) الثصل : حديث السهم . (٢) القيدح : السهم . (٣) القوق : طرف السهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نعيم ، عن أبيه بنثل ذلك .
قال ابن هشام : ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وقبائل العرب .
ولم يعط الأنصار شيئاً ، قال حسان بن ثابت يمانه في ذلك :

زادت هموم فاء المين منحدر	نسناً إذا حقلها عبدة كدود ^(١)
وجداً بشاة إذ شماء بهكنة	هيفاء لادنس فيها ولا غور ^(٢)
ذبح حلك شماء إذ كانت مودتها	نور أو شرو صال الواصل النذر ^(٣)
وأتى الرسول قتل ياخذ مؤتمن	للمؤمنين إذا ما أخذ البشر
علام تدعى ملهم وهي نازحة	فدام قوم هم أتوا وهم فصرنا
ساهر الله أنصاراً بصيرهم	دين الملقى وعوان الحرب بيسر
وسارعوا في سبيل الله واعتروا	للتأنيبات وما خاموا وما شجروا ^(٤)
والناس ألسبطينا فيك ليس لنا	إلا السيوف وأطراف القنا وزر ^(٥)
نجائنا الناس لا تبقى على أحيد	ولا نصبح ما نوحى به العود
ولا يفر جناد الحرب فادينا	ونحن حين تلقى نارها نحر ^(٦)
كما رددنا يمين دون ما طلبوا	أهل التفاني وفينا ينزل الظفر
ونحن جندك يوم النعب من أحمي	إذ جربت طراً أحزابها مضر
فأوتينا وما يمننا وما خدروا	منا عفاراً وكل الناس قد عثروا ^(٧)

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثني حاتم
ابن عمر بن قنادة ، عن محمود بن ليد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما أعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما أعطى من تلك الغنما ، في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار

-
- (١) حقله : جمعه . درو : سائلة . (٢) بكعة كثيرة اللحم . هيفاء : ضامرة الخصر .
(٣) النذر : القليل . (٤) اعتروا : صبروا . ما خاموا : ما جبنوا .
(٥) ألب : مجتمعون . الورز : للرجل .
(٦) لآخر : لا تكره . جناة الحرب : المحاضنون غارها . سبر : الذين يوتدون غارها
(٧) خننا : جينا .

منها شيء، وتجد هذا الحى من الانصار في أنفسهم، حتى كثرت عليهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لئى والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه، فدخل عليه سعد بن عباد، فقال: يا رسول الله: إن هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك في أنفسهم. لما صنعت في هذا القى. الذى أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظيما في قبائل العرب. ولم يك في هذا الحى من الانصار منها شيء. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قوى. قال: فاجمع لى قومك في هذه الحظيرة. قال: فخرج سعد، لجمع الانصار في تلك الحظيرة. لجاء رجال من المهاجرين فركبهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردم. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الانصار: ما قاله بلغتنى عنكم، وجدة^(١) وجدتموها على في أنفسكم؟ ألم آتكم صلا لا فهذاكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، الله ورسوله آمن وأفضل، ثم قال: ألا تهيبوننى يا معشر الانصار؟ قالوا: بماذا تهيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المن والفضل. قال صلى الله عليه وسلم: أما والله لو شئتم لقتلتم، فلصدقتهم ولصدقتهم: أغنتنا مكدنا فصدقتناك، وعخذولا فنصرناك، وطربنا فآويناك، وعانلا فأسيناك. أو جدتم يا معشر الانصار في أنفسكم، في لقاعة^(٢) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلوا، ويكذبكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الانصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذى نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار، ولو سلك الناس شيعنا وسلكت الانصار شيعنا، لسكنت شيعت الانصار. اللهم ارحم الانصار، وأبناء الانصار، وأبناء أبناء الانصار.

قال فيكى القوم حتى أخذوا الحام، وقالوا: رضينا برسول الله فنبأ وحظا. ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفرقوا.

-
- (١) الجدة: مصدر وجد، أى وجدتم في أنفسكم شيئا.
- (٢) اللقاعة: الخصب، أو شجرة خضراء، شي بها نعيم الدنيا.

عمرة الرسول من الجحزة

واستخلفه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجحزة معتمرا ، وأمر ببقايا
النبي بالحبس بمنجته ، بناحية مَرَّ الظُرَّانَ ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف
راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل ، يقيه الناس
في الدين ، ويعلمهم القرآن ، وأُتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا النبي .

قال ابن هشام : وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم
عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام خطيب الناس ، فقال : أيها الناس ،
أجاء الله كيد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ،
فأبست في حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، فقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة في بقية ذي القعدة أو ذي الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذي القعدة
فما زعم أبو عمرو للدعي .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين
تلك السنة عتاب بن أسيد ، وهي سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف حل شركهم وامتاعهم في طائفتهم
ما بين ذي القعدة إذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بجنيته بن زهير بن
أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجلا بمكة ،
عن كان يهجو ويؤذي ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزبيري وخبيرة بن أبي وهب ،
قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة ، فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فإنه لا يقتل أحدا جامعا قائما ، وإن أنت لم تفعل فأنج إلى تيمالك من الأرض ؛ وكان كعب
ابن زهير قد قال :

ألا أبلغا عنى بجهرا رسالة
فبين لنا إن كنت لست بفاعل
على خلقى لم ألق يوما أباه
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف
سقاك بها للأموث كاسا زوية
فإنك للأموث منها وعلكا^(١)

قال ابن هشام : ويروى « للأموث » . وقوله « فبين لنا » : عن غير ابن إسحاق .

وأشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

من مبلج عنى بجهرا رسالة
فبين لك فيما قلت بالحيف مل لك^(٢)
شريت مع للأموث كاسا زوية
فإنك للأموث منها وعلكا
وعالفت أسباب الهدى واجبت
على خلقى لم تلق أباه ولا أباه
فإن أنت لم تفعل فلست بأسف
فإنك للأموث منها وعلكا^(٣)

قال : وبمت بها إل بجير ، فلما أت بجيرا كره أن يكتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سقاك بها للأموث » صدق وإنه
لكذوب ، أنا للأموث . ولما سمع : « على خلقى لم تلق أباه ولا أباه عليه » قال : أجل ، لم يلق عليه
أباه ولا أمه .

ثم قال بجير لكعب :

من مبلج كذا قبل لك فى التى
إلى الله - لا المزى ولا اللات - وحده
لنى يرم لا ينحو وليس يخلط
تروم عليها باطلا وحق أحرم
فتجو إذا كان النجاء وتسلم
من الناس إلا طاهر الخلق مسلم

(١) لما لك كلمة قال العاز دعاه له بالإقامة . أنشد أبو عبيد : فلا لما لى فلان إذا عثوا .
(٢) ويروى : المحمود فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود : عمداً - صلى الله عليه وسلم -
وكذلك للأموث والأمين كانت قرش تسمى بهما التى صلى الله عليه وسلم قبل النبوة . التهل :

الشرب الأول . والبال الشرب الثانى .

(٣) الحيف : خيف منى (٤) ويب : هلاك . أى هلكك ملاك خيرك .

زيد بن زهير وهو لاشيء دينه ودين أبي مسلمي حتى تحرم
قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « لأمون » ، ويقال : « للأمور » في قول ابن هشام
يقول قرئش الذي كانت تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كعب بن زهير وقصيدته : قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض ،
وأشقق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم
يجد من شيء بدأ ، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه
وإرجاف الرشاء به من عدوه . ثم خرج حتى قدم المدينة ، فزل على رجل كانت بيته وبه
معرفة ، من جهة ، كما ذكر لي ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ،
فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه فتذكر . لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ،
فقال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تأمنا مسلما ، فهل أنت قابل منه
إن أتاك جئتكم به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يا رسول الله كعب
ابن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وبب عليه رجل من الأنصار ، فقال
يا رسول الله ، دعني وعدو الله أضرب حقه ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه عتلك
فإنه قد جاء تأمنا ، نازعا عما كان عليه . قال فضرب كعب على هذا الحى من الأنصار ، لما
صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي
قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعاد فقلبي اليوم تنبؤ
متمم إثرما لم يفلح تكبول^(١)
وما سعاد غداة البين إذ رسلوا
إلا أغش غضبي الطرف مكبول^(٢)
هيفاء مقبة عجاء مسدرة
لا يشتكي قصر منها ولا طول^(٣)

(١) بانت : فارت فراقا بعيدا . متمم : ذليل مستعبد : تنبؤ : أسقمه الحب وأحماه .
لم يفلح : لم يخلص من الأسر : مكبول : لا يجد فكاهة من التقيد .

(٢) غداة البين : صيحة الفراق . أغش : أى غطي أغش في صوته حسن . غضبي الطرف :
قاربه . مكبول : أسود الجفون .

(٣) هيفاء : حاضرة البطن والخصر . العجاء : خنعة العجز . لا يشتكي : لا يباب .

تجلى عوارض ذى ظلمك إذا اقتضت كانه منبهل بالراح معلول^(١)
 شجت بذى شيم من ماء تحية صاب بأطح أضى وهو مشمول^(٢)
 تنى الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب غادى يضى يغليل^(٣)
 فإلما خللة لو أنها صدقت بوعيدا أو لو أن النصع مقبول^(٤)
 لكنها خللة قد يسط من ديمها تلجج ولج وإخلاص وتبدل^(٥)
 فإ تدوم على حال تكون بها كاتلون فى أنواها القول^(٦)
 وما تمسكك بالهدى الذى زعت إلا كاتنجيك الماء الغرايل^(٧)
 فلا يفرتك ما منت وما وعدت إن الآمانى والأحلام تضليل^(٨)
 كانت مواعيد عروق لما مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل^(٩)

- (١) تجلى: تفصل وتظهر وتكشف: العوارض: الأسنان التى تظهر عند الضحك: الظلم: ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضا التلجج شبهت به الأسنان. النهل: السقى وهو الشرب الأول. الراح: البحر. معلول: اسم مفعول من عل، والمعل الشرب الثانى.
- (٢) شجت: مزجت حتى انكسرت سورتها ذى شيم: ماء شديد البرد. محنية: منعطف الودى. ماؤه أسنى وأبرد وألذ. أبطح: حسيل واسع فيه حصى دقيق. أضى: أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد الحر. مشمول: ضربته ريح الشمال حتى برد.
- (٣) تنى: تبعذ. القذى: كل غريب يقع فى الماء من بين ونحوه. أفرطه: سبق إليه وملاؤه. صوب: مطر سحابة. غادية: مبكرة. يضى يغليل: حباب يعلو وجه الماء أو الجبال الشديدة البياض يحدر عليها ماء المطر.
- (٤) الخللة: الصديقة والخليلة.
- (٥) سيط: خلط. لجج: إصابة. ولج: كذب فى إخفاء المحبة. إخلاف: خلف الوعد. أى أن هذه الصفات قد خلطت بدمها.
- (٦) القول: ساحة الجن تظهر فى القلاة بالوان شتى، تضلل من يتبعها.
- (٧) ما تمسك: أى لا تمسك. (٨) فلا يفرتك: فلا يخدعك. ما منت: أى ما منتك به من الوصل. الآمانى: ما يرجوه الإنسان من الآمال. الأحلام: ما يتخيله التائم. تضليل: سبب فى ضلال الإنسان عن وجه الصواب.
- (٩) عروق: رجل اشتهر بخلف الوعد فغضب به للنل، قال علقمة:
 وجدت وكان الخلف منك سجية مواعيد عروق أخاه يثر ب
 والأباطيل: جمع باطل، جمعه على غير القياس.

أرجو وأمل أن تدنو مودتها وما إخال لدينا منك تحويل^(١)
أمت سعاد بأرضي لا يملكها إلا العناق الحجيات المراسيل^(٢)
ولن يملكها إلا الخدافة لما على الآتي إرقال^(٣) وتبيل^(٤)
من كل فضاخو الذفرى إذا عرفت صرغتها طامس الأعلام مجهول^(٥)
ترى القيوب بيتى مفردى يلقى إذا توددت الحزان^(٦) ولليل^(٧)
منهم مقلها فعم مقلها في يلقها عن بات الصل تفضيل^(٨)
غلباء وجناء ملكوم مذكرة في دقا سمة قدامها ميل^(٩)
ويجلىها من أطوم ما يؤثى يطلع بضاحية رالتين مهزول^(١٠)

(١) تدنو : تظهر ، إخال : بكسر الحزة لغة تعيم بمعنى أظن . تحويل : الوصل والعطاء .
(٢) العناق : جمع حنق : الكريم . الحجيات : جمع نجية : الحديقة السريعة . المراسيل
جمع مرسال ، السريعة أيضاً .

(٣) الخدافة : الناقة القوية العظيمة . الآين : الثعب . إرقال وتبيل : ضربان من
القتل السريع .

(٤) فضاخو : كثيرة رشح العرق . الذفرى : قرة توجد خلف أذن الناقة . عرضها :
ممتها . طامس : دارس . الأعلام : العلامات التي تكون في الطريق ليهتدى بها .
يصف ناقته السرعة والنشاط حتى تمرق وهي متعودة على الأسفار تعرف الطرق بلا علامات .
(٥) القيوب : آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون . مفرد : ثور وحش مفرد في
الصحراء . ليل : أبيض . الحزان : الأمكنة النائية الصلبة فيها حباء كثيرة . الليل : الكتمان
الضخم من الرمال .

(٦) مقل : موضع الثلاثة من العنق . فعم : يمتلئ . مقيد : موضع التيد ، أى قوائمها .
وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها .

(٧) غلباء : غليظة العنق . وجناء : عظيمة الوجنتين : علكوم : شديدة . مذكرة : تشبه
الذكر في عظم الحلقة : الدف : الجنب . قدامها ميل : كناية إما عن سعة الخطو
أو طول العنق .

(٨) الأطوم : السلحفاة البحرية أو الزرافة غليظة الجلد . يؤثى : يؤثر فيه . طلع :
حشرة صغيرة تآكل بالجلد . وهى ما يعرف بالقراد . الضاحية الناحية الظاهرة للشمس . التين :
ما اكتشف صلبها عن عجين وشمال . ومهزول : صفة لطلع . أى قراد مهزول .
والمعنى أن جلد هذه الناقة غاية في الملاسة فلا يؤثر فيه القراد ولذلك هو مهزول .

حرف، أخوها أبوها من هَيْبَتِهِ وعَمَّا خالما قَوْدَاهُ شَيْلِيلٌ (١)
 يَنْبَى القَرَادَ طَلَسَا ثُمَّ يَرْفَعُهُ مِمَّا قَبْلَهُ وَأَقْرَابُ زَهَالِيلُ (٢)
 عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَحْضِ مِنْ مَرْفَعَتِهِ عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَقْتُولٌ (٣)
 كَأَنَّمَا فَاتَتْ مِنْ عَيْبِهَا وَمَذَبِهَا مِنْ تَطْلِيمِهَا وَمِنْ اللَّحْيَيْنِ يَرْطِيلُ (٤)
 تَبِيرٌ مِثْلُ صَيْبِ الْخَلِّ ذَا تُخْصَلِي فِي غَارِزٍ لَمْ تَحْشَوْهُ الْإِسْهَالِيلُ (٥)
 قَوْدَاهُ فِي حَمَرَتَيْهَا الْبَصِيرِ بِهَا يَحْقُ شَيْبٌ وَفِي الْحَدِيدِ تَسِيلُ (٦)
 تَحْدَى عَلَى يَسْرَاتٍ وَفِي لَاحَةِ ذَوَابِلِ مَسْمُونٍ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ (٧)

(١) حرف : أى هى حرف أو كأنها حرف فعل الاول يكون الحرف : الضامرة وعلى الثاني يكون شهما بحرف الجبل وهى القطعة الخارجة منه . أبوها أخوها ، وعمها خالما : أى مداخلة النسب كزبيته لم يدخل فى نسبها غريب . المهجنة : كزبيته الأبوين . قوداه : طويلة الظهر والنتق . شليل : سريعة فى خفة .

(٢) يرفعه : يسلطه . لبان : صدر . أقراب : خواصر . زهاليل : جمع زهلول . أملس . والمعنى : أن هذه الناقة لتومتها لا يثبت القراد على جسدها .

(٣) عيرانة : أى هى ناقة تشبه عير الوحش فى قوته وسرعته ونشاطه . النحض : اللحم عرس : بجانبه . المرفق : موصل الذراع فى الضد . بنات الزور : ما يتصل به بما حول مرفقها من الأضلاع .

والمعنى : أن مرفق تلك الناقة بعيد عما حوالى الصدر من الأضلاع فتكون محفوظة عن الضغط لأن مرفقها بعيد عن أضلاعها .

(٤) فات : تنعم : مذبحها : مكان الذبيح من الرقبة . الحظم : الأظفار بما حوله . اللحيان : العظامان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى . يרטيل : حجر . شليل : أو معول من حديد . (٥) عيب التخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص . ذَا تُخْصَلِي : أى ذيل له لثاقف من الشعر . الغارز : الفرس . تنوعه : تنقصه . الإسحاليل : يخرج اللبن مفردة : لإحليل .

(٦) الألواناء : مجموعة الألف . الحمران : الإذنان . عتق : تكرم . ميين : واضح . تسهيل : سهولة ، أى لاختشونة فيها .

(٧) تَحْدَى : تسرع ، يسرات : أى قوائم يسرات واليسرات : الخفاف . لآحة : ساقية . الزوايل : الرماح الصلبة . تحليل : قليل .

والمعنى : أن هذه الناقة سريعة لاجس الأرض إلا مسا سريعا لشدة عدوها .

تمتد الشجرات بتركن الحصى زرعاً
 كأن أزبت ذراعها وقد عرفت
 يوماً يقلب به الحرياء مصطليداً
 وقال لتقوم حاديهـ وقد جعلت
 قد التهار ذراعاً قتيلاً فمـ
 قواحة رخوة الشبهين ليس لنا
 قفري البان بكفيا ويدرعها
 لم يجيئ رموس الأكم تعميل^(١)
 وقد تفتح بالقرى الصاقيل^(٢)
 كأن ضاحية بالشمس ملول^(٣)
 وزر الجنادى بركن الحصايلوا^(٤)
 قامت لجوابها مكثد مأكيل^(٥)
 كما نرى يكرها الناعون معول^(٦)
 مشفق عن تراقيا رعائل^(٧)

- (١) قصبات: الأصحاب المتصلة بالخافر . يا : مفعول لاكم الأرض المرتفعة . التعميل :
 موشد العمل على ظهر الأداة ليصنع الحجارة .
 (٢) الأرب : مرتعة قلب ورجوع ذراعها . تفتح : التفت . القور : جمع قارة : الجبل
 الصعب . الصاقيل : القوام .
 (٣) الحرياء : نزع من الثياب البالية . مصطليداً : محترقاً بحرارة الشمس . ضاحية : بارز
 للشمس منه . ملول : محروق .
 (٤) الحادى : سائق الإبل . ورق : جم أوراق أو ورقه . وهو الأخضر الذى يضرب
 إل السواد . الجنادى جمع جندي : نوع من الجراد . يركض : يفتن . قوا : خذوا
 واحكم وقت القيلة .
 (٥) شد النهار : وسطه . عطل : طويته . نصف : متوسطة السن وهو غاية قوتها .
 مكثد : من لا يميز لمن ولد . مأكيل : جمع مكال . كثيرة فقد الأولاد .
 والمعنى : يشبه سرعة حركة يد هذه الناقة يمدى امرأة قوية تلطم عليها فيجأونها نسوة
 تكال فيشتد لطمها .
 (٦) نواحة : كثيرة الشرح . صيغة بالغة من فاعلة . رخوة : مسترخية . الضدين :
 الضدين . بكر : الولد الأول . الناعون : المخبرون بالمرث . مشقول : عقل .
 والمعنى : شبه هذه الناقة بتلك المرأة في تلك الأحوال فالتأفة في هذه الحالة ليس لها عقل
 تدرك به الذب والإعياء .

(٧) تفرى : قطع . البان : تغيير . اللرم : الترميم . تراقى : جمع ترقوة . عظام
 الصدر . رعائل : قطع أى : أن هذه المرأة لا عاب عظاماً قطع قيمتها بأفانها . قصيصا :

تسعى الفؤاد تجنبا لها وفروا
وقال كلُّ صديق كذب الله
قلبك خلوا سبيل لا آبا لكم
كلُّ ابن أختي وإن طالت سلامته
ننبئ أن رسول الله أوعدني
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة
لا تأخذن بأقوال الوشاة ولم
لقد أقروا بمقاما لو يقوم به
لظل يرضى إلا أن يكون له

إنك يا ابن أبي سلمي تقتول^(١)
لا ألميتك إنى عنك مشقول^(٢)
فكل ما يقدر الرحمن مفعول^(٣)
يوما حل آله حذباء محول^(٤)
والغزو حذر رسول الله مأمول^(٥)
قرآن فيها مواضعه وتفصيل^(٦)
أذنب ولو كثرت في الأقاليل^(٧)
أرى وأسمع ما لو يسمع القيل^(٨)
من الرسول بإذن الله تويل^(٩)

== مشقوق يظهر عظام الصدر يشبه بها الناقة في ذهاب عقلها فلا تحس بحقيقة السير .
ومكذا استقصى كعب أوصاف الناقة في الآيات السابقة وانتقل بعد ذلك إلى قول
المرجفين ٤ .

- (١) الفؤاد : للفسوس . جنابها : حوالها . مقتول : متوعد بالقتل .
- (٢) ألمه : أترجاه وأتمنى إرضائه . لا ألميتك : أى لا أغفلك عما أنت فيه من الخوف فأعمل
لنفسك واتكل عليها .
- (٣) خلوا سبيل : أتركوا لأتق بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فإني أعلم أنه يقبل
التائب ولن يطالبني بما كان قبل إسلامي .
- (٤) آله حذباء : نفس .
- (٥) ننبئ : أخبرنا . أوعدني : تهددني بالقتل . مأمول : مرجو .
- (٦) هداك : هداك ربك للصفح عنى والغفر ، أو زادك هدى ، فإنه لا يهدي له بالهدى لأنه
هو الهادي الهدى . نافلة : زيادة لأن القرآن هدية زائدة عن النبوة ومنحة الرسالة .
- (٧) لم أذنب : لم أخطئ . فى حقاك .
- (٨) مقام : مجلس النبي صلى الله عليه وسلم يقوم : يحضر .
- واللهي . أن الشاعر حضر جلسه صلى الله عليه وسلم بقصر بالحيرة ولوحضر هذا المجلس
القبيل لاضطرب من شدة الأمر .
- (٩) يرد : تأخذه الرعدة بسبب الخوف . تويل : عظمه .

حتى وضعت يميني ما أنازعه
فلقوا أخوف حصى إذ أكلته
من ضميم خضراء الأرض عذرة
يندو فيلحم خرفامين عيشهما
إذا يساور قرنا لا يحل له
منه قتل سباع الجو فافرة
ولاء يرال براديه آخر تقي
آن الرسول لئور يستنائه به
أور خصبة من قرنيش قال قائلهم

في كفت ذي تقمايت قبله القيل (١)
وقيل إنك منسوب ومشتول (٢)
في بطن صخر غيل دونه غيل (٣)
لحم من الناس مغفور خراويل (٤)
أن يترك القرن إلا وقت مفلول (٥)
ولا تمشي براديه الأراجيل (٦)
مضرج البر والدرسان ما كول (٧)
مهند من سيفي أقي منلول (٨)
بطن مكة لما أسلوا زولوا (٩)

- (١) لا أنازعه: أى أطعمه . قبات: جمع تقمة: السطوة . قبله القيل: قوله النافذ .
(٢) أخوف: أى هو صلى الله عليه وسلم أشد إخافة وإرهاباً . منسوب ومشتول: أى منسوب إلى أشياء قاتلها ومشتول عنها .
(٣) الضميم: الأسد . خضراء الأرض: الأرض التي بها شجر . عذرة: غابة الأبد .
ضرم: مكان تكثر فيه السباع . والقيل: الأجمة ، وهى الشجر الكثيف للثقف .
(٤) يندو: يخرج أول النهار للصيد . يلحم: يطعم لحماً: خرفامين: شتى خرفام: شبل الأسد . مغفور: ملقى في القراب . خراويل: مقطع قطعاً صغيرة .
(٥) يساور: يوايب ويصارح . القرن: المائل في الشجاعة . مفلول: للكسور للهزوم .
(٦) الجو: ما بين السماء والأرض: فافرة: بعيدة . الأراجيل: جماعات من الرجال . جمع أرجال . التى هى جماعة الرجال .
(٧) آخر تقي: الواصل بنفسه . مضرج: مخضب بالدماء . البر: السلاح . الدرسان: مفردة دريس: الخلق من الثياب .
(٨) يستنائه: يبتدى به إلى نور الحق . مهند: سيف طبع في الهند . منلول: مخرج من عنده .
(٩) النوبة: الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين . زولوا: فعل أمر من زال النامة أى التى لها فاعل . أى تحولوا وانتقلوا .

زالوا فا زال أنسكاس ولا كفت
ثم العرافين أطلال لبوسهم
يعن سوايغ قد شكت لما خلق
ليسوا مفاريح إن فالت رماهم
يمشون مشى الجمال الزهر يصمهم
لا يقع الطعن إلا في نحورهم
حد القاء ولا ميل مغازل^(١)
من نسج داود في الهيجا سرايل^(٢)
كانها خلق الققاء مجدول^(٣)
قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا^(٤)
ضرب إذا عرد السود التنايل^(٥)
وما لهم من حياض الموت تهليل^(٦)

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وبيته : « حرف أخوها أبرها » ، وبيته : « يمشى القراء » ، وبيته : « حيراة قذفت » ، وبيته : « تمر مثل عيب النخل » ، وبيته : « تفرى البان » ، وبيته : « إذا يساور قرنا » ، وبيته : « ولا يزال برأيه » : عن غير ابن إسحاق .

كعب بن زهير الأنصاري يمدحهم : قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب : « إذا عرد السود التنايل » ، وإنما يريدنا معشر الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع ، وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحه ، فضبت عليه الأنصار : فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعهم من اليمن :

(١) الانكاس : المهانون . ولا كشف : أى لا يتكشفون في الحرب بمعنى لا يهزمون .
لليل : الذين لا يصنون الركوب . مجازيل : لاسلاح معهم .
(٢) ثم : جمع أثم . وهو من في قعدة الله طر مع استواء أعلاه ، علامة العزة والسيادة .
البوس : ما يلبس من السلاح . من نسج داود : أى منسوجه وهى الدروع . الهيجا : الحرب . سرايل : دروع .

(٣) يعض : بجولة . سوايغ : طويلة متافية . شكت : أدخل بعضنا في بعض ، الققاء : نبات يشبه الحسك ينفع على سطح الأرض له شوك تشبه به خلق الدرع ، مجدول : محكم منته .
(٤) مفاريح : كثيرو القرح . والمفرد مفراح . فالت : أصابت . مجازيع : كثيرو الجوع . والمفرد مجراع . نيلوا : أصيروا .

(٥) الزهر : البيض . يصمهم : يمتهم . عرد : أهرض عن خصمه . التنايل : التنايل .
(٦) حياض الموت : موارد الهلاك ، ويقصد به ساحات القتال . تهليل : تأخر .

من سره كرم الحياة فلا يؤل
ودوا للكارم كبرا عن كابر
للكرمين الشمرى بأذرع
والناظرين بأعين محمرة
والناعين نفوسهم لنبيهم
والناعين الناس عن أديانهم
يتطهرون برونه نسا لهم
دبروا كما دبرت يطن خيفة
وإذا حلت ليمعوك الميم
ضربوا عليا يوم بدر ضربة
لو يعلم الأقوام على كلة
قوم إذا خوت النجوم فإنهم
في العر من غسان من جرثومية

في مقتب من صالحي الأندلس (١)
إن الحياز دم بئر النخيل
كسواقى الهندى غسبه قمار (٢)
كالبخر غير قلية الأبخار (٣)
للوت يوم تمانى وكرار (٤)
بالشرقى وباشما أبحار (٥)
بداء من غيرا من الكمار (٦)
عالب الرقاب من الأسود ووارى (٧)
أصبحت عند معاقل الأعفار (٨)
طانت لوقيتها جميع نوارى (٩)
فيهم لصدق الدين أمارى (١٠)
الطارقين النازلين مقارى (١١)
أجبت محافرا على اللهارى (١٢)

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أشده : يا أبا سفيان
قلني اليوم متبول : لولا ذكرت الأنصار بجزير ، فإنهم لذلك أهل ، فقال كعب بن الأشجع :
ومى في قصيدة له .

- (١) للقتب : جماعة الخيل . والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم .
- (٢) السمري : الرمح . سواق : حواشى . الهندى : السيف المنسوب إلى الهند .
- (٣) بأعين محمرة : يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه .
- (٤) تمانق : يريد به التحام الشجعان في ميدان القتال .
- (٥) للشرقى : السيف . القنا : الرماح . الخطار : المنز .
- (٦) برونه : يعتقده . نسا : عبادة .
- (٧) دبروا : تعودوا . خفية : مكان تكثر فيه الأسود . غلب : غلاظ .
- (٨) الأعفار : الوعول الصغيرة يضرب بها للتل لامتاعها في قم الجبال .
- (٩) ضربوا عليا : يريد به علي بن مسعود بن مازن الضناني .
- (١٠) أمارى : أجادل .
- (١١) خوت : سقطت ولم تملح . مقارى : المقارى : الجفان التي يصنع فيها الطعام .
- (١٢) وتروى : التقار .

قال ابن هشام : وذكر لي عن علي بن زيد بن جندعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد :

« يا نبت سعاد قلبي اليوم متبول »

غزوة تبوك

في رجب سنة تسع

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن جندعان البكائي ، عن محمد بن إسحاق اللخمي ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهري ويبريد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وحاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه منها ، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان من تحسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاد . وسين طابت النمار ، والناس يحبون للقيام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشيوخ على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا سقى فيها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يهتد له ^(١) ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها الناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يهتد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبة ، فأمر الناس بالمجاهز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

فلئن في ولا تقتنى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بني سلة : يا جد ، هل لك العام في جلاذ بني الأصفر ^(٢) ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تقتنى ؟ فوافقه لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشدّ شجبا بالنساء مني ، وإن أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك . فني الجد بن قيس نزلت هذه الآية : « ومنهم من يقول انذني ولا تقتنى ، ألا في التتة سقطوا ، وإن جهنم لمطة بالكافرين » . أي إن كان إنما أخشى الفتنة من نساء بني الأصفر ، وليس ذلك به ، فاسقط فيه من الفتنة أكبر ، يتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : وإن جهنم لم وراءهم

(١) يهتد له : يقصده .

(٢) بني الأصفر : يريهم الروم .

شأن المنافقين : وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تقفوا في الحر ، زحادة في الجهاد وشكا في الحق ، وإرجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى بهم . وقالوا لا تقفوا في الحر ، قل نأزجهم أقدحاً لربنا لو كانوا يفتقون ، فليضحكوا قليلا وليكفوا كثيراً ، جزاء بما كانوا يكسبون .

قال ابن هشام : وحديثي الثقة عن حماد ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق ابن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت شويل اليهودي ، وكان بينه ضد جاسوم ، يشطلون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت شويل ، ففعل طلحة . فالتجم الضحاك بن خليفة بن ظهير البيت ، فالتكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فألقوا . فقال الضحاك في ذلك :

كادت ويبت الله ناز محمد	يشعل بها الضحاك وإن أبق
وظل وقد طبقت كبست شويل	أنوء على رجل كبير أو مرقى ^(١)
سلام عليكم لا أعود ليل	أخاف ومن تشبهه النار يترق

حضر الأضياع على الثقة : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد في سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانسكاس ، وحضر أهل الفتي على الثقة والحلان في سبيل الله ، غلب رجال من أهل الفتي واحتسبوا^(٢) ، وأتفق عثمان بن عفان في ذلك ثقة عظيمة ، لم ينق أحد مثلاً .

ما أفتقه عثمان : قال ابن هشام : حدثني من أتي به : أن عثمان بن عفان أفتق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض .

البيكان والعذرون والتغلقون : قال ابن إسحاق : ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البيكانون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعطية بن زيد ، أخو بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب ، أخو بني مازن بن الجار ، وعمرو بن حماد بن الجموح ، أخو بني سلة ، وجد الله

(١) طبقت : طوت . كبست : بيت صغير . (٢) احتسبوا الأجر عند الله .

ابن المغنل للزنى - وبعض الناس يقول : بل هو عبدالله بن عمرو الزنى - وهزى بن عبدالله ، أخو بني وائف ، وجر باض بن سارية الفزارى . فاستحلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحلهم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغني أن ابن يامين بن حمير بن كعب الخزري قتل أبا ليل عبد الرحمن ابن كعب وعبد الله بن مغنل ومعا يبيكان ، فقال : ما يبيكما ؟ قالوا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعملنا ، فلم نجد عنده ما يعملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج منه ؛ فأعلمنا ما ضاعنا^(١) له ، فارتحلناه ؛ وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاءه القذرون من الأعراب ، فاحذروا إليه ، فلم يذرهم الله تعالى . وقد ذكر لي أنهم نفر من بني غفار .

ثم استتب^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أجأت بهم النية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تحلفوا عنه ، من غير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كعب بن مالك بن أبي كعب ، أخو بني سلمة ومزاردة بن الربيع ، أخو بني عمرو بن عوف ، وملال بن أمية ، أخو بني وائف ، وأبو خيثمة ، أخو بني سالم بن عوف ، وكانوا نفر صدق ، لا يئتمون في إسلامهم .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حارب حركه على ثبوت الوادع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن قسيلة الأنصاري .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، عزته إلى ثوبك ، يباع بن مخرطة .

قال ابن إسحاق : وحرب عبد الله بن أبي مسه على حدة حركه أسفل منه ، نحو ذباب^(٣) ، وكان فيها يرمون ليس بأهل السكرين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفلقت عنه حيد الله بن أبي ، فبين تخلف من المنافقين وأهل الرد .

(١) التامع : الجمل الذي يسقى عليه الماء . (٢) استتب : انظم وتابح .

(٣) ذباب : جبل بالمدينة .

المتأقون يرجعون يعني : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، وضوان الله عليه ، على أمه ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المتأقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استقلا له ، وتقننا منه . فلما قال ذلك المتأقون ، أخذ على بن أبي طالب ، وضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف^(١) ، فقال : يا نبي الله ، وهم المتأقون أنك إنما خلفتني أنك استقلتني وتخفتني مني : فقال : كذبوا ، ولكن خلفتك لما تركت ورائي ، فأرجع فأخلفني في أجلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي ، فرجع على إلى المدينة ، ومعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنني محمد بن طلحة بن يزيد بن زكاة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره . أبو خيثمة وعمر بن وهب يلحقان بالرسول : ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أمه في يوم حار ، فوجد أمرايين له في عريقتين^(٢) لهما في حائطه^(٣) قد رشت كل واحدة منهما عريفتها ، وبردت له فيه ماء ، وهيات له فيه طعاما . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح^(٤) والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام ميا ، وامرأة حسنة ، في ماله مقيم ، ما هذا بالصف ؟ ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبيثا لي زادا ، ففعلتا . ثم قدم فاضحه فارتمله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتيوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجصعي في الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمرانقا ، حتى إذا دنوا من تيوك . قال أبو خيثمة لعمر بن وهب : إن لي ذنبا ، فلا عليك أن تخلف عني حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتيوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة : فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الجرف : مكان بين وبين المدينة ثلاثة أميال .

(٢) العريش : ما يستظل به .

(٣) الحائط : البستان .

(٤) الضح : الشمس .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَلَيْكَ ^(١) يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة في ذلك شعرا ، واسمه مالك بن قيس :

لما رأيْتُ النَّاسَ في الدِّينِ ناقِضوا أَمِيتُ التي كانت أعفَى وأَكْرَمَا
وبايَعْتُ باليمى يدي لحَمْدِ قَلَمٍ أَكْتَسَبَ إِنَّمَا وَلَمْ أَغْتَشْ عَرَمَا
تَرَكْتُ حَنِينِي في العَرِيشِ وَصِرْمَةً صَفَايا كِرَامَا مُبْسِرَمَا قَدْ تَحَمَّمَا ^(٢)
وَكُنتُ إِذَا شَكَ الْمَنَافِقُ اسْتَحْتَمْتُ إِلَى الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهُ حَيْثُ يَمَّا

ما حدث بالحجر : قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نبطا ، واستقى الناس من بئرهما . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من ماءها شيئا ، ولا توضعوا منه للصلاة ، وما كان من صجين صحتهم فاعفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرج من أحد منكم البيلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلا من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بئر له ، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه شق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بئره فاحتمل الرجم ، حتى طرحته بجبل طيء . فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهيكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي أصيب على مذهبه فنسي ؛ وأما الآخر الذي وقع بجبل طيء ، فإن طينا أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عباس بن نهشل بن سعد الساعدي ، وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أن قد سمى له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأمر عبد الله أن يستميما لي .

قال ابن هشام : بلقي عن الزهري أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجد فوجه على وجهه ، واستحس راحته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكرون ، خوفا أن يحبسكم مثل ما أحاسهم .

(١) أول لك : كلمة تهديد معنهما البول لك .

(٢) الصرمة : جماعة النخل . البسر : الثمر . قبل نضجه . وتحمما : قارب أن يطيّب .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولأمله معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه صحابة فأملط حتى ارتوى الناس ، واحتضوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفي عشيرته ، ثم يلتبس بعضهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله الصحابة ، فأملط حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبينا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شيء ؟ قال : سحابة مارة .

تقول ابن الصيغ : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يقال له حمارة بن حزم ، وكان قصيباً بدويًا ، وهو عم بني عمرو بن حزم ، وكان في رحلة زيد بن الصيغ القتيبي ، وكان منافقاً .

قال ابن هشام : ويقال : ابن قصيب (بالياء) .

قال ابن إسحاق : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن الصيغ ، وهو في رحلة حمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلاً قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلى الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في تخب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة برامها ، فأطلقوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا ، فاجموا بها . فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لتعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفاً ، عن مقالة قال أخبر الله عنه بكذا وكذا ، ولقد لي زيد بن الصيغ ! فقال رجل من كان في رحلة حمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل حمارة على زيد يبعثاً^(١) في عنقه ويقول إلى عباد الله ، إن في رحلة لدامية وما أشعر ! أخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحني .

خبر أبي ذر . قال ابن إسحاق : فرغم بعض الناس أن زيدا كاتب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس لم يزل متهما بشر حتى ملك .

ثم معنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا ، لجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان : فيقول دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يا رسول الله ، قد تخلف أبو ذر^(١) ، وأجابه بعيره : فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيلقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلقم^(٢) أبو ذر على بعيره ، فلما أجاب عليه ، أخذ متاعه فنهله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا . ونزل رسول الله في بعض منازل ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبأذر^(٣) ، فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رسم الله أبأذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويصت وحده .

وقال ابن إسحاق : حدثني بريدة بن صفيان الأسدي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفي عثمان أبأذر إلى الزينة ، وأصحابه بها قفوه ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وعلاؤه ، فأوصاهم أن اغسلوا وكفئوا ، ثم ضجاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم يقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأهينوا على دفته . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعا على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبد الله بن مسعود في رحط من أهل العراق محمرا ، فلم يرهم إلا بالجنابة على ظهر الطريق ، فدأدت الإبل فهاؤما ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأهينوا على دفته . قال : فاستقبل عبد الله بن مسعود يكن ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمنى وحدك ، وتمرت وحدك ، وتبعك وحدك . ثم نزل هو أصحابه فواروه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبرك .

تخوف المنافقين للمسلمين : قال ابن إسحاق : وقد كان رحط من المنافقين ، منهم وديعة ابن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له :

(١) أبو ذر : اسمه جندب بن جنادة . وقيل يور بن هنرة . وقيل جندب بن عبد الله . وقيل جندب بن السكن .

(٢) تلوم : تمل .

(٣) كن أبأذر : لغة الأمر ، ومعناه الذم : كما تقول : أسلم سلمك الله .

عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْرٍ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ يَحْيَى - يُشِيرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى بَيْتِكَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَتَحْسِبُونَ جِلَادِيَّ الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بِبَعْضِهِمْ بَعْضًا ؟
وَاللَّهُ لَكُنَّا نَبْكُ غَدَا مُقَرَّنِينَ فِي الْحَيَالِ ، إِرْجَانَا وَتَرْهِيَا لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْرٍ : وَاللَّهِ
لَوَدِدْتُ أَنِّي أَفَاقِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ ، وَإِنَّا تَفَلَّتْ أَنْ يَنْزِلَ فِينَا قُرْآنٌ
لِقَاتِكُمْ هَذِهِ .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَيَا بَلْعَى - لِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ أَدْرَكَ الْقَوْمَ ، فَإِنَّهُمْ
قَدْ احْتَقَرُوا ، فَسَلِّمُوا مَا قَالُوا ، فَإِنْ أَنْكَرُوا قُتِلَ : بَلَى ، قَتَلْتُمْ كَذِبًا وَكَذَابًا - فَأَخْلَقَ إِلَيْهِمْ حَارِ ،
فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ : فَأَتُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُونَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ ،
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفٌ عَلَى نَاقَتِهِ ، لَجُلٍ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقِّهَا (١) : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ وَنَلْمُ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخْوَضُ
وَنَلْمُ » . وَتَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ بَدَى اسْمِي وَاسْمُ أَبِي ؛ وَكَانَ الَّذِي خَفِيَ
عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْرٍ ، فَسَمِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَهُ شَيْدًا لَا يَسْلِمُ
بِمَكَانِهِ ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَاسَةِ ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ آثَرٌ .

الصلح مع صاحب أيلة : وَلَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَيْتِكَ ، أَتَاهُ يَحْيَى
ابْنُ رُوَيْبَةَ ، صَاحِبُ أَيْلَةٍ ، فَصَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعْطَاهُ الْجَزْيَةَ ، وَأَتَاهُ أَهْلُ
بَيْتِهَا وَأَذْخَرُح ، فَأَعْطَوْهُ الْجَزْيَةَ ، فَكُتِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ كِتَابًا ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ .
فَكُتِبَ لِحِيتَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هَذِهِ آتَمَةٌ مِنَ اللَّهِ وَبِحَمْدِ اللَّهِ رَسُولِ اللَّهِ لِحِيتَةَ بْنِ رُوَيْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةٍ
سَفَنَهُمْ وَتَبَارَتَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ : لَمْ ذَمَّ اللَّهُ ، وَذَمُّهُ عَمْدُ اللَّهِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ،
وَأَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا ، فَإِنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ مَا لَهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طِيبٌ
لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ ؛ وَإِنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَتَحَرَّأَ مَاءَ يَرُدُّهُ ، وَلَا طَرِيقًا يَرِيدُونَهُ ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ .

خَالِدٌ وَاسْتَبَدَّ دَوْمَةُ : ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، فَبَعَثَهُ إِلَى
أَكْبَدٍ دَوْمَةٍ ، وَهِيَ أَكْبَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَجُلٌّ مِنْ كَيْفَةٍ كَانَ مُلْكًا عَلَيْهَا ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا ؛
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَالِدٍ : إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَحِيدُ الْبَحْرَ - فَخَرَجَ خَالِدٌ ، حَتَّى إِذَا كَانَ

من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فيأت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل يأمر بغرسه ، فأخرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : لحدثني حاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلبسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقن له دمه ، وصاحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فقال رجل من طيء : يقال له ثعيب بن بكرة ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ

فَمَنْ يَكُ حَامِداً عَنْ ذِي بَيْوَكٍ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجِهَادِ

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببوك بنع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف عائلاً إلى المدينة .

وإلى اللشق ومأذه : وكان في الطريق ماء يفرج من وتل^(١) ، ما يروى الزاكب والزاكين والثلاثة ، بواد يقال له وادي اللشق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستين منه شيئاً حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم يرف فيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ قيل له : يارسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أولم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتوه ؟ ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الرشل ، فجعل

(١) الرشل : الماء القليل يسيل من صخر أو جبل .

يصب في يده مائتا الله أن يصب ، ثم نفضه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إن له حسا كحس الصراخ ، فغرب الناس ، واستقروا حاجتهم منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يقيم أو من بقى منكم لتضمن بهذا الوادي ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

ذو البجادين ودفنه وتسميته : قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، قال : فرأيت شملة من نار في ناحية السكر ، قال : فاتبعها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزي قد مات ، وإذا هم قد حضروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة ، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إلى أخاك ، فدلباه إليه ، فلما ياء لشقه قال : اللهم إني أسيت راحيا عنه ، فأرض عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتي كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشام : وإنما سمى ذا البجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمينه قومه من ذلك ، ويضيقون عليه ، حتى تركوه في يجماد ليس عليه غيره ، والبجاد : الكساء الغليظ الجاف ، فيصرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريبا منه ، شق بجاده يائنين ، فآزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو البجادين لذلك ، والبجاد أيضا : ليشح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :

كان أبانا في عرائن تودقه كبير أناس في يجمادٍ تمزلي

حديث أبي رهم في تبوك : قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهري ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أخي أبي رهم القناري ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا الناس فطلفت أستيقظ وقد دنت راحتي من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيفرغني دونها منه ، مخافة أن أصيب رجله في الفرس ، فطلفت أحوز^(١) راحتي عنه ، حتى ظلمت عيني في بعض الطريق ، ونحن في بعض الليل ، فزاحمت راحتي راحلة رسول

الله صلى الله عليه وسلم ورجله في الغرر ، فاستيقظت إلا بقوله : حسن^(١) ، فقلت : يا رسول الله ، استغفري . فقال : سر ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألني عن تخلف من بني غفار ، فأخبرته به ؛ فقال وهو يسألني : ما فعل النفر الحجر الطوال الطاط^(٢) ؟ فحدثته بتخلفهم . قال : فما فعل النفر السود الجماد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : بلى ، الذين لم تم يشكك فخذ^(٣) ؛ فخذ كرتهم في بني غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أبا لهم رجع من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رجع من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بصرى من إبله امرأ ثنية إلى سبيل الله ؟ إن أدر أعني ذلك أن يتخلف عن المهاجرون من قريش والأنصار . ويغفروا وأسلم .

أمر مسجد الضرار عند النقض من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بني أوان بلد بينه وبين المدينة سبعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بينا مسلحاً ، لدى الله والحاجة واليلة لليلة واليلة الثانية ، وإننا نحب أن تأتينا ، فنصل لنا فيه ؛ فقال : إني على جناح سفر ، وسال شغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدما إن شاء الله لآتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بني أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدار رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن نويرة ، وأخا بني سالم بن عوف ، ومن بن عدي ، أو أخاه حاصم بن عدي ، أخا بني السجلان

(١) حسن : كلمة قال عند وجود الألم ، فهي كلمة تخرج من الصوت كالآتين ليست . اسماء أو اسم قبل مثل : حسه ووه .

(٢) الطاط ، منزهة ثل : صغير نبات شمر البجعة . قال الشاعر :

كهامة المنيخ الباني الخط

ثم : شجرة تشبه : موزع من بلاد غفار .

عقال : أعلقتا إلى هذا المسجد الظالم أهلته ، فأهدماه وحرقاه . فخرجنا مريمين حتى آتينا بني سالم ابن عوف ، وهم رهط مالك بن النخشم ، فقال مالك لمن : أتيتني حتى أخرج إليك بنار من أهلك . فدخل إلى أهله ، فأخذ سيفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا فيه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : « والذين اتخذوا مسجداً يضاراً وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين » . . . إلى آخر القصة .

وكان الذين بوءه اثني عشر رجلا : خذام بن خالد ، من بني عبيد بن زيد ، أحد بني عمرو ابن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد ، ومعتب ابن قشير ، من بني ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بني ضبيعة بن زيد ، وعباد بن شحيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وأباه يجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، وتبيل بن الحارث ، من بني ضبيعة ، ويخرج ، من بني ضبيعة ، ويحماد بن عثمان ، من بني ضبيعة ، ووديعه بن ثابت ، وهو من بني أمية بن زيد رهط أبي ليابة بن عبد المتشر .

مساجد الرسول : وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بتيوك ، ومسجد بتيبة ، وهران ، ومسجد بذات الزراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمي ، ومسجد بالأد ، ومسجد بطرف البراء ، من ذئب كواكب ، ومسجد بالشق ، شق تازا ، ومسجد بذي الجيفة ، ومسجد بقدر حوطي ، ومسجد بالجحر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادي ، اليوم ، وأدى القرى ، ومسجد بالرقعة من الشقة ، شقة بني قنرة ، ومسجد بذي المروة ، ومسجد بالقيفاء ، ومسجد بذي خثوب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الهمط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا اتفاق : كعب بن مالك ، وشرارة بن الربيع وهلال بن أمية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تكلن أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين لجمعوا يحلفون له ويمتدرون ، فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يذمرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك الفر الثلاثة . (٩ - السيرة النبوية ، ج ٤) .

قال ابن إسحاق : فذكر الزهري محمد بن مسلم بن شهاب ، عن جد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائداً أبيه حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وحديث صاحبه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاهما قط ، غير أني كنت تد تخلف عنه في غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج يريد حير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحسين بواقيتنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هي أذكر في الناس منها . قال : كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلباً يريد غزوة يخرجهما إلا وقرى غيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حزن شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى الناس أحرماً ليتأهبوا لذلك أهبة وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يحصهم كتاب حافظ ، يعني بذلك الديوان ، يقول : لا يحصهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ، فلم يزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الفار وأجمت الفلال ، فالناس إليها مصر^(١) ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدر لا تجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول في نفسي ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتبادى في حق شمر الناس بالجلب ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جبابي شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده يوم أو يومين ، ثم ألتحق بهم ، فعدوت بعد أن فصلوا لا تجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم عدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتبادى في حتى أسرعوا ، وفطر^(٢) النزو ، فهمت أن أرتحل ، فأدركهم وليتي فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطقت فيهم ، يحزنوني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً^(٣) ، عليه في التفاق ، أو رجلاً بمنز

(١) مصر : مفردة . أصمر وهو المائل . (٢) فطر : فأت . (٣) مغموصاً : مطعوناً

حذر الله من الضمفاء ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، وانظر في خطفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بش ماقلت ! والله يا رسول الله ما علمنا منه إلّا خيراً ؛ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلًا من تبوك ، حضرنى بنى (١) ، فجعلت أتذكر الكذب وأقول : ماذا أخرج من سطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أغل (٢) قداماً زاح (٣) حتى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أضدّه ، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويمتدرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علايتهم وإيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرّهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فبسم بسم اللئيب ، ثم قال لى : تعال فجلست أمتى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن اتبعت ظهرك ؟ قال :- قلت : لى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سطة يدي ، ولقد أعطيت جدلاً ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضيننى ، وليرشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديثاً صدقاً تجد على فيه ، لئن لارجو عقابى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى حذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقامت ، وثار معى رجال من بني سلمة ، فاتبعوني فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجوت أن لا تكون احتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا لى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلاً قالا مثل مقاتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مُزاراة بن الربيع العُمري ، من بنى عربون عوف ، وطلال ابن أبى أمية الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أسوة ؛ فصمت حين ذكروهما لى ،

(١) بنى : حرنى . (٢) أغل : أشرف .

(٣) يقال زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زيروحا وزبحانا .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لي نفسي والأرض ، فإني بالأرض التي كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحبنا فاستكانا ، وقدما في بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمني أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي ، هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه ، فأساوئه النظر ، فإذا أقبلت على خلعتي نظرت إلى ، وإذا انفتحت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك حل من جفوة المسلمين ، فعيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة . وهو ابن عبي ، وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه فوافقه ما رد على السلام ، قلت : يا أبا قتادة ، أأنفدك بالله ، هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فشدت فأنشدته ، فسكت عني ، فعدت فأنشدته ، فسكت عني ، فعدت فأنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عينا ، ورويت فتسورت الحائط . ثم غدوت إلى السوق ، فبينما أنا أمشي بالسوق ، إذا بتعلي (١) يسأل عني من نبط النخلم ، عن قدم بالطعام يئمه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : لجعل الناس يشيرون له إلى ، حتى جاءني ، فدفع إلى كتابا من ملك ضامن ، وكتب كتابا في سرقته (٢) من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يحملك الله بدار هوان ولا مضتعة . فالحق بنا نوابك (٣) » . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغني ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك . قال : فسدت بها إلى تنور ، فسجرت (٤) بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الحنين إذا رسول الله يأتي ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تمزق امرأتك ، قال : قلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اضربيها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحب بيتك بذلك ، فقلت لامرأتي : الحق بأهلك ، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخذه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقرئك ، قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلى ، والله

(١) النجلى واحد النبط ، قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردن ماصتهم (البثراء) .

(٢) السرقه : الفسقة .

(٣) نوابك : أى يكون فينا المواساة لك .

(٤) سجرته : أحرقت بلب الثار .

ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله لأمراك ، فقد أذن لأمراء هلال بن أمية أن تقدمه ؛ قال : قلت : والله لا استأذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي في ذلك . إذا استأذنه فيها ، وأنا رجل شاب . قال : فلبنا بعد ذلك عشر ليال ، فكل لنا خمسون ليلة ، من حين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التي ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت علي نفسي ، وقد كنت أتبيت خيمة في ظهر سلع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صانخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فطرت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صل الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحر صاحب ميثرون ، وركض رجل إلى فرسا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جامنى الذي سمعت صوته يبشرني ، نزع ثوبي ، فكسوتهما إياه بشاره ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة ، يقولون : لبيك توبة الله عليك ، حتى دخلت للمسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، وخيان وهنأني ، وواجه ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ، ووجهه يرقق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كان وجهه قطعة قر . قال : وكنا نعرف ذلك منه ، قال : فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إني بميك سمي الذي يجبر ؛ وقلت : يا رسول الله ، إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتي إلى الله أنه لا أحدث إلا صدقا ما سمعت ، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلاني الله ، والله ما تمسكت منه كلمة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومئذ هذا ، وإني لأرجو أن يعفني الله فيما بقي .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة ابن مسعود الثقفي ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما يتحدث قومه - إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نفخة الامتناع الذي كان منهم ، فقال عروة : يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبنائهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك عبيا مطاعا : فخرج بدعوه قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يعطلقوه ، لمزكته فيهم : فلما أشرف لهم على طيئة له . وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالثبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فترجم بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، يقال له أوس بن عوف ، أخو بني سالم بن مالك . وترجم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بني عتابة بن مالك . يقال له وهب بن جابر ، فقتل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كراما أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلانة ، فليس في إلأ ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرسل عنكم ، فادفوني معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله في قومه لك مثل صاحب ياسين في قومه (١) .

ثم أقامت ثقيف بدققتل عروة أشعرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، وروأوا أنه لا طاعة بحرب من حوهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

(١) يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور في سورة ياسين ، الذي قال لقومه « اتبعوا المرسلين » فقتله قومه ، واسمه حبيب بن مري ، ويحتمل أن يريد صاحب الياس ، وهو اليسع ، فإن الياس يقال في اسمه : ياسين أيضا ، وقال الطبري وهو الياس بن ياسين ، وفيه قال تبارك وتعالى « سلام على إل ياسين » .

حدثني يعقوب بن حبة بن النخعي عن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أخا بني عيلان ، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذي بينهما شيء ، وكان عمرو بن أمية من أدعي العرب ، فغش إلى عبد ياليل بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلى قال : فقال عبد ياليل للرسول : ويلك ! أعمرو أرسلك إلى ؟ قال نعم ، وهاهو ذا واقفاً في دارك ، فقال : إن هذا الشيء ما كنت أظنه ، لعمرو كان أمتع في نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه وحسب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة لأنه قد كان من أمر هذه الرجل ما قد رأيت ، قد أسلت العرب كلها ، وليست لكم بجرهم طاقة ، فانظروا في أمركم . فعند ذلك اتصرت ثقيف بينهما ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم يئزب^(١) ، ولا يخرج منكم أحد إلا أقطع ، فأتهموا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو بن عبيد ، وكان من عروة ابن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة . قال : لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجلاً ، فأجمعوا أن يمشوا معه رجلين من الأحناف ، وملائة من بني مالك ، فيكونوا ستة ، فمشوا مع عبد ياليل : الحكم بن عمرو بن وهب ابن قيس ، وشرحيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بني مالك ضيان بن أبي العاص ابن بشر بن عبد دهمان ، أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بني سالم بن عوف ، وغيرهم بن غرقمة بن ربيعة ، أخا بني الحارث . فخرج بهم عبد ياليل ، وهو نائب القوم^(٢) ، وصاحب أمرهم ، ولم يخرجهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود ، لكي يقتل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف ومعه .

فلما دنا من المدينة ، ونزلوا قناة ، ألقوا بسا للثنية بن شعبة ، يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رعيتهما شوباً على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رأهم ترك الركاب عند التقفين ، وخبر^(٣) يثد ، ليشر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطاً ، ويكتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر النسيبة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) السرب . التقطيع من الحيوان أو الفريق من النساء أو جماعة التخل وهو أيضا الطريق والقتاب والصندر .

(٢) نائب القوم : سيدهم . (٣) خبر : وعقب .

وسلم ، حتى أكون أنا أحدهم : ففعل للمغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبره بقومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فزجح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يقيمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبقوا إلا بتحية الجاهلية . ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده ، كما يدعون ، فكان خالد بن سعيد ابن العاص ، هو الذي يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتفوا كتابهم ، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يقطعون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلوا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيها سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهي اللات ، لاهديها ثلاث سنين ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم فابروا يسألونه سنة سنة ، وبأن عليهم حتى سألوا شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأتى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسئلوا بتركها من سفاهتهم ونسأهم وذرايعهم ويكرهون أن يروغوا قومهم بهديها حتى يدخلهم الإسلام : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يمض أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدما ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يفتحهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فتستفيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فستتركها ، وإن كانت دثامة . فلما أسلوا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص ، وكان من أحدهم منا ، وذلك أنه كان أحصرهم على التنشق في الإسلام وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحصرهم على التنشق في الإسلام ، وتعلم القرآن .

قال ابن إسحاق : وحدثني عيسى بن عبد الله بن حنبل بن سفيان بن ربيعة الثقفي ، عن بعض وضم . قال : كان بلال يأتينا - حين أسلنا وحننا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي من رمضان - بقطرنا وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتي بالسحور ، وإننا لنقول : إنما نرى المغيرة قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر ، لتأخير السحور ، ويأتينا بقطرنا ، وإننا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ما جئتمكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده في الجنة ، فيلتهم منها . قال ابن هشام : بقطرنا وسحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي هند ، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : كان من آخر ما عهد لى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بشى

على ثقيف أن قال : يا عتيان ، تجاوز في الصلاة ، وأقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف ، وهذا الحاجة .

هدم الثلاث : قال ابن إسحاق : فلما فرضوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مها أباً سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، في هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد للمغيرة بن شعبة أن يقدم أباً سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بنى الكدم فلما دخل للمغيرة بن شعبة علاماً يضربها بالمقول ، وقام قومه دونه ، بنو ثعلبة ، خشية أن يؤذي أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف محترراً يكن عليهما ويقتلن :

لَتُبَكِّينَ مُدَفِّعَاتُ أَسْلِحَائِ الرِّحَالِ (١)

لم تحسنوا المصاع (٢)

قال ابن هشام : هـ تبكين ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالناس : وإما لك ! أما لك ! فلما هدمها للمغيرة ، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان وحليها بمجموع ، وما لها من الذهب والجزع .

وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قتل عروة يريذان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعا على شيء أبداً ، فأسلما ؛ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : وغالكا أباً سفيان بن حرب ، قتالا : وخالنا أباً سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أباً سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركاً . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ، لكن تصل مسلماً ذا قرابة ، يعني نفسه ، إنما الدين على ، وإنما أنا الذي أطلب

به ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع الغنمة ما لما قال لأبي سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما .

كتابه عليه السلام لتقضى : وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عتاة^(١) ورج وصيده لا يفتد^(٢) ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك ، فإنه يجلد وتزعم ثيابه ، فإن تعدى ذلك يؤخذ فيبلغ به إلى النبي محمد ، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعد أحد ، فيظلم نفسه فيما أمره محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزل براءة في قضى ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يبعد عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يتخاف أحدٌ في الشهر الحرام . وكان ذلك عبداً علماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك صود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب خصائص ، إلى آجال مسافة فنزلت فيه وفيمن

(١) العتاة : شجر له شوك .

(٢) لا يفتد : لا يقطع أى أنه حرام على غير أهله كتحريم مكة والمدينة ، وقيل وج : هى الطائف وقيل إنها واد بها .

تخلف من المنافقين عنه في تبوك ، وفي قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى مياسرات أرقام كانوا يستخفون به غير ما يظهرون ، منهم من سعى لثاومهم من لم يسم لنا ، فقال عز وجل : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » : أى لأهل العهد العام من أهل الشرك ، فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزي الله ، وأن الله يخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله يرى من الشركين ورسوله : أى بعد هذه الحجة ، فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . إلا الذين عاهدتم من المشركين ، أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى « ثم لم ينقصكم شيئاً ، ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتوا إليهم عهداً إلى مدينتهم إن الله يحب للمتقين ، فإذا اسلخ الأشهر الحرم » : يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلاً فافتلوا المشركين . حيث وجدتمهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، غلوا سيلهم إن الله غفور رحيم . وإن أحد من المشركين : أى من مؤلاد الذين أمرتك بقتلهم ، استجارك فأجزه حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون . »

ثم قال : « كيف يكون للمشركين ، الذين كانوا هم وأتم على العهد العام أن لا يخيفوك ولا ينفقوك في الحرمه ، ولا في الشهر الحرام » عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ، وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن تقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهى الدليل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن تقض من بنى بكر إلى مدته فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب للمتقين . »

ثم قال تعالى : « كيف وإن يظهروا عليكم ، أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام » لا يرتبوا إليكم إلا ولائمة . »

قال ابن هشام : الإل : الخلف . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن نعيم :

لولا بنو مالك والإل تزقة ومالك فهم الآلاء والعرف

ومذا البيت فى قصيدة له . وجهه : آلال ، بال الشاهر :

فلا إله من الآل إلا نبي . وبيشكم فلا تأثق بجهنما
والامة : المهد . قال الأجدع بن مالك الهمداني ، وهو أبو مسروق الأجدع النخعي :
وكان طينا ذمة أن تجاوزوا من الأرض معروفا إلينا ومنكرا
وهذا البيت في ثلاثة أبيات له ، وجمعا : ذمم .

« يرضونكم بأفواههم وتأتي قلوبهم وأكثرم فاسقون . اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ،
خصدوا من سيئه ، لأنهم ساء ما كانوا يعملون . لا يرقبون في مؤمن إلا ذمة ، وأولئك هم
المتنون ، أي قد اعتدوا عليكم ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ،
وتفعل الآيات لقوم يفلتون . »

اختصاص على بقرعة : قال ابن إسحاق : وحدني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ،
عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بعث
بها إلى أبي بكر ، فقال : لا يؤدي حتى إلا رجل من أهل بيتي ، ثم دعا علي بن أبي طالب
رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا
اجتمعوا يعني ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يبيع بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ،
ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فبوره إلى مدته ، اخرج علي بن أبي طالب
رضوان الله عليه على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم العنقاء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق
فلا رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمر أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا . فأقام أبو بكر
الناس الحج ، والعرب إذا ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج ، التي كانوا عليها في الجاهلية ،
حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يبيع بعد العام
مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فبوره
له إلى مدته : وأبجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليجتمع كل قوم إلى ما منهم أو
بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة : إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى
عدة ، فبوره إلى مدته . فلم يبيع بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

ثم قدام علي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ،
فأهل المدّة إلى الأجل المسمى .

الأمر بجهاد المشركين : قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد المشرك ، عن تقص من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة أشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يثبوت فيها عادتهم ، فيقتل بعدها ، فقال : « ألا تقاتلون ؟ » فما نكروا أيمانهم وهو بإخراج الرسول وهم بدسوك أول مرة ، انحنوا عنهم فأنشؤا إن كنتم مؤمنين . قالوا : يفتنهم الله بأيديكم ويخزمو ويصركم عليهم ويشب صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ ربهم فيقرئهم الله : أي من بعد ذلك دحل من يشاء ، والله عالم حكيم . أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتغنوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة ، والله خير بما تعملون .

قال ابن هشام : وليجة : دخل ، وجها : ولايج : وهو من ولج يلج : أي دخل يدخله . وفي كتاب الله عز وجل : « حتى يلج الجمل في سم الخياط » : أي يدخل ، يقول : لم يتغنوا دخيلا من دونه يُسرون إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يظهرون الإيمان الذين آمنوا « ولما خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، قال الشاعر :

واعلم بأنك قد مجملت وليجة ساقوا إليك اختلف غير مشوب

انقرآن يرد على قريش ادعولهم عمارة البيت : قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاء الحج ، ومحار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا : فقال : « إنا يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » : أي أن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله أي من يعمرها بمقتضى ما آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم ينقض إلا الله : أي فأولئك عمارها « فمضى أولئك عمارها » : أي يكونوا من المهتدين . وعسى من الله : حتى .

قال تعالى : « أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهدة في سبيل الله لا يستون عند الله » .

ثم القصة عن صومهم ، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تهاذلهم ، ثم قال تعالى : « إنا المشركون أبغض لدين الله فلاتقرءوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيشة » ، وذلك أن الناس قالوا : لتقطعن هنا الأسواق ، فتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنن نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : « وإن خفتم عيشة فسوف ينصركم الله من فضله » : أي من وجه غير ذلك . وإن شاء ، إن الله عالم حكيم ، قالوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يعززون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يسطروا الجزية من يديهم

صالحون : أي فني هذا عرض عما تحترق من قطع الاسواق ، فعرضهم الله بما قطع عنهم
بشر الشرك ، ما أعطاهم من ألقاق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل في أهل الكتابين : ثم ذكر أهل الكتابين بما فهم من الشر والفرية عليه ، حتى
أنزل في قوله تعالى : وإن كثيرا من الأنبياء والرسل لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون
عن سبيل الله ، والذين يكتزون الذهب والنقطة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشروهم بذاب أليم .

ما نزل في النفس : ثم ذكر النفس ، وما كانت العرب أحدث فيه . والنفس ما كان
يحبلى ما حرم الله تعالى من الشهوة ، ويحرم ما أحل الله منها : فقال : « إن عدة الشهوة عند الله
أثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض . منها أربعة حُرُمٌ ، ذلك الدين
التي علموا فلا ظلموا فيها أنفسكم » : أي لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما : أي كما فعل
أهل الشرك « إنما اللغو » الذي كانوا يصنعون « زيادة في الكفر » ، يحل به الذين كفروا
بشاره عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، كُتِبَ لهم سوء
أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين .

ما نزل في نبوءة : ثم ذكر نبوءة وما كان فيها من قتال المسلمين عنها ، وما أعطوا من
غزو الروم ، حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، وتفاق من تفاق من المنافقين ،
حين دعوا إلى مادعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نفع عليهم من إحداثهم في الإسلام ، فقال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنافتم إلى الأرض » ، ثم القصة إلى
قوله تعالى : « يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم » إلى قوله تعالى : « إلا تصروه فقد نصره
الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الفار » .

ما نزل في أهل التفاق : ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل التفاق فله
كان صرنا قريبا وسفرا قايما لا تبعوك ، ولكن يفتد عليهم الشقة ، وسيحلون باقة لو استعنا
لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم أنهم لكاذبون : أي إنهم يستطيرون « عفا الله
عنك ، لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » . . . إلى قوله : « فخرجوا
فيكم ما زادكم إلا خبالا ، ولأوضحوا خلالكم ، يغرركم الفتنة وفيكم سماعون لهم » .

قال ابن هشام : أوضوا خلالكم : ساروا بين أعضائكم ، فالإيضاح : ضرب من التيسير
أسرع من المشي : قال الأجدع بن مالك الحميري :

يُصَاطِّدُكَ الْوَحْدُ الْمَيْلُ بِشَاوِهِ بِشَرِيحٍ يَنْ الشَّدَّ وَالْإِضْاحُ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم : عبد الله بن أبي بن سلول ، والجلد بن قيس ؛ وكانوا أشرافا فى قومهم ، فطلبهم الله لعلهم بهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرهم فيهم . فقال تعالى : « وفيكم ممانعون لهم ، والله عليم بالظالمين ، لقد أبتوا الفتنة من قبل » : أى من قبل أن يستأذنوك ، « وقللوا لك الأمور » : أى لينخلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمره وهم كارهون . ومنهم من يقول اتذنى لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سمى لنا ، الجلد بن قيس ، أخو بنى سلفة ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت الفتنة إلى قوله تعالى : « ولو يجدون مليجا أو مغاربا أو ممدخلا لآتوا إليه وهم يجتمعون . ومنهم من يلزك فى الصدقات ، فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » : أى إنما نيتهم ورضاهم وبسخطهم لدينام .

مانزل فى أصحاب الصدقات : ثم بين الصدقات لمن هى ، وسعى أهلها ، فقال : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

مانزل فمن آذوا الرسول : ثم ذكر غضبهم وأذاهم اتى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، تبتل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه تلك هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حده شيئا عنده . يقول الله تعالى : « قل أذن خير لكم : أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى : « يحلفون بالله لكم ليذنبكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » .

(١) يريد بالوحد : القرس الواحد . شأوه : سببه . الشريح : النوع . الحد والإضاح : نوعان من الجرى .

ثم قال : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخمش ونملب » ، قل أباي وآبائي ورسولك كنستم تستمعون . . . إلى قوله تعالى : « إن نعت من طائفة منكم تذبذبة طائفة » ، وكان الذي قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخو بني أمية بن زيد ، من بني عمرو بن عوف ، وكان الذي عني عنه ، فيا بلقي : تخشع بن حنيفة الأشجعي ، حليف بني سلة . وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلق عليهم وما دام جهنم وشئت للصير » ، يخفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وقهقروا بالم ينالوا ، وما أقسموا إلا أن أغنام الله ورسوله من فضله . . . إلى قوله : « من ولا ولا تصير » . وكان الذي قال تلك المقالة الجلاس بن شؤيد بن صامت ، فرفها عليه رجل كان في حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيا بلقي .

ثم قال تعالى : « ومنهم من غاب عنه الله لأن آثامهم فضله لتصدقن ولكونن من الصالحين » ، وكان الذي غاب عنه الله منهم ثعلبة بن حاطب ، وثعلبة بن قيس ، وهما من بني عمرو بن عوف . ثم قال : « الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لا يمدون إلا جهمهم ، فيستخرون منهم ، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » ، وكان المطوعون من المؤمنين في الصدقات عبد الرحمن بن عوف ، وحاصم بن عدي أما بني التجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص في الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام حاصم بن عدي ، فصدق بمائة وسق من تمر ، فلهزهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذي تصدق بهذه أبو عقيل أخو بني أقيف ، أتى بصلح من تمر ، فأقرضا في الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لفي عن صاح أبي عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبرك ، على شدة الحر وجذب البلاد ، فقال تعالى : « وقالوا لا تنفروا في الحر » ، قل فإن جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا . . . إلى قوله : ولا تعجبك أموالكم وأولادكم . . .

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبي : قال ابن إسحاق : وحديث الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفي عبد الله ابن أبي ، دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يري . . .
(في السيرة النبوية : ١٠٤)

الصلاة ، تحولت حتى قت في صدره ، فقلت : يا رسول الله ، أتعلى على عدو الله عبد الله بن أبي
ابن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدد أيامه ، ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثر قال : يا عمر ، أخبر عني ، إني قد خيرت فاخترت ،
قد قيل لي : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ،
فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت . قال : ثم صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ومشي معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فنجيتي ولجرائي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان :
« ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون ، فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل في المتأذنين والمكائين ومنافقي الأعراب : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى :
« وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بها وقاموا مع رسولهم استأذنك أولوا الطول منهم » .
وكان ابن أبي من أولئك ، فضى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : « لكن الرسول
والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، وأولئك هم الخيرات وأولئك هم المفلحون » .
أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . ذلك الفوز العظيم . وجاء المتذرون
من الأعراب ليؤذّن لهم ، وقد الذين كذبوا الله ورسوله . . . إلى آخر النص . وكان
المعدرون ، فيما بلغني قرأ من بني غفار ، منهم خُفّاء بن أَيْمَاء بن رَسْحَة ، ثم كانت القصة
لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد
ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون » ، وهم البكاون .

ثم قال تعالى : « إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ، رَضُوا بأن يكونوا مع
الخواص ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون » الخواص : النساء . ثم ذكر حافهم للسبلين
واعذارهم ، فقال : « فأعرضوا عنهم » ، إلى قوله تعالى : « فإن ترَضَوْا عنهم فإن الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين » .

ثم ذكر الأعراب ومن نافع منهم وتربسهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ،
فقال : « ومن الأعراب من يتخذ ما يفتق ، أى من صدقة أو نفقة فيسبل الله ومقر ما يترسئ
بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم » .

ما نزل في المخلصين من الأعراب : ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ،

قَالَ: وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنٌ يَأْمُرُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُشْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ، .

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار: ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم، ثم ألقى بهم التابعين لهم بإحسان فقال: «وَسَقَى اللَّهُ عَنْهُمْ وَرِضْوَانَهُ»، ثم قال تعالى: «وَعَنْ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الدِّيْنَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ»: أي لجوا فيه، وأبوا غيره . «بَسَّعَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ صَرَافَتِي»، والعذاب الذي أوعده الله تعالى مرجين، فيما يلقي عليهم بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حصة، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه، عذاب النار والحلقة فيه، ثم قال تعالى: «وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَهْلَ بَيْتِهِمْ»، خلطوا أهلاً صالحاً وآخر سيئاً، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

ثم قال تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا» . إلى آخر القصة . ثم قال تعالى: «وَأَخْرَجُوا عَنْهُمْ أَهْلَ بَيْتِهِمْ» . ولما يتوب عليهم، . وهم الثلاثة الذين خلفوا، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا»، . . . إلى آخر القصة ثم قال تعالى: «لَنْ يَشْتَرِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ» . ثم كان قصة الخبر عن نبوك، وما كانه فيها إلى آخر السورة :

وكانت برامة تسمى في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعدة البعثة، لما كشفت عن سرائر الناس . وكانت نبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حسان يعدد مغازيه صلى الله عليه وسلم شعرا

وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الانتصار مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم
 في أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألبت خيرَ قَمْعَةٍ كُلَّهَا نَفْرًا	ومعترًا إن هم عُمُوا وإن حُصِّلُوا ^(١)
نَوْمَ هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا بِأَجْمِيعِ	مع الرسولِ لما أَلَوْا وما خَذَلُوا ^(٢)
وَبَايَعُوهُ فَلَمْ يَنْكُثْ بِهِ أَحَدٌ	منهم ولم يك في لِيَاظِهِمْ دَخَلٌ ^(٣)
وَيَوْمَ ضَجَجَ فِي الثَّغْبِ مِنْ أَحَدٍ	ضربت رصينَ كَعْبٍ النَّارِ مَشْتَلٌ ^(٤)
وَيَوْمَ ذِي قَرْدٍ يَوْمَ اسْتَأْذَنَ بِهِمُ	على الجِيَادِ فَمَا خَامُوا وَمَا قَلَّوْا ^(٥)
وَذَا الشَّيْثَةِ جَاسِمَا بِطَلِيمٍ	مع الرسولِ طَلِيحَ الْيَيْصِ وَالْإِتْلِ ^(٦)
وَيَوْمَ وَكَانَ أَجَلُهَا أَمَلَهُ رَقَصَا	بِالْحَيْلِ حَتَّى نَهَانَا الْحَزَنُ وَالْجَبَلِ ^(٧)
وَلَيْلَةَ طَلَبُوا فِيهَا حُدُومَ	فِي وَاقَةٍ يَجْزِمُ بِمَا عَمِلُوا
وِغْزَوَهُ يَوْمَ نَجِدُ ثُمَّ كَانَ لَهُمُ	مع الرسولِ بِهَا الْأَسْلَابُ وَالنَّقْلُ
وَلَيْلَةَ بَحْنَيْنِ جَالِدُوا مَعَهُ	فِيهَا يَطْلُمُ بِالْحَرْبِ إِذْ تَهَلَّوْا ^(٨)
وِغْزَوَهُ قَتَاعَ فَرَقَا الْبَدْرُ بِهِ	كَأَنَّ تَفَرَّقَ دُونَ الشَّرِبِ الْوَسْلُ ^(٩)
وَيَوْمَ بَوَيْعٍ كَانُوا أَمَلًا يَبِيعُهُ	على الْجِلَادِ فَأَتَوْهُ وَمَا عَدَلُوا
وِغْزَوَهُ الْفَتْحُ كَانُوا فِي سَرِيَةٍ	مُرَاطِلِينَ لَمَّا طَاشُوا وَمَا حَجَلُوا
وَيَوْمَ خَيْرَ كَانُوا فِي أَكْثَرِ	يَمْشُونَ كُلُّهُمْ مَسْبِيلٌ فَكَلَّ

(١) حملوا : أصلها بتهديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حملوا : جمعوا .

(٢) أَلَوْا : قصروا . (٣) دَخَل : فساد .

(٤) رصين : ثابت . (٥) خام : جبن وتراجع .

(٦) جاسوما : وطئوما . اليص : السيوف . الأسل : الرماح .

(٧) الرص : نوع من اللص . الحزن : الأرض النليظة للرقعة .

(٨) يطلم : يكرر طليم ، من الطل وهو الشرب الثاني . نهلوا : شربوا الشرب الأول .

(٩) الرسل : الإبل .

باليض رُحشُ في الإيمان عارِةً تَمُوجُ في العُربِ أحيانا وتمتدُّ
ويوم سار رسولُ الله محباً إلى قَبْرِكَ ومِ رَأْيَانَهُ الأثول
وساسةُ الحربِ إن حربيَّةً بدت لهم حتى بدا لهم الإقبالُ والقتلُ (١)
أولئك القومُ أنصارُ طليحٍ وم قوى أصبَرُ إليهم حين أنصَلُ
ماتوا كراماً ولم تُحَكِّفْ هودهم وقتلهم في سبيلِ الله إذ قُتلوا
قال ابن هشام : عجز آخرهما بيتان عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كنا ملوكَ الناسِ قبلَ محمدٍ فلما أتى الإسلامُ كان لنا الفضلُ
وأكرمنا الله الذي ليسَ غيره إلا بأيامٍ معدت ما لها شكلُ
بصرِ الإلهِ والرسولِ ودينه وألبناه اسماً مضى ماله مثلُ
أولئك قوى خير قومٍ بأسِهم فاخذ من خير قوى له أهلُ
يُرثون بالمعروفِ معروف من مضى وليس عليهم دون معروفهم قتلُ (٢)
إذا اختلطوا لم يُفيعشوا في دينهم وليس على سؤلهم عذم بخلُ (٣)
وإن حاربوا أو سالوا لم يُقبَّهوا خربهم حَقٌّ وتسلمهم سهلُ
وجارهم موفٍ بعلية يتيه له ما توى فينا - الكرامةُ والبذلُ
وحانلهم مُوفٍ بكلِّ تحالفٍ تحتل لا غرمَ عليها ولا غنلُ
وقاتلهم بالحقِّ إن قال قاتلُ رحلهم قَوْدٌ وحكهم عدلُ (٤)
ومنا أميرُ المسلمين حياة ومن غتته من جناية الرُّسلِ (٥)

قال ابن هشام : وقوله : « وألبناه اسماً » عن غير ابن إسحاق :

(١) التفل : الرجوع . (٢) يرون : يصلحون .

(٣) اختلطوا : قصدوا . (٤) هود : متكرر .

(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تروم أن الرسول قال للمسلمين جميعاً
مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم . أما من غتته الملائكة . هو حنظلة المدعي غسيل الملائكة
رؤسهم أنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

قوى أولئك إن سأل	كرام إذا الضيف يوما ألم
عظام القصور لا يسارم	يكيون فيها المين السنين ^(١)
يؤاسون جازم في القى	ويحسون مولاهم إن محلم
فكانوا ملوكا بأرضهم	يتادون غضبا بأمر قسم
ملوكا على الناس ، لم يملكوا	من الدمير يوما كيل القسم ^(٢)
تأثبوا . بسايد وأشباهم	ثمود وبعض بقايا إزم ^(٣)
يثرب قد شيدوا في التخليل	حصونا وذجن فيها التعم ^(٤)
نواضح قد طلتها البهو	د : قل - إليك وقولا فلم ^(٥)
ولما اشتبها من صير النقا	ب والعيش رخوا على غيرهم
فيرنا إليهم بأنقالنا	على كل فعل يجان قلم ^(٦)
تجنبا حين جياذ الحيو	ل قد جلولما جلال الأدم ^(٧)
فلسا أفاخوا بجني حراري	وشدوا السروج بل الحزم
فا راصم غير مفعج الحيو	ل والزحف من تخلفهم قد دهم ^(٨)
فطاروا سراعا وقد أنزعوا	وجشا إليهم كاشد الأجم
على كل تلبيق في الصيا	ن لايتكن تحول السأم ^(٩)
وكل كني مطار القواد	أمين القصوم كئل الزلم ^(١٠)
عليها فوارس قد هودوا	قراغ الكاؤ وضرب الهنم ^(١١)
ملوك إذا غصموا في البلاد	لايتكولون ولكن قدسدم ^(١٢)

- (١) الأيسار : من يدخلون في الميسر . السهم : عظيم السنام .
 (٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة .
 (٣) أنبوا : أنبتوا .
 (٤) دجن : اتخذت في البيت .
 (٥) التواضع : الإبل التي يسقى عليها الماء . حل : كلة تزجربها الإبل .
 (٦) المجان : الأبيض . قلم : المشى الضراب .
 (٧) جنبا : قدنا إلى جنبا . جلولما : غطوها . الأدم : الجند .
 (٨) معج : سرعة .
 (٩) السلية : القرس السريعة .
 (١٠) مطار : ذكي . أمين القصوم : ما قوى من النظام . الزلم : الضيق .
 (١١) إليهم : الأبطال الشجعان .
 (١٢) غصموا : اشتد ظلمهم .

فأنا بساداتهم والنساء
ورثنا ساداتهم بمهمهم
فأنا أنا الرسول الرشيد
قلنا صدقت رسولك إليك
فنهض أنك عبد الأبرار
فأنا وأولادنا نجدة
فمن أولئك إن كذبوك
وناد بما كنت أخفته
فصار النساء بأسيانهم
فقلنا إليهم بأسياننا
بكل صليل له نية
إذا ما فسادت صميطا
فذلك ما ورتنا القصور
إذا سر نل كفى نل
فإن من الناس إلا لنا

وأولادهم فيهم
وكتبنا ملوكا بها لم
د بالحق والقور بعد الظلم
ملم إلينا وفينا أقم
أرسلت نوراً بدين قيم
فبك وفي مالنا فاحكم
فأنا نداء ولا فتنهم
نداء جباراً ولا تكتم
إليه يظنون أن يحرقهم
فأنا من نداء الأمم
رفيق الناب عضوي خليم
م لم يلب منها ولم يتكم
م مجدداً قليداً وعيراً أثم
وغادر نل إذا ما انقضم
عليه وإن غاس نل أثم

قال ابن هشام: أئندني أوزيد الأنصاري يته :

فكانوا ملوكاً أرحمهم
بسادون غضبا بأمر فتنهم
وأئندني :

يثرّب قد شيدوا في الخيل
حسونا ووجن فينا
ويته . . . وكل كيت طار القواد ، هـ .

(١) يحرقهم : يهلك .

(٢) له مية أي مفعول يشبه المائات في برقه وصفاته . الذباب أحد اليف .

غتم : قاطع .

(٣) القروم : السادة . التلد : القديم . الأثم : العالي .

(٤) انضمم : اقترض . (٥) غاس : غمر .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسبغت ثيابه وبأبست ، حُرِبَ إليه وفود العرب من كل وجه .
قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .
قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرْثِصُ بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهادهم ، وأهل البيت الحرام ، وصرح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا يتكروَن ذلك ، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودان له قريش ، ودوخها الإسلام وحزفت العرب أنه لاطاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا هداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفود : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه خطاير ابن حاجب بن زُرارة بن خُدَّاس التميمي ، في أشرف بني تميم ، منهم الأقربح بن حابسة التميمي والزيتران بن بدر التميمي ، أحد بني سعد ، وعمر بن الأَتم ، والحجاب بن يزيد .
الحفلات : قال ابن هشام : الحفلات وهو الذي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين ، بين أبي بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين أبي ذر الثفاري والمقداد بن عمرو البهرازي ، وبين معاوية بن أبي سفيان والحفلات بن يزيد الجاشعي فأت الحفلات عند معاوية في خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك ورواه بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية .

أبوك وعي يا معاوية أودعا نزالا فيحتاز التراث - ألقوه

فأبال ميراث الخنثاء أكلته ومهاث حرب جامد لك ذائبه

قال ابن إسحاق : وفي وفد بني تميم نعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عامر ،
أخو بني سعد ، في وفد عظيم من بني تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بني دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن
نسيم ، والأقرع بن حابس ، أحد بني دارم بن مالك ، والخنثاء بن يزيد ، أحد بني دارم بن
مالك ، والزرقان بن بدر ، أحد بني بديلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ،
وعمر بن الأتم ، أحد بني ينقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن
تميم ، وقيس بن عامر ، أحد بني ينقر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومهم عيينة بن يحيى بن حذيفة بن بدر الخزاري ، وقد كان الأقرع بن
حابس ، وعيينة بن حسن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحيفا والبلاتيب .

أصحاب الجحش : فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بني تميم المسجد
نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حبراء : أن أخرج إلينا يا محمد ، فأذى ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من بهائمهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئتكم نقاخركم ،
فأذن لنا من خيلنا : قال : قد أذن لكم خيلكم قليل .

كلمة عطارد : فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمِنَّة ، وهو أمله ، الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا
عظاما ، فعمل فيها للعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عددا ، فن
مثلنا في الناس وأولى فضلهم ؟ فن فآخر فليعدد مثل ما عدنا ، ولو نشاء لأكرنا الكلام ،
ولكننا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإننا نُعْرِفُ بذلك .

ه أقول هذا لأن تأتوا بمنزل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن
بداشماس ، أخو بني الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل في خيلته . فقام ثابت ، فقال :

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه عليهن ، ولم يك
شيء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدره أن جعلنا ملوكا ، وأعطاني من خير خلقه رسولا ،
أكرمه نسباً ، وأصدق حديثاً ، وأفضل حسبا ، فأبذل علي كتابه وأتته علي خلقه ، فكيف خير ؟

الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حبساً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً . ثم كان أول الخلق إجابةً ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، ففتح أنصار الله ووزراء ورسوله ، قاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله قُتِعَ منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً . أقول قول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

الزريقان يفتخر بقومه : فقام الزريقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلا حتى يصادنا منا الملوك وفيما نصب البيع^(١)
وكم قسرنا من الأحياء كلهم عند الثأب وفضل العز يبيع
ونحن نعلم عند القعوط مطعنا من الثواء إذا لم يؤنس القزع^(٢)
يا ترى الناس تأتينا سرائهم من كل أرض مهيوباً ثم تصطنع^(٣)
فتعثر الكوم محطاً في أرويتنا للنازلين إذا ما أنزلوا شعوا^(٤)
فلا ترونا إلى حتى تغارهم إلا استفادوا فكانوا الرأس يقطع
فن يفاخرنا في ذاك نعرفه فبيع القوم والأخبار تستمع
إنا أينما ولا يأن لنا أحد إنا كذلك عند القعر نرفع

قال ابن هشام : ويروى :

منا الملوك وفيما قسم الزبيع^(٥)

ويروى : من كل أرض هواناً ثم تبيع

رواه لي بعض بني تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر يشكرها للزريقان .

حسان بن برد عن الزريقان : قال ابن إسحاق : وكان حسان غالياً ، فيمت إليه رسول الله

(١) البيع : أماكن العبادة . (٢) القزع : السحاب ليس فيه مطر

(٣) هويأ : سراها .

(٤) الكوم : القوق عظام الأسمنة . عيطا : بلا سبب . الأرومة : الكرم .

(٥) البيع والمخيط : ربيع النخلة الذي كان يأخذه الرئيس في المأطحة .

صلى الله عليه وسلم قال حسان : جاءني رسول ، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم ،
فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

مننا رسول الله إذ حل وسطنا على أنف راضي من تمتد وراغم
منعناه لما حل بين يورتنا بأسياينا من كل باغ وظالم
بيت سريه عزه وثراؤه بحماية الجولان وسط الأعاجم (١)
هل المجد إلا السودد العود والتدى وجاء الملوك واحتمل الظالم (٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ،
عرضت في قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان ، فقال :

إن الذوائب من غير وإخوتهم قد بينوا سنة قنيس متبع (٣)
يرضى بهم كل من كانت سيرته تهوى إليه وكل الخير يطمع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياءهم نفعا
سجة تلك منهم غير محدمة إن الخلائق فاعلم شرما اليدع (٤)
إن كان في الناس سابقون يهزم فكل سبقي لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوتت أكرمهم عند النعام ولا يؤهون ما رقعوا (٥)
إن سابقوا الناس يوما فاز سبقهم أو وازنوا أهل عهد بالتدى متعوا (٦)
أعفة ذكرت في الوحي عظمهم لا يطعون ولا يردهم طمع (٧)
لا يتخلون على جابر بفنيلهم ولا يحسم من مطعم طبع (٨)

(١) الحريد : الفريد في العز . الجولان : بلد بسوريا والمراد أن حرم قديم متصل
بمضارة الناصرة في الشام .

(٢) السودد : المجد . والعود : المتكرر . (٣) الذوائب : السادة الأشراف .

(٤) السجة : العليمة . (٥) أوتت : خدمت .

(٦) متعوا : زادوا وارتفعوا . (٧) لا يطعون : لا يتشاورون .

(٨) طمع : دنس .

إذا نفسبتا لحى لم تذبّ لم
نسو إذا الحرب نالتنا خالها
لا يفتخرون إذا قالوا عدوهم
كانهم في الوعى والموت مكتنع
خذ منهم ما أمى عفوا إذا غضبوا
فإن في حريم - فارك عداوتهم -
أكريم يقوم رسول الله شيعتهم
أهدى لهم مدحى قلب يؤازره
فإنهم أنضل الأحياء كلهم

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد :

يرضى بها كل من كانت سريره
تهوى إليه وبالامر الذى شرهوا
شعر آخر للابرقان بن بدر : وقال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم :
أن الأبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قام فقال :
أنيك كما يسلّم الناس فضلاً
بأننا فروع الناس في كل موطن
وأنا نذو الملعين إذا انتحوا
وَضَرَبَ رَأْسَ الْأَشْيِدِ الْمُتَفَائِمِ^(١)

-
- (١) نصبتا : أظهرنا العداوة . الذرع : ولد بقرة الوحش .
(٢) نسو : نهض . الزعاقف : يريد بها : أطراف الناس . خشموا : نذلوا .
(٣) الخور : الضعفاء .
(٤) مكتنع : قريب . حلية مكان باليمن كانت تكثر فيه الأسود . الإرساخ جمع رسخ : منفصل ما بين الساق والقدم . فدع : اعرجاج .
(٥) السلع : نبات سام . (٦) شمو : هزلوا .
(٧) الملعون : الشيطان الذين يتحون عليهم علامة يبرفون بها . الأصيد : المحكم .
المتفائم : المتعاطف .

وأن لنا إرباع في كل غارق نعيم بنجد أو بأرض الأحاجيم
 شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان : فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :
 هل الجحد إلا السوءة التورث والتدى
 وجهاء الملوك واحتمال العظام
 نصرنا وأويننا التي محمداً
 على أنف وامن من حمدة وراغم
 بحر حريد أصله ونراؤه
 بجايق الجولان وسط الأحاجيم
 نصرناه لما حل وسط ديارنا
 بأسياننا من كل باغ وظالم^(١)
 جعلنا بيننا دونه وناتنا
 ولبنا له نفسا يؤذ المغام
 ونحن حربنا الناس حتى تابوا
 على دينه بالرمفات الصوام
 ونحن ولدنا من قريش عظيما
 ولدنا نبي الخير من آل هاشم^(٢)
 نبي دارم لا تنفروا إن نغركم
 يعود وبالا عند ذكر المكارم
 قياتم علينا تغفرون وأتم
 لنا حول ما بين ظنير وخادم^(٣)
 فإن كنتم جستم لحق دماركم
 وأموالكم أن تقسموا في القاسم
 فلا تجعلوا لله ندا وأسلوا
 ولا تلبسوا زيا كزي الأحاجيم

إسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن
 حابس : وأبي ، إن هذا الرجل لأوثق له^(٤) ، فخلعه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من
 شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلوا ، وتجاوزهم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، فأحسن جوارهم .

شعر ابن الأهمتم في هجاء قيس : وكان عمرو بن الأهمتم قد خلفه القوم في ظهريهم^(٥) ،
 وكان أحمرهم سنا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان ينضض عمرو بن الأهمتم : يا رسول الله ، إنه قد

(١) انظر شرح الآيات السابقة في هامش من ٢٥٥ .

(٢) ذلك أن أم عبدالمطلب . من أهل يثرب .

(٣) ملبم : تكلم . الحول : العييد والخدم . الظنير : المرعضة غير ولدها .

(٤) مؤثق له : أى موفق .

(٥) ظهريهم : لظهرهم .

كان رجل منا في رسالتنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فلبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهم حين يلته أن قيسا قال ذلك يهجه :

غسلت مفترش الملبأ تشمتني عند الرسول فلم تصدق ولم تُصِبْ^(١)

ثمذا كرم مؤددا رهوا وسؤددكم ياد نواجذه مُقع على الذنب^(٢)

قال ابن هشام : بقي بيت واحد تركاه ، لأنه أقنع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

في الوفاة عن بني عامر

وقصة الوفاة : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن سبرة بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمي بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

عامر يدبر الفدر بالرسول : فقدم عامر بن الطفيل نحو الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الفدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم قال : وأقصد كذا آيت أن لا أتى حتى تتبع العربيتي ، أفأنا أبجع عقب هذا الفق من قریش : ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فإني سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله باليسف : فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خالني^(٣) ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالني . وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يغير شيئا : قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالني قال :

(١) الملبأ في الأصل: شعر الذنب ويريد به هنا مؤخرته .

(٢) رهوا : متعأ . التواجد : الاستان . مقع : جالس على الذنب : يريد به هنا مؤخرته .

(٣) خالني : أي اتخذني خليلا .

لا، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أما والله لا ملائمة عليك خيلاً ورجلاً: فلما ولي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم اكفني عامر بن الطفيل فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عامر لأريد: وبك يا أريد أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك. وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال: لا أبالك: لانجيل على، والله ما ممت بالذى أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟

موت عامر بعد ما الرسول عليه: وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق يمضت أمه على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر، أغد كنفه البكر^(١) في بيت امرأة من بني سلول؟

قال ابن هشام: ويقال أغد كنفه الإبل، وموت في بيت سلولة.

موت أريد بصاعقة: قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين واره، حين قدموا أرض بني عامر شائين: فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أريد؟ قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن، فأرنيه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقاتته بيوم أو يومين معه جل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة، فأحرقتها. وكان أريد ابن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه.

ما نزل في عامر وأريد: قال ابن هشام وذكر زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: وأنزل الله عز وجل في عامر وأريد: «الله يعلم ما تحيل كل أمي وما تقيض الأرحام وما تزداد». إلى قوله «وما لهم من دونه من قاله»
قال: للمعقبات: هي من أمر الله يحفظون عباداً، ثم ذكر أريد وما قتله الله به، فقال: «ورسل الصواعق فيصيب بها من يشاء» إلى قوله: «شديد الخال».

هم لبيد في بكاه أريد: قال ابن إسحاق: فقال لبيد يبيك أريد:

ما إن تشدني للثوب من أحدي لا والدني مشفني ولا ولي
أعشى على أريد الخنوق ولا أريد قوة الشباك والأتيد

(١) الكنفه: مرض يصيب الإبل بموت منه. البكر: الفتى من الإبل.

فمن ملة بكيت أربد إذ
 إن يشقوا لا يال شقيم
 لحو أربد وفي حلاوة
 وعين ملة بكيت أربد إذ
 وأصحت لأقعا مفرمة
 أشجع من ليد غابة لحم
 لا تبلغ العين كل نهيبا
 الباعث الروح في مآربه
 فجنى البرق والمواضع بال
 والحارب الجابر الحرب إذا
 ينفو على الجهد والسؤال كما
 كل بني سرق مصرهم
 إن يمتلوا يمتلوا وإن أمروا

فمننا وقام النساء في كبد^(١)
 أو يقصدا في الحكوم يقصدا
 نمر لطيف الأحباء والكبد
 ألوت وياخ النساء بالتصدي
 حتى تجلت غوارب الشدد^(٢)
 ذو نهيق في الملا ومنقدا^(٣)
 ليلة محمي الجاؤ كالقيلد^(٤)
 مثل الغايو الأبقار بالجرود^(٥)
 مغارس يوم الكربة النجد
 جاء نيكيا وإن بعد ينجو^(٦)
 ينبت غيث الربيع ذو الرصد^(٧)
 قل وإن أكرمت من العدد
 يوما فهم الهلاك والتفد

قال ابن هشام: يته: « والحارب الجابر الحرب »، عن أبي حنيفة، ويته: « ينفو حل الجهد »، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال ليد أيضا يكي أربد:

ألا ذهب المحافظ والمعاى
 وأيقنت التفريق يوم قالوا
 فطير صائد الأشرار شفا
 وماتع ضيها يوم الخصام
 فحسم مال أربد بالهام
 ووزرا، والرحامة للنلام^(٨)

(١) الكبد: للشقة.

(٢) مصرمة: لا لبن فيها. الغوارب: البقايا.

(٣) لحم: كثير أكل اللحم. منتقد: يصير بالأمور.

(٤) القند: السور تصنع من الجلد.

(٥) الروح: جماعة النساء النائمة. الجرد: الأراضي القاحلة.

(٦) الحارب: السالب. والنكيب: للصاب.

(٧) ينفو: يعطى. الرصد: الكلا القليل.

(٨) العدائد: الإحصاء. الأشرار: الشرارة.

فودع بالسلام أبا محسّر
وكتت إمامنا ولنا نظاما
وأريد فارس الهيكل إذ ما
إذا بكسر النساء مردقات
هوامل يوم ذلك من أنام
ويحمد قدر أريد من عراها
وجارته إذا حلت لديه
غائب تقعد فسكرمة حصان
وهل حدثت عن أخوين داما
وللا الفرقدن وآل نمش
قال ابن هشام : وهي في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال لييد أيضا يسكى أريد :

انبع الكرم للكرم أريدا انبع الرئيس والظيف كبدا
يحذى يعطى ماله ليحمدا أدما يشبهن صورا أريدا^(١)
السائل التفضل إذا ما عددا ويملا الجفنة ملنا مددا^(٢)
رفها إذا يأتي حريك ورحا مثل الذي في الغيل يقر ورحا^(٣)
يرداد قريبا منهم أن يوعدا أورتنا تراث غدير أنكددا^(٤)

(١) الجزع : الخرد البياض .

(٢) المشاجر : نوع من الموادج - الفتام : ما يفرش في المودج .

(٣) يحمى : يعطين الخدم مفردا خدمة ، الساق .

(٤) وآل : ألبا . (٥) ابنا شمام : جبلان .

(٦) الفرقدان : بجمان بيران . وآل نمش يقصد بنات نمش الكبرى والصغرى بمحوعات

من التجوم .

(٧) يحذى : يعطى . الأدم : الإبل البيض . السمور : القطيع من بقر الوحش . أريدا :

نافرة . (٨) الجفنة : وعاء يصنع من خشب الأبنوس

الغريك : الفقير . الغيل : أكمة الأسد . يقر : يتبع . حمد اسم جبل .

(١١ - (١٠) أبو : (١١)

رغباً ومالاً طارفاً وولداً
شرخاً صقوراً يافعاً وأمرداً^(١)
وقال لييد أيضاً :

لن تغنيا خيرات أر بد فابكيا حتى يعودا
قولا هو البطل للمحا مى حين يكون الحديدا
ويصد عنا الظايا من إذا لقينا الأثوم صيدا^(٢)
فاعتاقه رب البرية - إذا رأى أن لاخلوداً^(٣)
فشوى ولم يرجع ولم يوصب وكان هو الفقيدا
وقال لييد أيضاً :

يدكرنى بأريد كل خصم ألد تخال خطته ضرارا^(٤)
إذا اقتصدوا فقتصد كريم وإن جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلعا إذا ما دليل القوم بالمومة حارا^(٥)
قال ابن هشام : آخرها بيتا عن ابن إسحاق .
قال ابن إسحاق : وقال لييد أيضاً :

أصبحت أمشى بعد سلى بن مالك وبعد أبي قيس وعروة كالأجب^(٦)
إذا مارأى ظل الغراب أضجه حذاراً على باقي الناسن وللعصب^(٧)
قال ابن هشام : وهذان البيتان في أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعد بنو سعد بن بكر لى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم :
يقال له ضمام بن ثعلبة .

-
- (١) شرخا : شبليبا : اليافع : الغلام قارب البلوغ والأمرد الذى لما تنبت لحية .
(٢) الصيد : المتكبرون (٣) اعتاقه : أعاقه من أن يبلغ غايته .
(٤) ألد : قوى الخصومة (٥) المومة : السحراء (٦) الأجب : مقطوع السنام .
(٧) أضجه : صاح عليه الناسن : فقار التلر .

إسلامه : قال ابن إسحاق : خدعتني محمد بن الوليد بن ثوبان عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بتوسد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل للمسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ؛ وكان ضمام رجلا جلدا أشعر ذا غديرين ^(١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال : أحمد ؛ قال : نعم ؛ قال : يابن عبد المطلب ، إني سألتك ومظف عليك في المسئلة ، فلا تجدني في نفسك ، قال : لأجد في نفسي ، فسل عما بدا لك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لا نشرك به شيئا ، وأن نطعم هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تضي هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما تنهى عنه ، ثم لأزيد ولا أقص . ثم انصرف إلى بعيره واجما . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذوالعقيصتين دخل الجنة .

دعوة قومه للإسلام : قال : فأتى بعيره فأطلق صفاه ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه فكلن أول ما تكلم به أن قال : بعثت اللات والعزى قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجنون ؛ قال : وليكم ؛ إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استفتيكم به بما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه . قال : فواحه ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما .

قال يقول عبادة بن عباس : فاستمعنا بوافد قدم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

قدوم الجارود في وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حشّ أخو عبد القيس..
قال ابن هشام: الجارود بن بشر بن للمل في وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

إسلامه : قال ابن إسحاق : حدثني من لأئهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه ؛ فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، وورّبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، أقتضين لي ديني؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا ضامن أن قد صدّك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الختلان ، فقال : والله ما عندى ما أحلّكم عليه . قال : يا رسول الله ، فإنّ بيتنا وبين بلادنا ضوالت من ضوالت الناس : أنتنبلغ علينا إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فأبما تلك حرق النار .

مواقفه من ردة قومه : خرج من هذه الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، محباً على دينه ، حتى ملك وقد أدرك الردة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم مهم إلى دينهم الأول مع القرو بن المنذر بن النعمان بن المنذر ^(١) ، قام الجارود فتكلّم ، فتشهد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وأكثروا من لم يشهد .

قال ابن هشام : وروى : وأكفى من لم يشهد .

إسلام المنذر بن ساوى : قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى ، فأسلم فحسن إسلامه ، ثم ملك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلة الكذاب

وقدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ، فيهم مُسَيْلَةُ بن حبيب الخنفي الكذاب

قال ابن هشام : مسيلة بن ثمامة ، يكنى أبا ثمامة .

(١) اسمه المنذر : وسعى القرو لانه غرقومه يوم حرب الردة .

قال ابن إسحاق : فكان منزه في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بني التجار ، فحدثني بعض علمائنا من المدينة : أن بني حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تسره الثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه . معه قتيب من سفن النخل ، أسه خوصات ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه بماله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتني هذا العيب ما أعطيتك .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، عم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفوا مسيلة في رحالهم ، فلما سلوا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظنا لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به القوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ؛ أي لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بأهواء ، فلما اتهموا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتبأ وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذا كان إلا لما كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه ، ثم جعل يشجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة^(١) للقرآن : لقد آمنم الله على الخيل ، أخرج منها كلمة تسمى ، من بين صفاتي^(٢) . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي ، فأصفت^(٣) معه حنيفة على ذلك ، فآله أعلم أي ذلك كان .

قدوم زيد الخيل في وفد طيء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيء ، فهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما اتهموا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كأحدثي من لا أنهم من

(٢) الصفاق ما روى من البطن .

(١) مضاهاة : مشابهة .

(٣) أصفت : اجتمعت .

رجال طوي : ما ذكرني رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني ، إلا رأيته دونه ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقطع له قيلاً وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماً إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه قال : قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أم ملثم^(١) فلم يُقْبِه — فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له قَرْذَة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمرتمني قوى المشرق غُدوةً وأترك في يدي بضرةً مُنْجِدٍ
ألا ذُتُّ يوم لو تَرِضْتُ لعادني عوائد من لم يَتْرُكْ مني يَحْجِدُ^(٢)

فلما مات عادت أمراته إلى ما كان معه من كتبه ، التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرقها بالنار .

قلوم عدى بن حاتم

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغني : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأة شريفاً وكتت نصرانياً ، وكتت أسير في قومي بالمزباج^(٣) فكنت في نفسي على دين وكتت ملكاً في قومي ، لما كان يصنع بي . فلما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت للغلام كان لي عربي ، راعياً ليلاً : لا أبالك ، أعد لي من إبل أجمالاً ذُللاً^(٤) سماناً ، فاحتبسها قريباً مني ، فإذا سمعت يجهش

(١) والاسم الذي ذهب عن الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة ، قاله أبو عبيدة في مقاتل الفرسان ، ولم أراه ، ولكن رأيته البكري ذكره في باب أفردته من أسماء البلاد ، ولما أيضاً اسم سوى هذه الأسماء ذكره ابن دريد في البحرة ، قال : سباط ، من أسماء الحمى على وزن رَئاش ، وأما أم ملثم ، فيقال بالذال ، وبالذال وبكسر الليم وقصحا ، وهو من اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيراً من كلبة بضم الكاف ، والكلبة شدة الزخعة ، وكلب البرد شدائده ، انظر الروض ج ٤ ص ٢٢٧ .

(٢) يرى : يجهد . (٣) أى أخذ ربع القنينة وكذلك كان يفضل الرؤساء في الجاهلية

(٤) الذلل : السهبة .

محمد قد وطئ هذه البلاد فأذن ، ففعل ، ثم إنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدى . ما كنت سامعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنه الآن ، فإني قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فاقرب إلى أجمالي ، فقرأها ، فاحتملت بأهل وولدي ، ثم قلت : ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام ؛ فسلكت الجوشية ، ويقال : الجوشية فيها قال ابن هشام - وخلفت بنتا^(١) لحاتم في الحاضر ؛ فلما قدمت الشام أقمت بها .

أسر الرسول ابنة حاتم : وتُحَالَفُ خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أضافت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبأ من طيء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مري إلى الشام ، قال : لجلعت بنت حاتم في حظيرة بياب المسجد ، كانت السبأ يخبسن فيها ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامن على من " الله عليك . قال : ومن وادك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ، حتى إذا كان من الغد مري ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مري وقد بشت منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قوى فسلمه ، قالت : فقامت إليه ، فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامن على من الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجل بمخروج حتى تهمدي من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يملكك إلى بلادك ، ثم أذنيني . فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن أكله ، فقيل : على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأقت حتى قدم ركب من يثرب أو قضاة ، قالت : ولما أريد أن آتي أخى بالشام . قالت : لجت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رعب من قوى ، لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحلني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوفاة إني لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلى ظمينة^(٢) تصوب إلى " توأنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا همي ، فلما وقفت على انسلت^(٣) قول : القاطع الظالم ، احتملت

(١) يقول السهيلي : اسمها سفانة ، لأنني وجدت في خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخاها قالت : فأخذ حاتم صديقا يعلو من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدى ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره التتبي ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهي إذا هذه المذكورة في السيرة . والله أعلم .

(٢) الظمينة : للراة في المودج . (٣) انسلت : أخذت تلوم .

بأهلك وولدك ، وتركيت بنية والدك عورتك ، قال : قلت : أى أختية ، لا تقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا ترى فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سرىما ، فإن يكن الرجل نيبا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فإن تذل فى عز اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا رأى

قال : فخرجت حتى أقفتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتفت إلى بيته ، فوالله إنه لعامد فى إليه ، إذ لقيه امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقفت لها طويلا تسكبه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل فى بيته ، تناول وسادة من آدم محصورة ليفا ، ففذهها إلى ؛ فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، جلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيو يا عدى بن حاتم ! ألم تلك زكوتيا ؟ قال : قلت : بل ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالرياح ؟ قال : قلت : بل ، قال : فإن ذلك لم يكن يحمل لك فى دينك ؛ قال قلت : أجل والله ، وقال : وعرفت أنه نبي مرسل ، يعلم ما بهيول ؛ ثم قال : لملك يا عدى إنما يملك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله لو شكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ لو لملك إنما يملك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقله عدوهم ، فوالله لو شكن أن تسمع المرأة تخرج من القادسية على بغير ما حتى تزور هذا البيت ، لا تتألف ؛ ولو لملك إنما يملك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وإيم الله لو شكن أنه تسمع بالتصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ، قال : فأسلمت .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وقيت الثالثة ، والله لشكونى ، قد رأيت التصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغير ما لا تخاف حتى تخرج هذا البيت ، وإيم الله لشكون الثالثة ، ليفض المال حتى لا يوجد من يؤخذه .

قدوم فروة بن قيسك المرادى

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن قيسك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لآلوك كيدة ، ومباعدا لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهشام وقصة : أصابت فيها هشام بن مراد ما أرادوا ؛ حتى أشتقوا في يوم كان يقال له : يوم الرِّقَم ، فكان الذي قاد هشام إلى مراد : الأجدع ابن مالك في ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذي قاد هشام في ذلك اليوم مالك بن حريم الهمداني .

قال ابن إسحاق : وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مُتَيْك :

مردنا على لُفَاةٍ وَهْنٌ خَوْصٌ	ينازعن الأَعْنَةَ يَنْتَحِنَا (١)
فَإِنْ تَغْلِبْ فَنَلَابِثُونَ قَدَمَا	وإنْ تَغْلِبْ فَنَعْبُدُ مُغْلِبَنَا (٢)
وَمَا إِنْ يَغْلِبْنَا جَمِينٌ وَلَكِنْ	مَنَايَا وَطَمَنَةً آخِرِينَ (٣)
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلُهُ سَجَالٌ	تَكَرَّرُ صُرُوفُهُ جِنَا لَحِينَا
فِينَا مَا تُسْرِ بِهٍ وَنَرْضَى	وَلَوْ لَبِستَ قَضَارُهُ حِينَنَا
إِذَا انْقَلَبَتْ بِهِ كَرَاتٌ دَهْرٍ	فَأَلْفَيْتَ أَلَى حُطَا طَمِينَا
فَنْ يُضَيِّقَ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ	يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ حَسْرَنَا
فَلَوْ تَحَلَّكَ الْمُلُوكُ إِذَنْ تَحَلَّلْنَا	وَلَوْ بَقِيَ الْكَرَامُ إِذَنْ بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَلِكَ سَرَوَاتٍ دَوَى	كَأَفْنَى الْقُرُونِ الْأَوَّلِينَا

قال ابن هشام : أول بيت منها ، وقوله : « فَإِنْ تَغْلِبْ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مُتَيْك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك يَكْدَة ، قال :

لَا رَأَيْتُ مُلُوكَ يَكْدَة أَعْرَضَتْ
قَرْبَتُ رَاحَتِي أَوْمٌ عَمْدَا
كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ مِرْقُ نَسَائِمَا (١)

أَرْجُو فَوَاحِلَهَا وَحَسَنَ قَرَأِمَا

(١) لُفَاة : موضع . خَوْص : غائرات العيون .

(٢) معنى البيت : أن تغلب الناس فهذا من طبعنا وما تعودنا عليه منذ القدم أما وقد

انهزمنا مرة فلن تتكرر .

(٣) طَبْنَا : شأنا وعادنا .

(٤) النَّسَام : عرق يتد من الورك إلى الكتف ، في مده لضرورة الشعر والأصح أنه لا يقال .

هرق النساء لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : يا قزوة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الزِّدْم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الرِّدْم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أما إن ذلك لم يرد قومك في الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مراد وُرِّيْدَ ومُدْجِج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد ابن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زُرَيْد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زُرَيْد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ياقيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قریش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبي ، فاطلق بنا إليه حتى نعلم عليه ، فإن كان نبياً كما يقول ، فإنه لن يهني طيلك ، وإذا لقيناه أبتناه ، وإن كان غير ذلك علمنا عليه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفه رأيَه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدقته ، وآمن به . فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعده عمراً ، وتحلم عليه^(١) ، وقال : خالفتي وترك رأيي فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمرتك يوم ذي منما	أمرأ باديا رَشْدَه
أمرتك بأهواء أقد	والمعروف تَقِيْسَه
خرجت من لقي مثل الـ	حبيب غره وُرِيْدَه
تماني على فرس	عليه جالسا أَسْدَه
على مفاضة كالثـ	ي أخلص ماته بَجْدَه ^(٢)
رَدُّ الرِّيح مثني الثـ	ثاني عواثراً يَصْدَه ^(٣)

(١) تحلم عليه : اعتد عليه .

(٢) مفاضة : أي درع مفاضة ، وهي الرماحة . انتهى : غدير الماء . الجند : الأرض الصلبة .

(٣) عواثر : متطايرة . القصد : القطع المتطايرة من الرِّيح .

فلو لاقيتي للقيح حت ليثا فوثة لبد^(١)
تلاقى كفتينا شئنا ال براثن فاشراً كتنه^(٢)
يساي القرن إن قرن^(٣) تيممه فيعنه^(٤)
فياخذ فرفسه فيخطفه فيقتصده^(٥)
فيدتفه فيحطه فيخضه فيزدرده^(٦)
ظلم الشرك فيا أحد رزت أينا به وئدة

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة :

أمرتك يوم ذي صنا أمراً بينا وقته
أمرتك بأهواء الله تأتبه وتممه
فكنت كذي الخير غر زه : عما به وئده

ارتداد عمرو بعد موت الرسول : قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زيد وعليهم فروة بن مسيك فلما تولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو بن معد يكرب وقال حين ارتد :

وجدنا فرك فروة شر ملك حمراً ساف متغيره ينفر^(١)
وكنث إذا رأيت أبا عمير ترى الحولة من تحب وعقير^(٢)
قال ابن هشام : قوله شفر ، عن أبي عبيدة .

-
- (١) اللبد : الشعر الذي على أكتاف ورموس الأسود المفرد لبد .
(٢) الشنبك : الذي لا يزال خصمه . الشن : غليظ الأصابع : البرائن : مغالب الأسد .
فاشر : مرتفع . الكند : ما بين الكتفين .
(٣) يسان : يضطه تحت عنقه فيصره . (٤) يمتصده : يصره .
(٥) يدمغه : يشج رأسه حتى يصل الجرح إلى أم دماغه . يحطه : يكسره . يعضه : يأكله . يزدرده : يئله .
(٦) ساف : شم . الثفر ليهائم كالرحم للنساء .
(٧) الحولة : ما يخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة ، يشبه من يهجره أنه في الحيف والقدارة مثل الحولة .

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس ، في وفد كندة أخذني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمانين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، وقد رَجَلُوا (١) بَجَمْعِهِمْ (٢) ، وتكلموا ، وعلمهم جيب الخبزة ، وقد كففوها (٣) بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تملوا ؟ قالوا : بلى ، قال : فلما بال هذا الحرير في أحناقكم ، قال : فشقوه منها ، فالتقوه .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله : نحن بنو آكل اللرار ، وأنت ابن آكل اللرار ، قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وريصة بن الحارث ، وكان العباس وريصة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب ، فسئل من صاع ، قال : نحن بنو آكل اللرار ، يتميزان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكاً . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا تقفوا (٤) أمنا ، ولا تنقوا من أيتنا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرقم يا معشر كندة ؟ واهل لا أسمع رجلاً يقولوا إلا خضرتة ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل اللرار من قبل النساء ، وآكل اللرار : الحارث بن عمرو بن محجر بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن عمرو بن مُرْتَع بن معاوية بن كيدى ، ويقال كندة ، وإنما سمي آكل اللرار ، لأن عمرو بن أدبيرة النسائي أثار عليهم ، وكان الحارث غائباً ، فقم وسبي ، وكان فيمن سبي أم أناس بنت عوف بن ثعلم الشيباني ، امرأة الحارث بن عمرو ، فالتقوا في مسيره : لكأنني برجل أدلم (٥) أسود ، كأن مشافره مشافره

(١) رَجَلُوا : مشطوا . (٢) الجمع جمع : حمة . مجتمع شعر مقدم الرأس .

(٣) كففوها : طرزوها حروفها .

(٤) لا تقفوا أمنا : لا تتبع نسب أمنا . وقد أصاب الأشعث في بعض قوله فقد كان من جدات الرسول صلى الله عليه وسلم من هي من ذلك القبيل ، متبن دعد بنت سرير بن ثعلبة ابن الحارث الكندي ، وهي أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هي جدة كلاب ، أم أمه هند .

(٥) أدلم : مسترخي الشفتين .

بغير آكل مُزار (١) قد أخذ برقيتك ، تعني الحارث ، فسمى آكل المرار ، والمرار : شجر ، ثم سمى الحارث في بني بكر بن وائل ، فأجته ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن جَزْءة يشكرى لعمر بن النذر ، وهو عمرو بن هند النخعي :

وأفدناكَ رَبَّ حَسَنًا بِكَ بغير كَرَمًا إِذْ لَأَكُلُ الدَّمَاءَ

لأن الحارث الأعرج الضاني قتل للنذر أباه ، وهذا البيت في قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما معني من استقصاه ما ذكرت من التلح (٢) : ويقال بل آكل المرار : نجس بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمي آكل المرار ، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الفتوة شجرا يقال له المرار .

قدوم صُرد بن عبد الله الأزدي مسلما

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلم ، وحسن إسلامه في وفد من الأزد ، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بين أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتله أهل جرش : خرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجرش ، وهي يومئذ مدينة مغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد تحوّت (٣) إليهم تحفم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم فأفلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولي عنهم منهزما ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه طفق عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جرش بعثوا رجلا من منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادون وينظرون ، فبينما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأي بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشاني فقالا : يا رسول الله ، ينادنا جبل يقال له كثر . وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكثر ، ولكنه شكر ؛ قالوا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إن بُدِنَ الله لشجر عنده الآن ،

(١) المرار : نبات شديد المرورة إذا أكله البعير تقيضت شفتاه من المرارة .

(٢) أي قطع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) ضوت : لجأت .

قال : جلس الرجلان إلى أبي بكر أولي عثمان ، فقال لهما : وحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعني لكما قومكما فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نأسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما : فقاما إليه فأسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدنا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عباد ، في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

إسلام أهل جرش : وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحسب لهم حتى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحة وللشيرة ، وبقرة الحرت ، فن وعاه من الناس فأنهم سمعت : فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد . وكانت خنقم تصيب من الأزد في الجمالية ، وكانوا يتذنون في الشهر الحرام :

يا غزوة ما غزونا غير خاتبة فيها البغال وفيها الخيل والفرس
حتى أينما نحتبنا في مصانينا وجمع خنقم قد شاعت لها الذر^(١)
إذا وضعت غيلا كنث أحله فا أبالي أذا نوا بعت أم كفروا^(٢)

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مقدمته من قبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال . والتمنان قيل^(٣) ذي رعين وتمتافر وهمدان : وبعث إليه ربيعة ذو رعين مالك بن مرة الزمعاوي بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله . كتاب الرسول إليهم : فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله الذي ، إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى التمان ، قبل ذي رعين وتمتافر وهمدان . أما بعد ذلك ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا اله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم متقلبا من أرض الروم ، فليتنا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأبأنا بإسلامكم وقتلتم للشركين ، وأن الله قد مداكم بهداه ، إن أصلحت وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وأتيتم الزكاة ، وأعطيت من المغاتم

(٢) التليل : حرارة الجوف .

(١) للصانع : اقترى .

(٢) التليل : ملك لإقليم .

حسن الله ، وسهم الرسول وصفيه^(١) ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار^(٢) ، عشر ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الغرب^(٣) نصف العشر ، وأن في الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبع ، جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك واشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار وواف ، من قيمة المغفرة^(٤) أو عوضه ثيابا ، أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منه فداءه عدولته ورسوله .

أما بعد ، فإن رسول الله محمدنا النبي أرسل إلى زرعهذى زن أن إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عباد ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم . وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من غل ليفيكم ، وأبلغوها رسلى ، وأن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا يقتلن إلا راضيا .

أما بعد . فإن عمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الراوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير وأمرك محمد خيرا ، ولا تخونوا ولا تتخاذلوا ، فإن رسول الله هسوولى غيبكم وفقركم ، وأن الصدقة لا تحل لحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وأن مالسكا قد بلغ الحخير ، وحفظ الغيب ، وأمركم به خيرا : وإنى قد أرسلت إليكم من صلحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وأمركم بهم خيرا ، فأنهم مظلورون إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذ حين بعثه إلى اليمن : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذا ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يسر ولا تصر ويسر ولا تفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يستولونك مامفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن

(١) اصل الصقي : ما يصطفيه القائد من التهمة قبل القسمة :

(٢) العقار : الأرض . (٣) الغرب : الدلو .

(٤) المغافر : نوع من ثياب اليمن .

قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : يا صاحب رسول الله ، ما حق زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك إن المرأة لا تقدر على أن تزيد حق زوجها فأجهدى نفسك في أداء حقه ما استطعت ، قلت : والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة قال : ويحك ؟ لو رجعت إليه فوجدته تشعب^(١) منخراة قبيحا ودما ، فقصصت ذلك حتى تذهبيه ما أدبت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامي

قال ابن إسحاق : وبعت فروة بن عمرو النافرة الجذامي ، ثم التفأى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولاً يسأله ، وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملاً للروم على من يقيم من العرب ، وكان منزله معان وما حواله من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره ومقتله : فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في محبته ذلك :

طرفت سليمى موهنا أصحاني	والروم بين الباب والقروان ^(٢)
صد الخيال وساء ما قد رأى	وهملت أن أغفى وقد أبكاني
لا تكحل العين بصدى إنداء	سلى ولا تدن للإتيان
ولقد علت أبا كيشة أنى	وسط الأعز ولا يحص لساني ^(٣)
فلئن هلكت لتفقدن أحاكم	ولئن بقيت لتعرفن مكاني
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى	من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم : يقال له عفرأ فلسطين ، قال :

ألا هل أنى سلمى بأن حليبا	على ماء عفرأ فوق إحدى الرواحل
على ثاقبة لم ضرب الفحل أمها	مشذبة أطرافها بالمأجل ^(٤)

(١) تشعب : تسيل :

(٢) المرمي : نحو نصف الليل أو بدساعة منه . قروان : مثل صفوان : حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفي المثل ما فيها لاغى قرو : أى لاقى قرو :

(٣) لا يحص : لا يطلع

(٤) المشذبة : التى أزيلت غصانها .

فرغم الزهري بن شهاب ، أنهم لما قدموه ليقتلوه . قال :
بلغ سراحة المسلمين بأبي سلمة ربي أعظمى ومقاي
ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك اللام ، برحه الله تعالى .

إسلام بني الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، في شهر ربيع
الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدهوم إلى
الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد
حتى قدم عليهم ، فبعت الركبان يضربون في كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون :
أيها الناس ، أسلوا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام
وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
هم أسلوا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد ، السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإني أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد :
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنيك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم
ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعهم إلى الإسلام ، فإن أسلوا أقتلهم ، وقبيل منهم ،
وعطيتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا فقاتلتهم . وإني قدمت عليهم
فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعت فيهم ركبانا
خالوا : يا بني الحارث ، أسلوا تسلبوا ، فأسلوا ولم يقاتلوا ، وأنا مقم بين أظهرهم ، أمرهم
بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .
فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإني
أحد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإن كتابك جاءني مع رسولاك تخبر أن بني الحارث
ابن كعب قد أسلوا قبل أن يقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن
(١٢ - السيرة النبوية - ج ٤)

لا إله إلا الله . وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وإن قد مدام الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل
وليقبل معك وغدوم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فقدوم خالد مع وفدهم على الرسول : فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه
وفد بني الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحصين ذى النضة^(١) ، ويزيد بن عبد اللذان ، ويزيد
ابن الحنظل وعبد الله بن فرّاد الزبدي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمر بن عبد الله الضبائي^(٢) .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم
رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : أتمم الذين إذا مزجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ،
ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها
الرابعة ، فقال يزيد بن عبد اللذان : نعم ، يا رسول الله ، نحن الذين إذا مزجروا استقدموا ،
فالما أربع مرار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم
ولم تقاؤا ، لألقيت وموسمكم تحبب أندامكم ؛ فقال يزيد بن عبد اللذان : أما والله ما مدناك
ولا حدنا خالداً ، قال : فن تجدتم ؟ قالوا : حدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ؛
قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟
قالوا : لم تكن تغلب أحداً ؛ قال : بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ؛ قالوا : كنا تغلب من قاتلنا ؛
يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفرق ، ولا نبداً أحداً بظلم ، قال : صدقتم . وأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بني الحارث بن كعب قيس بن الحصين .

(١) ذو النضة : سمي بذلك لفظة فى سلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحصين بن يزيد بن شداد
الحارثي . ذكره عمر بن الخطاب يوماً فقال : لا تزاد امرأة فى صداقها من كذا وكذا ولو كانت
بنت ذى النضة .

(٢) الضبائي من ضباب بكسر الضاد فى بني الحارث بن كعب بن مذحج ، وضباب أيضاً
فى قریش وهو ابن حجر بن عبد بن معيص بن عامر أخو حجر بن عبد . والضباب فى بني عامر
ابن صعصعة ، وهم ضباب ومضب وحسل وحصيل بنو معاوية بن كلاب ، وأما الضباب بالفتح فى
نسب التابعة للذبياني ضباب بن يربوع بن غيث ؛ وأما الضباب بالضم فزيد ومنجا ابنا ضباب من
بني بكر ، ذكره الدارقطني .

فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقيّة من شواك : أو في صدر ذى القعدة ، فلم يمتكروا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضي وأمن .

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهدهم إليهم : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولي وقد هم عمرو بن حزم ، ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ودعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره : **بسم الله الرحمن الرحيم** هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من عهد النبي رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ، ويعقّبهم فيه وينبئ الناس ، فلا يس القرآن إنسان إلا وهو ظاهر ، ويحجر الناس بالذي لم ، والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ، ويشدد عليهم في الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : **الأنفة الله على الظالمين** ، ويشتر الناس بالجنة ويعلمها ، وينذر الناس النار وعلمها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وقريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ؛ وينبئ الناس أن يصل أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه وينبئ الناس أن يحتج أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء ؛ وينبئ أن يعقّب أحد شجر رأسه في قفاه ؛ وينبئ إذا كان بين الناس تمشيع عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف ؛ حتى تصكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ومسحون برؤوسهم كما أمرهم الله ؛ وأمر بالصلاة لوقتها ؛ وإتمام الركوع والسجود والخشوع ؛ ويطمس بالصبح ؛ ويهجر بالهجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة ؛ والمغرب حين يقبل الليل ؛ لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ؛ والعشاء أول الليل ؛ وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها ؛ والنسل عند الرواح إليها وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله ؛ وما كتب على المؤمنين في الصدقة من المقار عشر ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى القرب نصف العشر ؛ وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع ، جدعة أو جدعة ، وفي كل أربعين من النعم سائمة وحدها ، شاة . فإنها فريضة الله التي اقترض على المؤمنين في الصدقة . فمن زاد خير فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى أو إسلاماً ما خلا من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واثق أو عوض ثياباً .

فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه عدوه ولرسوله
والمؤمنين جميعاً ، صلات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية ، قبل خيبر ، رفاعة بن زيد
الجذامي ثم العنسي ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً ، وأسلم ، لحسن إسلامه ،
وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه . وفي كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم :
هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إني بعثته إلى قومه عامه ، ومن دخل فيهم ،
يدعهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم فني حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدرأه
أمان شهرين .
فلما قدم رفاعة على قومه أهابوا وأسلوا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة الرّجلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد همدان

قال ابن هشام : وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها حديثي من
أثني به ، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدي ، عن أبي إسحاق السبيعي ، قال : قدم وفد
همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نطح ، وأبو ثور ، وهو ذو الشعار ،
ومالك بن أبيغ ، وضام بن مالك السلمي ، وعجيرة بن مالك الحارثي ، فلقوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الخيرات ^(١) ، والعمائم المدنية ، برجال اللبس ^(٢)
على المهرية ^(٣) والأرجحية ^(٤) ، ومالك بن نطح ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

همدان خير سوق وأقاليم ليس لها في العالمين أمثال ^(٥)
علمها المصنوع ومنها الأبطال لها إطلايات بها والآكال ^(٦)

(١) للمقطعات : الخيطة . الخيرات : برودينية .

(٢) اللبس : خشب متين تصنع منه الرجال .

(٣) المهرية : إبل نجية تنسب إلى مهرة قبيلة بالعين .

(٤) الأرجحية : تنسب إلى أرحب : مكان .

(٥) السوق : الشعب . والأقاليم : رؤساء الأقاليم .

(٦) الإطلايات : مطاب من الأموال . والآكال : ما يأخذه الملك من الشعب كالضرائب .

ويقول الآخر :

إليك جاوزن سوادَ الرِّيفِ في مَيرَاتِ الصَّبِيغِ والحَرْفِ^(١)

مُخَطَّباتٍ بِجِبالِ اللَّيْلِ

فقام مالك بن نهم بين يديه ، فقال : يا رسول الله ، قَصِيَّةٌ^(٢) من مُنَدَانٍ ، من كلِّ حاضرٍ وبادٍ ، أتوك على قُلُوصِ قَوَاجٍ^(٣) ، متصلة بمجاطل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مختلفِ خارفٍ ويامٍ وشاكِرٍ^(٤) أهلُ السودِ والقودِ ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الإلفاتِ والانصَابِ ، وعهدم لا ينقض ما أقامت كَلَمَعٌ ، وما جرى اليغفور بصلح^(٥) .

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من رسول الله محمد ، لمختلفِ خارفٍ وأهلِ جنابِ المُخْطَبِ وحُفَافِ الرملِ ، مع وافدِما ذى المضمارِ مالك بن نهم ، ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فِرَاعًا ووطأها^(٦) ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكولون علفها ويرعون طائفها^(٧) ، لهم بذلك عهد الله وذمامُ رسوله ، وشاهدُهم المهاجرون والأنصار . فقال في ذلك مالك بن نهم :

ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي حِمَى الدَجَى وَنَحْنُ بِأَعْلَى تَرْخُوحَاتِ وَصَلَاتِهِ^(٨)
وَمَنْ بِنَا حُوصُصَ طَلَاتُحُ تَنْتِيلِ بِرُكْيَانِهَا فِي لَاحِبٍ مُتَنَدٍ^(٩)
عَلَى كُلِّ فِتْلَةٍ الدَّرَاعِينَ تَجْشَرُ تَبْرُؤُنَا مَرَّ الْحَجَفِ الْخَفِيدِ^(١٠)

- (١) السواد : القرى . الهبوات : القبار .
(٢) القصية : الإبل الشابة . قواج : مسرعة .
(٣) المخلاف المدينة ، وما بينهما أسماء قبائل .
(٤) لملع : مجموعة من الجبال . اليغفور ولد الطفيلة . صلح : مكان .
(٥) فراعها . أعاليها . ووطأها : أساقها .
(٦) العلاف : ثمر الطلع . طائفها : ما كثر من نباتها .
(٧) حرحان وصلد : موضعان .
(٨) الحوص : غارات العيون . طلاتح متبة . تنتل : تشط في مبرها . اللاحب : الطريق الواضح .
(٩) الجسيرة : الثقة القوية على السير . الحجف : ذكر النعام القوي وكذلك الخفيدة .

حَفَّتْ رَبِّ الرَّاغِبَاتِ إِلَى رَقِي
بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا مُصَدِّقٌ
فَاخَلَّتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رِجْلِهَا
وَأَعْلَى إِذَا مَا طَالِبُ الْعَرَفِ جَاءَهُ
صَوَادِرُ الرِّكَابِ مِنْ تَغْصِبِ قُرُونٍ^(١)
رَسُولٌ آتَى مِنْ حَتْدَى الْعَرِشِ مَهْتَدِي
أَشَدَّ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ عَمِيدٍ
وَأَمَضَى بِحَدِّ الْمَشْرِقِ الْمُهْتَدِ

ذكر الكذابين: مسيلة الخنفي والأسود العنسي

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مسيلة ابن حبيب بالهامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء.

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قتيبة، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطف الناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس، إني قد رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت في ذراعي^٢ يوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفضتهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب الين، وصاحب الهامة.

الرسول يتحدث عن الدجالين: قال ابن إسحاق: وحدثني من لأنهم عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا، كلهم يدعى النبوة.

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراء وعماله على الصدقات، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان؛ فبعث للمهاجرين إلى أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زياد بن لبيد، وأخا بني تياخة الأنصاري، إلى حضرموت وعلى صدقاتها؛ وبعث عدى بن حاتم على طيء وصدقاتها، وعلى بني أسد؛ وبعث مالك بن نويرة - قال ابن هشام: الأبروصي - على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزبير بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث على^٣ بني أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم.

(١) الرَّاغِبَاتِ: الإبل الرَّاغِبَاتِ، والرَّقِي: ضرب من السير. الموارد: الروايع. والقرود: الأرض المرتفعة.

كتاب مسيلة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيْلَةَ بن عَجِيْب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ؛ أما بعد ، فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصيب الأرض ، ولقرين نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يستبدون .
فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : خدثنى شيخ من أشجع ، عن سارية بن نعيم بن مسعود الأشجعي ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما حين قرأ كتابه : فما تقولان أتبنا ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا يقتل لضربت أعناقكما .
ثم كتب إلى مسيلة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك في آخر سنة عشر .

حجة الوداع

تجهز الرسول : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : خدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال يقين من ذي القعدة .

استعماله على المدينة أبا دجاجة : قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجاجة الساعدى ويقال : سيباح بن خرقطة الغفارى .

حكم الحائض في الحج : قال ابن إسحاق : خدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان يترقب قدساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى ، وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يجلبوا بمصره ،

الإمام سائق الهدى ؛ قالت : وحيث ذلك اليوم ، قد دخل على وأنا أبكي ؛ فقال : مالك يا عائشة ؟
 أملك شيء مني ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لو ددت أني لم أخرج معك عابث في هذا السفر ؛ فقال
 لا تقولن ذلك ، فإنك تصدين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فحل كل من كان لاهدي معه ، وحل نسائه بعمرة ، فلما
 كان يوم النحر أتيته بلحم بقر كثير ، فطرح في بيتي ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحصى ، بعث في رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبي بكر فأمرني من التميم ، مكان عمرتي التي فانتقي .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة
 بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائه أن يحلن بعمرة ، قلن : فما يجمعك
 يا رسول الله أن تحمل معنا ؟ فقال : إني أهديت ولدت ^(١) ، فلا أحل حتى أنحر هديي .

وهو إفاة على في قوله من اليمن رسول الله في الحج : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد
 الله بن أبي نجيع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث علياً رضي الله عنه إلى نجران ،
 فلقب بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها ،
 فوجدتها قد حلت وتبأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن نحمل بعمرة ظفنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن
 سفره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق ضلف باليت ، وحل كما حل أصحابك ؟
 قال : يا رسول الله إني أهلت كما أهلت ؛ فقال : ارجع فاحل كما حل أصحابك ؛ قال : يا رسول
 الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله
 عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من قذى ؟ قال : لا . فأشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم في
 هديه ، ولبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغنا من الحج ونحر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبد الله بن الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن
 يزيد بن زكاة ، قال : لما أقبل على رضي الله عنه من اليمن لبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بمكة ، تسجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستنظف على جنده الذين معه رجل من
 أصحابه ، فعد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم ثوباً من الثياب الذي كان مع علي رضي الله
 عنه . فلما دنا جيشه خرج ليقيم ، فإذا عليهم الحلال ؛ قال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : كسوت

(١) جعل في رأسه صلى الله عليه وسلم حنماً لئلا يتشمع .

القوم ليجمعوا به إذ قدموا في الناس ؛ قال : ويلك ! انزع قبل أن تنهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأنزع الخلل من الناس ، فردما في البر ، قال : وأظهر الجيش بشكواه لما صنع بهم .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن معمر بن حرم ، عن سليمان بن محمد ابن كعب بن عتيبة عن عمة زبيب بنت كعب ، وكانت عند أبي سعيد الخدري ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : اشتكى الناس طيارا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فسمعه يقول : أيها الناس ، لا تشكروا عليا ، فوالله إنه لأخفى في ذات الله ، أوفى سبيل الله ، من أن يشكى .

خطبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التي يبين فيها ما بين ، لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، حرمة يومكم هذا ، وحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمت عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رهوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون فبني الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دماءكم أضاع دم ابن ربيعة بن الحارث . ابن عبد المطلب ، وكان مسترضما في بني ليث ، فقتله هذيل فهو أول ما أبدا به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأمركم هذه أبدا ، ولكنه إن يطلع فيما سوى ذلك فقد رضي بهما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروا على دينكم ، أيها الناس : إن الناس زيادة في الكفر ، يُغسل به الذين كفروا ، ليحولوه عاما ويحولوه عاما ، ليواطأوا ما حرم الله ، فيعملوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كدبره يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر ^(١) ، الذي بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نساءكم حقاً ؛ ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهن أن لا يؤطعن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين

(١) وجب مضر ، إنما قل ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجباً من رجب الرجل ورجبه إذا عظمت ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فينب عليه السلام أنه رجب مضر لارجب ربيعة ، وأنه الذي بين جمادى وشعبان .

بفاحشة مينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضامع وتضربوهن ضرباً غير مبرح (١) ، فإن اتبين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً ، فإن من عندكم قوتان (٢) لا يمكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتوهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكمالات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي ، فإنني قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمرا بيننا ، كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أحل الله عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

فذكر لي أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هلا تدرون أي شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمه شهركم هذا ، ثم يقول : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمه بلدكم هذا ، قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أي يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمه يومكم هذا .

قال ابن إسحاق : حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري ، عن عمرو ابن خارجة قال : بعثني عتّاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت نافذة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لناهما (٣) يقع على رأسي ، فسميته وهو يقول : أيها الناس ، إن الله أدى إلى كل ذي حق حقه ، وإنه لا يجوز وصية لوارث ، والولد للقراش ، والعماء الحجر ، ومن أدعى إلى غير أبيه

(١) غير مبرح : غير شديد .

(٢) قوتان : أسيرات ، مفردما : عاقبة .

(٣) التام : الرغوة التي تخرج من فم الناقة

أوتوا في مواله ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .
 تعاليم الرسول عليه السلام للعجاج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبي نعيم :
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذي هو عليه
 وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح (١) صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة
 موقف . ثم لما نحر بالمنحر بنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر . فقتضى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم : من الموقف ،
 ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة
 البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصح بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين .

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة
 والمحرم وصفر ، وحضر على الناس بمنا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه
 وأمره أن يوطئ الخيل تحوم اللقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب (٢)
 مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك وسلا من أصحابه ،
 وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثني من أثنى به عن أبي بكر المَدَنِي قال : بلغني أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس
 إن الله قد بعثني رحمة وكافة ، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم ، فقال
 أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه ،
 فأما من بعثه مبشرا قريبا فرضى وتسلم ، وأما من بعثه مبشرا بعيدا فكروه وجهه وتناقل ، فشكا ذلك
 عيسى إلى الله ، فأصبح المتناقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها .

(١) قزح : جبل بالمزدلفة .

(٢) أوعب : اجتمع .

أسماء الرسل وأسماء من أرسل إليهم : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتابا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . بعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ، وبعث عبد الله بن مخزومة السهمي إلى كسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى التجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى تيتفر وعياذ ابني الملتدي الأزديين ، ملكي تخمان ، وبعث سليط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن علي الحنفيين ، ملكي النجامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر النسائي ، ملك تغوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى تميم بن الأيهم النسائي ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الجعفي ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سليطا وثمامة وهوذة والمنذر .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه ، وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمة وكافة ، فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تحتلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم ، قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمل مادعوتكم له ، فأما من قرّب به فأحب وسلم ، وأما من بعدّ به فكروه وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا كل رجل منهم يتكلم بلفظ القوم الذين وجه إليهم .

أسماء رسل عيسى : قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدهم في الأرض : بطرس الخواري ، ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين إلى رومية ، وأندرائس ومثثا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجنة وهي إفريقية ، ويوحنا ، إلى أفسوس ، قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوب إلى اورشليم وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن مقلماة إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، ويسمى إلى أرض البربر ، ويهوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جعل مكان يوديس .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسماعيل الطائي : وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة منها ، غزوة ودان ، وهي غزوة الأبرياء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضَوَى ، ثم غزوة العُقَيْرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سُليم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة مَخْلَفَان ، وهي غزوة ذِي أَمْرٍ ، ثم غزوة بَحْران ، معدة بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من تَمَل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دُوْمَةَ الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني ثعلبان ، من مُدَّيْل ، ثم غزوة ذِي قَرْسَد ، ثم غزوة بني المصطلق من غزاة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصدته المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك . قال منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخبير ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبحوث

وكانت بعثته صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذِي الروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ؛ وغزوة سعد بن أبي وقاص بالخرار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القَرْصَدَة ، وغزوة محمد بن مسلمة ؛ كعب بن الأشرف ، وغزوة ترمذ بن أبي مرثد التَّوَيْ الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بن معوية ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذَا القِصَّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب ثربة من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله البجلي ، كلب ليث ، الكندي ، فأصاب بني اللُؤْلُؤ .

غزوة غالب بن عبد الله الليثي بنى اللوح : وكان من حديثها أن يعقوب بن حبة بن
المغيرة بن الأخنس ، حدثني عن مسلم بن عبد الله بن خبيب الجني ، عن المنذر ، عن جندب بن
مكيث الجني ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلابي ، كلب بن
عوف بن ليث ، في سرية كنت فيها ، وأمره أن يقن الغارة على بني الموح ، وهم بالكديد ،
فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال :
إني جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلنا له : إن تك
مسلماً فنحن بضميرك رباط ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوفينا منك ، ففقدناه رباطاً ،
ثم خلفنا عليه رجلاً من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك^(١) فاحتر رأسه .

قال : ثم سرنا حتى أتيناه الكديد عند غروب الشمس ، فكننا في ناحية الوادي ، ويشتق
أصحابنا ربيعة^(٢) لهم ، فخرجت حتى آتت تلامشراً على الحاضر^(٣) ، فأسندت فيه^(٤) ، فملوت
على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فواقه إلى أن يطع على التل ، إذ خرج رجل منهم من خيابه ،
فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومى ، فانظري إلى أوعيتك هل
تفقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرت بعضها ؛ قال : فنظرت ، فقالت : لا ، واقه ما أفقد
شيئاً ؛ قال : فناوليني قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فواقه ما أخطأ جنبي ،
فأزعه ، فأضمه ، وكتبته مكانى ؛ قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه في منكبى ، فأزعه فأضمه ،
وكتبته مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ربيعة يقوم لقد تحرك ، لقد غاطله سهمى لا أبالك ، إذا
أصبحت فابتنهما ، فبذنيهما ، لا يعضفهما على الكلاب . قال : ثم دخل .

قال : وأملناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان في وجه البحر ، شتاً عليهم الغارة ،
قال : فقتلنا ، واستقنا النعم ، وخرج صبيح القوم ، فجاءنا دهم^(٥) لا قبل لنا به ، ومضينا بالنعم ،
ومررنا ببني الرصاء وصاحبه ، فاحتفلنا معاً ؛ قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال :
فأبينا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من

(١) عازك : غالبك .

(٢) الربيعة : العليمة الذي يتجسس الأخبار .

(٣) الحاضر : من يزلون على الماء . (٤) أسندت : ارتفعت .

(٥) الدم : الجماعة الكثرة .

غير سحابة نراها ، ولا مطر ، لجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يمين إلينا ، ونحن نخسدهما سراعا ، حتى فستاهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدمتا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة : أمت أمت . فقال راجز من المسلمين وهو يحدهما :

أبي أبو القاسم أن تمرني في خيول نباهة مقلوب (٢)

صفر أحواله كلون المذهب

قال ابن هشام : ويروي : « كلون الذهب » .

ثم غير الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفاصيل البرايا والبحوث .

تعريف ببعض الغزوات : قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبي طالب رضي الله عنه بنو عبد الله بن سعد من أهل قنك ؛ وغزوة أبي العوجاء السلمي أرض بني سليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ؛ وغزوة حنكاشة بن حنن القسرة ؛ وغزوة أبي سلة بن عبد الأسد قسطن ، ماء من مياه بني أسد ، من ناحية نجد ، قتل بها مسعود بن هريرة ، وغزوة محمد بن مسلمة ، أخى بني حارثة ، القرطاء من هوازن ؛ وغزوة بشير بن سعد بن مرة بقنك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجوم من أرض بني سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جذام ، من أرض مخصين .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والهاشمي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حنسى .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام : قال ابن إسحاق : وكان من حديثها ما حدثني من لأنهم ، من رجال من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجندى ، لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم وحيدة ابن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه

(٢) تمرني : تعني في المرعى . الخضل : الأخضر المبتل . المقلوب : الكثر .

ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا يواد من أوديتهم يقال له شكار ، أغار على دحية بن خليفة الهندي . ابن عوص ، وابنه عوص بن الهندي الضليان . والعلنج : جلى من جذام ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضييب ، رمل رفاعية بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهندي وابنه ، فبهم من بني الضييب النعمان بن أبي جمال ، حتى لقوهم ، فاقتلوا ، واتمى يومئذ قرّة بن أشقر الصفاري ثم الضلي ، فقال : أنا ابن لبى ، ورى النعمان بن أبي جمال بسهم ، فأصاب ركبه ؛ فقال حين أصابه : تخرما وأنا ابن لبى ، وكانت له أم تدعى لبى ، وقد كان حسان بن علة الضيبي قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قرّة بن أشقر الصفاري ، وحيان بن ملة .

قال ابن إسحاق : حدثني من لأئهم ، عن رجال من جذام ، قال : فاستقلوا ماكان في يد الهندي وابنه ، فردوه على دحية ، فخرج دحية ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاء دم الهندي وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذي هاج غزوة زيد بن جذام ، وبعت معه جيشا ، وقد وجهت خطفان من جذام ووائل ومن كان من سلمان وسعد بن هذيم ، حين جاءهم رفاعية بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الخبر : حرة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع رية ، لم يعلم ومعه ناس من بني الضييب ، وسائر بني الضييب بوادي مدان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل حشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قبل الحرة ، فجمعوا ماوجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهندي وابنه ورجلين من بني الأخيف .

قال ابن هشام : من بني الأخيف .

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلا من بني الضييب . فلما سمعت بذلك بنو الضييب والجيش ببقية مدان ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان بن علة ، على فرس لسويد بن زيد ، يقال لها الصعاجة ، وأُتِف بن ملة على فرس لملة يقال لها : يرغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شير ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأتيف بن ملة : لكف عنا واضرف ، فإننا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبك يديها وتوئب ، فقال : لانا أضن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخصي لها ، حتى أدركما ، فقالا له : أما إذا فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ، ولا تشأنا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم حتى إلا حسان بن ملة ، وكانت بينهم كلمة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد

أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بوري أو ثوري ؛ فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يتندرونهم فقال لهم حسان : إنا قوم مسلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على قرس آدم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : بوري ، فقال حسان : مهلا . فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد فاقموا أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا في الجيش أن الله قد حرم علينا غنمة^(١) القوم التي جاءوا منها إلا من خسر^(٢) .

قال ابن إسحاق : ولذا أخذت حسان بن ملة ، وهي امرأة أبي وبر بن هدي بن أمية بن الضييب في الأسارى ، فقال له زيد : غدا ، وأخذت بحقوقه^(٣) فقالت أم القيسر الضليبة : أتطلقون بيناتكم وتندرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بني الحصب : إنها بنو الضييب وسحر ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعا بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقوقه ، وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيك حكمه ، فرجعوا ، ونهى الجيش أن يبطئوا إلى وادهم الذي جاءوا منه ؛ فأمسوا في أهلهم ، واستمتعوا ذودا^(٤) لسويد بن زيد ، فلما شربوا غنمتهم^(٥) ركبوا إلى رقاعة بن زيد ، وكان من ركب إلى رقاعة بن زيد تلك الليلة : أبو زيد بن عمر ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبشعة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وعلبة بن زيد ، وعزبة بن هدي ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا صبرا رقاعة بن زيد بكراع رية ، بظهر النقرة ، على بر هنالك من غرة ليل ، فقال له حسان بن ملة : إنك لجالس تحلب للمزى ونساء تجذام أسارى قد غرها كتابك الذي جئت به ، فدعا رقاعة ابن زيد فحمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هل أنت حي أو تنادي حيا

ثم غدا وهم معه بأمية بن حنقارة أخى الحصبى المقتول ، مبكرين من ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة ، واتفقوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تليخروا إليكم ، فتقطع أيديهم ، فقلروا عنن وهم قيام ، فلما دخلوا على

(١) النقرة : ما يحمونه من جانهم . (٢) خسر : قضى العبد .

(٣) حقوقه : خصمه . (٤) استمتعوا : انطلقوا إلى الغنمة . الذود : جماعة

الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة .

(٥) غنمتهم : لينهم الذي يشربونه في الغنمة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم آلآح^(١) إليهم يده : أن تعالوا من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعه بن زيد المتعلق ، قام رجل من الناس فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء قوم مسحرة فردما مرتين ، فقال رفاعه بن زيد : رحم الله من لم يخذلنا^(٢) في يومه هذا إلا خيرا . ثم دفع رفاعه بن زيد كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قدما كتابي ، حديثا غدره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام ، وأعلن ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروه الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتل ؟ — ثلاث مرات — . فقال رفاعه : أنت يا رسول الله أعلم ، لا نحرم عليك حلالا ، ولا نحل لك حراما ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمي هذه ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا علي ، فقال له علي رضي الله عنه : إن زيدا لن يطيعني يا رسول الله ، قال : تخذ سيفي هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال علي : ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثلهة ابن عمرو ، يقال له مكحال ، ففرجوا ، فلما رسول لزيد من حارثة على ناقة من لبل أن وبر ، يقال لها : الشميم ، فأزروه عنها ، فقال : يا علي ، ما شأنك ؟ فقال : ما لهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجيش بفيقاه القحطين ، فأخذوا ما في أيديهم ، حتى كانوا يزعمون لبنة المرأة من تحت الرجل ، فقال أبو جهمال حين فرغوا من شأنهم :

وعاذلة ولم تمزق جلب	ولولا نحن محش بها السيرة ^(٣)
تدافع في الاستارى بابنتها	ولا يوتجى لها يتق يسير
ولو وكت إلى عوصي وأوس	لحار بها عن المتق الأمور ^(٤)
ولو شيدت ركانتنا بحص	تخاذر أن يعل بها المسير ^(٥)
وردنا ماء يثرب عن جفاظ	لشعر إنه قرب ضرير ^(٦)
بكل مجرب كالسيد شهيد	على أفتاد ناجية صبور ^(٧)

-
- (١) الإح : أشار . (٢) لم يخذلنا : لم يعطنا .
 (٣) جلب : برفق . (٤) حار : رجع .
 (٥) يعل : يكرر . (٦) الريع : ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام . القرب : السير في طلب الماء . ضرير : مضر .
 (٧) السيد : الذئب . التذ : التلظ . أفتاد : أدوات الرجل . الناجية : أي ناقة صبور .

يَتَى لَابِي شَيْتِي كُلَّ جَيْشِي يَثْرَبُ إِذْ تَطَاعَتِ الْحُورُ
عُدَاةُ تَرَى الْمُجْرِبَ مُسْتَكِينَا خِلَافَ الْقَوْمِ هَامَتُهُ قُودُ

قال ابن هشام : قوله : « ولا يرجى لما عتق يسير » . وقوله : « عن العتق الأمور » عن غير ابن إسحاق .

تمت الغزاة ، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث .

غزوة زيد الطرقي : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى قزامة : وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادي القرى : لقى بدني قزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وأرثت^(١) زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مَدَاش ، وكان أحد بني سعد بن هذيل ، أصابه أحد بني بدر .
قال ابن هشام : سعد بن هذيم .

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة إلى أن لا يس رأسه غسل من جنبه حتى يغزق بني قزارة ، فلما استبَلَّ من جراحته بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قزارة في جيش ، فقتلهم بوادي القرى ، وأصاب قيس بن المسعر التيمري مشعدة بن حنيفة بن مالك ابن حذيفة بن بدر ، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت حوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وجد الله بن مشعدة . فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسعر أن يقتل أم قرفة ، فقتلها قتلا ضعيفا ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بآبنة أم قرفة وبابن مشعدة .

وكانت بنت أم قرفة لثمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذي أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : « لو كنت أعز من أم قرفة لماردت » . فسأها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لحاله حزن بن أبي وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

فقال قيس بن المسعر في قتل مشعدة :

سَعِيَتْ بَوَزْدٌ مِثْلَ سَعِيِ ابْنِ أُمِّهِ وَلَئِي بَوَزْدٌ فِي الْحَيَاةِ لِنَاثِرٍ^(٢)

(١) أرثت : حمل جريحا من المعركة وبه رمق . (٢) الناثر : الأخذ بثأره .

كررت عليه المزة لما رأيته على جلي من آل بني مغاور
فركبت فيه فقتلناه كأنه شهاب يهراق يذكي لناظره

غزوة عبدالله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام : وغزوة عبدالله بن رواحة خير مرتين :
إحداهما إلى أصاب فيها اليسير بن رزام . قال ابن هشام : ويقال بن رازم .

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخير يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة في نفر من أصحابه ، منهم عبدالله بن أنيس ، حليف بني سلمة : فلما قدموا عليه كلموه ، وقرئوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استملكنا وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج معهم في نفر من يهود ، لحمل عبدالله بن أنيس على يسيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خير ، على ستة أميال قدم اليسير بن رزام على يسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن به عبدالله بن أنيس ، وهو يريد السيف ، فاقنم به ، ثم ضربه بالسيف فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخمس (١) في يده من شؤحه (٢) ، فأثمة (٣) ، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود قتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجله ، فلما قدم عبدالله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل على شعث ، فلم ينج ولم يؤذه .

غزوة بن عتوك مجرى : وغزوة عبدالله بن عتبك خير ، فأصاب بها أبارقع بن أبي الحقيق .
غزوة عبدالله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي : وغزوة عبدالله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح ، بمكة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أو بئر ، فجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليفزوه ، فقتله .

-
- (١) قمصيا : سنانا منسوب إلى قصب ، رجل كان يصنها . امرأة : مكان لا يستره شيء .
يذكي : يشعل .
(٢) الخرش : عصا معقوفة .
(٣) الشوحت : نوع من الشجر .
(٤) أمه : أصاب أم رأسه .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبدالله بن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن ثنيش الهذلي يجمع لي الناس ليفزوني ، وهو بخلة ، أويثرة ، فأته فاقتله . قلت : يا رسول الله ، أنته لي حتى أعره . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعيرة . قال : فخرجت متوشحا سني ، حتى دفعت إليه وهو في ظن^(١) يرتاد لمن منزلا ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعيرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أويء برأسي ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعت لهذا الرجل ، فجاءك لذلك . قال : أجل ، إني لفي ذلك . قال : ففبت معه شيئا ، حتى إذا أمكنتي حملت عليه بالسيف ، فقتله ، ثم خرجت ، وتركت ظلماته منكبات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآني ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يا رسول الله . قال : صدقت .

ثم قام بي ، فأدخلني بيته ، فأعطاني عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبدالله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك ؟ قال : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية بيني وبينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتحصرون^(٢) يومئذ ، قال : ففرقها عبدالله بن أنيس بسيفه ، فلم يزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فوضعت في كفته ، ثم دفنا جميعا .

قال ابن مهزم : وقال عبدالله بن أنيس في ذلك :

تركت ابنَ تَوْرٍ كالطَّوارِ وسوكة فَواعِجُ نَفْري كُلِّ حَبِيبٍ مُقَدَّرِ^(٣)
تَاوَلُهُ وَالظُّلْمُ خَلَنِي وَخَلَفَهُ بِأَيْمَنِ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ مَهْدِ^(٤)

(١) الظن : النساء في الموادج .

(٢) للمتحصرون : للتكثرون على المخاصر . والمخاصر . مفردا غصرة العصا .

(٣) الحوار : وله الناقة . نفري : تقطع .

(٤) الظن : الموادج ، فيها النساء .

عجوم بلام الدارين كله
أقول له وأليفه يعجم رأسه
أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره
وقلت له خذها بضربة ماجنة
وكنث إذا هم النبي بكاف
تمت الفزاة ، وعدنا إلى خبر البعوث .

بعض غزوات آخر : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب
وعبد الله بن رواحة مؤمنة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عكر
اليفاري ذات أطلاح ، إلى أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ، وغزوة حنين بن
حذيفة بن بدر بن النضر من بني تميم .

غزوة عيينة بن حصن بن تميم : وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه
إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناسا ، وسبي منهم أناسا .

حدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول
الله ! إن علي رقبة من ولد إسماعيل . قال : هذا سبي بني النضر يقدم الآن ، فخطبك منهم
إنسانا فتمتته .

قال ابن إسحاق . فلما قدم بسبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من
بني تميم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ربيعة بن ربيعة ، وسبرة بن عمرو
والقنقاع بن معبد ، ووزدان بن حمرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن
حابس ، ورفاس بن حابس : فسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم : فأعتق بعضا ،
وأفدى بعضا ، وكان من قتل يومئذ من بني النضر : عبد الله وأخوان له ، بنو هب ، وشداد
ابن فراس ، وحفظة بن دارم ، وكان من سبي من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكلاس
بنت أري ، ونجوة بنت تهمد ، ومجمعة بنت قيس ، وكهرة بنت مطر . فقالت في ذلك اليوم
صلى بنت عشتاب :

(١) عجوم : عضو : النضى : شجر سريع الالتهاب .

(٢) غير قعد : غير لثيم .

(٣) المزة : البخيل .

لمعري لقد لاقى عدى بن جندب
تكتفها الأعداء من كل جانب
قال ابن هشام : وقال الفرزدق في ذلك :

وعند رسول الله قام ابن حابس
له أطلق الأسرى التي في حباله
كفى أمهات الخائفين عليهم
بخطبة سوار إلى الجند حازم
منقلة أعناقها في الشكائم
غلاء الفأدى أو سهام القاسم^(١)

وهذه الأبيات في قصيدة له . وعدى بن جندب من بني النضر ، والنضر بن عمرو بن نعيم .
غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة : قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلب
كلب ليث - أرض بني مرة ، فأصاب بهامير داس بن تميم ، حليفهم من الحرة ، من بنيينة ،
قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحرة ، فيما حدثني أبو عبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال . أدركه أنا ورجل من الأنصار
فلما شعرنا عليه السلاح ، قال أشهد أن لا إله إلا الله . قال : فلم نزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال : يا أسامة ، من لك بلإله إلا الله ؟ قال :
قلت : يا رسول الله ، إنه إنما قالنا نعوذ بها من القتل . قال : فن لك بها يا أسامة ؟ قال :
هو الذي بعث بالحق ما زال يرددها على حتى لوددت أن ماضى من إسلامي لم يكن ، وأنى كنت
أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يا رسول الله ، إني أعاهد الله أن لا أقتل
رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا ، قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل : وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض
بني مخزومة . وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث يستفر العرب إلى الشام .
وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت امرأة من بني ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم
يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض نجد أم يقال له السلسل ، وبذلك سميت تلك الغزوة ،
غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعده ،

(١) الهواة : المكان المنخفض بين جبلين . الكنود : الصعبة .

(٢) الجدد : المحفوظ .

(٣) الخطبة : الحصة . السوار : الرثاب

(٤) الخائفين : المتخلفين .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أباعبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين ، فهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأنى عبيدة حين وجهه : لا تحتلقا ، خرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئت مددا لي : قال أبو عبيدة : لا ، ولكني على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا ، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لي : فقال أبو عبيدة : يا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي لا تحتلقا ، وإنك إن عصيتني أقطعك ؛ قال : فإني الأمير عليك ، وأنت مدد لي ، قال : فدونك . فضلى عمرو بالناس .

قال : وكان من الحديث في هذه الفزاة ، أن رافع بن أبي رافع الطائي ، وهو رافع بن عبيدة ، كان يحدث فيما بلغني عن نفسه ، قال : كنت امرأة نصرانيا ، وسميت مثر جس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل قلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يلبني فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذي خبأت في بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه : قلنا أسليت خرجت في تلك الفزوة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : قلت : واه لا تخارن لنفسى صاحبا ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه في رحله ، قال : وكانت عليه حياء له فذكية ، فكان إذا نزلنا بسطنا وإذا ركبنا لبسنا ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذي له يقول أمل نحمد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العبادة ؟ قال : فلما دنونا من المدينة قائلين ، قال قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعني الله بك ، فأنصحنى وعلينى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال أمرك أن توحده الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتي الزكاة ، وتحصم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تأمر على رجل من المسلمين أبدا . قال قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لي مال أودعها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فأسأقتل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تهني عنها ؟ قال : إنك إنما استجديتى لأجدة لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، لجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عوذاً لله وجبرانه ، وفي ذمته فإياك لا تخفر الله ^(١) في جبرانه فيبتلك الله في حقته ، فإن أحدكم

(١) لا تخفر الله : لا تمتضي عهد .

ميصفر في جاره ، فيظل نائتا عَصَلَه غضبا لجاره أن أصبحت له شاة أو بعير ، فاقه أشد غضبا لجاره . قال : فخارفته على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدمته عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتني عن أن أأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى . وأنا الآن أنهارك عن ذلك : قال : فقلت له : فما حلك على أن تلي أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدًا ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة

قال ابن إسحاق : أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعي ، قال : كنت في النزاة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحب أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرُونَ على أن يَتَعَثُّوها (١) ، وقال : وكنت امرءًا لبقًا جازوا ، قال : فقلت : أتعطون منها عشرين (٢) ؟ هل أن أقسمًا بئسكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت العفريت ، فجراتها مكاني ، وأخذت منها جزءًا ، لحملت إلى أصحابي ، فاطبختها فأكلناه . فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : أتى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره : فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا . ثم قاما يتقيان ما في بطونهما من ذلك : قال : فلما قفل الناس من ذلك العفر ، كتب أول قادمٍ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بلجنته وهو يصلي في بيته ؛ قال فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته : قال : أعرف بن مالك ؟ قال : قلت نعم ، بأني أنت يا أمي ؛ قال : أصحاب الجزور ؟ ولم يردني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئًا .

غزوة ابن أبي حدود بطن إضم وقُتل عامر بن الأضبط الأشجعي : قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن التميمي بن عبد الله بن أبي حدود ، عن أبيه عبد الله بن أبي حدود ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم في نفر من المسلمين ، فهم أبو قتادة الحارث بن ربعي ، ويحلم بن جثامة بن قيس ، وغرجناحي إذا كنا بطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي ، على قعوده ومعه شَيْع (٣) له ، ووطب من لبن (٤) . قال : فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحل عليه محلم بن جثامة فقتله لثني كان بينه وبينه .

(١) بعضوها : يقتسموها أجزاء . (٢) المشير : جزء من عشرة أجزاء .

(٣) اللثع : تصغير متاع . (٤) الوطب : وعاء اللبن .

وأخذ بعيره ، وأخذ منيعه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيقنوا ، ولا تقولوا لمن أتى إليكم بالسلم إسته مؤننا ، يفتنون عرض الحياة الدنيا ، ... إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « ولا تقولوا لمن أتى إليكم السلام لست مؤمننا » .
لهذا الحديث .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن سميرة بن سعد الشكلى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حجتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عد إلى ظل شجرة ، جلس تحتها ، وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، مختصمان في عامر بن أضيظ الأنجمي : عينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن حُلُم بن جثامة ، لمكانه من خديف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعا عينة بن حصن وهو يقول : والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق ناسي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأني عليه ، إذ قام رجل من بني لُيث ، يقال له : 'مكيش' ، قصير مجموع - قال ابن هشام : مكيش - فقال : والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتل شبيها في غرة الإسلام ^(١) إلا لكم وردت فرميت أولاهما ، ففرت أخراها ، استن اليوم ، وغير هذا . قال : فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال فقبلوا الدية . قال ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقام رجل آدم ^(٢) ضرب ^(٣) طويل ، عليه حلة له ، قد كان تبها لقتل فيها ، حتى جرس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا حُلُم بن جثامة ، قال : فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهم لا تنفر لحلم بن جثامة ثلاثا . فقام وهو يتلقى دمه بفضل رداه . قال : فأما نحن فنقول فيها بيتنا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا ..

(١) غرة الإسلام : أوله .

(٢) آدم : الاستمر .

(٣) ضرب : خضب اللحم .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أنتم عن الحسن البصري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أتتته بالله ثم قتله ؟ ثم قال له الثالثة التي قال : قال : فوافقه ما مكى علم بن جثامة إلا سيما حتى مات ، فلفظته - والذي نفس الحسن بيده - الأرض ثم عادوا له فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عدوا إلى صُدين ^(١) فسطحوه بينهما ، ثم رَضُوا عليه الحجارة حتى واروه . قال : فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطابق علي من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حشرهم ما ينسكم بما أراكم منه .

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث : أن عينة بن حصن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلائقهم ، يا مشر قيس ، منعم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا يستصلح به الناس ، أفأنتم أن يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلعنكم الله بلعن ، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتسأله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنن فيه ما أراد ، أو لآتين بمخمين رجلا من بني تميم يشهدون بالله كلهم ، لتقتل صاحبكم كافرا ؟ ما صلى قط ، فلا طلن دمه ^(٢) فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الهدية .

قال ابن هشام : علم في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو مُحَلَّم بن جثامة بن قيس الليثي .

وقال ابن إسحاق : ملجهم ، فيما حدثناه زياد عنه .

شذوة ابن أبي حدرود لقول رفاعه بن قيس الجهمي : قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبي حدرود الأسلي الغابية .

وكان من حديثها فيما بلغني ، عن لا أنتم ، عن ابن أبي حدرود ، قال : تزوجت امرأة من قومي ؟ وأصدقها مائتي درهم ، قال : لجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي ؛ فقال : ومكأ صدقت ؟ قلت : مائتي درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدرهم من بطن واد ما زدتم . والله ما أعتل به : قال : فلبثت أياها ، وأقبل رجل من بني جهم ، يقال له : رفاعه بن قيس ، أو قيس بن رفاعه ، في بطن عظيم من بني جهم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابية ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صدين : جبلين .

(٢) أطلن دمه : أجعل دمه باطلا فلا يؤخذ بثأره .

وكان ذا اسم في چشم وشرف . قال : قد عانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معي من المسلمين ، فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه خبر وعلم . قال : وقد علمنا شارقاً (١) عصفاء لحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دحبا الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ثم قال : تلبثوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا معنا سلاحنا من الثبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر حُشِفِيَّة (٢) مع غروب الشمس . قال : كنت في ناحية ، وأمرت صاحبي ، فكُنَّا في ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعناي قد كبرت وشدت في ناحية العسكر فكبرا وشدا معي . قال : فوالله إنا لكذلك ننظر غرة (٣) القوم ، أو أن نجنيب منهم شيئاً . قال : وقد غشنا الليل حتى ذهبت لجمة المشاء ، وقد كان لهم راح قد سرح في هذا البلد ، فأهلاً عليهم حتى تفروا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رقاعة بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ؛ فقال له نفر من معه : والله لا تذهب . نحن نكفيك ؛ قال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فحقن مملك ، قال : والله لا يتبعني أحد منكم . قال : فخرج حتى يمر بي . قال : فلما أمكنني ففحته بسهمي ، فوضعه في فواده . قال : فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه ، فاحتزرت رأسه . قال : وشدت في ناحية العسكر ، وكبرت ، وشدا صاحباي وكبرا . قال : فوالله ما كان إلا التجاء عن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ما قدروا عليه من نسايم وأبنائهم ، وما خف معهم من أموالهم . قال : واستقنا إبلا عظيمة ، وغنيا كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وجئت برأسه أحله معي . قال : فأطاعني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صدائق ، فجئمت إلى أهل .

غزوة عبه الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل : قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح ، قال : سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا أتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ،

(١) الشارف : الناقة للسنة .

(٢) حشيفية : تصغير حشية على غير القياس .

(٣) الغرة : الغفلة .

وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدري، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل حتى من الأنصار، فلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جلس، فقال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أي المؤمنين أفضل؟ فقال: أحسنهم خلقاً؛ قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به، أولئك الأكياس، ثم سكث الفتى، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر المهاجرين، خمس رجال إذا نزول بكرهم أعود بأفقه أن تدركوهن - إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا اظهرت فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا؛ ولم يقتصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالستين^(١) وشدة للؤنة وتجور السلطان؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا الهائم ما مطروا؛ وما تقتضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أنتمهم بكتاب الله وتجبروا فيها أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم.

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يجهز لسرية بعث عليها، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرايس^(٢) سوداء، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ثم تقضاها، ثم حمه بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوها من ذلك، ثم قال: هكذا يابن عوف فاعتم، فإنه أحسن وأعرف، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء. فدفعه إليه، لحمد الله تعالى. وصلى على نفسه، ثم قال: خذها يابن عوف، اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تثلوا^(٣) ولا تغيروا، ولا تثلوا، ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم. فأخذ عبد الرحمن يابن عوف اللواء.

قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل.

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر^(٤): قال ابن إسحاق: وحديثي عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بترقية إلى سيف البحر، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جراباً من تمر، فجعل يقرتهم إياه، حتى صار إلى أن بعده عليهم عدداً، قال: ثم فقد التمر حتى كان يعطى كل

(١) الستين: الجذب. (٢) الكرايس: الألقان. واحده كرايس.

(٣) لا تثلوا: لا تغزوا في الغنم. (٤) سيف البحر: جابته وساحله.

رجل منهم كل يوم تمره . قال : تقسمها يوما بيننا . قال : قال فتعصت تمره من رجل ، فوجدنا قدما ذلك اليوم . قال : فلما وجدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، تأصينا من لحبها وودكها ^(١) ، وألقا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وأبئلنا ^(٢) ، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها ، فوضعا على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، لحمل عليه أجسم رجل منا قال : جلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا لياها ، فقال : وزق رزقكموه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب وما صنع في طريقه : قال ابن هشام : وما لم يذكره ابن إسحاق ^(٣) من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه بعث عمرو بن أمية الضمري ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثني من أتق به من أهل العلم بعد مقتل حُيَيب بن عبدى وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه تجار بن صخر الأنصاري فخرجوا حتى قدما مكة ، وحسبا جليهما بشعب ^(٤) من شباب يابج ^(٥) ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جبار لعمرو : لو أنا طعنا بالبيت واصلنا ركبتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تشوا جلسوا بأفئتهم ؛ فقال : كلا ، إن شاء الله ؛ فقال عمرو : فطعنا بالبيت ، واصلنا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان فم فواقه إنا لنشئ بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة ففرق ، فقال عمرو بن أمية : والله إن قدما إلا لشر ؛ فقلت لصاحبي : الصجاء ، فخرجنا نفست ، حتى أصدنا في جبل ، وخرجوا في طلبنا ، حتى إذا طرونا الجبل يشوا منا ، فربمنا ،

(١) الودك : الضخم . (٢) أبئلنا : أخذنا الراحة .

(٣) يقول السبيل في الروض الآف ج ٤ ص ٢٥٢ وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان ابن العاصي رحمه الله في هذا الموضع قال : قلت من ماشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسباع أبي سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابني عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخى قول ابن هشام : هذا ما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدث أحمد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق ، والقاتل في الحاشية : وجدت بخط أخى هو : أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم . وفي الكتاب المذكور قول أبي بكر المذكور في غزوة الطائف بعد قوله : فولدت له داود بن أبي مرة . إلى ما هنا ، انتهى سماعي من أخى ، وما بقي من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

(٤) الشعب : الطريق بين جبلين . (٥) يابج : جبل بمكة .

فدخلنا كهفاً في الجبل ، فبقا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوتا ؛ فلما أصبحتا غدا رجلا من قريش يقود فرساً له ، ونُقِلَ هاتما ^(١) ، فنشينا ونثنى في النار . فقلت : إن آفا صاحبتنا ، فأخذنا قتلنا .

قال : ومعى خنجر قد أعدته لآلئ سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى ، وجاءه الناس يشتكون وهو آخر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه اللوت ، فأتى مكانه ، ولم يدلل على مكاننا ، فاحتلوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسينا : اتجاء ؛ فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة ، فرربنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدى ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالبلة أشبه بشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخنشة شد عليها ، فأخذها فاحتلمها ، وخرجوا شدا ، وخرجوا ورواه ، حتى أتى جرفاً مبهط مسيل بأجج ، فرمى بالخنشة في الجرف ، ففيه الله عنهم ، فلم يقتدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : اتجاء اتجاء ، حتى أتى بغيرك فتقدم عليه ، فأتى ساشغل حنك القوم ، وكان الانصارى لأزوجة له ^(٢) .

قال : ومضيت حتى أخرج على متجنان ، ثم أويت إلى جبل ، فأدخل كهفاً ، فبقا أنا فيه ، إذ دخل على شيخ من بنى الدئل أعور ، في غنمة له ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر ، فن أنت ؟ قال : من بنى بكر . فقلت : مرجأ ، فاضطجع ، ثم رفع هتيره ، فقال :

ولست بمسلم مادمت حياً ولا داني لدين اللاتينا

فقلت في نفسي : ستعلم ، فأملهته ، حتى إذا نام أخذت قوسى ، فجعلت يمينتها ^(٣) في جبهته الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت التجاء ، حتى جئت العرج ^(٤) ، ثم ملكت ركوبة ^(٥) ، حتى إذا جعلت التقيع ^(٦) ، إذا رجلاً من قريش من المشركين ، كانت قريش بهتتهما جينا إلى اللذينة ينظران ويتحسان ، فقلت استامرا ، فأبأ ، فأرى أحدهما يسهم فأقتله ، وأستأسر الآخر ، فأوثقه وباطا ، وقدمت به للمدينة .

(١) يحل : يجمع النخل . وهو ما ينبت الربع .

(٢) لا رجلة له : ضعيف المشى على رجله .

(٣) سيتها : طرفها . (٤) العرج : واد بالحجاز .

(٥) ركوبة : ثنية بين الحرمين . (٦) التقيع : موضع يلاذ مزينة .

سرية زيد بن حارثة إلى قديين : قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي عليهم رضوان الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه شبيبة مولى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سبياً من أهل ميناء ، وهي السواحل ، وفيها مجمع من الناس ، فبيعوا ، ففرق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبيكون ، فقال ما لهم ؟ فقل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبعوهم إلا جميعاً .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عتاك : قال ابن إسحاق ، وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي عتاك ، أجد بن عمرو بن عوف ثم من بني حنيفة ، وكان قد نهم ^(١) نفاقه ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشت ذعراً وما إن أرى من الناس داراً ولا نجماً
أبّرّ هوداً وأوقى لمن يماقذ فيهم إذا ما دعا
من أولاد قبيلة في جميع يهتد الجبال ولم يعضماً ^(٢)
فصدتهم ركب جاءهم حلال حرام لفتى معاً ^(٣)
فلو أن بالمر صدقت أو لك ما بعتم تبناً

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لي بهذا الحديث ، فخرج سالم بن عمير ، أخو بني عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ؟ فقالت أمانة المؤثرية في ذلك :

يكذب دين الله ولله أحدا لعمر الذي أمانك أن تبس ما بيني ^(٤)
جباك خيف آخر الليل طنة أبا عتاك غدا على كبر السن

(١) نهم : وضع .

(٢) قبيلة : أم الأوس والنخزج .

(٣) صدتهم : فرقهم .

(٤) أمانك : أنساك .

مخروعة عمير بن عدي الخطمي لقتل عصماء بنت مروان : وغزوة عمير بن عدي الخطمي
عصماء بنت مروان ، وهي من بني أمية بن زيد ، فلما قتل أبو علفك فأنقذت ، فذكر عبد الله
ابن الحارث بن النعمان عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بني خطمة ، ويقال له يزيد بن
زيد فقالت ، تعيب الإسلام وأهله :

باسمك في مالك واليت	وعوفي ويأتني في الخرج
أطعم أتاوي من غيركم	فلا من مراد ولا تلجج ^(١)
ترجوه بعد قتل الروم	كما يرئى مني المنجج
ألا أيت يتي غيرة	فيقطع من أمل الرئجج ^(٢)

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، قال :

بنو وائل وبنو واثب	وتخطئة دون في الخرج
من ما دعت سقيا وحرما	يسوتيا والهايا نجي
فهرت في ماجدا عرو	كرمت المداخلي والخرج
فضرجها من نجيع الينا	بعد الملو فلم يخرج ^(٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا أخذ لي من أمة مروان ؟ فسمع
ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدي الخطمي ، وهو عنده : فلما أمسى من
ذلك الليلة سرى إليها في بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
يا رسول الله ، إني قد قتلتها . فقال نصرت الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل على شيء من شأنها
يا رسول الله ؟ فقال : لا يقطع فيها حران .

أرجع عمير إلى قومه ، وشر خطبة يومئذ كثيرة قوجج^(٤) في شأن بنت مروان ، ولما

(١) الأتاوي : الغريب .

(٢) الألف : المترفع . الفرة : الفعلة .

(٣) الملو : متعصب القيل : أو بعد ساعة منه . يخرج : يأثم .

(٤) قوجج : اختلاطهم واختلافهم .

يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عير بن عدى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا بني خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظروني . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة ، وكان يستخني بإسلامهم فهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بني خطمة عير بن عدى ، وهو الذي يدعى القاري ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم يوم قتل ابنة مروان ، رجال من بني خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أنس ثمانية إلى أنال الحنفي وإسلامه : بلغني عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال : خرجت خيبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلاً من بني حنيفة ، لا يشعر من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : آتيتهم من أخذتم ؛ هذا ثمانية إلى أنال الحنفي ، أحسنوا إسلامه . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ؛ فقال : اجتمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابشوا به إليه ، وأمر بقتله ^(١) أن ينفذ عليه بها ويراح ؛ فجعل لا يقع من ثمانية موقماً وبأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمانية ، فيقول : لربها ^(٢) يا محمد ، إن تقتل تقتل ذا دم وإن تجرد القداء فسل ما شئت ، فكش ماشاء الله أن يمكك ؛ ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمانية ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطير فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأثرون من الطعام ، فلم يزل منه إلا قليلاً ، وباللحقة فلم يصب من حلابها إلا يسيراً فغضب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : مم تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار في ميتى كافر ، وأكل آخر النهار في ميتى مسلم ! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل في ميتى واحد ^(٣) .

قال ابن هشام : فبلغني أنه خرج معتبراً ، حتى إذا كان بطن مكة لبي ، فكان أول من دخل مكة لبي ، فأخذته قریش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدموه ليضربوا حقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى الإيالة لطعامكم ، فظفروه ، فقال الحنفي في ذلك :

ومنا الذي لبي بمكة لميلاً
برغم أبي سفيان في الأمهر الحزيم
نشدت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغض الوجوه لي ، والله أصبح وهو أحب الوجوه لي . وقال في الدين والبلاد مثل ذلك .

(١) القصة : الناقة إلى لما لين .

(٢) لربها : حسبك .

(٣) أنظر ما في هذا الحديث من البلاغة ، في كتاب المجازات النبوية بتحقيقنا . ط الحنفي .

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصبوت يا نمام ؟ فقال : لا ، ولكني أتبع
خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا فصل إليكم حجة من الإمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم . ثم خرج إلى الإمامة ، فتعلم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء
بالسيف ، والآباء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يحن بينهم
وبين أهل بيته .

سرية علقمة بن مجزز : وبث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز .
لما قتل وقاص بن مجزز المدلجي يوم ذي قرد ، سأل علقمة بن مجزز رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يبعثه في آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن طقمة ، عن عمرو بن الحنك بن قزيان ،
عن أبي سعيد الخدري ، قال : بث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز — قال
أبو سعيد الخدري : وأنا فيهم — حتى إذا بلغنا رأس غزاة أو كنا ببعض الطريق ، أذن لطاقفة
من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن خنافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وكانت فيه دعاية ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ، ثم قال للقوم : ليس لي
عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفأنا أأمركم بشيء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال :
فلما أعزم عليكم حتى وطأني إلا توأمت في هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجوا ،
حتى ظن أنهم واثقون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فلما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم
بمعصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجح هو وأصحابه ولم يلق كيذا .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسار : حدثني بعض أهل العلم ، عن
حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة محارب وبني ثعلبة عبدا يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في
لقاح له كانت ترحى في ناحية الجلاء ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخر من قيس كبة

من يجهل ، فاستوبوا ، وطُيوا^(١) ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو تخرجتم
ذلك القناح ففترتم من ألبانها وأبولها ، غرجوا إليها .

فلما صحرو وانطوت بطونهم ، عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسار ،
فذهبوه وعرزوا الشوك في عينيه ، واستاقوا القناح . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في
آثارهم كرز بن جابر ، فلقطهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذي
قرن ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم .

غزوة على بن أبي طالب إلى اليمن : وغزوة على بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ،
عزاهما مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو اللدني : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب
إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في جند آخر ، وقال : إن التثنية فالأمير على بن أبي طالب .
وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد في حديثه ، ولم يذكره في عدة البعوث والسرار .
فيبقى أن تكون المدة في قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين وهو آخر البعوث : قال ابن إسحاق : وبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطئ الخيل
تحوم البلقاء والمدائن ، من أرض فلسطين ، فتجيز الناس ، وأوصب مع أسامة المهاجرون
الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فبينا الناس جل ذلك ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذي
قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، في ليال بقرين من صفر ، أو في أول شهر
ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك ، فيها ذكر لي ، أنه خرج إلى بقيع النرقد ،

(١) استوبوا : أصبحوا بالأوبة . طحوا : أصبحوا بداء الطحال .

من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أمه ، فلما أصبح استدعى بوجهه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي موسى ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا موسى ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، لئبىء لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه ، أتبكت الفتن يقطع الليل الظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل على ، فقال : يا أبا موسى ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والآخرة فيها ، ثم الجنة ، ظهرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فكل مفاتيح خزائن الدنيا والآخرة فيها ، ثم الجنة ؛ قال : لا والله يا أبا موسى ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه الذى قبضه الله فيه .

فمرضه في بيت عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن حبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن حبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صداعا في رأسى ، وأنا أقول : وإرأساء ، فقال : بل أنا وآله يا عائشة وإرأساء . قالت : ثم قال : وما ضرك لو لمت قبلى ، فممت عليك وكنتك ، وصليت عليك ودنتك ؟ قالت : قلت : وآله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتى ، فأعرست فيه بعض نسائك ، قالت : فقيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتام به وجهه ، وهو يدور على نساءه ، حتى استمر به ^(١) ، وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنن فإن يمرض في بيتى ، فأذنن له .

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وكان تسعا : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن النخعي ، وسودة بنت زمعة بن قيس .

(١) استمر به : غلبه .

وزينب بنت جحش بن رثاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، ونجيرة بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفيّة بنت يحيى بن أخطب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم .

خديجة : وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهي أول من تزوج ، وزوجه إياها أبوها خويلد بن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكثرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تمم ، حليف بني عبد النزار ، فولدت له هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة ، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن حابد بن عبد الله بن عمر بن غزوم ، فولدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها عتيق بن أبي رفاعه .

عائشة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة ، وهي بنت سبع سنين ، ونهى بها بالبدية ، وهي بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها ، وزوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

سودة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زفقة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن طامر بن لؤي ، وزوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال أبو ساطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطاً وأبا ساطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل .

زينب بنت جحش : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية . وزوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقها أنزل الله ببارك يومئذ : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها » .

أم سلمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند : وزوجها إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأشا حشوه ليف ، وقدرًا ، وصحفة ، وجمعة (١) : وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، واسمها عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

حفصة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزوجها إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند مختنئ بن حذافة التميمي .

أم حبيبة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، واسمها رمة بنت أبي سفیان ابن حرب ، وزوجها إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .

جويرية بنت الحارث : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي مزار الحزاعية ، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة ، فوَقعت في السهم لثابت بن قيس ابن الشلاس الأنصاري ، فكَاتِبها على نفسها ، فأَمَت رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسْمِيَتِه في كِتَابِهَا . فقال لها : هل لك في غير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أَقْضِيْ حُكْمَ كِتَابِكَ وَأُزَوِّجْكَ ؟ فقالت : نعم ، فزَوَّجَهَا .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن هروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما أنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة وأمره بالأحفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للديعة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي مزار بفداء ابنته ، فلما كان بالعتيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بيعين منها ، ففِيَّهِمَا في شُحْب من شعاب العتيق ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ،

أصبحت ابنتي ، وهذا فداؤهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبت .
بالتيق في شعب كذا وكذا ، فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله ، صلى
الله عليك ، فوالله ما أطاع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه أيتان له وثناس .
من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعته
إليه ابنته جويرية ، فأسلت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها .
فزوجها إياها ، وأصدقها أربع مائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن
عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس ، فأعتقها
وتزوجها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

صفية بنت حيي : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب ،
سبأها من خيبر ، فأصطفاهما لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، ما فيها شحم
ولألم ، كان سوقيا وتبرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

ميمونة بنت الحارث : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن
عز بن بجير بن مكرم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوجها إياها
العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ،
وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد المزي بن أبي قيس بن عبد نود بن نصر بن مالك بن حسل
ابن عامر بن لؤي ، ويقال : إنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خطبة
النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهي على بغيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله :
فأنزل الله تبارك وتعالى : « وأمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » .

ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ويقال أم
شريك ، قرية بنت جابر بن وهب من بني منذر بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي ، ويقال :
يلى هي امرأة من بني تامة بن لؤي ، فأرجأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زينب بنت خزيمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث
ابن عبد الله عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين :
لرحمتها إياهم ، وورثها عليهم ، زوجها إياها خزيمة بن عمرو الملال ، وأصدقها رسول الله صلى

الله عليه وسلم أربعة درهم . وكانت قبله عند حبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف . وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها

فهؤلاء اللاتي بنى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، قات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن في أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت الثمان الكندية ، تزوجها فوجد بها يابسا فمشمها ^(١) وردھا إلى أهلها ، وعمره بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرددھا إلى أهلها ، ويقال : إن التي استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كندية بنت عم لأسماء بنت الثمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دناها ، فقالت : إنا قوم تؤذي ولا تأتي ؛ فرددھا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

الفرشيات منهن : الفرشيات من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وعاتكة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قحطلة بن رياح بن رباح ابن عدى بن كعب بن لؤي ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي .

العربيات وغيرهن : العربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كعب بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ، وميمونة بنت الحارث بن خزيمه ابن تميم بن مكرم بن زغبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وزينب بنت خزيمه بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت

(١) مشما : اصطلاحا ما تمتع به .

الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، ثم البطليقة ، وأسماء بنت النعمان الكندية ، وعمرة بنت يزيد السكالية .

ومن غير العربيات : صفية بنت حيي بن أخطب ، من بني النضير^(١)

تمرّض رسول الله في بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس . ورجل آخر ، عاصبا رأسه ، تخط قدماه حتى دخل يتي .

قال عبيد الله : حدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدري من الرجل الآخر قال : قلت : لا ؟ قال : علي بن أبي طالب .

استداد الرض : ثم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال هريقوا عليّ سبع قرب من آبار شقي ، حتى أخرج إلى الناس فأعبد إليهم ، قالت : فأقعدناه في مخضب^(٢) لحفصة بنت عمر ، ثم صبنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

خطبة للنبي ﷺ وأبا بكر : قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أيوب بن بشير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول

(١) لم يذكر ابن إسحاق في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبي ، وذكرها غيره ، ولم تهم عنده إلا يسيراً حتى ماتت ، وكذلك المالبة بنت طليان بن عمرو بن عوف ، ذكرها غيره في أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وسى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : منا بنت أسماء بنت الصلت . ومنهم أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية ، انفقوا على تزويج النبي صلى الله عليه وسلم لإياها ، واختلقوا في سبب فراق النبي صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل في شراف بنت خليفة : إنها ماتت قبل أن يدخل بها ، والله أعلم .

(٢) المخضب : إناء يتقبل فيه .

ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهما أبو بكر وعرف أن نفسه يريد ، فسبك وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على ريشك يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللأظفة^(١) في المسجد ، فسدوها لإيالة أبي بكر ، فإني لا أعلم أحدا كان أهمل في الصحة عندي يدا منه .

قال ابن هشام . وروى : إلا باب أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد بن الملق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ في كلامه هذا : فإني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمره بالتهاد بعت أسامة : وقال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبأ الناس في بيت أسامة ابن زيد ، وهو في وجهه ، فخرج طائفاً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة : أمر ظلاماً حدثاً على حيلة المهاجرين والأنصار .

لقد الله وأمنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، اتقوا بيت أسامة ، فلعنني لئن قلم في إمارته لقد قلم في إماره أبيه من قبله ، وإنه لخلق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليفاً لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكشف^(٢) الناس في جهازهم ، واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجوزف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به صكره ، وتنام إلى الناس ، وتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصاحبه بالأنصار : وقال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يريدون ، وإن الأنصار على ميثاقها لا تزيد ، وأنهم كانوا يتبختروا^(٣) التي أوتيت إليها ، فاحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن سيئهم .

(١) اللأظفة : الثاظة . (٢) انكشف الناس في جهازهم : أسروا فيه .

(٣) تبختر : مكن سره .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتام به وجهه ، حتى عثى .

اللدود (١) : قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نساء : أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا أن يلذوه ، وقال العباس : لألذنه . قال : فلذوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من صنع هذا ؟ قالوا : يا رسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ، قال : ولم تعلم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لءاء ما كان الله عز وجل ليقلدني به ، لا يبق في البيت أحد إلا لد إلا عى ، فقد لدت ميمونة وإنها لصائمة ، لتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة ثم بما صنعوا به .

دعاؤه لاسامة بالإشارة : قال ابن إسحاق : حدثني سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أحمى فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضمها على ، فأعرف أنه يدعوني .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدثني سعيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمه يقول : إن الله لم يقض نبياً حتى يخيره ، قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : يا رفيق الأعلى (٢) من الجنة ، قالت : قلت : إذا والله لا يجترأ ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبياً لم يقض حتى يخير .

(١) اللدود : مجموعة من سبعة أدوية مخلوطة يجعل في جانب القم في داخله ويحك بالاصبع قليلا .
(٢) الهم الرفيق الأعلى : وهذا منزع من قوله تبارك وتعالى : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » إلى قوله سبحانه : « ورحمن أولئك رفيقاً » . فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء لأن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ، وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، فإنه قال : « مع الذين أنعم الله عليهم » وهم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالى : « أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » . ثم بين في الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيق

أبو بكر يصل بالناس : قال الزمري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استعز رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يأتي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروم فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قولي ، فقال : إنك صواحب يوسف ، فمرو فليصل بالناس ، قالت : فوافقه ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس يستشامون به في كل حدث كان ، فكتكت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استعز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصل بالناس . قال : فخرجت فلما عمر في الناس . وكان أبو بكر غائبا ، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا نجها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ بأي الله ذلك والمسلمون ، بأي الله ذلك والمسلمون : قال : فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصل بالناس . قال : قال عبد الله بن زمة . قال لي عمر : ويحك ، ماذا صنعت في يمين زمة ، والله ما ثقلت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت : والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضري بالصلاة بالناس .

الاحل الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . حين تحيّر فاختار ، وبعض الرواة يقول عن عائشة في هذا الحديث . فأشار بأصبعه ، وقال . في الرقيق . وفي رواية أخرى أنه قال اللهم الرقيق ، وأشار بالسبابة ، يريد التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ولو لم يشتر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل . لم لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله . وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترجع عند حليلة أن قال : إنه أكبر قاله الراقدي . وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حرك بها لسانه وما يكاد يبين ، وفي قوله . ملكت أيمانكم قولان . قيل : أراد الرقيق بالملوك ، وقيل : أراد الزكاة ، لأنها في القرآن مقرونة بالصلاة ، وهي من ملك الدين ، قاله الخطابي .

اليوم الذي قبض الله فيه رسوله

صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال الزهري : حدثني أنس بن مالك . أنه لما كان يوم الاثنين الذي قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتنون في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن ابتروا على صلاتكم : قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من محبتهم في صلاتهم ، وما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس يوم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجهه فخرج أبو بكر إلى أهله بالشنع .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأتي الله ذلك والمسلمون قولاً مقاماً لما عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أياً بكم ، ولكنه قال عند وفاته : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، وإن أتوكم فقد تركهم من هو خير مني ، فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحداً ، وكان عمر خير منهم على أبي بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي ثعلبة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم طامياً رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يعلى بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاه ، ففزع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظهره ، وقال : صل بالناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصل قاعداً عن يمين أبي بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلهم رافقاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سمعت النار ، وأقبلت الفتنة كقطع الليل المظلم ، وإني والله ما تمسكون على شيء . إني لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبي الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يوم بنت عارضة ، أصابتها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالشنع .

شأن علي والعباس قبل وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهري : وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أصبح بحمد الله بارئاً ، قال : فأخذ العباس بيده ، ثم قال : يا علي ، أنت والله عهد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه في وجهه بن عبد المطلب ؛ فاضطج بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان في غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال فقال له علي إني والله لأفعل ؛ والله لئن ممنناه لا يؤكينا أحد بعده .

فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الشتاء من ذلك اليوم .

سواء الرسول قبل وفاته : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن حبة ، عن الزهري ، عن هرو ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع في حجره ، فدخل على رجل من آل أبي بكر ، وفي يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه في يده نظراً عرف أنه يريد . قالت : فقلت : يا رسول الله ، أحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فضمت له حتى ليته ، ثم أعطيته إياه . قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه ^(١) ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقل في حجره ، فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة : قالت : فقلت : خُيرت فاخترت ؛ والذي بينك بالحق . قالت : وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزهير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وفي دولتي لم أعظم فيه أحداً

(١) فيه من الفقه : التنظف والطهر للوت ، ولذلك يستحب الاستعداد لمن استشر القتل أو الموت كما فعل حُيَيب أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم حيناً أراد المشركون قتله وقصته موجودة فيما سبق من السيرة — لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلح مناجاة له ؛ فالنظافة من شأنهما ، وكان السواك المذكور في هذا الحديث من حبيب نحل فيما روى بعضهم ، والعرب تستاك بالصيب ، وكان أحب السواك إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صرح الأراكان .

فمن سفيهي وحدائه سني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقت ألتيم (١) مع النساء ، وأشرب وجبى .

مقالة عمر بعد وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى ، وحدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجعت موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

شأن أبى بكر بعد وفاته : قال وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى في ناحية البيت ، عليه برد حيرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه قبله ، ثم قال : بأى أنت برأى ، أما للوثة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موة أبداً . قال : ثم رد الجرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على ريشك يا عمر ، أنصت ، فأنى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إله من كان يعبد عمداً فإن عمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين .

قال : فوافقه لكان الناس لم يلبوا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فأنما هي في أفواههم ؛ وقال : فقال أبو هريرة : قال عمر : وافته ما هو إلا أن سمعت أبابكر تلاها ، فقُرت (٢) حتى وقعت إلى الأرض ما تهملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

(١) ألتيم : أضرب صدرى .

(٢) قُرت : دهمت فلم أستطع التحتم أو التأخر .

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق : ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحزب من الأنصار إلى سعد بن حنادة في سقيفة بني ساعدة ، واعتزل على بن أبي طالب والزبير بن العوام وطاعة بن عبيد الله في بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير ، في يوم عبد الأشهل ، فأتت إلى أبي بكر وعمر : فقال : إن هذا الحزب من الأنصار مع سعد بن حنادة في سقيفة بني ساعدة ، قد انحازوا إليهم ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأذكروا قبل أن يتفكروا أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبي بكر ، حدثني عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت في منزله بمنى أنظروه ، وهو عند عمر في آخر حجة حجا عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدني في منزله بمنى أنظروه ، وكنت أقرء القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لي عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايتم فلانا ، وافقه ما كانت بيعة أبي بكر إلا ثلاثة شتمت ، قال : فغضب عمر ، فقال : إني إن شاء الله لتأثم العشي في الناس ، فمحدروهم هؤلاء الذين يريدون أن يغيروهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاة الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يطلبون على قريش ، حين تقوم في الناس ، وإن أخشى أن تقوم تقول قتالة يطير بها أولئك منك كل يطير ، ولا يؤمها ولا يضعوها على موضعها ، فأهمل حتى تقدم المدينة فينزلها دار السنة ، وتخلص بأهل الثقة وأشرف الناس فتقول ما قلت بالمدينة شتمنا ، فيمضي أهل الثقة مقاتلك ، ويضعونها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومين بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

عمر يذكر البيعة لأبي بكر : قال ابن عباس : فقدمنا المدينة في عتب ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة جعلت الزواجر حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل يجالسا إلا ركن النبر فجلس حنوه خمس ركعتي ركعتي ، فلم أنشب أن أخرج عمر بن الخطاب ، (١٥ - الجمعة النبوية ج ١)

فلما رأته متيلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقول العصية على هذا الخبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكره على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول بما لم يقل قبله ، جلس عمر على المنبر ، فلما سكث المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإني قاتل لكم اليوم مقالة قد تُدرى أن أقولها ، ولا أدري لعلها بين يدي أجلى ، فمن عتقها ووعاها فلأخذ بها حيث انتهت به راحته ، ومن عشي أن لا يسبقها فلا يمل لأحد أن يكذب على : إني والله بعت محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعلناها ووعيناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده ، فأعشى إن طال بالناس زمان يقول قائل : والله ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فرضة أنزلها الله ، وإن الرجم في كتاب الله حتى على من زنى إذا أحسن من الرجال والنساء ، وإذا قام به البيت ، أو كان الحمل أو الاعتراف ، ثم إننا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم » ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرى عيسى ابن مريم » ، وقولوا : عبد الله ورسوله ، ثم إنه قد بلغني أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يفرق امرأ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وفق شرعا ، وليس فيكم من تنقطع الأحاقق إليه مثل أبي بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه بغيره أن يقتل ، إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة ، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن معهم ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخوتنا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلا صالحا ، فذكر لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخوتنا هؤلاء من الأنصار ، قلنا : فلا عليكم ألا تقربوهم يا معشر المهاجرين ، انصوا أمركم . قال : قلت : والله فأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا بين ظهرانهم رجل متوكل فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ما له ؟ فقالوا : وجمع . فلما جلسنا نشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فمن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دُفئت دأفئة^(١) من قومكم ، قال : ولذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكنت

(١) الدافعة : الجماعة من الناس تأتي من يله إلى يله .

أردت أن أتكلم ، وقد زورت (١) في نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدي أبى بكر ، وكنت أأدري منه بعض الحد (٢) ، فقال أبو بكر : على رثلك يا عمر ، فكرهت أن أغضب ، فتسكلم ، وهو كان أعلم منى وأوفر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى يديته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكنت : قال : أما ما ذكرتم فىكم من خير ، فأتتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رخصت لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أحما شتم ، وأخذ يندى ويبدأ عبيدة بن الجراح وهو جالس بيتنا ، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أأمر على قوم فهم أبوبكر .

قال قاتل من الأنصار : أنا نجدئيل (٣) الخثكك وعذيقها للرجب (٤) ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . قال : فكثرت اللفظ ، وارتفعت الأصوات ، حتى تحوفت الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك يا أبابكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا (٥) على سعد بن عباد ، فقال قاتل منهم : قتلتم سعد بن عباد . قال فقلت : قتل الله سعد بن عباد .

قال ابن إسحاق : قال الزمى أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدى ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم : « فيه رجال يحبون أن يتخلروا والله يحب المطهرين » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة . وأما معن بن عدى ، فبلغنا أن الناس بكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لوددنا أنا متابعيه إننا نخشى أن نفتن بعده . قال معن بن عدى : لكنى والله ما أحب أنى متابعيه حتى أصدقته ميتاً كما صدقته حياً ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلة الكذاب .

(١) زورت : أعدت . (٢) الحد : الحدة التى كان يتصف بها عمر .

(٣) الجذيل : تصغير جذل : عود من الحطب فى مبرك الإبل تحتك به فتسترجح .

(٤) العذيق : تصغير عذق النخلة : والمرجيب من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حمله

(٥) نزونا : وثبنا .

خطبة عمر بن الخطاب لأبي بكر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، قال : حدثني أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الله ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبي بكر ، حمد الله وأثنى عليه بما هو الله ، ثم قال : أيها الناس ، إني كنت قلت لكم : من عاقبنا ما كانت ما وجبتنا في كتاب الله ، ولا كانت عدا عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كنتم ، كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدر أمرنا ؛ يقول : يكون تعرفنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن أعصمتم به عداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثاني اثنين إذ هما في النار ، فتوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبي بكر بعد البيعة : فتكلم أبو بكر ، حمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو الله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإن قد وليت عليكم وأستبجركم ، فإن أسست فأهونوني ؛ وإن أسأت فتوموني ؛ الصلح أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عتدي حتى أربع عليه حتى إن شاء الله ، والقوى فيكم ضيف عتدي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفتاحية في قوم قبل إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوا ما أطيع الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . فبايعوا إلى صلواتكم برحمتكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمنى مع عمر في خلافته وهو جالس إلى حاجة له ، وفي يده المدرة ، وما معه غيره ، قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب ويخشي (١) قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إلي ، فقال : يا ابن عباس هل تدري ما كان حلتني على مقاتلي التي قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال فإياه والله ، إن كان الذي حلتني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ، فوالله ، إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي في أمته حتى يشهد عليها بأشر أعمالها ، فإنه لذي حلتني على أن تلك أماتك .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفته

من تولى غسله : قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُتَيْب بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين وُكِّلوا غسله ، وأن أوس بن حُزَلٍّ ، أحد بني عوف بن الحزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدرا ، قال : ادخل ، فدخل مجلس ، وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسندته علي بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُتَيْب يقبلونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشُقْران مولاة ، هما اللذان يصبان للماء عليه ، وعلي يفضله ، قد أسندته إلى صدره ، وعلي قبضه يديهما من ورائه ، لا يفضي يده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي يقول : يَا أَيُّ أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَطْيِيكَ حَيًّا وَمَيِّتًا . ولم يُرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .

كيفية غسله : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندري ، أن تجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما تجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقته في صدره ، ثم كلهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلوه وعليه قبضه ، يصبون للماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تسكينه : قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب ، ثوبين صحاريتين (١) وبُرد جبّة ، أدرج فيها إدراجا ، كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين والزهرى ، عن علي بن الحسين .
القبور : قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :

(١) صحاريتين : نسبة إلى صحار . مدينة باليمن .

لما أرادوا أن يغفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يقترح (١) تكفير أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذي يحفر لأهل المدينة ، يلحد ، فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة ، اللهم خير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فحلد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الصلاة عليه ودفته : فلما فرغ من جواز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، ووضع في سريره في بيته ، وقد كان للسلبون اختفوا في دفته . فقال قاتل : ندفته في مسجده وقال قاتل بل ندفته مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما قبض نبي إلا دفن حيث قبض : فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه ، لحفره تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان . ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحديثي عبد الله بن أبي بكر ، عن امرأة فاطمة بنت عمار ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها : جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفته : وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وولم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن حنظل لعلي بن أبي طالب : يا علي ، أشدك الله ، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفره وبني عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفرشها ، فدفعنا في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا .

قال : فدفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهداً به : وقد كان المنهرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمي ، فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي سقط بطني ،

(٢) يشرح : يشق الأرض ليجمعها ضم محلا .

ولما طرحه عبداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن يقيم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولا عبد الله بن الحارث ، قال : احتضرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فشكبه له غسل ، فاعتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا الحسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا عنه ؛ قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ؛ قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بن جاس .

خصيصة الرسول السوداء : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان علي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحيصة سوداء حين أشد به وجهه ، قالت : فهو يضما مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يترك هجرة العرب دينان .

الفتان المسلمين بعد موته : قال ابن إسحاق : ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت طائفة ، فيما بلغني ، تقول : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد العرب ، واشترأت اليهودية والنصرانية ، ونهجم التفائق ، وصار المسلمون كالنجم المظلمة في الليلة السائية ، لقد نعيم صلى الله عليه وسلم ، حتى جهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن كثيراً من مكة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عتاب بن أسيد ^(١) ، فتواري فقام سبيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يرد الإسلام إلا قوة فمن رابنا خبرنا عنه ، فراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

(١) كان عتاب والي مكة .

فهذا المقام الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لعمر بن الخطاب : إنه صلى الله عليه وسلم مقاماً لا تدسه .

حسن بن ثابت يروي الرسول : وقال حسان بن ثابت يكي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري :

منيرٌ وقد تغفر الرسوم وتهمد ^(١)	عطيةً رسمهم الرسول ومعه
بها منبرُ الهادي الذي كان يستند	ولا تمنح الآيات من داري حرمة
وربع له فيه معلً وحيد	وواضح آثارٍ وإقار معالم
من أقد نورٌ يستضاء ويوقد	بها حشرات كان يزل وشطبا
أثاما إلى فالأى منها تهمد	معارف لم تخلص على الصدا آثما
وقبرا بها واداء في القرب تلجد	عزفت بها رسم الرسول وعده
حيون وثلاما من الجن تهمد ^(٢)	ظلت بها أبكى الرسول فاستدث
لما مضى نفي ففنى تهمد	يذكرن آلاء الرسول وما أرى
فظلت لآلاء الرسول تهمد ^(٣)	مفجعة قد شفا فقد أحمد
ولكن نفس بدد ماقد تهمد ^(٤)	وما بلغت من كل أمر عشيرة
على طلل القبر الذي فيه أحمد	أطالت وقوقا تلدف العين تهمدا
بلاؤى قوى فيها الرشيد المسدد	فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
عليه بناء من صفيح متضدد ^(٥)	وبورك لحسنك من كفن طيبا
عليه وقد غارت بذلك أسدد	تجمل عليه الترتب أي وأحس
حشية علوه جاري لا يتردد	لقد غيروا سلما وعلما ورحمة
وقد وقتت فيهم ظهور وأعند	وراحوا بحرين ليس فيهم نهم

(١) الرمم : ما بقي من آثار الهيار . تغفر : تيسر ، تهمد : تجل .

(٢) أسعدت : أحانت .

(٣) شفا : أضعفا . (٤) عشيرة : عشرة . تهمد : من الوجد وهو الحزن .

(٥) الصفيح : الحجارة . متضدد : بسننه فوق بعض .

يُسْكَونَ مِنْ تَبْكِ السَّمَاوَاتِ يَوْمَهُ
وَهُلْ عَدَلْتُ يَوْمًا رِزْقُهُ هَالِكٌ
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَشْتَدِي بِهِ
إِمَامٌ هُمْ يَهْدِيهِمْ الْحَقُّ بِإِمَامِهِ
عَفْوٌ مِنَ الزَّلَاةِ يَقْبَلُ هَذَرَهُمْ
وَأَنْ تَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِمَعْلِهِ
فَيُنَادِيهِمْ فِي نَعْمَةِ اللَّهِ بِدَنِّهِمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَهْجُرُوا مَنْ هَدَى
صَلَوْتُ عَلَيْهِمْ لَا يُبْقِي جَنَاحَهُ
فَيُنَادِيهِمْ فِي ذَلِكَ التَّوَرِّ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى أَقْبَى رَاجِعًا
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْإِجْرِمِ وَحَشَا بَقَاغُهَا
يَقْنَارُ أَسْوَى مَعْمُورَةِ الْحَيْدِ ضَافَا
وَمَسْجِدُهُ فَاَلْمُوحِشَاتِ لَفَقِيدِهِ
وَبِالْهَرَمِ الْكِبَرَى لَهُ ثُمَّ أَوْحِشَتْ
نَبْكَى رَسُولُ اللَّهِ يَأْخِذُ قَبْرَهُ
وَمَا لَكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النُّعْمَةِ الَّتِي
بُجِدَى عَلَيْهِ بِالْهَدْمِ وَأُخْرِجُوا
وَمَا تَقْدُّ لِلْمَاضُونِ مِثْلُ مُحَمَّدٍ

وَمَنْ قَدْ بَكَتِ الْأَرْضُ فَالْأَنْسُ أَكْثَرُ
رِزْقُهُ يَوْمَ مَاتَ فِيهِ عَمْدُ ١٩
وَقَدْ كَانَ ذَا نَوْرِ يَنْفُورُ وَيَنْجِدُ ٢٠
وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَرُشِدُ
مَعْلَمٍ صَدَقَ إِنْ يَطِيعُوهُ يَسْمَعُوا
وَأَنْ يَحْسِنُوا فَاللهُ بِالْخَيْرِ أَجُودُ
فَرَنْ عِنْدَهُ تَبَسُّرٌ مَا يَشْتَدُ
دَلِيلٌ بِهِ نَهْجُ الطَّرِيقَةِ يَهْتَدُ
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
إِلَى كَفِّ يَحْضُرُ عَلَيْهِمْ وَيَهْتَدُ ٢١
إِلَى نَوْرِ سَمٍّ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ ٢٢
يُنْكِبُهُ حَتَّى لِلرَّسَلَاتِ وَيَحْتَدُ ٢٣
لَنَيْتُهُ مَا كَانَتْ مِنَ الرُّسُومِ تَعَدُ
قَبْدٌ يَنْكِبُهُ بِلَاطٌ وَتَقَرُّدُ ٢٤
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْدُ
دِيَارُ حُرُوفَاتٍ وَزَيْغٌ وَهَوْلُ
وَلَا أَعْرِفُكَ الْهَمْرَ دَمْلِكُ يَحْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِقٌ يَنْشُدُ
لَقَدْ دَلَّى لَا مِثْلَهُ الْهَمْرُ يَوْجِدُ
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقِدُ

- (١) يَنْفُورُ : مَنْ النُّورُ وَهُوَ مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ وَيَنْجِدُ مِنَ النَّجْدِ وَمَوْماً ارْتَفَعَ
مِنَ الْأَرْضِ .
(٢) الْكَفُّ : الْجَانِبُ .
(٣) مَقْدُ : مَصِيبٌ : أَسْمُ قَاعِلٍ مِنْ أَقْدُ .
(٤) لِلرَّسَلَاتِ : لِلْأَنْشُكَةِ .
(٥) ضَافَا : نَزَلَ بِهَا . بِلَاطُ : مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ : التَّرْقُدُ : شِمْرُ .

أَصْفَ وَأَوْفَى ذِمَّةً بِمَدِّ ذِمَّتِي وَأَقْرَبَ مِنْهُ نَائِلًا لَا يُسَكَّدُ (١)
وَأَبْذَلَ مِنْهُ الطَّرِيفَ وَتَالِيهِ وَإِذَا حَضَرَ مِطَاءَهُ بِمَا كَانَ يُنْبِذُ (٢)
وَأَكْرَمَ صِنْفًا فِي الْيَوْمِ إِذَا اتَمَّى وَأَكْرَمَ جَدًّا أَبْطَحًا يُسَوِّدُ (٣)
وَأَمْنَعُ ذُرْوَاتٍ وَأَعْبَتُ فِي الْعِلَا دَعَائِمَ حَرَّةٍ شَاهِقَاتٍ تُشِيدُ (٤)
وَأَعْبَتُ فِرْعَانَ فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبِتَا وَعُودًا غَذَاهُ الْزُّنُ وَالْعُودُ أَغِيدُ (٥)
رَبَّاهُ وَلَيْدًا فَاسْتَمَّ تَمَامُهُ عَلَى أَكْرَمِ الْخِيَرَاتِ وَبِئْسَ مُجَدِّ
تَنَاهَتْ وَصَاءُ الْمُسْلِمِينَ بِكُفِّهِ فَلَا يَلْمُ عَجُوزٌ وَلَا الرَّائِي يُفْتَدُ (٦)
أَقُولُ وَلَا يَلْتَمِزُ لِقَوْلِي حَامِئٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ (٧)
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَغْلَهُ
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو يَذَاكَ جَوَارُهُ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَسْمَى وَاجْتَدُ
وَقَالَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا ، يَكِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

مَا بَالُ هَيْبِكَ لِاتِّمَامِ كَأَنَّمَا كُحِّلَتْ مَأَقِبُهَا بِكُلِّ الْأَوْتِدِ
جَوْعًا عَلَى الْمَهْدِ أَصْبَحَ ثَاوِيًا يَاخِي مِنْ وَطَنِ الْحَقِّ لَا يُنْبِذُ
وَجِئْتُ بِتَيْبِكَ التَّزَيُّ لِحْنِي لَيْتِي مُنْجِبُكَ قَبْلَكَ فِي بَقِيْعِ الْفَرَقْدِ (٨)
بَأْنِي وَأَمَى مِنْ شَهْدَتِ وَقَاتِهِ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهَيَّبِيُّ
فَطَلَّكَ بِمَدِّ وَقَاتِهِ مَتَلَدًا يَا لَيْتِي لَمْ أَوْلَا
أَقِيمَ بِعَدِكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ يَا لَيْتِي مُصْبِحْتُ سَمَّ الْأَسْوَدِ (٩)

(١) لَا يُسَكَّدُ : لَا يَكْدُر .

(٢) الطَّرِيفُ : مَا اسْتَحْدَثَ مِنَ الْمَالِ الْاِثْنَاءُ : الْمَالُ الْمُرُوثُ . يَتْلُو : يَكْتَسِبُ قَدِيمًا

(٣) الصِّيتُ : الْمَذْكُورُ الْحَسَنُ . الْأَبْطَحِيُّ : الْمُنْسُوبُ إِلَى أَبْطَحٍ مَكَّةَ .

(٤) الذُرْوَاتُ : الْأَعْلَى . (٥) الْمَزْنُ : السَّحَابُ . أَغِيدُ : نَاعِمٌ .

(٦) يُفْتَدُ : يَخْطَأُ . (٧) عَازِبُ الْعَقْلِ : بَعِيدُ الْعَقْلِ غَائِبُهُ .

(٨) بَقِيْعِ الْفَرَقْدِ : مَدَائِنُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

(٩) سَمَّ الْأَسْوَدِ : أَيْ سَقِيَتْ حَبَالُهَا سَمَّ الْأَسْوَدِ ، وَالْأَعْيُودُ نَوْعٌ مِنَ الْحَيَاتِ .

أو حل أمر الله فينا عاجلا
فقوم ساعنا فلتق طينا
يايكثر آمنة للبارك يكرما
نورا أضاء على البرية كلها
يارب فاجعنا معا وقلنا
في جنة الفردوس فاكثنا لنا
واحد أسمع ما بقيت هالك
ياويح أنصار النبي ورجله
حاشا بالأنصار البلاد فأصبحوا
ولقد ولدناه وفيها قبره
واحد أكرمنا به وهدي به
صلى الإله ومن يحض برسه

في رَوْحٍ من يوتينا أومن غدي
تحصا حراثته كريم المجد^(١)
ولده تحفة بسط الأسمد
من يهد النور المبارك يهدي
في جنة تضي عيون المسد^(٢)
ياذا الجلال وذا العلاء والسود
إلا يكيت على النبي محمد^(٣)
بعد الغيب في سواء المجد
شودا وجوهم كلون الإيد
وتضوئ تسميه بآلم تمجد^(٤)
أنصاره في كل ساحة مشهد
والطيون على المبارك أحي

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يكي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نَبِّ المساكين أن الخير فارقم
من هذا الذي عنده رجلي وراحتي
أم من ناعب لا تضي جناحه
كان الفناء وكان النور تبعه
فلينا يوم وأزوه بملجته
لم يترك الله منا بعده أحدا
ذلت رقبتي بنى النجار كلمهم
واقسم الله دون الناس كلمهم

مع النبي تولى عنهم سحر^(١)
ورزق أهل إذا لم يؤسوا المطرا
إذا السان عتا في القول أوعتر^(٢)
بعد الإله وكان السمع والبصرا
وغيوه وألقوا فوقه الدرا
ولم يعيش بعده أنى ولا ذكرا
وكان أمرا من أمر الله قد قبرا
وبدوه جباراً بينهم مسدرا

(١) الضرائب : الطبايع . المحدث : الأصل

(٢) تضي : تبع . (٣) والله أسمع : أى والله لا أسمع .

(٤) يريد : بولدهنا : أن أحوال والده الرسول صلى الله عليه وسلم من بنى النجار .

(٥) نب : نبىء . سهل فعل الأمر بحذف الهزة ثم بناء على حذف حرف العلة كما بينى المعتل .

(٦) الجنادع : أوائل الشر .

وقال هسيان بن ثابت يكي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا :

آليت ما في جميع الناس مجتهداً	من أليثة برة غير إفتاد ^(١)
تلق ما حلت أنى ولا وضعت	مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقاً من بريته	أوفى بدمية جارٍ أو يبيعاد
من الذي كان فينا يستضاء به	مبارك الأمر ذا عدلي ولرشاد
أمسى نساؤك جطلان السيوك فإ	يغترق فسوق قفا يستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبس المبالد قد	أيقن بالبؤس بمدة التعمه البادي ^(٢)
يا أفضل الناس إني كنت في تنهري	أصحت منه كشيل المفرد الصادي ^(٣)

قال ابن هشام : هجر البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

• • •

تمت السيرة

(١) الآلية : الميّن . الإفتاد : الخطأ والميب .

(٢) المبالد : الآثواب التي تستعمل يوماً أو الآثواب الخلقية .

(٣) الصادي : الشديد العطش .

وقد رثاه غير هسان الكثير من الشعراء . ولكن كان المرنى أعظم من أن يرنى وكانت القصيدة أكبر من شعر الشعراء ورثاء الرائيين وحزن المحزونين .



خاتمة

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه القوى القدير : طه عبد الرؤوف سعد
وأنا معترف بتقصيري وعيوني طالبا إلى علام الغيوب أن يغفر ذنوبي .
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
والصلاة والسلام عليك يا سيدي يا رسول الله . صلى الله عليك وعلى آلك
وأصحابك والتابعين وتابعهم بإحسان ومن نهج تهجك وسار على سبيلك واتبع
سنتك إلى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .
فهما يقول المؤمنون ومهما يصف الراصفون فانت أعز وأكرم ،
لأنهم لا يستطيعون أن يحلوك مكانا وفكك الله إليه بقوله تعالى : « وإنك لعل
خلق عظيم » فلتكف الأقلام ولتصمت الألسنة .
وبعد : فقد تم بحون الله الجزء الرابع من كتاب سيرة الرسول
عليه الصلاة والسلام للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام للعافري الجبيري
البصري الأصل .

(وقد تم الكتاب بانتهاء الجزء الرابع)

فهرست الجزء الرابع

من السهولة الثبوتية

ص	للموضوع	ص	للموضوع
٣٢	عرض الجيش على أبي سفيان	٣	هجرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع
٣٤	إسلام أبي قحافة	٥	زواج الرسول بميمونة
٣٦	دخول مكة	٧	ذكرى غزوة مؤتة
٣٧	شعار المسلمين يوم الفتح	١١	لقاء الروم وحلفائهم
٤٠	قتل أمرئ القتلهم	١٢	مقتل زيد بن حارثة
٤٢	الرسول يدخل الحرم	١٣	مقتل عبد الله بن رواحة
٤٣	تخوف الأنصار من بقاء الرسول بمكة	١٤	آماتة خالد
٤٤	كسر الأصنام		الرسول يتباً بما حدث
	إسلام فضالة	١٥	حزن الرسول على جعفر
	الامان لصفوان بن أمية	١٦	ما قاله كاهنة حدس
٤٥	إسلام رموس أهل مكة		الرسول يلتقي بالأبطال
٤٦	هيرة يبق على كفره	١٧	ما قيل من الشعر في غزوة مؤتة
٤٧	عدة من فتح مكة	٢١	تسمية شهداء مؤتة
	ما قيل من الشعر في فتح مكة	٢٢	ذكر الأسباب الموجبة للهجرة إلى مكة
٥٢	إسلام عباس بن مرداس		وذكر فتح مكة
٥٤	مسيرة خالد بن الوليد بعد الفتح		ما وقع بين بني بكر وخزاعة
	للى بن جذيمة من كنانة ومسير	٢٧	أبو سفيان يطلب الصلح
	على ثلثي خطأ خالد	٢٨	الاستعداد لفتح مكة
٥٤	الرسول يتبرأ من فعل خالد	٢٩	حاطب بن عمرو أهل مكة
٥٦	ما كان بين قريش وبين جذيمة	٣٠	خروج الرسول إلى مكة
	في الجاهلية	٣١	إسلام أبي سفيان بن الحارث
٥٧	خير ابن أبي جرد في بني جذيمة		وعبد الله بن أبي أمية
٦٠	خالد يهزم العري		

الموضوع	ص	الموضوع	ج
شعر الضحاك بن سفيان وسيد	٩٥	غزوة حنين في سنة ثمان - بعد الفتح	٩٠
الشهداء يوم الطائف	٩٦	استيلاء أدراس صفوان	٩٢
قصيدة جبير بن زهير في حنين والطائف	٩٧	قصيدة بن مرداس	٩٣
أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا	٩٨	ذات أنواط	٩٤
للؤلفة قلوبهم منها - وإنعام رسول		ثبات الرسول وبعض الصحابة	
الله صلى الله عليه وسلم فيها		حصان يهجو كلفة	٩٥
١٠٧ عمرة الرسول من الجفراة ،		شبهة بن طلحة يحاول قتل الرسول	
واستخلافه حناب بن أسيد على		النصر	٩٦
مكة، ورحل حناب بالمسلمين سنة ثمان		أم سليم في المعركة	
أمر كعب بن زهير بعد الانصراف		من قتل قتيلا فله سلبه	٩٨
عن الطائف		للالمة تحضر القتال	٩٩
١٠٩ كعب بن زهير وقصيدة (بانت سعاد)		التي عن قتلهم	٧٥
١١٦ كعب يسترضي الانتصار بدمهم		الشيء أخت الرسول	
١١٨ غزوة تبوك في رجب سنة تسع		ما أنزل الله في حنين	٧٦
أثخن لي ولا تفتق		شهداء حنين	
١١٩ شأن للثاقفين		سبايا حنين وأموالها	
حضر الأغنياء على النفقة		ما قبل من الشعر يوم حنين	
ما أنفق عثمان		٩٠ ذكر غزوة الطائف بعد حنين في	
البكاهون والمعدون والمتخلفون		سنة ثمان	
١٢١ الثاقفون يرجفون بملى		٩١ ما قبل من الشعر في غزوة الطائف	
أبو عيشة وعمر بن وهب يلحقان		الطريق إلى الطائف	٩٣
بالرسول		القتال	
١٢٢ ما حدث بالحجر		٩٤ أبو سفيان بن حرب وللقسيرة	
١٢٣ حول ابن القصيد		يتفاوضان مع قتيق	
١٢٤ تعرف الثاقفين المسلمين		٩٥ ارتحال المسلمين عن الطائف	
١٢٥ الصلح مع صاحب أيلة		بعد الطائف ينزلون إلى المسلمين	

من	الموضوع	ص	الموضوع
١٢٥	شالك وأكيدر دومة	١٤٦	مازل في الساذنين وللعندين
١٢٦	وادي المشقق وماؤه		والبكائين ومناقب العرب
١٢٧	ذو الجعادين ودقته وتسميته		مازل في المخلصين من الأعراب
	حديث أبي رهم في تبوك	١٤٧	مازل في السابقين من المهاجرين
١٢٨	أمر مسجد الضرار عند القنول		والأنصار
	من غزوة تبوك	١٤٨	حسان يعدد منازل علي الله عليه
١٢٩	مساجد الرسول		وسلم شعرا
	أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر	١٥٢	ذكر سنة تسع ، وتسميتها سنة
	المهاجرين في غزوة تبوك		الوقود - ونزول سورة الفتح
١٣٠	أمر وفد ثقف وإسلامها في شهر		قدوم وفد بني تميم ونزول سورة
	رمضان سنة تسع		الحجرات
١٣٨	هزم التلذت		رجال الوفد
١٣٩	كاتب عليه السلام لثقف		الحفات
	حج أبي بكر بالناس سنة تسع	١٥٣	أصحاب الحجرات
١٤٦	اختصاص علي بتأدية براءة		كلمة عطار
١٤٦	الأمر بمهاد المشركين	١٥٤	البرقان يفخر بقومه
	القرآن يرد على قريش ادعاهم		حسان يرد على البرقان
	عمارة البيت	١٥٦	شعر آخر للبرقان
١٤٢	مازل في أهل الكتابين	١٥٧	شعر آخر لحسان في الرد على البرقان
	مازل في النساء		إسلام الوفد
	مازل في تبوك		شعر ابن الأهم في مجاهد قيس
	مازل في أهل التفاح	١٥٨	قصة طمر بن العليل وأريد بن قيس
١٤٤	مازل في أصحاب الهندات		في الوفاة عن بني عامر
	مازل غين أثرا الرسول		رؤساء الوفد
١٤٥	مازل بسبب الصلاة على ابن أبي		عامر يدير القدر بالرسول
		١٥٩	موت عامر بدعاء الرسول عليه

الموضوع	ص	الموضوع	ص
١٧٤ قدوم رسول ملوك حمير بكتابه		١٥٩ موت أريد بصاحبة	
كتاب الرسول إليهم		مازل في عام وأريد	
١٧٥ وصية الرسول معاذاً حين بعث		شمر ليد في بكاء أريد	
إلى اليمن		١٦٢ قدوم خناب بن ثعلبة واقفاً عن	
١٧٦ إسلام قروة بن عمرو الجذامي		بن سعد بن بكر	
حبس الروم له وشعره ومقتله		١٦٣ إسلامه	
١٧٧ إسلام بني الحارث بن كعب على يد		دعوة قومه للإسلام	
خالد بن الوليد		١٦٤ قدوم الجارود في وفد عبد القيس	
١٧٨ قدوم خالد مع وفد على الرسول		إسلامه	
١٧٩ الرسول يبعث عمرو بن حزم		موقفه من ردة قومه	
بعده إليهم		إسلام النذر بن ساوى	
١٨٠ قدوم رقاعة بن زيد الجذامي		قدوم وفد بني حنيفة ومهم	
قدوم وفد مدان		مسيلة الكذاب	
١٨٢ ذكر الكذابين : مسيلة الخنقي		١٦٥ تثبت مسيلة	
والأسود العنسي		قدوم زيد الخيل في وفد طيء	
الرسول يتحدث عن الدجالين		١٦٦ قدوم عدي بن حاتم	
خروج الأمرأموال على الصدقات		١٦٧ أسر الرسول ابنة حاتم	
١٨٣ كتاب مسيلة إلى رسول الله		١٦٨ قدوم قروة بن مسيك المرادي	
والجواب عنه		١٧٠ قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس	
حجة الوداع ✓		من بني زيد	
تميز الرسول		١٧١ ارتداد عمرو بعد موت الرسول	
استعماله على المدينة أبا دجاجة		١٧٢ قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة	
حكم الخائن في الحج		١٧٣ قدوم مرد بن عبد الله الأزدي مسلماً	
١٨٤ موافات على بني قفولة من اليمن		قتاله أهل جرش	
رسول الله في الحج		إخبار الرسول بما حدث	
١٨٥ تحطية الوداع ✓		١٧٤ إسلام أهل جرش	
(١٦٦ - الجهة النبوية : ٤٤)			

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٨٧	تداليم الرسول عليه السلام للحاج	٢٠٦	بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال
بعث أسامة بن زيد إلى أرض		أبي سفيان بن حرب وما صنع	
فلسطين		في طريقه	
١٨٨	بعث رسول الله إلى الملوك	٢٠٨	سرية زيد بن حارثة إلى مدبر
أسماء الرسل والمرسل إليهم		سرية سالم بن عبيد لقتل أبي ذؤيب	
أسماء رسل عيسى		٢٠٩	غزوة عبيد بن جدي الحطمي لقتل
١٨٩	ذكر جملة الغزوات	صبياء بنت مروان	
ذكر جملة السرايا والبحوث		٢١٠	أسر ثمانية بن أمثال الحنف وإسلامه
١٩٠	غزة غالب بن عبد الله الليثي بالبحر	٢١١	سرية طلحة بن عبيد
١٩١	غزوة زيد بن حارثة جندب	سرية كرز بن جابر لقتل البجليين	
١٩٥	غزوة زيد بن حارثة بن فزارة	٢١٢	غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن
١٩٦	غزوة عبد الله بن رواحة لقتل	بعث أسامة بن زيد إلى أرض	
اليهود بن رزام		فلسطين وهو آخر البحوث	
غزوة حنيفة بن خزيمة		ابتداء شكوى رسول الله صلى الله	
غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد		عليه وسلم	
ابن سفيان بن نبيح المذلي		٢١٣	استنذاه نساءه في تمريضه في
١٩٨	معض غزوات آخر	بيت عائشة	
غزوة حنيفة بن حسان بن عويم		ذكر أزواجه عليه السلام	
١٩٩	غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل	٢١٤	خديجة - عائشة - سودة - زينب
٢٠١	غزوة ابن أبي حذرد بلن إضم	بنت جعش	
وقتل عامر بن الأشعث الأشجعي		٢١٥	أم سلمة - حفصة - أم حبيبة -
٢٠٣	غزوة ابن أبي حذرد لقتل رفاعه	جويرية بنت الحارث	
ابن قيس الجهمي		٢١٦	صفية بنت حيي - ميمونة بنت
٢٠٤	غزوة عبد الرحمن بن حوف إلى	الحارث - زينب بنت خزيمة	
دومة الجندل		٢١٧	القرشيات ممن - العرييات وغيرهن
٢٠٥	غزوة أبي عبيدة بن الجراح سيف	٢١٨	تمريض رسول الله في بيت عائشة
الجرح		استنذاه للنساء	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٢٨	خطبة أبي بكر بعد البيعة	٢١٨	خطبة النبي وتفضيله أبا بكر
٢٢٩	جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفته	٢٢٩	أمره بإفخاذ بيعة أسامة
	من تولى غسله		وصاياته بالانصار
	كيفية غسله	٢٣٠	الدود
	تكفينه		دعاؤه لأسامة بالإشارة
القر		٢٢١	أبو بكر يصلي بالناس
٢٣٠	الصلاة عليه ودفته	٢٢٢	اليوم الذي قبض فيه الرسول
	من تولى دفنه	٢٢٣	شأن علي والعباس قبل وفاته
	أحدث الناس عهدا به		سواك الرسول قبل وفاته
٢٣١	خيمته الرسول السوداء	٢٢٤	مقالة عمر بعد وفاته
	افتتان المسلمين بعد موته		شأن أبي بكر بعد وفاته
٢٣٢	حسان بن ثابت يرى الرسول	٢٢٥	أمر سقيفة بني ساعدة
٢٣٧	خاتمة		عمر يذكر البيعة لأبي بكر
		٢٢٨	خطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر

Bibliotheca Alexandrina



0351629